الدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد

أثر القبائل العربية في الحياة المغربية

خلال عصري الموحدين وبني مرين

(524-876هـ/1130-1472م)

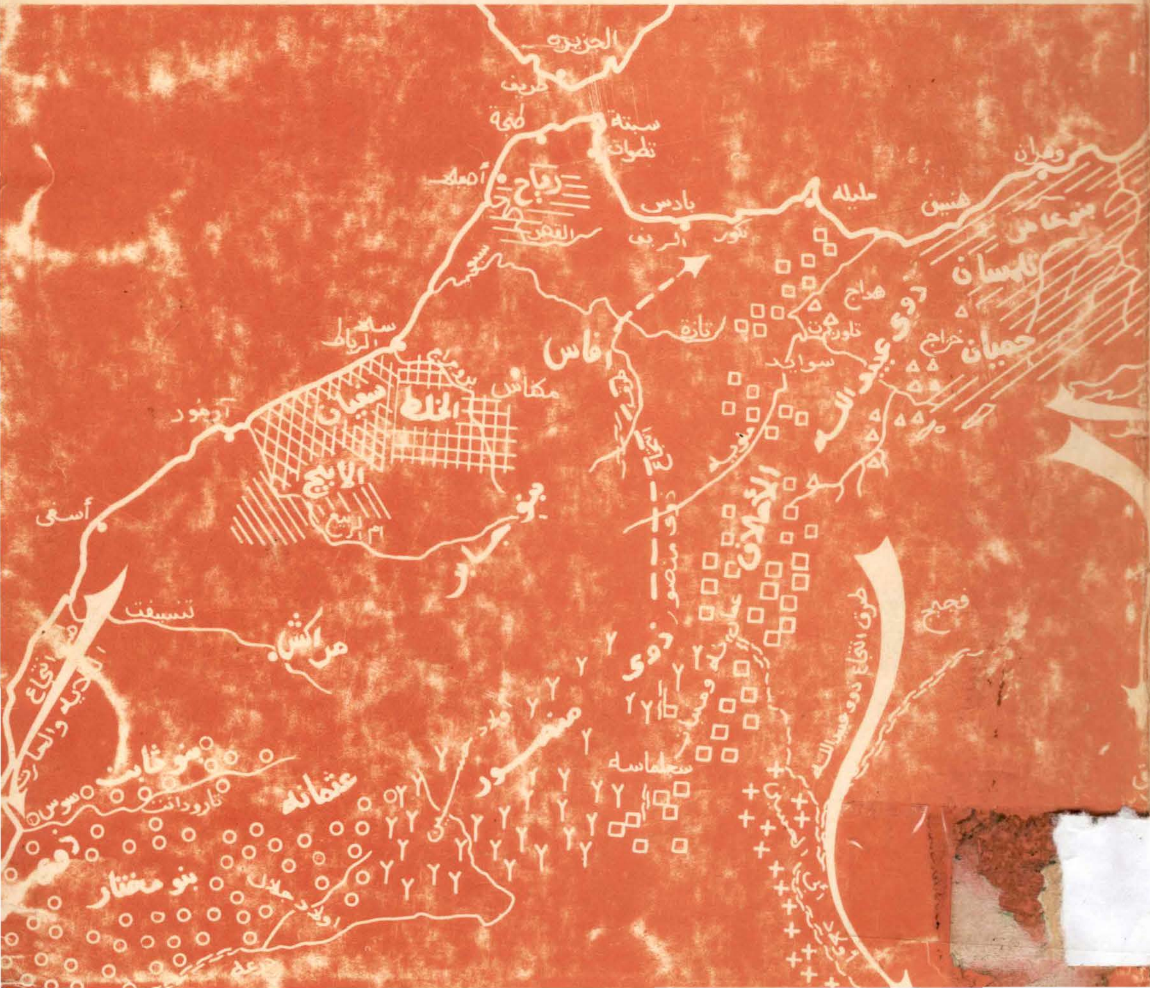

الدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد
أثر القبائل العربية في الحياة المغربية
خلال عصري الموحدين وبني مرين
1982

٩٦١ و٤
أ ح ١٠

الدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد

أثر القبائل العربية في الحياة المغربية

خلال عصري الموحدين وبني مرين

(524-876هـ/1130-1472م)

1982

الطبعـة الاولـى 1982

حقوق الطبـع محفوظة للمؤلف

بســم الله الرحمن الرحيــم

اهــــــــداء

الى أستــــاذى

الدكتور أحمد مختــار العبــادى

مطبعــة دار النشــر المغربيــة

13/5 زنقة الجندى روش ـ الــدار البيضــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

يعتبر دور القبائل العربية في بلاد المغرب ، موضوعا تاريخيا هاما، لا يزال ـ رغم ما كتب حوله من دراسات ـ في حاجة الى مزيد من العناية والبحث لارتباطه بقضية مصيرية ما فتئت تشغل الاذهان في الوقت الحاضر ، الا وهي قضية عروبة المغرب التي حاول المستعمر الاوربي تشويه صورتها وطمس معالمها وتمجيد العنصرية البربرية وتشجيعها ، بغية عزل المغرب عن العالم العربي وابعاده عن أشقائه العرب.

ونتيجة لذلك اضطر زعماء الحركات التحررية في المغرب الى بذل الكثير من الجهد للقضاء على هذه السياسة الاستعمارية العنصرية وازالة رواسبها والعمل على تعريب بلادهم كما كان حالها من قبل .

ومن هنا يدرك المرء مدى أهمية الدراسات التي تبحث في أصالة عروبة المغرب بطريقة علمية موضوعية سليمة . ولهذا أعجبت بالموضوع خصوصا وأنه لم يحظ بقسط وافر من الدراسة والبحث . فأقبلت على دراسته واخترت منه فترة لبحثي هذا بعنوان «اثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين» .

ورغم صعوبة تتبع دور هذه القبائل في تلك الفترة الزمنية الطويلة ، الا أن النتائج المشجعة والحصاد الكبير كان خير حافز لي على الصمود وركوب الصعب اذ كان لزاما على أن أجد جوابا تؤيده الدراسة الناقدة لسؤال مطروح دائما عن مدى عروبة المغرب ؟ وما شكل العلاقة التي تربط بين عناصر سكانه من عرب وبربر ؟

ولا شك أنني أفدت كثيرا من هذه الدراسة اذ تعرفت على تاريخ المغرب من أدناه الى أقصاه كما تعرفت على رواده من الباحثين والمؤرخين بصورة لم تكن تتوافر لي في ظروف أخرى .

وعلى الرغم من أن هنــاك العديد من المصادر والمراجع التى تناولت تاريــخ المغــرب من مختلف أبعاده ، الا أن دور القبائل العربية فيه لــم يعالج كموضوع مستقــل بذاته ولم تسلــط عليه الاضــواء بدرجة كافيــة وهذا ما جعلنــى أعكف على دراسته رغم المصاعب الكثيــرة التى واجهتنى في جمع مادتــه ، فغالبية المصادر تناولــت التاريخ السياسى لبلاد المغرب وأهملــت دور هذه القبائل باستثنــاء ابن خلدون ـ رغم ما يحيــط مادته من غموض في بعض الاحيــان ـ لذلك كان لزامــا على أن أبحث وانقب بين ثنايــا السطــور في كل ما كتــب عن بلاد المغــرب وقد حاولــت جاهدا أن أجمــع كل شاردة وواردة عــن دور هذه القبائل في بلاد المغــرب فى بطون الكتــب وحدث في كثيــر من الاحيان أن المعلومات لم تبدو صريحة وواضحة واحتاج الامر الى تأويل واستنباط وهذا ما اعتقد أنى فعلتــه .

وقد كان منهجى في معالجة الموضوع منذ البدايــة أن أوضح القبائل العربية التى دخلت بــلاد المغرب قبيل الفترة التى أتناولها في بحثى وتتبع تحركاتها واستقرارها وتأسيسها للدول والامارات العربية كقاعدة أتنــاول من بعدهــا دورها في الدول البربرية التى نشأت في البــلاد ومدى مساهمتها في فترات قوتهــا وضعفها وأثــر ذلك في تعريــب البلاد وصبغها بالدمــاء العربية ورسم خريطــة بيانيــة بأسماء هذه القبائــل التى دخلت بــلاد المغــرب وذكر فروعهــا وكذا رسم خريطة جغرافية لبــلاد المغرب موزعا عليها مناطــق استقرار هذه القبائــل وفروعهــا .

وفضلا عن ذلك فقد قصرت رسالتى على دراسة دور القبائل العربية في عصرى الموحدين وبنى مرين في بــلاد المغرب فقط ولم أتنــاول دورهم في بلاد الاندلــس لان هذا الموضوع يحتاج لدراسة أخرى تفصيلية مستفيضة لا يتسع المجــال لها في هذه الرسالــة

وقد قسمــت بحثى الى مقدمــة اشتملت على خطة البحث والمنهج الذى سلكتــه في معالجة الموضوع اتبعتها بدراسة لمصادر الرسالة ثم ثلاثة أبواب رئيسية احتوت على عشرة فصول وخاتمة على النحو التالــى :

الباب الاول : وعنوانه «القبائل العربية في المغرب قبل عصر الموحدين» وفيه حاولت أن أحــدد دور القبائل العربية التى دخلت المغــرب قبل عصر الموحدين ومناطق سيطرتها وظهور الخلافات العصبية بينها وتأسيسهــا للولايــات العربية المستقلة في القرن الثالث الهجرى وهجرة القبائل الهلالية

الى المغرب في منتصف القرن الخامس الهجرى وعلاقتهم بدولة المرابطين بالمغـرب الاقصـى •

تناولت في الفصل الاول من الباب الاول : وصف القبائل العربية التى دخلت بـلاد المغرب وعددها خلال القرن الاول الهجرى مما أدى الى ظهـور المـدن العربية بافريقية مثل القيروان وتونس وأوضحت لماذا لم تهنـأ هذه القبائـل اليمنية وتنعـم بالراحة بعـد أن أرسلت الخلافة الامويـة الى المغـرب امدادات كثيرة العدد من القبائل القيسية بالشـام ، مما أدى الى قيـام المنازعات القبلية القديمـة بين اليمنية والقيسية • ثم تكملت عن الامارات العربية المستقلة التى تكونت في القرن الثالث الهجرى والتى كان لها أثـر كبير في نشر الاسـلام واللغة العربية الى أن قضت الدولـة الفاطميـة على هذه الامـارات واتخذت منذ نشأتها الاولى كدولة شيعية اتجاها مضـادا للعصبية القبلية في المغـرب والاعتماد على الموالى من البربر كما أوضحت في الوقت نفسه علاقـة القبائل العربية مع الفاطميين بالمغرب•

أما الفصل الثانى من الباب الاول : فقد أوضحت فيه كيف نقـل الفاطميـون معهم الى مصر معظم قبائل بلاد المغـرب العربية وكيف أنهم كانوا هم السبب أيضـا في الهجرة الهلالية من مصر الى بـلاد المغـرب في منتصف القـرن الخامس الهجرى وتكلمت عن الامارات العربية الصغيرة التى أسسها الهلاليـون بافريقية ودور هذه القبائـل في التعديل الجنسى للبـلاد وناقشت مسألـة اتهامهم بتدميـر بـلاد المغرب محاولا اظهار وجه الحقيقة لهذا الموضوع مبينا دورهم البناء في دولة المرابطين بالمغرب الاقصى والاوسط وكيف ساهم فرسانهم مع جنود المرابطين في الدفاع عن الاسـلام في الاندلـس •

أما الباب الثانى : فهو يتناول دور هذه القبائل السياسى في المغرب خلال عصرى الموحدين وبنى مرين وحاولت فيه أن أرسم صـورة واضحة لسياستهم تجـاه كل من دولة الموحدين وأقربائهم الحفصيين وكذلك دولة بنـى عبد الواد بتلمسـان ثم دولة بنى مرين بالمغرب الاقصى •

ففى الفصل الاول من الباب الثانى : أوضحت كيف حرص خلفاء الموحدين على اصطناع عرب افريقية والوسائل التى اتبعوها في هذا السبيل وأثر هذه الدعايـة في اشتراك القبائل العربية مع الجيوش الموحدية في جهاد المسيحيين في أسبانيا وفي هجرات هذه القبائل الى المغـرب الاقصى • كما

أوضحت دورهم في صراع الموحدين مع بنى غانية والمماليك الغز وكيف ساهمت القبائل العربية منذ 555 هـ / 1160 م كجنود بالجيوش الموحدية في مد نفوذ الموحدين الى غرب الاندلس والاستقرار بنواحيه وكيف لعبوا قمة دورهم في موقعة الارك المظفرة سنة 592 هـ / 1196 م. ثم أشرت الى الثورات التى قاموا بها ابان انهيار دولة الموحدين وأوضحت أن ثوراتهم تركزت في اماكن استقرارهم بافريقية وبلاد المغرب الاقصى كما أن قيام هذه الثورات كان في الغالب لتأييد ثوار يدعون الانتساب الى ذرية على بن أبى طالب أو بسبب اشتراكهم في صراعات أمراء الموحدين حول الاستبداد بالسلطة ومساهمة كل من عرب جشم والخلط وسفيان في هذا الصراع مما ادى الى اضطراب أحوال المغرب ثم سقوط الدولة الموحدية في 688 هـ / 1269 م.

وفي الفصل الثانى من الباب الثانى : تحدثت عن علاقة القبائل العربية بالدولة الحفصية كشعبة من دولة الموحدين وامتداد لها بافريقية كما هو واضح من أصلهم واستنادهم في اعلان خلافتهم الجديدة بجانب قرابتهم للموحدين الى الاصل العربى والنسب النبوى وسياستهم تجاه محالفة عرب رياح ثم سليم وكرفه . وأوضحت كيف حرص الحفصيون على كسب ود هذه القبائل اما عن طريق المصاهرة كما حدث في زواج السلطان أبى العباس أحمد الحفصى من عرب المحاميد ، أو عن طريق تعيين بعض زعمائهم في ادارة بعض الممتلكات الحفصية . ثم تناولت بعد ذلك دور هذه القبائل في مقاومة غزوات مسيحى أوربا لتونس خصوصا في حملة لويس التاسع في 668 هـ / 1270 م التى كان من أسباب فشلها مقاومة القبائل العربية . ثم تكلمت بعد ذلك عن تقسيم افريقية بين القبائل العربية وأثره على تفكك الدولة الحفصية وانقسامها في آخر الامر في سنة 684هـ/1285 م ثم أثر ثورات عرب سليم والكعوب وتأسيس الاسر العربية القوية لامارات عربية مستقلة ببسكره والزاب وبلاد الجريد في أنهيار الدولة الحفصية .

وفي الفصل الثالث من الباب الثانى : تعرضت لدور عرب زغبة والمعقل في قيام دولة بنى عبد الواد بتلمسان وأوضحت أن زغبة والمعقل تنقسم كل منهما الى عدة بطون حالف بعضها الدولة وأخلص في خدمتها كبنى يزيد وبنى عامر بينما عاداها القسم الآخر وناصر كل ثائر

عليهـا مثل الثعالبة وذوى عبيد اللـه من المعقـل وحصين وسويـد من زغبة حتى انتهـى الامـر بضعفها وسقوطهـا •

وفي الفصل الرابع من الباب الثانى : أوضحت تطور مكانة القبائل العربية بالمغرب الاقصى وازدياد حاجة الدولة اليهم على عهد بنى مرين أو بنى عبد الحق ـ وعلى الرغم من ان هؤلاء المرينيين من أصل زناتى الا أنهم ادعوا الانتساب الى عرب مضر وحرصوا على مصاهـرة هذه القبائـل لتأكيد هذا النسب كما صاهروا القبائل العربية بافريقية لاستئلافهم لذا فقد لعبت القبائل العربية مع القوات المرينية دورا هاما في جهاد المسيحيين باسبانيا للدفاع عن مملكة غرناطة الاسلامية وتطور دورهم من تنفيذ ما يصدر اليهم من أوامـر عسكرية الى الاشتراك كمستشارين في المجلـس الحربى للسلطان المرينى وأبداء الـرأى حول الخطط العسكرية ، ظهر تأثيره في الحملة الرابعـة ليعقوب المرينى في 684 هـ• / 1285 م• بأسبانيا وفي معظم امـدادات القبائل العربية الموجهـة الى الاندلـس • ثـم تناولت دور هذه القبائل بريـاسـة عرب سويـد في العمل على اتساع الدولة المرينية شرقـا الى افريقيـة وحدود برقة ثم أسباب ثـورة القبائل العربيـــة بافريقيـة على الدولة المرينيـة وانتقال عدوى هذه الثـورات الى عـرب المغرب الاقصى حتى تمزقت الدولة المرينية الى قسمين : قسم عاصمته فاس والآخر عاصمته مراكـش تفصل بينهما ولايـة ازمور العربية المستقلـة التى ساهمت في ازديـاد حدة الصراع مما ساعد في النهـاية على سقـوط الدولـة المرينيـة •

أما الباب الثالـث : فهو يتناول الدور الحضارى للقبائل العربية في بـلاد المغرب ولا سيما في مناطق استقرارها وهو يتكون من أربعة فصول •

الفصل الاول من الباب الثالث : يتناول توزيع القبائـل العربيـة وبطونها على بـلاد المغرب ورسم خريطة بيانية احصائية لكل قبيلة على حدة توضح بطونها وفروعها خلال عصرى الموحدين وبنى مرين، ثم حاولت رسم خريطة جغرافية لاماكن استقرار هذه القبائل بصفة عامة ببلاد المغرب•

أما الفصل الثانـى من الباب الثالث : فقد تحدثت فيه عن وضـع القبيلة العربية بالمغرب وتأثير البيئة الجديدة عليها سواء في علاقة الرجل بالمرأة أو في الزواج لانتقل الى صفـات القبيلة العربية من حلف وجوار وشعر وغنـاء الى زى وطعام وأسلوب حياة وعـادات وتقاليد ••• الخ،

ثم تكلمت عن نزعات التصوف والاصلاح بين القبائل العربية وما ساهم به رجالها وشيوخها المصلحون في الحياة المغربية ودورهم في ركب الحجيج الى مصر كحجاج ومرافقين وحراس على طريق الحج بحكم استقرارهم على طول محطاته . هذا الى جانب دورهم في تعريب المغرب ونشر الثقافة العربية ببلاد السودان .

اما الفصل الثالث من الباب الثالث : فهو عن دور القبيلة العربية في النواحي الادارية والعسكرية وكيف نجح شيوخ هذه القبائل والاسر القوية منهم في تاسيس امارات عربية مستقلة صارت مركزا للثقافة العربية الاسلامية ومدحها الشعراء والكتاب وتشبه بعض امرائها بالملوك كما نجحوا في الاشتراك كمستشارين ووزراء وندماء للسلطان حتى تصدروا المجالس السلطانية . اما من الناحية العسكرية فقد دفعهم حبهم للقتال واهتمامهم باسلحتهم الى تقرب الدول البربرية اليهم واستخدمها لهم في جيوشها وتثبيتهم في ديوان العطاء باعداد قليلة منتخبة مختارة او باستدعائهم في الوقت المناسب باعداد كبيرة مقابل الاقطاعات الكثيرة ثم اشرت الى مرتباتهم وتميزها عن مرتبات غيرهم والى احتفال الدولة بقدومهم وكذلك الى بنودهم وراياتهم وطبولهم .

أما الفصل الرابع من الباب الثالث ، فقد تناول دور القبائل العربية في تنمية الثروة الحيوانية خصوصا في تربية الخيول وتاثر القبائل البربرية بهم في هذا المضمار وكذلك في تربية الابل والاغنام وظهور خطة الشاوية ببلاد المغرب واسنادها للعرب لادارتها وما ساهمت به هذه القبائل في الزراعة والفلاحة واهتمام بعض زعماء العرب بالتعمير وسيطرتهم على طرق التجارة الداخلية وتنميتها وكذا على طرق التجارة الخارجية مع جيرانهم ببلاد السودان ومصر والممالك المسيحية واحتكارهم لبعض السلع ثم مناقشة أثر العرب في حياة المغرب الاقتصادية بوجه عام.

وفي الخاتمة : تحدثت عن النتائج التى وصلت اليها في هذا البحث أجمالا .

وفي الختام أجد لزاما على أن أتوجه بالشكر والعرفان لاستاذى الدكتور/أحمد مختار العبادى رئيس قسم التاريخ بكلية الاداب بجامعة الاسكندرية سابقا وأستاذ التاريخ الاسلامى بجامعة الكويت حاليا الذى منحنى من علمه ووقته وتوجيهاته وكتبه الشىء الكثير فجزاه الله عنى وعن العلم خير جزاء . والله ولى التوفيق .

دراسة المصادر ومراجع البحث

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة كبيرة من المصادر الاصلية منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع كما استفدت من المراجع الحديثة التى تناولت موضوع البحث من قريب أو بعيد . وسوف أقصر حديثى على تلك التى كان لها أهمية خاصة في استيفاء مادة البحث مراعيا ترتيبها ترتيبا تاريخيا وهى :

ـ **المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس** ، عن نزهة المشتاق في اختراق الافاق لابى عبد الله محمد الشريف السبتى المعروف بالادريسى (ت حوالى 548 هـ 1154 م) . والكتاب يحتوى على الكثير من المعلومات عن استقرار القبائل العربية وتوزيعها في بلاد المغرب خلال القرن السادس الهجرى (12 م) ودورها الاقتصادى وقد اعتمد مؤرخو العصور الوسطى من المسلمين على ما أورده الادريسى حول تدمير هذه القبائل لحضارة بلاد المغرب عند كلامه عن أحوال المسيلة وقراها ومدينة باغاى ومدينة زويلة بالمهدية والقيروان ويبدو أن ابن خلدون تأثر بذلك بجانب ملاحظاته الشخصية في خلال النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى (14 م) مما ساعد على تأليف نظريته نحو العرب بينما نرى الادريسى في مواضع اخري من كتابه يصف تآلف العرب مع سكان المدن من البربر وتعاونهم معا سواء في الزراعة والتجارة عند تناوله احوال مدن المنستير وتونس وقسنطينة وقابس وجودة محاصيل السوس ووفرة فاكهته مما يساعد على تفنيد مبالغات ابن خلدون .

كما أمدنا الادريسى بمعلومات قيمة عن دور القبائل العربية الحضارى في بلاد المغرب وكيف سيطروا على التجارة الداخلية بالبلاد واحتكروا توزيع بعض السلع الهامة وساهموا في التجارة الخارجية بالسيطرة على المراكز التجارية مع بلاد السودان مثل زاله وودان وصرت وزويله ابن الخطاب وكذا على طرق التجارة الخارجية مع الديار المصرية واحتكارهم لنقل الاغنام والعسل والقطران والصوف من افريقية الى

مصر واستقرارهم بمناطق المعادن مثل استقرار عرب ذباب وناصره بجبل جرجيس ببلاد فزان ومدينة مجانه حيث الفضة والمعروفة بمجانه المعادن .

ـ «**تاريخ المن بالامامة على المستضعفين** بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور المهدى بالموحدين» لعبد الملك بن احمد الباجى المعروف «بابن صاحب الصلاة» (ت 578 هـ / 1182 م) ويبدو ان كتاب المن بالامامة يقع في ثلاثة أجزاء ولكن الذى وصل الينا من هذه الاجزاء الثلاثة هو الثانى فقط الذى يبتدىء بأحداث سنة 554 هـ / 1159 م وينتهى باحداث سنة 568 هـ / 1173 م.

وهذا الجزء مهم جدا في دراسة دور القبائل العربية في النواحى الحضارية والعسكرية خلال دولة الموحدين في المغرب والاندلس . ويمكن تقسيم المعلومات التى تضمنها الى ثلاثة أقسام :

1 ـ معلومات استقاها المؤلف من الرواة الذين تحدثوا اليه .

2 ـ معلومات اعتمد فيها على ما شاهده بنفسه ونلاحظ توخيه الامانة والصدق فيما يروى ويكفى ان نسعجل عليه انه كان في بعض الحالات يقف موقف المنتقد الذى لا يخشى اللوم ولا يتهيب سوء المصير.

3 ـ ما ينقله عن بعض المؤلفين المعروفين كابن حيان وابن العربى أو عن بعض الوثائق الرسمية للدولة مما امتاز به عن معاصريه من المؤرخين .

وقد انفرد الكتاب بمعلومات قيمة عن دور القبائل العربية مع الموحدين في الحرب المقدسة بالاندلس والقيام بحماية مدنه خصوصا خلال عصر أبى يعقوب يوسف الموحدى وما أظهره العرب من ضروب الشجاعة والبسالة مما جعل ابن صاحب الصلاة يشبه قتالهم بقتال المؤمنين الاوائل ورغم ذلك لم يمنع هذا المديح ابن صاحب الصلاة من انتقادهم في حالة ثانية بسبب موقفهم المتخاذل في موقعة قونكة سنة 566 هـ. كما امدنا ابن صاحب الصلاة بمادة جديدة عن زى جنود العرب وفرسانهم وشيوخهم وكذلك عن رواتبهم وتميزها عن رواتب جنود الموحدين ثم وصف لنا كيفية تعبئتهم وتمييز فرقهم واحتفالات عرض قواتهم وكيف تحايل زعماء العرب في اثبات اعداد تزيد عن اعدادهم

الفعلية ونوعيـات للقوات من الفرسان تزيد عن الواقع حتى يزداد عطائهم، وما صاحب هذا الاحتفـال من سماح للقبائل العربية بتناول شراب الرب الممـزوج بالمـاء من بـاب الترفيه عنهـم .

كتاب الاستبصار في عجائب الامصار لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجرى قام الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد بتحقيقـه الاسكندرية 1958 . والكتاب ينقسم الى ثلاثة أقسام مختلفـة هـي : الاماكن المقدسة ومصر وبـلاد المغـرب والقسم الاخير الخاص ببـلاد المغرب والسودان يفوق في اهميته ما سبقه من الاقسـام هنا نجـد ان المصادر التى يأخذ عنها الكاتب معلوماته والتى يذكرها هى المسعـودى والبكرى ـ وهذا الاخير يعتبر المصدر الاول للقسم الثالث من الكتـاب خاصة ، الا أن مجهود المؤلف لا ينكـر فهو يعطى معلومات شخصية فـى غاية الاهميـة لاسيما عن افريقيـة والمغرب الاقصى .

ففيما يختص بـدور العرب الحضارى في بلاد المغرب يبين الكتـاب دورهم في الثروة الزراعية والمعدنية لكل مدينة مثـل : حرير قابس وزيـت سفاقص ومنسوجات سوسة ومرجان طبرقة وتمـر الواحات وبلاد الجريد وذهب البلاد الواقعـة بين الواحات ومصر وفستق قفصه وجلد اللمـط والملح ثم السكـر بصفة خاصة التى اشتهرت بها بـلاد السوس حيـث استقر عـرب ذوى حسان . ومن الناحية التاريخية يحتوى الكتاب على معلومـات ذات قيمة خاصة بالنسبـة لتاريخ الموحدين لنقلها عن الوثائق التاريخيـة المعاصـرة ذات الاهمية البالغـة فصاحب الكتاب يندد بثورة على بن غانية في افريقية ويدافع عن موقف سيده الامير الموحدى .

كتاب المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد بن على التميمى المراكشى (ت 621 هـ / 1224 م) فهو يتنـاول بعض أخبار المغرب وهيأته وحدود أقطاره وشيء من سير ملوكه وخصوصا خلفاء الموحدين من بنـى عبد المؤمن من ابتـداء دولتهـم الى 621 هـ. والكتاب يمتاز بسهولة عبارته وبساطة اسلوبـه وكاتبه مؤرخ محقق جديـر بالثقة والاعتماد على أحكامه واحتـرام آرائه وقد أفـاد البحث فيما يتعلق بادعاء انتساب الموحديـن للعـرب واستغلال هذه الدعايـة في اصطنـاع القبائل العربية المقيمة بافريقية للاشتراك معهم في جهـاد المسيحيين بالاندلس وحماية المـدن الاندلسية

عن طريق الاستقرار بنواحـى قرطبة وأشبيلية وشريش حتى انتشر **نسل** القبائل العربيـة في جنـوب الاندلـس .

كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لابن عذارى المراكشى (كان حيا حتى سنـة 712 هـ) . وكتاب البيان له اهمية خاصة لانه يتضمن أجزاء من مصنفـات مفقودة ويحتوى على معلومات جديدة خصوصا فيما يتعلق بتحركات القبائل العربية وهجراتها من المشـرق الى المغرب ايـام الدولـة الاموية . كذلك يشرح لنـا السياسة التغريبية التى لجأ اليها الموحدون نحو القبائل العربية للاستعانـة بها في حروب الاندلس . يوضح لنا اتبـاع ابو يعقوب يوسف الموحدى لسياسة ابيه تجاه القبائل العربية والتى لترمى الى اصطنـاع العرب والاستعانة بهم في حروبه بالاندلس . هذا ويعطينا هذا الكتـاب أيضا معلومات قصيرة عن دور القبائل العربية في صراع الموحدين وبنى غانية والمماليك الغـز حول الاستبداد بحكـم افريقيـة وسياسة الموحدين تجاه تحالف هذه الجماعات المختلفة الاهداف. كما يلقى الاضواء على أسباب ثـورات عرب افريقية خلال العصر الموحدى بسبب تنظيم الموحدين لاقطاعات القبائل العربية بافريقية أو انتسـاب الثائرين للعلويين . كما يتنـاول ثورة عرب الخلط بالمغـرب الاقصـى بسبب ازديـاد قوتهم وثروتهم والصراع بين شيخهم مسعود بن حميدان الخلطى والخليفة الرشيد الموحدى وكيف لجأ الرشيد الى الحيلة للقضاء على ثورتهم واستعانته بعـرب سفيان ودورهم في فرض السـلام علـى الموحدين خلال صراعهم مع بنـى مريـن .

كما ينفـرد الكتاب بمعلومات هامة توضح مكانة المرأة العربية فى القبيلة بالمغـرب والجوار عند العرب واختيار شيـخ القبيلة وما يجـب ان يمتاز به من صفات ومكانة زعماء العرب كأهل مشورة للسلطان وتسلطهم عليه حتى اتخذ منهم الموحدون بعض وزرائهم ويتعرض ابن عذارى لحب العرب للقتال وطريقتهم في الحروب واسلحتهم من السيوف الهنديـة والدرق اللمطيـة والقـس الخطية والمنجنيق ثم تنظيم الجيش الموحدى على أسـاس قبلـي .

رحلة التجانـى لابى محمد عبد الله بن محمد التجانى (ت حوالـى 717 هـ/1317 م) اما حياتـه فلا نعرف عنها الا أنه رحل مع مولاه الامير الـى افريقيـة الشماليـة وهذه الرحلـة هى التى وصفها في كتابه المعروف

بـ «الرحلـة» وتبدأ الرحلة من تونـس في أواخر جمادى الاولى عـام 706 هـ (أول ديسمبـر 1306 م) في ركب الحـج الا أن التجانى اضطر في أول محـرم عام 709 هـ (يونيـه 1309 م) الى التخلف عن الركب لمرض الزمـه العـودة وكان الركب لم يتجـاوز بعد طرابلس ومع ذلك فقد طـال مقامه في كل موضـع من مواضع هذه الرحلة فواتاه ذلك كل المؤاتـاه فاستطـاع ان يفيض وصفا وبيانا لكل طريف يلفت النظر في بلاد تعد بالقيـاس الى غيرها ضيقـة الرقعة محدودة الاطراف كانت مجـالا لاستقرار القبائـل العربية خصوصا سليـم والمعقل والاثبج وريـاح فجاء كتـاب الرحلـة معينـا فياضا يذخـر بالمعلومـات بمنـاطق استقرار هذه القبائل وحياتهـا الاجتماعيـة ومعتقداتهـا .

وتعتبر الرحلة الوحيدة من نوعها في وصف افريقية في أوائل القرن الثامن الهجـرى احدى القرون الغامضة في تاريخ تونس الاجتماعـى والسياسي وأعتمد عليهـا ابن خلدون في كتابه العبر في نقل اسماء الاوطان والنواحـى ومن استقر بها من القبائل العربية وما يتفرع عن كل قبيلـة من بطون وأفخـاذ من البـدو الرحل ومجاورهم من البربر وأهل الذمـة. كما تحتوى الرحلـة على معلومـات جديدة فيما يتعلق بانتقـال المماليك الغز من مصر الى بـلاد المغـرب ودورهم في صراع الموحدين وبنـى غانية والقبائـل العربيـة بافريقيـة .

ويستكمل التجانـى معلومات ابن عذارى فيمـا يختـص بمساعـدى شيخ القبيلـة العربية ببـلاد المغرب فيعرفنـا بالمفتى أو الفريـض واختصاصاته وكاهن القبيلة ويوضح لنا تأثـر العرب بمعتقدات الجاهلية في عاداتهم رغم مـرور القرون العديدة على انتقالهم فأعتقدوا في شجر العشر ونجم سهيل والكـرم الحاتمي حيث اشتهـر بافريقية مثيلة شهوان بـن عيسي أشهـر كرماء العـرب بها وظهور نزعات التصوف والاصلاح بيـن عرب المحاميد والجوارى بافريقية ونشأة زوايا أولاد سهيل وسنان .

ويعطينا التجانـى مـادة هامـة لكيفية استقرار هذه القبائل وتحولهم الى البنـاء واشتراك زعماء القبائل في العمـل تحريضا لباقى افراد القبيلة وتعاونهم مع عـرب الفتح الاوائـل والاشتغال بالزراعة والصناعـة واستخراج الملح والاتجار فيه كدواء مع الممالك المسيحية ويمكن بهـذه المعلومات استكمال ما أورده الادريسى لتأكيد دور العـرب البنـاء .

الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ولقد اختلف المؤرخون حول مؤلف هذا الكتاب فالبعض ينسبه الى أبى العباس أحمد بن أبى زرع والبعض ينسبه الى صالح بن عبد الحليم الغرناطى وكلا المؤرخين عاشا وماتا بالمغرب في النصف الاول من القرن الثامن الهجرى (14 م) ويزعم رينيه باسيه أن الاسمين لمؤرخ واحد.

والكتاب يتناول تاريخ المغرب الاقصى من سنة 145 هـ الى 723 هـ وفي بعض المصادر الاخرى الى سنة 726 هـ ـ وهو الارجح ـ واعتمد ابن أبى زرع كثيرا فيما كتب على عدة مصادر أغفل ذكر معظمها كما اعتمد فيما يظهر على وثائق رسمية وخاصة عند كلامه على حكم الاسرة المرينية .

ويستفاد بالكتاب في تأكيد المعلومات الخاصة بادعاء انتساب الموحدين الى الرسول عن طريق الادارسة واتخاذهم اللون الاخضر شعارا لهم متفقا مع البيذق وابن صاحب الصلاة كما يتفق مع ابن عذارى في تنظيم الموحدون لافريقية ووضع الخراج على من بها من القبائل العربية مما أدى الى ثورة العرب ونقل الموحدون لبعض هذه القبائل في 554 هـ الى بلاد المغرب لاستغلالهم في جهاد الاندلس . ويعالج الكتاب بتفصيل لا نجده عند غيره دور القبائل العربية في موقعة الارك الظافرة ثم في هزيمة العقاب ودورهم في انقاذ الخليفة بعد وقوع الهزيمة .

كما يستفاد من المعلومات التى أوردها عن دور العرب في الدولة المرينية حتى 691 هـ / 1291 م من انتساب المرينيين الى مضر ـ رغم اصلهم الزناتى ـ وتأييد شعرائهم من العرب لهذا النسب وتزوج الامراء المرينيين من النساء العربيات ودور قبيله رياح ضد قيام الدولة المرينية وثورات عرب رياح والمعقل والاثبج خلال فترة ضعف الدولة مما ساعد على انهيارها .

أما عن المعلومات التى اوردها ابن ابى زرع عن مساهمة هذه القبائل في النواحى الحضارية لبلاد المغرب فلها قيمة كبيرة فى توضيح تأثر القبائل البربرية بطريقة العرب في الشعر والغناء والانشاد واظهار دور بنى مهلهل من عرب الخلط في الادارة والحكم حيث كانوا أخوالا للسلطان مما دفع الدولة الى اسناد قيادة جيوشها الى عرب جشم وصبيح للقضاء على الثورات الداخلية .

نفاضة الجراب في علالة الاغتراب للسان الدين بن الخطيب (713 ـ 776 هـ / 1313 ـ 1374 م) ـ يتناول الكتاب وصفا لمشاهدات لسان الدين بن الخطيب في البلاد المغربية مع ذكر الاحداث السياسية التي مر بها المغرب في تلك الفترة والكتاب يقع في ثلاثة اجزاء وجد منه الجزء الثانى قد امدنى بمعلومات هامة عن دور عرب زغبة في معاونة بنى عبد الواد في استرداد تلمسان ودور عرب بنى جابر في الصراع حول السلطة في المغرب بين السلطان ابى سالم ابراهيم المرينى ووزيره حسن بن عمر ويلقى الكتاب أضواء على حياة عرب المغرب الاجتماعية كتحالف شيوخ القبائل العربية بالمغرب في 763 هـ / 1361 م من العاصم والخلط وسفيان وبنى جابر والحارث فيما بينهم ضد استبداد الوزير عمر بن عبد الله ويعطينا ابن الخطيب صورة لهذا التحالف ثم يوضح لنا اهمية مبدأ الجوار عند قبائل عرب تامسنا ويؤكد ما أورده ابن أبى زرع عن دور عرب بنى مهلهل من الخلط بمدحه أشهر شيوخهم منوها بفضل اسرته ومكانتها في بلاد المغرب كما أمدنا بمعلومات فريدة عن فرقة رماة القس العربية والناشبه واستخدام المرينيين لهم في جيوشهم .

ولابن الخطيب كتاب آخر هو «**كتاب أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام** مكون من ثلاثة أقسام اهمها القسم الثالث الذى يتناول تاريخ المغرب منذ قيام دولة الاغالبة حتى قيام دولة الموحدين . وقد احتوى الكتاب على مادة قيمة لدور القبائل العربية فى تأسيس الامارات العربية المستقلة في القرن الثالث الهجرى وتأسس مدينة فاس ووفود القبائل العربية عليها وسيطرة امارة الاغالبة على البربر بفضل عروبة مدينة بلزمة وسكانها من عرب بنى تميم ودور امارة بنى صالح الحميريين في نشر الاسلام بين بربر غمارة وصنهاجة المستقرين ببلاد الريف ومقاومة تيار الخوارج والشيعة وقضاء الدولة الفاطمية على هذه الامارات العربية . كما احتوى الكتاب على معلومات فريدة فيما يختص بتأثر بعض القبائل الزناتية بالقبائل العربية فى تربية الخيول وتحسين انسابها مثل الخيول الفازازية التى اشتهرت بها بلاد فازاز في منطقة تادلا .

بغية الرواد في ذكر الملوك من بنى عبد الواد لابى زكريا يحيى بن خلدون (حوالى 734 هـ / 1333 م ـ 780 هـ / 1378 م) نشره الفرد

بل في ثلاثة أجزاء في مجلدين بالجزائر 1904 ، 1911 ، 1913 م وبدأت حياة يحيى بن خلدون السياسية في عام 757 هـ / 1356 م في خدمة امراء بنى حفص ثم انتقل لخدمة بنى عبد الواد واتخذه ابو حمو كاتب للانشاء ثم التحق بخدمة المرينيين ثم عاد لخدمة ابى حمو الذى رحب به وأعاده الى منصبه القديم الى ان قتل في رمضان عام 780 هـ / 1378 م .

ورغم ان حياته السياسية كانت اقصر من حياة اخيه عبد الرحمن بن خلدون واقل خطرا ولكنها مع ذلك اتاحت له فرصه كتابة مؤلف غزير المادة في التاريخ هو «بغيه الرواد» اعتمد عليه كل من كتب عن تاريخ تلمسان والمغرب الاوسط.

واهمية هذا الكتاب ترجع الى تناوله فترة حكم أبى حمو الثانى وصلته بالقبائل العربية من ناحية ودور هذه القبائل في العلاقات بين دولة بنى عبد الواد والحفصيين بتونس والمرينيين بفاس من ناحية اخرى حيث استطاع يحيى بن خلدون بحكم منصبه ككاتب سر أبى حمو الثانى أن يطلع على الوثائق الرسمية بل وأن يذكر بعضها كاملا فى مصنفه ومع أن يحيى لم يتناول في كتابه موضوعا متشعبا كموضوع أخيه عبد الرحمن ولم يظهر سموا في التفكير ولا براعة في النقد مثل ما فعل أخوه في كتابه الا انه قد بزه في الناحية الادبيه الخالصة ولم يكن مجرد بسط للتاريخ السياسى لسلطنة المغرب الاوسط فحسب بل اورد فيه كذلك كثيرا من قصائد شعراء البلاط الذين عاصروه والتى كثيرا ما احتوت على مادة تفوق في قيمتها المادة التاريخية الصريحة سواء في تأكيدها لادعاء نسب بنى عبد الواد الى الادارسة ووجوب خلافتهم شرعا أو في التنويه بدور عرب عامر محالفى بنى عبد الواد فى مناصرة الدولة .

والكتاب يعطينا لمحة صادقة عن الحياة العقلية في عاصمة بنى عبد الواد في القرن الثامن الهجرى .

كتاب روضة النسرين في دولة بنى مرين لابى الوليد اسماعيل بن الاحمر النصرى الامير الغرناطى الشاعر الكاتب المتوفى في 807 هـ / 1404 م نشره الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور بالرباط 1962 ورغم صغر حجمه وكونه ليس تاريخيا للدولة المرينية كما يتبادر الى الذهن من مدلول

تسميته الا انه كبير الفائدة لموضوع هذه الرسالة فهو سجل يتضمن اسماء ملوكها وكناهم والقابهم وأنسابهم وتواريخ ميلاد كل منهم وولايته ثم وفاته والمدد التى قضاها كل منهم مع وصف ملامحهم الخلقية وذكر رجال دولتهم من وزراء وحجاب وقضاة وكتاب وما خلفوه من بنين وبنات فهو شديد الشبه بسجلات الحالة المدنية في ايامنا هذه.

ولقد استقيت من هذا الكتاب المعلومات ـ الفريدة ـ واللازمة من مصاهرة الخلفاء وملوك بنى مرين لشيوخ وزعماء وأمراء القبائل العربية بالمغرب وتأثيرهم الواضح كأخوال على ملوك بنى مرين في بعض الفترات واتخاذ ملوك بنى مرين حجابا ووزراء ومستشارين من القبائل العربية . كما أمدنى من خلال صفحاته القليلة بمعلومات قيمة عن الصراع العنيف الذى نشأ بعد انهيار الموحدين بين الاسرتين الزناتيتين الكبيرتين بنى مرين بفاس وبنى عبد الواد بتلمسان الذى استمر ثلاثة قرون .

ويلاحظ على ابن الاحمر أنه نقل كثيرا من فقرات الذخيرة السنية والقرطاس فأوردها برمتها دون اسناد الى المصدر وكأنها من صنع قلمه.

كتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الاكبر لعبد الرحمن بن خلدون (732 ـ 808 هـ/ 1332 ـ 1406 م) طبع هذا الكتاب في بولاق سنة 1867 م في سبعة أجزاء والجزء الاول منه هو المقدمة المشهورة التى ينظر فيها للتاريخ على انه فرع من الحكمة اى الفلسفة وفي نفس الوقت تتضمن نظرية ابن خلدون حول القبائل العربية ودورها السلبى في المناطق التى انتقلت اليها خصوصا المغرب كما أنها تحتوى على معلومات هامة عن دور العرب الحضارى في المغرب والاندلس وأنظمة الحكم فيها . وعن حياة هذه القبائل الاجتماعية ومعتقداتها وطريقة حياتها واسلوب حربها .

أما بقية أجزاء التاريخ فهى تتناول أخبار العرب وأجيالهم منذ بدأ الخليقة الى عصره ثم اخبار البربر وأجيالهم ودولهم بديار المغرب. وأهم هذه الاجزاء بالنسبة لموضوع بحثنا الجزءان السادس والسابع حيث يتناول فيهما ابن خلدون انتقال القبائل العربية من بلاد العرب الى بلاد المغرب وتوزيعها على البلاد وأماكن استقرارها وأنسابها وقبائلها وبطونها ولا يمكن لباحث أن يتناول دور القبائل العربية ببلاد

المغرب دون الاعتماد على ما كتبه ابن خلدون في هذا المضمار خصوصا وأنه اعتمد على كثير من المصادر الغير موجودة في العصر الحالي وكذا على ما استقاه من زعماء القبائل العربية انفسهم.

كما يمدنا ابن خلدون بالمادة اللازمة لتوضيح دور القبائل العربية في العلاقات بين دول بلاد المغرب الموحدين ومن بعدهم الحفصيين مع دولة بنى مرين وبنى عبد الواد ومن حالفهم من القبائل العربية ومن وقف موقفا معاديا منهم موضحا التيار الذى جرف هذه القبائل للاشتراك مع دولة الموحدين وبنى مرين في الحروب المقدسة ببلاد الاندلس .

كما أن بعض الفقرات الهامة تلقى الضوء على دور هذه القبائل الحضارى في نشر الاسلام الى بلاد السودان وظهور النزعات الصوفية الاصلاحية بينها ومحاولة مد هذا الاصلاح الى الدول التى تعيش فى كنفها هذه القبائل .

وساعد ابن خلدون على ذلك كفاءة سياسية فائقة وصلات وثقها مع العلماء والرجال المبرزين في عهده واتصاله بالقبائل العربية المختلفة لنصره ارباب نعمته اذ انه لم يتردد قط في التخلى عن احدهم والالتحاق بخدمة آخر حتى ولو كان خصما للاول ولعب دورا خطيرا في الشئون السياسية لشمال افريقية والاندلس كما لاحت له فرصة نادرة ليعطينا حكما صادقا على حوادث ذلك العصر في مؤلفه الذى يعتبر بالرغم من تفاضل فصوله في القيمة مصدرا هاما عن ما يتعلق بحياة القبائل العربية والبربرية بالمغرب في العصور الوسطى فهو ثمرة خمسين عاما (النصف الاخير من القرن الثامن الهجرى) قضاها المؤلف في مشاهدة الحوادث عن كثب وفي دراسة ما سبقه من كتب التاريخ ووثائق عصره السياسية والرسمية دراسة واسعة .

كتاب الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية لابى العباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب بن القنفذ القسنطينى المتوفى في 810 هـ / 1407 م حققه الاستاذان محمد الشاذلى ، عبد المجيد التركى بتونس 1968 . اما عن قيمة «الفارسية» فقد تعرض لها الاستاذ برنشفيك في فصل عقده لنقد وتقييم الكتاب في مؤلفه عن الحفصيين كنموذج بارز في الادب التاريخى في العهد الحفصى فتحدث عما بالكتاب من الترتيب

الزمنى المحكم من بداية الدولة الى تاريخ انتهاء الكتاب أى أوائل سنة 806 هـ / 1403 م ولاحظ ان المؤرخ استقى المعلومات التى اوردها من وثائق الدولة وتجرد عن كل ادعاء فاحداثه تقدم بطريقه عامة وتواريخه تبدو دقيقة ومعلوماته تحتمل الصحة عن أهم الحوادث السياسية باستثناء المؤلم منها فهو يمر عليها سريعا واكد الاستاذ محمد بن أبى شنب ان الفارسية وان كان صاحبها من كتاب الدرجة الثانية بالنظر لابن خلدون فهى جديرة بملاحظة خاصة لما تحويه من معلومات عن الحفصيين عامة وعن قسنطينة مسقط رأسه خاصة .

ولقد تم الاستفادة من الفارسية بطرق شتى اما نقل أخبار عنها انفردت بها او تدعيم أو تكملة معلومات قدمها ابن خلدون واهميتها ترجع الى أنها بجانب تاريخ ابن خلدون وتاريخ الدولتين للزركشى والادلة النورانية لابن الشماع والمؤنس لابن أبى دينار توفر لنا المادة لدور القبائل العربية في الدولة الحفصية اذ ان جميع هذه المصادر وان كانت لا تفى بالغرض كمصادر منفردة ولكنها تؤدى الغرض كمصادر مجتمعة تكمل كل منهما الاخرى وخصوصا وان القبائل العربية فى ظل الدولة الحفصية نجحت في انشاء امارات مستقلة أثرت وتاثرت بما حولها .

كتاب تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لابى عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشى تحقيق الاستاذ محمد قاضور بتونس 1966 م وأهمية الكتاب ترجع الى أن المؤلف شاهد عيان لما عاصره من احداث كما أنه ناقل امين لما سبقه من أخبار ويغطى الكتاب الاحداث خلال الدولتين الموحدية ثم الحفصية حتى سنة 886 هـ / 1481 م تلك الحقبة الزمنية الاكثر غموضا وشحا بالاخبار في الدولة الحفصية وعلاقتها بالقبائل العربية المستقرة بها وكذا الامارات العربية ببسكرة وبلاد الجريد فالقرن التاسع الهجرى الذى يأتى بعد نهاية تاريخ ابن خلدون لم يأت من يؤرخه يمثل تحقيقه وربط اجزائه وكل ما أوردناه في الرسالة من المعلومات عن هذه الفترة مستمد من هذا الكتاب وبدونه كان يتعذر تغطية هذه الفترة حتى ان ابن أبى دينار في تاريخه المؤنس لم يتردد في الاعتراف بذلك خاصة اذا كانت اخبار الزركشى تدل على اتصاله بالدولة ويرجح انه كان من كتابها فاذا أضفنا الى ذلك أن القرن

التاسع الهجرى كان أقسى القرون علي بلاد المغرب ففيه فقد الاتصال بين ممالكه المتعادلة غير شاعرة بالاخطار الخارجية التى تهدد الجميع.

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين أحمد (النويرى) ت 733 هـ ويتألف من واحد وثلاثين مجلدا طبع منها 18 مجلدا بالقاهرة 1955 وبقية الموسوعة ما زال مخطوطة بدار الكتب وقد تناول الجزء الخاص بافريقية والمخطوط بدار الكتب نوعية القبائل العربية التى انتقلت الى المغرب خلال فترة الفتح موضحا عددها وقبائلها وبطونها . كما يحتوى الجزء الثانى المطبوع على بعض بطون القبائل التى لم ترد بكتاب ابن خلدون وأفاد الكتاب بصفة عامة في ترجيح بعض اسماء القبائل العربية التى وردت بكتاب ابن خلدون ومختلف عليها .

مسالك الابصار في ممالك الانصار لشهاب الدين بن فضل الله العمرى ت 748 هـ ويقع في نحو عشرين مجلد مخطوط بدار الكتب . ويحتوى على بعض البطون للقبائل العربية لم ترد بكتاب ابن خلدون ودور العرب في انتشار الاسلام في بلاد السودان عن طريق نـوات وتكوين الجيش الموحدى واعتماده على القبائل العربية كما يتناول ما ساهم به العرب في انتشار تربية الخيول ببرقة حتى اصبحت الهدايا المفضلة الى الملوك بدلا من الابل وازدهار المراعى وتربية الماشية ببلاد المغرب واحتكار تجارة الملح مع بلاد السودان .

صبح الاعشى في صناعة الانشا لابى العباس احمد بن على القلقشندى ت 821 هـ ويقع في أربعة عشر مجلدا نشر بالقاهرة في 1963م. ويمثل هذا النوع من الكتب مع مؤلف النويرى ومؤلف العمرى ، موسوعات أدبية تاريخية جغرافية اجتماعية يستلزم الافادة بما فيها من مادة التنقيب الدقيق عن جملة تلقى الضوء على دور القبائل العربية الحضارى ببلاد المغرب .

فالمعلومات التى أوردها القلقشندى في الجزء الخامس تفيد فى التعرف على زى العرب في العصر الموحدى والعصر المرينى والاختلاف بين العصرين وتؤكد معلومات التيجانى فيما يختص بوظيفة الوزير بالقبيلة ومعتقدات العرب في شجر العشر والاتفاق مع ابن عذارى في انضمام زعماء القبائل العربية لارباب الوظائف «اهل المشورة» من أرباب السيوف ومرتبات الجند من القبائل العربية في الجيش الموحدى والمرينى.

وللقلقشندى كتاب آخر هو «**نهاية الارب في معرفة انساب العرب**» نقل عن ابن خلدون وغيره فيما يختص بمن دخل بلاد المغرب من القبائل العربية وبطونهم وأفخاذهم وأماكن استقرارهم ثم اورد ما غفل ابن خلدون عن ذكره وبالتالى فقد احتوى الكتاب بجانب مؤلف ثالث للقلقشندى وهو «**قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**» أراد بتأليفه ان يستدرك به ما فاته في كتاب نهاية الارب فيفصل شيئا ويعدل عن شيء على معلومات قيمة افادت في تحقيق بعض اسماء القبائل والبطون لم تكن واضحة بكتاب ابن خلدون وأضافة ما اهمله في كتابه العبر ومعرفة احوال هذه القبائل في القرن التاسع الهجرى.

هذا عرض سريع لاهم المصادر الاصلية التى اعتمدت عليها في هذا البحث هذا ، الى جانب العديد من المصادر الحديثة التى ورد ذكرها في حواشى الرسالة والتى أفدت منها وأخذت عنها بطريق مباشر أو غير مباشر فمهدت لى الطريق وذللت لى الصعاب .

بلاد المغرب :

بلاد المغرب مصطلح يقصد به الكتاب العرب كل الاقاليم الواقعة غرب مصر والتى تشمل شمال القارة الافريقية وتتضمن حاليا البلاد الليبية بولاياتها الثلاث (برقة وطرابلس وفزان) ، وتونس ، والجزائر، وأخيرا المغرب الاقصى ، الذى كان يعرف الى عهد قريب باسم مراكش نسبة الى عاصمته الجنوبية ، ويمتد طبيعيا نحو الجنوب الى تخوم السنغال والنجير (1) .

ففى بداية الفتوح العربية سمى العرب الاجزاء الشرقية من المغرب بأسمائها السياسية أو الادارية المعروفة في التنظيم الرومانى ، فالاقليم المتاخم لمصر هو انطابلس أى المدن الخمسة باللغة الاغريقية (2) والمدن الخمسة القديمة التى أعطت لاقليم برقة اسم بنطابلس على أيام اليونان هى : قورينه وسوسه وبرقة وطوكره وبرنيق (3) وتعرف انطابلس أو بنطابلس حاليا ببرقة .

وتلى بنطابلس غربا أرض طرابلس وأسمها طربليطة ومعناها باليونانية المدن الثلاث وهى : أياس موضع مدينة طرابلس الحالية ولده في شرقها وصبره أو سبرت (سبراتة الحالية) في غربها وطرابلس متصلة باقليم جبل نفوسه الذى يعتبره الجغرافيون العرب ذراعا هى امتداد لسلاسل جبال أطلس المعروفة بجبال درن في المغرب الاقصى حيث تبلغ أقصى ارتفاعها . وجبل نفوسه يحيط بمنطقة مدينة طرابلس الساحلية كالهلال ويفصل بينها وبين الصحراوات الجنوبية في فزان وما وراءها (4)

(1) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 3، محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ص 7
(2) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص 4، الاستبصار فى عجائب الامصار لمجهول ص 143.
(3) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 6.
(4) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 8 و 9.

ثم افريقية وهو أول أقاليم المغرب الحقيقى (5) وأخذ العرب الاسم عن الرومان كما نقلوا أسماء بنطابلس (أو انطابلس) وأطرابلس (6) وأطلقوه على ما يلى طرابلس غربا حتى ساحل المحيط الاطلسى (7) ثم أخذ لفظ افريقية يضيق حتى اقتصرت حدودها على ما يلى مصر غربا حتى بجايه ثم يليه المغرب حتى المحيط (8) .

وابتداء من القرن الخامس الهجرى (11 م) ميز الجغرافيون العرب الاقاليم الغربية البعيدة من هذا المغرب فأطلقوا اسم المغرب الاوسط على المنطقة الممتدة من بجايه حتى وادى ملوية (ما يعادل بلاد الجزائر الحالية) والمغرب الاقصى على ما يلى ذلك حتى المحيط (9) وواجهته الشمالية المطلة على البحر الابيض المتوسط تعرف ببلاد غماره (حاليا بلاد الريف) (10) وواجهته الغربية المطلة على المحيط تعرف بالسوس الادنى وتضم منخفض وادى سبو والسوس الاقصى ويضم منخفض وادى سوس ويوجد بين وادى سبو ووادى سوس عدد من الانهار مثل وادى أبى الرقراق (بورجرج) الذى يفصل بين مدينتى سلا والرباط ويصب عندهما في المحيط ، ووادى أم الربيع وينبع من درن في اقليم تادلا ويصب قرب ازمور ووادى تنسيفت وتقع عليه مدينة مراكش (11) .

الوحدة الطبيعية :

رغم التسميات والتقسيمات المختلفة للمغرب فان البلاد جميعا من حدود مصر الى المحيط تحمل في تناياها معنى وحدة البلاد فهى تنقسم الى ثلاثه اقاليم طبيعية متشابهة : أولها الاقليم الساحلى الممتد على ساحل البحر المتوسط من الاسكندريه الى طنجه ، ثم من طنجه على

(5) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 172.
(6) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 2.
(7) البلاذرى : فتوح البلدان ص 225، ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 229.
(8) ياقوت الحموى : معجم البلدان، مادة أفريقية.
(9) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 98 — 102، السلاوى : الاستقصا جـ1 ص 33، 34
(10) بينما تطلق كلمة ريف فى مصر على الاراضى الخصبة الداخلية الممتدة على ضفتى النيل تطلق هذه الكلمة فى المغرب والاندلس على الاراضى التى تحف بالبحر أو المحيط وكلمة ريف أيضا اسم علم للمنطقة الجبلية الممتدة فى شمال المغرب الاقصى أنظر أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 222.
(11) مجهول : الاستبصار ص 185، 209، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 13، 14.

ساحل البحر المحيط الى مدينة نول في السوس . فالبحر هنا قد ربط بين أقاليمه ومدنه البحرية وأعطاها الشكل الطبيعى الموحد المتجانس . والى جانب البحر ربط الطريق التاريخى الممتد برا بين برزخ السويس الى تازا وفاس بين مختلف المناطق الساحلية (12) .

والاقليم الثانى هو المناطق الصحراوية الممتدة من غرب مصر الى جنوب المغرب الاقصى ، ورغم ما يوصف به هذا الاقليم من أنه صحراوى موحش الا أن منابع المياه تتخلله وتنتشر الواحات في أرجائه ، وبفضلها أمكن للقوافل أن تخترقه من أدناه الى أقصاه فى طريق أقصر من الطريق الشمالى بحوالى ثلث المسافة (13) .

والاقليم الثالث (بعضه يعرف باسم التل) يمتد بين الاقليمين السابقين وله مميزاته الخاصة التى تتراوح في بعض الاحيان ما بين صفات الاقليم البحرى والاقليم الصحراوى وهى الجبال التى تمتد في سلاسل أفقية محاذية للسواحل البحرية ساعدت على الربط بين البلاد والى جانب ذلك فبفضل الوديان المحاذية لها والتى تحريها بين ضلوعها عملت على وصل الاقاليم الشرقية بالاقاليم الغربية وان كانت قد جعلت المواصلات صعبة بين المناطق الساحلية والبلاد الداخلية كما أنها كونت عددا من المناطق المنعزلة التى احتفظت خلال العصور التاريخية باتجاهات انفصالية . ولكن وديان الانهار التى تتجه في معظمها من الاقاليم الداخلية المرتفعة نحو البحر خففت من حدة صعوبة المواصلات بين الدواخل والسواحل وكذلك عملت طرق القوافل الرأسية الموصلة بين المراكز الصحراوية والمدن الساحلية على الوحدة والربط بين الاقاليم الخصبة والاقاليم الصحراوية (14) .

(12) الاصطخرى : كتاب المسالك والممالك ص 37، ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 98 أنظر سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 14 — 16.

(13) الاصطخرى : كتاب المسالك والممالك ص 37، 38، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 16 كانت هذه الصحراء تعرف باسم العرق (بكسر العين وسكون الراء) ومعناها فى اللغة الاراضى الرملية القليلة المياه أنظر أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 222.

(14) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 20، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب جـ 1 ص1.

وتتمثل مظاهر هذه الوحدة الطبيعية بالمغرب في انتشار قبيلة زناتة من غدامس الى السوس الاقصى وفي القرى الصحراوية وفي سهول المحيط الاطلسي (15) .

كما أن ظاهرة قيام الدول في المغرب وانتشارها السريع ـ مثل امتداد نفوذ الفاطميين من القيروان الى فاس والمرابطين من الصحراء الى المغرب الاوسط والموحدين الى طرابلس والمرينيين الى حدود برقه ـ يضيف مظهرا آخر من مظاهر الوحدة الطبيعية فحتى الآن ما يزال المؤرخون الغربيون ينظرون الى سرعة هذا الانتشار نظرة لا تخلو من الدهشة والانبهار (16) .

---

(15) عبد العزيز بنعبد الله : معطيات الحضارة المغربية ج1 ص 9.
(16) عبد العزيز بنعبد الله : معطيات الحضارة المغربية ج 1 ص 7.

الباب الاول

القبائل العربية فى المغرب قبل عصر الموحدين

الفصل الاول :

1 ـ العناصر العربية وفتح المغرب .

2 ـ الادارة الاموية وخلافات العصبية القبلية في المغرب .

3 ـ الولايات العربية المستقلة بالمغرب في القرن الثالث الهجرى .

الفصل الثانى :

1 ـ هجرة القبائل الهلالية الى المغرب .

2 ـ العرب والمرابطون .

الفصل الأول

1 ـ العناصر العربية وفتح المغرب

بعد ان تم فتح مصر أنطلقت القبائل العربية لفتح المغرب وتمكنت من السيطرة على برقة وزويلة وفزان حيث استقر بعض جندها يدعون أهلها الى الاسلام (1) .

وفي 27 هـ / 647 م قام العرب بأول حملة حقيقية على افريقية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، دعا اليها الخليفة عثمان بنفسه فتقاطر الناس من مختلف القبائل للاشتراك فيها وكان أكثرهم من القبائل التى تقطن حول المدينة (2) .

ويمدنا الكتاب بتفصيلات عن القبائل العربية التى دخلت افريقية لاول مرة فمن بنى هاشم عبد الله بن عباس ، ومن بنى تميم عبد الله ابن أبى بكر وعبد الله ابن طلحة في عدة من قومه .

ومن بنى عدى ، عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن زيد ابن الخطاب وعاصم ابن عمر في عدة من قومه .

ومن بنى أسد عبد الله بن الزبير في عدة من قومه .

ومن بنى سهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد المطلب ابن السايب بن وداعة في عدة منهم .

ومن الامويين مروان بن الحكم وأخوه الحارث .

(1) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 229 — 231، البلاذرى : فتوح البلدان ص 225 — 227، ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب ج 1 ص 1 — 2 حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص 36، 37.

(2) البلاذرى : فتوح البلدان ص 228، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 2.

ومن بنى زهرة المسور بن مخرمه بن نوفل وعبد الرحمن بن الاحور ابن عبد يغوث .

ومن بنى عامر بن لؤى السايب بن عامر بن هشام وبشر بن أرطأة.

وعدة من هذيل ، منهم أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى وعبد الله ابن أنس وأبو ذر الغفارى ومعاوية بن حديج ورويفع بن ثابت وأبو زمعة البلوى وعقبة بن نافع الفهرى (3) .

ومن مهرة ستمائة رجل .

ومن غنث من الازد سبعمائة رجل .

ومن ميدعان من الازد سبعمائة رجل (4) .

ومن جهينة ستمائة رجل .

ومن أسلم ثلاثمائة رجل .

ومن مزينة ثمانمائة رجل .

ومن بنى سليم أربعمائة رجل .

ومن بنى الديل ودمره وغفار خمسمائة .

ومن كعب بن عمرو أربعمائة . وكانوا اخر من قدم على عثمان والناس يعسكرون بالجرف على بعد ثلاثه اميال من المدينه (5) .

كان معظم رجال جيش عبد الله بن سعد من عرب اليمن باستثناء نفر من قريش عددهم قليل فيهم الكثير من أبناء الصحابة من المهاجرين والانصار الذين رغبهم عثمان في التطوع فوزع عليهم السلاح وعلى

(3) كان هذا الجيش يسمى بجيش العبادة لاشتراك بعض مشاهير المسلمين الذين يبدأ اسمهم بعبد الله وربما كان بعض هذه الاسماء مدخولا اخترعه مؤرخو المغرب للتعظيم من شأن افريقية حيث أنه لم يرد الا فى كتبهم كرياض النفوس وكتب مؤرخى المشرق الذين أخذوا عنهم كالنويرى، أنظر البلاذرى : فتوح البلدان ص 228، أبو العرب : طبقات علماء أفريقية ص 14، المالكى : رياض النفوس ص 2، النويرى : نهاية الارب، ورقة 62 أ، 62ب، 63 أ — عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ج 1 ص 370، 371، الطاهر أحمد الزواوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ص 51.

(4) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 246، 247، الطاهر أحمد الزواوى : تاريخ الفتح العربى ص 50.

(5) البلاذرى : فتوح البلدان ص 228، أبو العرب : طبقات علماء أفريقية ص 14، المالكى : رياض النفوس ص 2، النويرى : نهاية الارب ورقة 62أ وما بعدها.

ضعفائهم ألف بعير من ماله (6) حتى يحد من معارضتهم له بما يغنمونه من مكاسب الغزو .

وبمقتل عثمان في أواخر 35 هـ / 656 م نشأ صراع على الحكم بين علي والانصار من جهة ومعاوية وعرب الشام من جهة أخرى انتهى الى ظهور فئة الخوارج الذين بلغ عددهم اثنى عشر ألفا غالبيتهم من القراء الاتقياء لجأ بعضهم الى جبال المغرب المنيعة وقبائله هربا من قبضة سلطة الدولة حيث اقاموا المذاهب الخارجية به . واتبعهم البعض الآخر نتيجة لاضطهاد بشر بن أبي ارطاة والى معاوية على المدينة لمن بها من الاوس والخزرج (7) .

قام معاوية بفصل ولاية افريقية عن مصر بعد موت عمرو ابن العاص وعين لها معاوية بن حديج أحد كبار أنصاره الذى وصل ومعه عشرة آلاف من العرب (8) وبصحبته عدد من المهاجرين والانصار ومن ابنائهم ممن كانت لهم خبرة بالحرب في افريقية منهم سليمان ابن يسار وجبله بن عمرو الانصارى (9) وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله ابن الزبير ، ويحيى بن الحكم وحنش الصنعانى (10) والاكور ابن حمام اللخمى ، وكريب ابن ابرهة بن الصباح ، وخالد ابن ثابت الثقفى وأشراف من جند مصر من العرب (11) . فهل أرغمهم معاوية على الاشتراك في هذه الغزوة لبلاد افريقية النائية حتى يتخلص منهم ويأمن ثورتهم ومؤامراتهم عليه خصوصا وأنه سلك نفس هذه السياسة فأرغم ابن الزبير وابنه عمر وابن عباس على الاشتراك في بعض غزواته (12) .

---

(6) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 246، 247، الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج 1 ص 144.
(7) دوزى : تاريخ مسلمى اسبانيا ترجمة حسن حبشى ص 49 — 52، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 120، 121.
(8) ابن عذارى : البيان المغرب، ج 1 ص 11، الطاهر أحمد الزواوى : تاريخ الفتح العربى ص 63.
(9) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 260.
(10) ابن عذارى : البيان المغرب، ج 1 ص 16 ، 18.
(11) المالكى : رياض النفوس، ج 1 ص 18.
(12) ابن الاثير : أحداث سنة 49 هـ ج 3 ص 231، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 127.

وتلى معاوية بن حديج في حرب افريقية التابعى المشهور عقبة بن نافع الفهرى سنة 50 هـ / 670 م الذى رسم لنفسه خطة للعمل ترمى ألى تحقيق أهداف أبعد من كل أهداف سابقيه وتتلخص خطته في تثبيت أقدام العرب في افريقية من أجل نشر الاسلام بالمغرب ويعتبر عقبة من أوائل جند أفريقية اذ دخل برقة مع ابن خالته عمرو بن العاص في 23 هـ / 43 ـ 644 م وظل مرابطا منذ ذلك الوقت وخلال اقامته التى بلغت حوالى ربع قرن من الزمان (13) أدرك ضرورة اقامة مدينة عربية تكون قاعدة أمامية للفتوح العربية في المغرب بدلا من خروج الجند من مصر وتكون مركزا لنشر العروبة والاسلام (14) .

وبعد وصول مدد الخليفة معاوية المكون من عشرة آلاف فارس من القبائل العربية (15) منهم خمسة وعشرون من الصحابة (16) وسائرهم من التابعين (17) شرع عقبة في اختطاط مدينة القيروان ، فبنى المسجد الاعظم ودار الامارة ثم بنى الناس مساجدهم ومساكنهم (18) حتى بلغت مساحة هذه المدينة العسكرية خمسة آلاف وثمانمائة متر مربع وازدادت هذه المساحة بما انضاف اليها من مساكن العسكر والقبائل العربية فبلغت سبعة آلاف متر مربع . وبطبيعة الحال لم يتم بناء المدينة بهذا الشكل دفعة واحدة اذ كمل البناء في أربع سنوات وذلك في سنة 55 هـ / 674 م (19) ونتيجة لذلك تحولت القبائل البربرية المقيمة في سهل تونس الى الاسلام واندمج معهم العرب واستقروا وأصبح الجميع مواطنين لافريقية (20) .

---

(13) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 133 ـ 134، احمد مختار العبادى : ى التاريخ العباسى والاندلسى ص 249.

(14) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 14 ، النويرى : نهاية الارب ورقة 68 أ، أحمد مختار العبادى : ى التاريخ العباسى والاندلس ص 249.

(15) ابن الاثير : أسد الغابة، ج 3 ص 184.

(16) أبو العرب : طبقات علماء أفريقية ص 17.

(17) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 14، النويرى : نهاية الارب ص 68 أ.

(18) البلاذرى : فتوح البلدان ص 230، ابن الاثير : أسد الغابة ج 3 ص 184، النويرى : نهايه الارب ص 69 أ.

(19) ابن الاثير : أسد الغابة ج 3 ص 234، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 20، 21، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 147 ـ 148.

(20) Jean Afracain, Description de l'Afrique, paris, I, p. 31.

وفي 55 هـ / 4 ـ 675 م تولى أمور افريقية أبو المهاجر دينار مولى مسلمة ابن مخلد أمير مصر في الفتـرة من 47 هـ الى 62 هـ (21) خـرج اليهـا بجيـوش أهل الشام ومصـر (22) أكثرهـم قبائل أهل الرايـة لانتمـاء مسلمـة الى الانصـار حيث استقروا بها بعـد الغزو (23) وعمل على التقـرب الى البربـر وتمكن من استمالـة كسيلـة الزعيـم البربـرى لقبيلـة أوربـة فاعتنق الاسـلام وأسلم معه كثير من قومه وتمكن أبو المهاجر بفضل هذه القوة الجديدة من السيطرة على المغرب الاوسط (24).

ثم أعاد الخليفة يزيد بن معاوية ، عقبة بن نافع من الشام لتولـى أمـور افريقية في 61 هـ / 680 ـ 681 م وبصحبته بعض قوات الخلافة وكبـار الصحابة حيث قـاد عشرة آلاف فارس من القبائـل العربية ـ تاركـا ما يقـدر بحوالى ستـة آلاف رجل على رأسهم قائـدان هما عمـر بن على القرشـى وزهيـر بن قيس البلوى للدفـاع عن عرب القيـروان حتى انتهى الى المغرب الاقصى (25) وعند عودته استشهد بمقربة مـن تهـودة في 64 هـ / 682 م (26) .

وفي خلال ذلك الوقت قتل الحسين في كربـلاء سنة 61 هـ / 680 م وثـار الانصار والمهاجرون بالمدينـة في 63 هـ / 682 م حيث هزموا بوادى الحـرة وقتلوا وامحت قوتهم الى الابـد فأضطر أغلبيـة أهل المدينـة الى الفـرار أما من بقى منهم فقـد أرغم على القسـم ليزيـد بن معاويـة بالولاء وأن يحل له استرقاقهم وبيعهـم مما اضطر الجميـع الى اللجـوء

(21) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 265، الكنـدى : الـولاة والقضـاة ص 37 — 40.

(22) المالكى : رياض النفوس حـ 1 ص 61، ابن عذارى : البيان المغرب حـ 1 ص 16، 17.

(23) ابن عبد الحكـم : فتوح مصر والمغرب ص 226.

(24) السلاوى : الاستقصا جـ 1 ص 80، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسـى ص 250.

(25) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 45، يشير المالكى الى قـدوم الجيش مع عقبـة من الشـام : رياض النفوس جـ 1 ص 22.

(26) تهوده (بالدال أو الذال) مدينة رومانية قديمة لم يبق منها الى الان الا أطلالها وهى على أربعـة كيلومترات تقريبا شمال واحة سيدى عقبة الحالية فى جمهورية الجزائر أنظر تعليق حسين مؤنس (3) ص 323 جـ 2 بالحلة السيراء لابن الابار، وأحمـد مختـار العبـادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 251.

الى وطـنء جديد أقل قسوة ليعيشوا في اجواء مناسبــة فالتحقوا بالجيــش الافريقى والبعض الآخر انتقل الى افريقية واستقــر بها (27) .

وفي 69 هـ / 688 م ولى الخليفــة عبد الملك ، زهير بن قيس البلوى قيادة جيش افريقية وأمده بأربعة آلاف رجل من الشام من بينهم بعــض زعماء العرب من رجال الحرب (28) ومن العجيب أن يتبوأ زهيــر منصب القيــادة للجيوش الاموية رغم مقاومته للامويين عند استيلائهم على مصر 65 هـ / 684 م (29) ورغــم انتمائه لقبيلــة بلــى اليمينية بمصر التى كانت علويــة الهوى (30) وأقام بعضها في الرمادة من لوبيــه مع آخرين من جهينة وبنى مدلــج (31) . ولعل السبب في ذلك يرجع الى أن زهيــر كان من أصحاب عقبــة وأعلــم الناس بافريقية من بعــده (32) .

وبعد استشهاد زهيــر أقام عبد المــلك أحد مشاهير قواد الشام وهو حســان ابن النعمــان من غسان واليــا على أفريقية في 73 هـ / 692 م وأمــده بجيــش عدته أربعون ألف رجــل (33) أكثرهم من اليمنيين (34) وانضم اليــه بطرابلس من كان هناك من عــرب افريقية (35) .

وبعــد أن استقر حسان بالقيروان فكر في بنــاء مدينة تكون نافــذة جديدة تطل منها افريقية على العالــم الخارجى فتقرر أن تكون ميناء وقاعــدة

---

(27) ابن الاثير : الكــامل ج 3 ص 56 — 61، ابــن خلدون : العبر ج 3 ص 22، المسعودى : مروج الذهب ج 2 ص92، دوزى . تاريخ مسلمــى اسبانيــا ج 1 ص 62، 73 — 75.

(28) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 46 — 48، ابن عذارى : البيان المغــرب ج 1 ص 31.

(29) ابــن عبد الحكم : فتوح مصــر ص 272، الكندى : الولاة والقضاة ص 43.

(30) الكندى : الولاة والقضــاة ص 19، 27، عبد الله خورشيد البرى : القبــائل العربيــة فى مصر فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة ص 187.

(31) اليعقوب : كتاب البلدان ص 131، عبــد الله خورشيد : القبائل العربية ص 187

(32) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 34، السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 82، ابــن الابــار : الحلــة السيراء ج 2 ص 331.

(33) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 21، 22، أحمد مختار العبادى : فــى التاريخ العباســى والاندلسى ص 252 — 253.

(34) كــان عبد الملك بن مروان يمنى الميول وعصره حافل بالصراع القبلى وكذلك كان حســان قــائــد جيش افريقيــة.

(35) ابــن عبــد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 269.

بحرية وبهذا انشأت تونس (36) ولقد استعان حسان بألف أسرة قبطية من مصر لانشاء دار الصناعة وبناء السفن بها (37) ثم نزح اليها التجار ومن انضم اليهم من الجند العرب مثل بنى تميم وغيرهم ولم تلبث تونس أن أصبحت مركزا للمعارضة ومناهضة لسلطان القيروان بعد ذلك (38) . وهكذا يعتبر حسان أول من أعطى افريقية طابعا عربية اسلاميا (39) .

وتولى بعد حسان ، موسى بن نصير في 86 هـ / 706 م الذى عمل على اخضاع بربر أفريقية والمغرب ونشر الاسلام بينهم حتى تمكن من أعداد سبعة عشر ألفا من العرب ، اثنى عشر ألفا من البربر لفتح السوس الاقصى (40) وتمكنت القبائل العربية من الانتشار حتى نهر درعة ونشر الاسلام بين بربر طنجة وغمارة وبرغواطة (41) .

2 ـ الادارة الاموية وخلافات العصبية القبلية في المغرب .

استطاعت القبائل اليمنية بعد فتح بلاد المغرب والاستقرار به من ضم بلاد الاندلس ورغم ذلك فقد تعرضت هذه القبائل للمحن والخطوب بسبب المنازعات القبلية القديمة بين اليمنية والمضرية (القيسية) وكان ولاة المغرب اما يمنيين أو مضريين وكثيرا ما كانوا يتحيزون لعصبياتهم وبدلا من أن يعمل خلفاء بنى أمية على حسم هذا

---

(36) لم تزد تونس فى عهد حسان عن محرس صغير به بعض المساجد والمبانى ولكن انشاءها بيتم على يد عبد الله بن الحبحاب بعد ذلك بثلاثين سنة فتصبح ثغر افريقية الكبير حيث تنفذ القبائل العربية عن طريق الاسطول الاسلامى الى غزو صقلية وجنوب ايطاليا وجنوب فرنسا أنظر حسين مؤنس : فجر الاندلس ص 45.

(37) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص 37، التجانى : الرحلة ص 6.

(38) دائرة المعارف الاسلامية، تونس، ج 6 ص 32، 33 الترجمة العربية.

(39) أحمد مختار العبادى : أعمال الاعلام، القسم الثالث تعليق (4)، فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 255.

(40) الرقيق القيروانى : تاريخ أفريقية والمغرب ص 69 وما بعدها، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 35، 36، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 110، اختلفت الروايات بالنسبة لعدد العرب فى هذه الحملة من 17 ألف الى 27 ألف أنظر حسين مؤنس : فجر الاندلس ص 47 — 49.

(41) ابن عذارى : ج 1 ص 36، 37، عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص 256 و 257.

النــزاع اذا بهم ينحازون الى فريق دون آخــر مما ساعد على اتساع الهوة بين العصبيتيــن (42) .

ولما كــان عــرب المغــرب من أصل يكــاد يكون يمنيا خالصــا فقد جرت عادتهــم الــى الركــون للهدوء حين يكــون ولاتهم من عصبيّتهم اما اذا كان الولاة من قيــس تنقلــب الاحوال وتتفشى الاضطرابــات (43).

وفي خلال هذه الظروف ثــار البربر في 122 هـ / 740 م بقيادة ميســرة المطغرى وخالد بن حميــد الزناتــى من بعده بالمغرب وأوقعــوا الهزيمة بالقبائــل العربية وتمكنــوا من قتل «حماة العــرب وفرسانهــا وكماتهــا» (44) وأثــارت الهزيمة الخلافة بالشام حتى هدد هشام بن عبد الملــك وقــال «والله لاغضبن لهم غضبة عربية ولابعثــن اليهم جيشــا أولــه عندهم وآخــره عنــدى (45)» ثم يضيف قائــلا : «والله لا تركت حصنــا بربريــا الا جعلت الى جانبــه خيمة قيسى أو تميمى» (46) وهذا النــص في غايــة الاهميــة لانه يبين تحولا كبيرا في سياسة الامويين نحو المغــرب (47) فمــن المعــروف أن القبائل العربيــة التى استقــــرت في

(42) دوزى : تاريخ مسلمى اسبانيا ج 1 ص 130، أحمــد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 12.

(43) السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 13، دوزى : تاريخ مسلمى اسبانيا ج 1 ص134، 135، حسيــن مؤنس : فجر الاندلس ص 143.

(44) سميت تلك الوقعة «غزوة الاشراف» ونمت بجوار طنجة أنظار الرقيق القيروانى : تاريخ أفريقية والمغرب ص 110، 111، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص54، 55.

(45) ابن عذارى : البيــان المغرب ج 1 ص 55.

(46) ينفرد الرقيق القيروانى بهذا النص دون ابن عذارى أنظر تاريخ افريقية والمغرب ص 111.

(47) ويبدو أن سياســة هشام بن عبد الملك الخاصة باستقرار القبائل القيسية لم تكن مقصورة على بلاد المغرب فقط بل كــانت سياســة عامة تجاه ولايات الدولة الامويــة جميعها ففى مصر بعد تولية عبيد الله بن الحبحاب قال «ما أرى لقيس فيها حظا الا لناس من جدلية وهم فهم وعدوان فكتب الى هشام : ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى مــن قيس ونعشهم ورفــع مــن ذكرهم وأنى قدمت مصــر فلــم أر لهــم حظــا الا أبيــاتــا مــن فهــم وفيها كــور ليس فيهــا أحــد وليــس يضــر بأهلهــا نزولهم معهم ولا يكســر ذلــك خراجا وهــى بلبيس فــان رأى أمير المؤمنين أن ننزلها هذا الحى من قيس فليفعل فكتب اليه هشام : أنت ورأيك فبعث الى البادية فقــدم عليه مــائة أهل بيت مــن بنى نصر بــن معــاوية بــن بكر بــن هوازن ومائة أهل بيت مــن بنــى عــامر بــن صعصعــة بــن معــاوية بــن بكر بــن هــوازن بــن منصور بــن عكرمــة ابــن خصفــة بــن قيس عيــلان بن مضر البطن المشهور التى منها بنــو كلاب وجعــدة وعقيل وقشيــر والبكاء وعجلان وعبد الله وربيعة وسواءه وهلال ونمير ومــائة أهل بيت مــن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيــس

المغرب خلال القرن الاول الهجرى خصوصا بعد انشاء مدينتى القيروان وتونس كان أغلبها من القبائل اليمنية ، ويشير النص هنا انه في أوائل القرن الثانى الهجرى وأمام ثورات البربر من ناحية والنزاعات القبلية بمقر الدولة الاموية بالشام من ناحية أخرى ، اضطر الخليفة هشام بن عبد الملك الذى تذبذبت سياسته في الانحياز بين اليمنية والمضرية القيسية خلال فترة حكمه (48) في الوفاء بوعده وأرسل جيشا كبيرا من القبائل القيسية بهدف الاستقرار في بلاد المغرب تروح عدده من ثلاثين ألف الى سبعين ألف برياسة كلثوم بن عياض القشيرى وقريبه بلج بن بشر القشيرى بن أخيه (49) منهم سبعة وعشرون ألف من أجناد دمشق وحمص والاردن وفلسطين وثلاثة آلاف من جند قنسرين (50) وثلاثة آلاف من جند مصر بخلاف ما أنضم اليهم من جند برقة وطرابلس من العرب والموالى والاتباع والمتطوعة (51) .

عيلان ومائة أهل بيت من سليم فانزلهم بلبيس وأمرهم بالزرع ونظر الى الصدقة من العشور فصرفها اليهم، فاشتروا ابلا فكانوا يحملون الطعام الى القلزم، فكان الرجل يتحصل له فى الشهر العشرة دنانير وأكثر ثم أمرهم باشتراء الخيول فجعل الذى يشترى المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب، وليس عليهم مؤنة فى علف ابلهم ولا خيولهم لجودة مرعاهم، فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك، فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت، ومات هشام وببلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس، حتى اذا كان فى زمن محمد بن مروان وولى الحوثرة بن سهل الباهلى مصر انثالت اليه قيس، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم فأحصوا فى ولاية محمد بن سعيد فوجدوا خمسة آلاف ومائتين ما بين صغير وكبير. انظر : المقريزى : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ص 66، 67، 68.

(48) دوزى : تاريخ مسلمى اسبانيا ج 1 ص 139 وما بعدها، حسين مؤنس : فجر الاندلس ص 143، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 12.

(49) يذكر ابن عذارى أن عدد الجيش ثلاثون ألف وهذا عدد جند عرب الشام فقط، البيان المغرب ج 1 ص 57، ج 2 ص 42 ويؤيده ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ص 31 وأورد المقرى عن ابن حيان أن عدد الجيش كله سبعون ألف نفح، الطيب من غصن أندلس الرطيب ج 2 ص12.

(50) مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر امرائها ص 30، 31، ابن عذارى: البيان المغرب ج 1 ص 57.

(51) مجهول : أخبار مجموعه فى فتح الاندلس وذكر أمرائها ص 31، النويرى : نهاية الارب ورقة 85 ب، دوزى : تاريخ مسلمى اسبانيا ج 1 ص 150.

وكانت صيحة عرب الشام «يا أهل افريقية لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم» كافية لتثير شك العرب البلديين من نسل عرب الفتح اليمنيين وتطلق العصبية القبلية من عقالها (52). ورغم النجاح في السيطرة على العواطف لمواجهة ثورة البربر الا أن العرب أنهزموا هزيمة ساحقة وتمكن بلج بن بشر القشيرى ومعه عشرة آلاف فارس من جند الشام من التوجه الى الاندلس وانسحب جند مصر وافريقية الى القيروان (53) أما من نجا من الموت فقد تفرق في أنحاء المغرب حتى يقال أن قبائل جبل درن المطل على مراكش من نسل عرب هذه الوقعة اذ كانت نتيجة هجوم البربر وتتبعهم للعرب بعد هزيمتهم أن توغل بعض العرب في تلك الجبال واستقر وانتاسل (54) .

دلت الهزيمة الثانية أن طرد القبائل العربية من المغرب ليس بمستحيل فأمر هشام بن عبد الملك ، حنظلة بن صفوان الكلبى عامله على مصر بالاسراع الى أفريقية ورغم عصبيته اليمينية الا أنه نجح في جمع العرب افارقة بلديين وشاميه ، قيسية ويمينية بسبب اعتداله في الدفاع عن مصير العرب في بلاد المغرب خصوصا وقد أمده هشام بثلاثين الف من خيرة جند العرب بالشام فتمكن من الانتصار في موقعة القرن والاصنام 125 هـ / 743 م (55) .

وما أن هدأت ثورات البربر حتى بدأت النزاعات القبلية الى الظهور بين العرب البلديين والشاميين وبسقوط الدولة الاموية في 132 هـ 750 م اتضح أن زمان سيادة العنصر العربى في الدولة الاسلامية قد قارب على الزوال وهرب الامويون من اضطهاد العباسيين وكما كان المغرب الملاذ للعلويين والخوارج من قبل أصبح ملاذا لهم ويبدو انهم كانوا من الكثرة حتى خشى بنو حبيب على ملكهم منهم فطردوهم فلجئوا الى القبائل البربرية المستقلة بجبال المغرب وشعابه (56) وانهار بيت

(52) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 112، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 56.

(53) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 57، 58.

(54) مجهول : الاستبصار فى عجائب الامصار ص 210.

(55) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 115 وما بعدها، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 62، 63، حسين مؤنس : فجر الاندلس ص 177، 178.

(56) مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر امرائها ص 59، الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص123، 130، 134، ابن عذارى: البيان المغرب ج 1 ص 67، 68

بنـى حبيب في 140 هـ / 7 ـ 758 م تحت ضغط حركات الخوارج بالمغرب وانكمـش سلطان العرب بالمغرب ما عدا وجود بعض القبائل المضريـة بنواحى القيروان وجالية عربية صغيرة تقيم في نواحى طنجة (57) .

سيطر الخوارج على افريقية وفتك بربر ورفجومه بعرب قريـش وغيرهـم من عـرب افريقيـة مما اضطر العـرب بالمغـرب لارسال وفـد منهم الى الخليفـة العباسـى المنصـور لطلب مساعدته فأمدهم بأربعين ألـف بقيـادة محمـد بن الاشعـث بن عقبـة الخزاعى منهم ثلاثـون ألف من خراسـان وعشـرة آلاف من عـرب الشـام من ضمنهم الاغلـب بـن سالـم بن عقـال بـن خفاجة التميمـى الذى آلـت اليـه امور المغـرب في 148 هـ / 765 ـ 766 م (58) وبعـد مقتلـه في 150 هـ / 767 م خلال صراعـه مع الثائريـن ضـده أرسل المنصور ، عمر بن حفـص الازدى على رأس خمسمائة فـارس من العرب لتهدئة أحوال المغـرب فدخل القيروان في 151 هـ / 768 م (59) وحاصرتـه الخوارج بهـا في 154 هـ / 771 م فأمـده المنصـور بيزيد بن حاتـم في ستيـن ألـف من عرب أهل البصرة والكوفـة والشـام ، ثلاثيـن ألف من خراسـان (60) وخلفه أخوه روح بن حاتـم بن قبيصـة على أفريقيـة للحفـاظ على مميـزات عصبيتهـم ببـلاد المغـرب التى عززها بخمسمائة فـارس من الجنـد رافقـوه اليهـا وألـف وخمسمائة فـارس لحقـوا به وعلى رأسهم ابنه قبيصة (61) .

ونتيجة لوفـود القبائـل العربية رفقة الولاة على أفريقيـة حتى النصف الثانـى من القرن الثانـى الهجرى كثـرت العناصـر العربية في مدينـة تونـس حتى أصبحت «تعـدل القيـروان في كثرة العرب والجند الذين كانـوا بهـا» وأصبحت مركـزا لثـورات الجنـد من العـرب ضد الدولـة في القيـروان (62) .

(57) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 81، حسين مؤنس : فجر الاندلـس ص 181 — 186.

(58) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 141، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 83، ابن الابـار : الحلة السيراء ج 1 ص 69 وقيل أن عدد جند العرب ألفـان فقـط.

(59) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 88، السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 117

(60) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 145، 159.

(61) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 171 — 173.

(62) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 186 — 187.

3 ـ الولايـات العربيـة المستقلة بالمغرب في القرن الثالث الهجرى

وفي نهاية القرن الثانـي الهجرى نشأت ببلاد المغرب دويلات عربية مستقلة قامـت بتأسيس مـدن عربية اسلاميـة كانت مراكز جذب للقبائل العربيـة من خارج بـلاد المغـرب وداخلها للعمـل بخدمـة هذه الـدول وساعدت على نشـر الحضارة الاسلامية في المناطـق التى خضعت لنفوذها مما ساعد على تعريـب المغـرب في خلال القرن الثالث الهجرى .

ففى 172 هـ / 788 م قامـت دولة الادارسة بالمغـرب الاقصى وفي 184 هـ / 800 م قامـت دولة الاغالبـة بافريقيـة وفي 143 هـ / 760 م أسس بنـو صالح دولـة نكـور بالريف الغربـى .

الادارسـة بالمغـرب :

فنتيجة للاضطهاد الذى وقـع على العلويين في عصـرى الامويين والعباسيين لمطالبتهم بحقهم في الخلافة تعددت ثوراتهم بمكة والمدينة . وفي احدى هذه الثورات الفاشلة هرب ادريس عبد الله بن الحسن بـن الحسن بن على بن أبى طالـب الى المغرب حيث بايعته قبائل البربـر بالمغـرب الاقصى وأسس دولتـه في 172 هـ / 788 م (63) . ووضع النواة الاولى لمدينـة فـاس والتى كانت مغربية الطابـع وأتمها ابنـه من بعده وأخذت الطابـع العربى لانتقـال القبائل العربية اليهـا (64) .

ففى نهايـة 189 هـ / 805 م انهالت أفـواج الهجرات العربية على أدريـس الثانى من افريقية والاندلس ففى نفس العام استقبل في احتفال كبير خمسمائـة فـارس من زعماء القبائل العربية ممن ينتمـون الـى قبائل قيـس والازد ومذحج ويحصب والصدف وغيرهم ويبدو أنهم كانوا ساخطين على الاغالبـة بافريقية والامويين بالاندلس بحيث عد وفودهم على ادريـس كسبا خصوصا اذا أدركنـا أن شعور ادريـس الثانى وهو العربى بالعزلة في الوسط البربرى الذى أحـاط به دفعه الى استغـلال وجود العـرب في تكوين بلاطه العربى فأستوزر عميـر بن مصعب الازدى وولى على الكتابـة أبا الحسـن عبد الله بن مالك الخزرجى وأسند القضاء

(63) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 298، ابن الخطيب : أعمـال الاعـلام، القسم الثالث ص 188 — 190، السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 134، 135.
(64) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث، ص 200.

الى عامر بن محمد بن سعيد القيسى (65) واستمر تدفق العرب على ادريس الثانى حتى لم يجد البربر القاطنون بالمدينة مناصا من ترك هذه البقعة لهم في الوقت الذى ضاقت بهم المدينة مما أضطره في 192 هـ / 808 م مع حلفائه العرب الى الانتقال الى دار القيطون غرب مدينة أبيه بوادى فاس وأحاطها بالاسوار والابواب وسماها العالية في مقابل مدينة والده (فاس) (66) وكانت المدينة الجديدة ذات طابع عربى اذ أن معظم الذين سكنوها كانوا من العرب **القيروانيين** الفارين من الاغالبة ولهذا سميت بمدينة القيروانيين .

وفي 202 هـ / 817 ـ 818 م لجأ ثوار الريض (67) الى الدولة الادريسية بالمغرب حيث رحب بهم ادريس الثانى وأنزلهم مدينة فاس التى أسسها والده فأقاموا بها وأعطوا المدينة طابعا أندلسيا جميلا لدرجة أنها سميت باسمهم وعرفت بمدينة الاندلسيين وبمضى الوقت غلب اسم فاس على المدينتين وصار يشمل عدوة القرويين وعدوة الاندلسيين (68) ويقال أن عدد العرب الوافدين من القيروان الذين استقروا بعدوة القرويين ثلاثمائة أهل بيت والعرب الذين استقروا بعدوة الاندلسيين أربعة آلاف أهل بيت (69) مما يرجح أن هذه العناصر كانت من عرب مكة والمدينة الذين سبق لهم الهجرة من شبه الجزيرة العربية بعيدا عن اضطهاد دولتى الامويين والعباسيين وأن الهجرة كانت أسرية هدفها الاستقرار في ظل دولة عربية علوية .

وبعد وفاة ادريس الثانى في 213 هـ / 828 م خلفه ابنه محمد الذى قام بتوزيع الدولة على ثمانية من أخوته ورغم تأثير هذا

---

(65) السلاوى : الاستقصا جـ 1 ص 148، أبو الحسن على الجزنائى : زهرة الاس فى بناء مدينة فاس ص 13، بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ص 7، 36، 37.

(66) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 200، السلاوى : الاستقصا جـ 1 ص 148.

(67) ثوار الربض أكثرهم من المولدين وهم الذين ولدوا من آباء مسلمين وأمهات اسبانيات ونشأوا على الاسلام فهم خليط من دم أهل البلاد الاصليين ومن دم العرب والبربر الفاتحين نمت هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة بسرعة كبيرة حتى صارت تؤلف الكثرة الغالبة من سكان الاندلس ونظرا لقرب حى الربض من جامع قرطبة ومن قصر الامارة أن سكنه التجار وأهل الحرف والطلبة والفقهاء ومعظمهم من المولدين بجانب بعض المهاجرين من عرب المشرق وبربر المغرب الذين امتلات بهم المدينة أنظر أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 330، 332.

(68) السلاوى : الاستقصا جـ 1 ص 159.

(69) السلاوى : الاستقصا جـ 1 ص 151.

التقسيم على تفكك الدولة الى انه أدى الى توزيع الامراء الادارسة على مختلف انحاء الدولة الادريسية من السوس الاقصى الى تلمسان ووهران في المغرب الاوسط (70) واتبعهم حلفاؤهم من العرب ومواليهم الذين استقروا بجوارهم مساهمين في نشر الاسلام وتعريب المغرب الاقصى .

استمرت دولة الادارسة طوال فترة وجودها من 172 هـ الى 375 هـ تصارع الاخطار المتمثلة في الاغالبة ومن بعدهم الفاطميين بافريقية والامويين بالاندلس حتى ضعف أمرها واقتصر سلطان الادارسة على البصرة واصيلا وحجر النسر وانتهى الامر بحصارهم ومن أنضم اليهم من بني عمومتهم ببلاد الريف من بنى عمر بن ادريس في قلعة حجر النسر على يد مكناسة بقيادة موسى بن ابى العافية وحينما فكر موسى في تدميرهم راجعه رجال دولته وقاوموه متسائلين كيف يوافقون على قطع دابر أهل البيت من المغرب فخرج الادارسة من القلعة بعد حصار أربع سنوات (71) .

وبعد أن سيطر الامويون على المغرب الاقصى في 364 هـ / 974 م نقلوا جميع العلويين بالمغرب الى قرطبة حيث أثبتوا في ديوان العطاء وكانوا سبعمائة رجل ولكن عاد الحكم الثانى المستنصر الاموى وغضب على آل ادريس فطردهم فلجئوا الى الخليفة الشيعى العزيز بالله بمصر الذى أعادهم بدوره الى المغرب ليثيروا القلاقل ضد النفوذ الاموى . ولكن تمكن الامويون من احباط هذه المؤامرة في 375 هـ / 985 م (72) فركدت ريح العلوية بالمغرب وتفرق جمعهم وأنقرضت دولتهم بعد حكم قرنين من الزمان وتفرق العلويون في قبائل المغرب ولاذوا بالاختفاء وتزعم بعض أسر الاشراف في المغرب أنها انحدرت

(70) قام محمد بن ادريس بتقسيم نواحى دولته بين اخوته نصحته بذلك جدته كنزة وقد أورد هذا التقسيم ابن ابى زرع فى روض القرطاس (طبعة فاس، ص 6) وابن عذارى فى البيان المغرب (ج 1 ص 299 — 300) (بيروت) والسلاوى فى الاستقصا (ج 1 ص 173)، ابن الابار فى الحلة السيراء ج 1 ص 131، 132، ابن الخطيب: الاعلام (القسم الثالث ص 202 — 205، رينيه باسيه : دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 546، 549.

(71) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 190، 213، 224، السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 169، 183.

(72) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ج 1 ص 143 — 144، ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 224، السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 158، 163.

من الاسرة الادريسية ومن المحتمل أن يكون بعضهم مصيبا في زعمه هذا ولكننا لا نستطيع الجزم به من باب الاجماع .

وبعد استيلاء روجار الاول على صقلية في 485 هـ / 1092 م هاجر منها عدد كبير من العرب الى المغرب ومنهم الشرفاء المستقر بعضهم بمدينة فاس وعرفوا بالصياقلة ومنهم بمدينة سبتة بيت الشريف الصالح أبى عبد الله بن أبى شرف الحسينى كان منهم الفقهاء والقضاة والمحدثين وقد تولوا عمادة المدينة خلفا عن سلف (73) .

بنو الاغلب :

خشيت الخلافة العباسية على نفسها من اتساع أهداف الدولة الادريسية بالمغرب الاقصى فأقامت دولة الاغالبة في افريقية 184 هـ / 800 م لتكون حدا فاصلا بين بلادها وبلاد الادارسة (74) وبنو الاغلب أسرة عربية تميمية مضرية حكمت أفريقية طوال القرن الثالث الهجرى أسسها ابراهيم بن الاغلب وكان اذ ذاك عاملا على الزاب وامارة افريقية (75).

بدأ ابراهيم بن الاغلب ولايته بالتخلص من وجوه الجند العربى الذين دأبوا على الوثوب بأمراء افريقية بأن أبعدهم الى مقر الخلافة ببغداد حيث حبسوا بسجونها (76) ثم قام ببناء عاصمة جديدة وهى القصر القديم أو العباسية التى احتوت على قصره ومساكن حاشيته

(73) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 132، 133.

(74) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 17، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 373، 374.

(75) — دائرة المعارف الاسلامية، بنو الاغلب ج 2 ص 326، 327.

(76) نتيجة لثورات الخوارج والامدادات الكثيرة التى أرسلتها الدولة الاموية ومن بعدها العباسية الى المغرب وتقدر بعشرات الالاف من عرب وخراسانيين ان ماج المغرب بالجماعات العربية التى كونت لنفسها عصبيات أخذت فى التصارع حول السلطة ففى 150هـ/767م. ثار الحسن بن حرب الكندى والى تونس بتأييد من العصبية اليمنية التى ينتمى اليها ضد الاغلب بن عقال التميمى والى افريقية وجند الاغالبة فجمع أهل بيته وخاصة أصحابه من بنى تميم وأوصى بالولاية من بعده — فى حالة موته — أثناء الحرب — الى المخارق بن غفار الطائى رغم انتمائه الى العصبية اليمنية ولا شك أنه كان من بين التميميين من هو أصلح منه للحكم الا أنه يبدو أن الاغلب كان يهدف من وراء ذلك كسر شوكة العصبية القبلية والتخفيف من غلوائها بافريقية أنظر الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 210، ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 70، 72، 92، 97، ج 2 ص 356 — 357.

والمسجد الجامع ثم معسكرات حرسه ويحيط بكل هذه الاسوار القوية لحمايتها (77) كى يتحرر من تسلط الجند العربى والخرسانى المشاغب مثلما تحرر من قادتهم من قبل وبينما كان يداريهم ويتحمل سوء أخلاقهم وشراسة طباعهم أخذ في شراء السودان والصقالبة (78) والحاقهم بعسكره كحرس خاص وعندما أتم بناء العاصمة الجديدة انتقل اليها بأهله وحاشيته وحرسه الخاص كما أسكن معه أهل الثقة من جنده العرب (79) .

وانقسم عرب افريقية في ذلك الوقت الى فريقين ، الاول : وهم أغلبية القبائل العربية من أعقاب العرب الفاتحين للمغرب استوطنوا هذه البلاد وأصبحوا بمرور الزمن عربا أفارقة أو عربا بلديين وأنضمت اليهم الجماعات العربية التى وفدت من المشرق في العصرين الاموى والعباسى لطلب الرزق فاستقروا وأصبحوا من أهل البلاد (80) والفريق الثانى : من العرب الوافدين على المغرب كجنود صحبة الولاة الجدد الذين بعث بهم الخلفاء العباسيون فأستقروا في البلاد كطبقة مميزة من الجند وأغلبهم من القبائل القيسية التى استقرت في مدينة بلزمة (81) .

ولقد أعطانا اليعقوبى بيانا واضحا لاصل هذه القبائل وأماكن استقرارها فالقبائل اليمنية مثل بلى وجهينة ومدلج والازد ولخم

---

(77) ابن الاثير : الكامل ج 6 أحداث سنة 181 هـ. ص 63، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 196.

(78) لفظ الصقالبة كان يطلقه العرب على الارقاء الذين كانوا يشترونهم من أوربا وذلك أن الجيوش الجرمانية دأبت على سبى الشعوب الصقلبية السلافية وبيع رجالها ونسائها لعرب اسبانيا ولذا أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة ثم توسع المسلمون فى استعمال هذا الاسم فأطلقوه على أرقائهم المجلوبين من جميع الشعوب الاوربية ولما كان أغلب الصقالبة قد جاءوا أطفالا الى المغرب والاندلس فقد نشأوا نشأة اسلامية عسكرية وتعلموا اللغة العربية بسرعة واستطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة عالية فى المجتمع المغربى فصار منهم الادباء والشعراء وأرباب القيادة والرئاسة فى الدولة . أنظر أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى اسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية مدريد 1953، ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 105، 175.

(79) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 364 وما بعدها .

(80) أنظر الادارة الاموية وخلافات العصبية القبلية فى المغرب .

(81) مدينة من مدن الزاب بافريقية كان أهلها من بنى تميم وعلى خلاف مع الاغالبة فى ذلك الوقت، ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 40.

وجذام وصدف وغسان وتجيب استقرت في الرمادة وبرقه وودان وفزان والقبائل المضرية استقرت في شبه جزيرة شريك وباجة ومجانة وميلة وسطيف وبلزمة بينما استقرت أخلاط يمنية ومضرية فى طرابلس وقابس والقيروان وبلاد الزاب مثل طبنة ومقرة وما حولها (82).

وحدث ما كان يخشاه ابراهيم بن الاغلب من عرب افريقية ففى 186 هـ / 802 م تعرض لثورة خطيرة بقيادة حمديس بن عبد الرحمن الكندى والى تونس وانضم اليه كثير من العرب المستقرين بافريقية (83) وهذه الثورة تفسر لنا مقاومة العرب الافارقة الذين يرون في أنفسهم أهل البلاد وأولى بحكمه من الولاة الذين ترسلهم الخلافة وانتهت هذه الثورة كغيرها بمقتل زعيمها ومعه عشرة آلاف من اتباعه بين جريح وقتيل (84) ودخلت قوات ابن الاغلب تونس لاقرار الامور فيها (85) وتوالت الثورات العربية على الاغالبه بافريقية حتى لم يبق بأيديهم غير الساحل وقابس خلال فترة حكم زيادة الله بن ابراهيم 201 ـ 223 هـ / 817 ـ 838 م واستقل القواد العرب بالمدن الافريقية الباقية (86) .

وكما كانت هذه الثورات أحد الاسباب التى دفعت زيادة الله ابن ابراهيم الى غزو صقلية في 212 هـ / 827 م للتخلص من قواد الجند

---

(82) اليعقوبى : وصف افريقية ص 2 — 21.

(83) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب — ص 224 أنظر تفاصيل هذه الثورة فى ابن الاثير : الكامل احداث 181 هـ، 194هـ. ج 6 ص 63، ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 101، تطلق عليه بعض المصادر اسم خريش بن عبد الرحمن ابن خريش .

(84) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 225، ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 104.

(85) ابن الاثير : الكامل ج 6 احداث 189 هـ. ص 63، النويرى : نهاية الارب ورقة 105 ب.

(86) ففى سنة 194 هـ/809م. ثار عمران بن مجالد الربيعى بالتحالف مع عامر بن المعمر بن سنان التميمى من قواد ابراهيم بن الاغلب بسبب اعطيات الجند وفى 207هـ. 822م. ثار زياد بن سهل وفى 208هـ./ 823م. ثار عمرو بن معاوية القيسى على زيادة الله بن ابراهيم واستولى على تونس فى 209 هـ.

أنظر تفاصيل هذه الثورات فى ابن الاثير : الكامل احداث 181هـ. 194هـ. ج 6 ص 63، 95.

ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 106، 107، 110، ج 2 ص 382، 383.

ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 92، 126.

العربي المشاغبين كانت السبب المباشر للجوء بعض هؤلاء القواد الى الدولة الادريسية بالمغرب الاقصى مما أدى الى أضعاف سلطة الاغالبة على أطراف دولتهم وبعض أقاليمها حيث نمت أسر عربية تمتعت بامتيازات كبيرة نتيجة لانتسابهم الى عرب تميم أو عرب الفتح ورغم ذلك فقد أعطت العناصر العربية لدولة الاغالبة صفة الدولة العربية فتمكن الاغالبة من السيطرة على بربر افريقية بفضل عروبة هذه الاقاليم خصوصا مدينة بلزمة وقوة أهلها من بني اتميم ومواليهم (87).

وحينما قام ابراهيم بن أحمد في 280 هـ / 893 م باغتيال شيوخ مدينة بلزمة العربية المقدر عددهم بسبعمائة في القيروان وتصفية عصبيته من بني تميم المستقرين بتونس في العام التالي (88) وأسرف في القتل حتى أتى على أصحابه وكتابه وحجابه من العرب (89)، ثار جميع عرب افريقية واعلنوا العصيان بتونس والجزيرة والاربس وباجة وقمودة (90).

وكان تخريب زيادة الله الثالث 290 ـ 296 هـ / 903 ـ 909 م آخر أمراء الاغالبة بافريقية لمدينة بلزمة العربية تدميرا لحصن الاغالبة العتيق الذي كان يستطيع به أن يقاوم الفاطميين الزاحفين الى المغرب (91) خصوصا بعد أن تمكنوا من الاستيلاء على المدن العربية بافريقية (92).

---

(87) وفى سنة 263 هـ. قام ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب بتأسيس مدينة رقادة انتقل اليها من مدينة القصر القديم وأضاف بذلك مدينة عربية بجانب المدن العربية بالمغرب واستمرت دار ملك لبنى الاغلب الى سقوط دولتهم أنظر ابن الابار : الحلة السيراء جـ 1 ص 172، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 27، 28، دائرة المعارف الاسلامية : بنو الاغلب جـ 2 ص 327، 328.

(88) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 164، 173.

(89) ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص 29.

(90) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 164، 173.

(91) دائرة المعارف الاسلامية، بنو الاغلب جـ 2 ص 327.

(92) ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص 39 ـ 42.

بنو صالح الحميريين :

وببلاد الريف الغربى (93) استقرت احدى الاسر العربية منذ الفتح العربى لبلاد المغرب أسسها صالح بن منصور الحميرى وهو من عرب اليمن انتقل الى المغرب بصحبة الجيوش العربية برئاسة عقبة ابن نافع الفهرى ونزل مرسى تمسامان (94) واستقر بها ويبدو أنه قد رافقه الكثير من عصبيته من العرب حيث تجمع المصادر التاريخية (95) على تمكنه من نشر الاسلام بين بربر غمارة وصنهاجة المستقرين ببلاد الريف ولم يكن يتسنى له ذلك وهو بمفرده رغم ورعة وتدينه اذ كان يعرف بالعبد الصالح . خاصة في النصف الاول من القرن الاول الهجرى حيث كانت مقاومة البربر لنشر الاسلام قد اشتدت لعدم معرفتهم بتعاليمه .

ونجح صالح في تأسيس مملكة له في الريف يحددها الجغرافيون بمسيرة عشرة أيام في عمارات وحصون وقرى عامرة بالزرع والناس يحدها من الشرق بربر زواغة وجرواة ومن الغرب بربر بنى حميد من غمارة (96) وأقره الخليفة الوليد بن عبد الملك الاموى عليها في 91 هـ / 709 م (97) واستمر في حكمها الى أن توفى وتلاه أبناؤه من بعده الى أن تولى الحكم سعيد بن ادريس بن صالح فبنى مدينة نكور واستمر حكم بنو صالح لملكة نكور حوالى أربعة قرون يحدها من الشرق الاغالبة ومن الغرب الادارسة ولاشك انها كانت مركز جذب للعناصر العربية الثائرة على الاغالبة وملجأ أمين للامراء الادارسة ـ الذين

(93) يطلق اسم الريف على سلسلة جبال فى شمال المغرب تمتد فى شكل هلال من سبتة الى مليلة ويتراوح ارتفاعها من ألف الى ألفى متر وتنحدر منها عدة أودية تصب مياهها فى البحر الابيض المتوسط وتسمى منطقة الريف فى بعض كتب الجغرافيين العرب باسم بلاد النكور. أنظر البكرى : المغرب فى وصف افريقية والمغرب ص 90 ـ 91.

(94) أطلق البكرى اسم تمسامان على قبيلة زنهر ومرسى صيفية على البحر المتوسط بناحية الريف المتوسط بالقرب من مدينة النكور ومرسى تمسامان تعرف بمرسى البقر. أنظر البكرى : المغرب فى وصف افريقية والمغرب ص 90 ـ 91، 99

(95) ويضيف اليعقوبى الى ذلك أن أهل البلاد يزعمون أن صالح بربرى. أنظر وصف افريقية ص 18، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 212، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 171.

(96) اليعقوبى : وصف افريقية ص 18، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 212.

(97) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 212.

سبق أن صاهروا بنى الصالح - وحاشيتهم من العرب عندما نزلت بهم الخطوب (98) .

هذه العناصر العربية جعلت من مملكة نكور دولة عربية سنية مالكية لعبت دورا كبيرا في نشر الاسلام واللغة العربية بين أهل الريف من البربر كما مكنتها من مقاومة تيار الخوارج والشيعة ولقيت من وراء ذلك عناء كبيرا خفف من حدته تأييد الامويين في الاندلس لها. ومدها بالمساعدات من الجند . انتقلت اليها من مرسى المرية الذى يقابل مملكة نكور على الساحل الاندلسى (99) . ولذا نرى أن بنى صالح تمكنوا من القضاء على ثورات جندهم من الصقالية ومقاومة غزو النورمان لعاصمة ملكهم وتبادلوا السيطرة على المملكة مع الفاطميين الى أن تمكن المرابطون من الاستيلاء على أملاكهم وتدمير مدينة نكور في 473 هـ / 1080 م (100) .

الفاطميون في المغرب :

أدى اضطهاد كل من الامويين والعباسيين للعلويين الى قيام دولة الادارسة بالمغرب الاقصى التى مهدت بدورها لظهور الفاطميين في المغرب ، اذ لم يرحب العلويون باستيلاء العباسيين على الخلافة واستمروا في نشاطهم كحزب معارض أحق بالخلافة لانهم أولاد الرسول من ابنته فاطمة الزهراء (101) ونظرا لانتشار الدعوة الى آل البيت في بلاد المغرب على يد الادارسة فقد نجح أبو عبد الله الشيعى في نشر الدعوة الفاطمية في 280 هـ / 893 م بين قبائل البربر ووزراء دولة الاغالبة التميمية فى افريقية (102) .

---

(98) يحدد ابن خلدون تاريخ بناء نكور فى 143هـ. العبر ج 6 ص 212 بينما يحدده ابن الخطيب فى 123هـ. أعمال الاعلام ص 172، 203، 204 ونكور Nukur مدينة فى شمال شرق المغرب بمنطقة الريف تقع على الضفة الغربية لوادى نكور الذى سميت باسمه وهى تبعد عن شاطىء البحر المتوسط بنحو خمسة أميال وكان من أعمالها على شاطىء البحر ثغر المزمة أنظر البكرى، المغرب فى وصف افريقية والمغرب ص 90، 91، 96، الاستبصار فى عجائب الابصار ص 136.

(99) ابن الخطيب : أعمال الاعلام — القسم الثالث ص 172، 173، 174، 175.

(100) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 173، 174، 175.

(101) محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ص 3، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 220.

(102) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص 76 — 77، محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ص 28.

ورغم أن التشيـــع اتخذ منذ نشأته الاولى اتجاها مضادا للعصبية العربيـــة في المغرب اذ اعتمد على الموالى من البربر كما اعتمد التشيع فــى المشرق على الموالــى من الفــرس (103) الا أن المؤسس الحقيقى للدولــة الفاطميـــة في المغــرب هو أبو عبد اللـــه الشيعى كان يمنى الاصل من مدينـــة صنعـــاء (104) . واعتمد أبو عبد الله الشيعى بجانب بربر كتامة على بعض القبائل العربية بالمغــرب مثل غسان بقيادة الحسن بن هرون الغسانى الذى أسند اليه قيـــادة جيوشه وعلى بقايا عرب مدينة بلزمه من بنى تميـــم (105) الذى عانوا الكثيـــر من انقـــلاب الاغالبة عليهم .

وعند دخول عبيد الله المهـــدى ـ أول الخلفاء الفاطميين بالمغرب ـ افريقية تلقاه أهلها من العرب بالترحاب ففى رقادة بايعه عرب بنى تميـــم وكذلك عـــرب القيروان ومعظمهم اخلاط من عرب قريش ومضر وربيعـــة وقحطـــان وبنى هاشم رغم قتلـــه كثيرا منهم لعـــدم انضمامهم الـــــى مذهبـــه (106) .

وفي أثنـــاء فتح الفاطميين لمصـــر في 301 هـ / 913 م رحبت مدينتا ســـرت وأجدابيـــة بالجيوش الفاطمية بينما نجـــد أن عرب برقة من الازد ولخـــم وجذام وصدف وغسان وتجيب وغيرهم من أحفاد جند الفتـــح يقاومون الجيش الفاطمى مقاومة عنيدة أدت الى انتقـــام قائده حباسة بن يوسف فقتل منهم ألف رجل وأغـــرم أهلها مائة ألف مثقال (107) وما كاد يعود الجيش الى افريقية حتى عاود عرب برقة الثورة وقتلوا حامية المدينة من بربر كتامة التى تركها حباسة وأخضع الفاطميـــون المدينـــة بصعوبـــة في 304 هـ / 916 م بعد حصـــار طويل ومقتـــل معظم أهلهـــا من العـــرب (108) .

ولم تتحسن علاقة الفاطميين بالعرب بعد موت عبيد الله المهـــدى في 322 هـ / 934 م وتوليه القائـــم بأمـــر الله فقد ثـــار العـــرب بقيـــادة

(103) أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 220.
(104) جمال الديـــن الشيال : تاريخ الحضارة المصرية ج 2 ص 423، 424.
(105) يصف ابن حوقل بلزمة بقوله «هو بلد محدث للعرب وفيه بقاياهم فى القـــرن الرابع الهجرى» صورة الارض ص 93، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 33.
(106) اليعقوبى : وصف افريقية ص 9، ابن حوقل : صور الارض ص 96، المقريزى: أتعـــاظ الحنفـــا ص 92.
(107) اليعقوبى : وصف افريقية ص 3، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 236
(108) ابن عذارى : البيـــان المغرب ج 1 ص 241 ـ 244.

ابن طالـوت القرشى الذى زعم انـه ابن المهـدى وقام بحصار طرابلس ولكن حينما اتضح كذبه لمن أنضـم اليه من البربـر قتلوه (109) وفـى فاس ثار أحمـد بن بكـر بن عبد الرحمن بن أبى سهل من عرب جـذام وقتل واليها من قبـل الفاطميين واستمر في صراع وتنابـذ مع الفاطميين الى أن تمكنوا من اخضاعـه (110) .

ويبدو أن هذه العلاقـة تغيرت وتطورت بعد قضاء الفاطميين على ثـورة أبى يزيـد الخارجى خلال عصر المنصور بن القائم (334 ـ 341 هـ) اذ كانـت خطرا حقيقيا تعرضت له الدولة الفاطمية الناشئة حيث تمكـن أبـو يزيـد من الاستيلاء على القيروان ورقادة وتونس وغيرهم من بـلاد افريقية وانتهى بحصار المهدية العاصمة الفاطمية نفسها في 334 هـ / 946م (111) التى يبدو أنها أصبحت الملاذ الاخير لمن بقـى بافريقية من العرب مما أدى الى تعـاون عـرب افريقية مع الفاطميين للقضاء على ذلك الخطر الذى يهـدد كلا منهمـا . واعتمد الفاطميـون على أسر عربية حليفـة تؤازرهـم فأسندوا الى بنـى حمدون ادارة بـلاد المسيلة والـــزاب وللكلبيين ادارة جزيرة صقلية وعملوا على تشكيل بلاطهم من الـوزراء والكتاب والقضاة من العناصر العربية بالمغـرب (112) .

ومؤسس أسـرة بنـى حمدون ، على بن حمـدون بن سماك ابـن مسعود بن منصـور من عرب جذام ويعرف بابـن الاندلسى (113) جـاء مع الجيوش العربية من الشـام وأستقر بكورة البيرة بالاندلـس ثم انتقل

(109) ابن خلدون : العبر ج 4 ص 40، المقريزى : اتعاظ الحنفا ص 107، 108.

(110) ابن خلدون : العبر ج 4 ص 40، 46، 47، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 296، 304.

(111) لقـى مذهب الخوارج نجاحا كبيرا بين قبائل البربر لانه يناسب وضعهم الاجتماعى والسياسى فاتخذوه عنوانـا للمعارضة القومية ضد أى سيادة تفرض عليهم كالسيادة العنصرية أو المذهبية وعلى هذا الاساس كانت ثـورة أبى يزيد الخارجى ثورة خارجية ذات صفـة قوميـة ضد السيادة الفاطمية .

أنظر أحمـد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 232، 233.

(112) O'Leary, A short History of the Fatimid Khalifate p. 89.

محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ص 19، ابن الاثير : الكامل ج 8 أحداث سنة 336 ص 270 (طبعة مصر) ص 471، 494 (طبعة بيروت).

ابن خلدون ج 4 ص 32، 82 ـ 84، 208. (بولاق)، ص 471، 493 (بيروت).

أبو على منصور العزيزى الجوذرى : سيره الاستاذ جوذر ص 173، 175.

(113) المقرى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب ج 2 ص 2، 212.

علي بن حمدون الى المغرب واتصل بالمهدى أول الخلفاء الفاطميين وابنه القائم من بعده وكان موضع ثقته فأسند اليه القائم اختطاط مدينة المسيلة في 315 هـ / 927 م وهى التى سميت بعد ذلك بالمحمدية ثم عقد له القائم ولاية الزاب وأنزله بها ونشأ ولدا ابن حمدون جعفر ويحيى بدار القائم وكانت لابن حمدون جولات مع أبى يزيد تجلى فيها جلده وقوة نفسه الى أن قتل في 334 هـ وعقد المنصور بعد القضاء على الثورة لجعفر بن على بن حمدون على المسيلة والزاب بالاستراك مع أخيه يحيى بن على بن حمدون فأقاما بها سلطانا ودولة وبنيا القصور والمتنزهات وقصدهما العلماء والشعراء ومنهم ابن هانيء الاندلسي (114) .

ولما عزم المعز على الانتقال الى مصر استقدم جعفر بن على ابن حمدون وعرض عليه استخلافه نائبا عنه في افريقية فاشترط جعفر ابن على لقبول هذا المنصب شروطا تجعله شبه مستقل عن مصر فأجاب المعز بقوله : «اترك معى أحد أولادك أو أخوتك يجلس في القصر وأنا أدبر ولا تسألنى عن شيء من الاموال لان ما احبيه يكون بازاء ما انفقته واذا أردت أمرا فعلته دون أن أنتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى» فغضب المعز لذلك حتى قال : «ياجعفر عزلتنى عن ملكى وأردت أن تجعل لى فيه شريكا في أمرى واستبددت بالاعمال والاموال دونى ! قم فقد أخطأت حظك» ثم استدعى يوسف بلكين بن زيرى بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة وأسند اليه ولاية المغرب بعد أن حد كثيرا من اختصاصاته واقتصرها على ولاية الحرب فقط وجعل من ولايات صقلية وطرابلس وبرقه ولايات مستقلة عن أفريقية وتتبع مصر مباشرة (115) .

---

(114) البكرى : المغرب فى وصف افريقية والمغرب ص 59، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 32، 82 — 83. ابن عذارى : البيان المغرب ج 2 ص 361، 362 (بيروت)

(115) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج 1 ص 142، 143، أحمد مختار البادى : مقالة سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس صحيفة معهد مدريد سنة 1957، فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 315، 316. «برغم ماشاع وتتذاك من تقرير الخليفة المعز لتعيين الاستاذ جوذر الصقلى الاصل، نائبا له على بلاد المغرب ولكنه توفى فى الطريق ببرقة فى 969م. عند فتح الفاطميون لمصر. أنظر نقد محمد مصطفى زيادة لسيرة الاستاذ بوذر لابى على منصور العزيزى الجوذرى، المجلة التاريخية بالقاهرة، المجلد 1956م.

ويبدو أن تعيين الفاطميين ليوسف الصنهاجي على امارة افريقية قد أثار غضب منافسه جعفر بن على بن حمدون اذ نراه يترك البلاد هاربا الى الاندلس حيث لجأ هو وأخوه يحيى الى بلاط الخليفة الحكم المستنصر وقد رحب بهما الخليفة الاموى وعقد لهما على بلاد المغرب الاقصى (116) وعندما نجح بلكين بن زيرى في القضاء على قوة بنى حمدون بالزاب هرب جعفر وأخوه يحيى الى الاندلس وأصبحا من موالى بنى أمية وكانا يحكمان منطقة طنجة وسبتة وبعد أن تخلص المنصور بن ابى عامر من جعفر بن حمدون ، لحق أخوه يحيى بن على بمصر ونزل بدار العزيز بالله مكرما وفي 394 هـ / 1003 م عقد الحاكم بأمر الله ليحيى بن على ولاية طرابلس وكتب لبنى قره لمناصرته ولكنهم خذلوه فعاد الى القاهرة حيث توفى (117) .

ورغم ذلك فانه يبدو أن بنى حمدون انتشروا في بلاد المغرب وحافظوا على مكانتهم وشكلوا عصبية عربية لها قيمتها اذ أننا نرى ابن عذارى أثناء تناوله لاحداث سنة 581 هـ يشير الى أن الموحدين بعد استيلائهم على بجاية من أيدى بنى غانية «غربوا بنى حمدون عن بجاية الى سلا وأجبروهم على بيع أموالهم وديارهم بثمن بخس .. وخرجوا (بنو حمدون) على وجوهم وما منهم الآمنطو على فؤاد مرضوض وأستقر جميعهم بمدينة سلا حائرين» (118) .

---

(116) أبو على منصور الجودرى : سيرة الاستاذ جوذر ص 175، ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ 1 ص 113، ابن خلدون : العبر جـ 4 ص 84، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 315، 316.

(117) مجهول : أنظر مفاخر البربر نشر ليفى بروفنسال فيما يختص بموقف صنهاجة من بني حمدون بعد انتقال الفاطميين الى مصر والصراع بينهما ص 6 وما بعدها، ابن الابار : الحلة السيراء جـ 1 ص 306، المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ 2 ص 52

(118) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 96.

أما الكلبيون بصقلية فكانوا أيضا من القبائل العربية (119) التى اصطنعها الفاطميون في دولتهم واستعانوا بهم في حكم صقلية بعد أن فشل عمالهم من البربر في ادارتها ومثال ذلك الحسن بن محمد بن أبى خنزير الكتامى الذى أقامه عبيد الله المهدى واليا على صقلية ولكن أهل الجزيرة لم يرضوا بحكمه وطردوه من جزيرتهم وظلت الامور مضطربة هناك الى أن ولى الخليفة المنصور عليها أحد وجوه قواده وهو الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى في 336 هـ / 947 م الذى كانت له مكانة كبيرة في الدولة الفاطمية ولعب دورا مجيدا في القضاء على ثورة أبى يزيد الخارجى (120) .

وقام الكلبيون بدور كبير في فتح جميع أجزاء صقلية وعملوا على الاستقلال بحكم الجزيرة ونشر الاسلام فيها ومقاومة البيزنطيين في البحر الابيض المتوسط لمدة قرن من الزمان تقريبا حتى استولى على الجزيرة روجار النورماندى (121) .

قضت الدولة الفاطمية في المغرب – أكثر من نصف قرن – وتولى الحكم في هذه المدة أربعة من خلفائها وقد بذل هؤلاء الخلفاء جهودا كثيرة للتمكين للدولة واتقويتها بالعناصر المقيمة بها (122) سواء

(119) نص محققا سيرة الاستاذ جوذر على أن رأس هذه الاسرة الكلبية وهو الحسن ابن على بن أبى الحسين الكلبى أحد شيوخ كتامة من البربر (سيرة الاستاذ جوذر ص 173) غير أن المصادر التى أعتمد عليها الناشران فى ابداء هدا الرأى تشير الى غير ذلك فيتفق كل من ابن الاثير وابن خلدون على أنه فى 336هـ ولى المنصور، الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى على جزيرة صقلية دون أن ينسباه صراحة الى العرب أو البربر (انظر الكامل ج 8 ص 471، 493، العبر ج 4 ص 245) الا أن العماد الاصفهانى يمدنا عند تناوله لشعراء جزيرة صقلية بشعر للامير أبى محمد عمار بن منصور الكلبى والذى يبدو أنه من الاسرة الحاكمة بالجزيرة حيث ينص أنه من سادات الامراء ويشير الى أصله العربى صراحة وانتمائه الى القبائل اليمنية فى جنوب شبه الجزيرة العربية بقوله :

تقول : لقد رأيت رجال نجد ... وما أبصرت مثلك من يمان
ألفت وقائع الغمرات حتى ... كأنك من رادها فى أمان
فقلت لها : سمعت بكل شىء ... ولم أسمع بكلبى جبان

(انظر خريدة القصر وجريدة العصر ج 1 ص 100، 101).

(120) ابن خلدون : العبر ج 4 ص 207 – 211، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 337.

(121) ابن خلدون : العبر ج 4 ص. 210، 211، ابن الخطيب : أعمال الاعلام – القسم الثالث ص 123 وما بعدها، أحمد مختار العبادي : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 337 – 339.

(122) جمال الدين الشيال : تاريخ الحضارة المصرية ج 2 ص 426.

كانت من البربر أو العرب ولعل أبلغ مثال يوضح لنا هذا الوضع وصف ابن خلكان لجيش جوهر الصقلى عند فتحه لمصر بقوله «تقدم المعز الى القائد جوهر ليتجهز للخروج الى مصر فخرج أولا الى جهة المغرب لاصلاح أموره وكان معه جيش عظيم وجمع قبائل العرب الذين يتوجه بهم الى مصر وجبى القطائع التى كانت على البربر فكانت خمسمائة ألف دينار بالرجال والاموال يوم الاحد لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أمره المعز بالخروج الى مصر فخرج ومعه أنواع القبائل» (123) ولاشك أن هذا النص على جانب كبير من الاهمية لانه يدل دلالة واضحة على اعتماد الدولة الفاطمية على القبائل العربية في فتوحاتها وتحركاتها فهى هنا تعمل على اخراج عرب المغرب الى مصر ومن الطريف أنها كانت هى السبب أيضا في نزوح القبائل العربية من مصر الى المغرب في تغريبة بنى هلال (124).

(123) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 2 ص 248 (طبعة 1299 هـ)، ج 4 ص 313 طبعة محى الدين عبد الحميد.
K.H.C. Creswell : The Muslim, Archi:ecture of Egypt, II Vols, 1, p. 13.
(124) — الميلى : الجزائر ج 2 ص 147.

الفصــل الثـانـــى

1 ـ هجرة القبائل الهلالية الى المغرب

لقد كانت الهلالية أخلاطا من القبائل العربية بينهم «سليم» أقوى عناصـر الهلالية وأعرقها وأغناها و «هلال» الذى غلب اسمه على مجموع هذه القبائـل والبطون فيما بعد ، كانـوا كسائر العدنانية يكرهـون القحطانية وكانت العداوة بينهم وبين الازد مشهورة لمجاورتهم اياهم مى نجـد حيث تكاثـر هلال وسليم على مر الايـام ولعبوا دورا هز الـدول الاسلامية فيما بعـد هـزا عنيفا وغير من أوضاعها وقوض بعض نظمهـا وتقاليدها (125) فقد تحيزوا الى القرامطة وصاروا جندا لهم بالبحريـن وعمـان وقدموا معهم الى الشـام في أيام المعـز لدين الله الفاطمى ولمـا أنهزم القرامطة في عهد العزيز وأنسحبوا من الشـام نقل العزيز من كان معهم من عرب بنى هـلال وسليـم الى مصر وأنزلهم بالجانب الشرقـى من بـلاد الصعيد فأقاموا هناك وأضروا بالبلاد (126) وأتبعهم الى مصر قبيلة بنى المنتفق التى نزح بعضها الى المغـرب الاقصى (127) .

أما رغبة وريـاح اللتان أنضمتا اليهم فهما قبيلتان من العرب كانتا تقيمـان على حدود مصر الغربيـة في اقليم برقـة وكانت بينهما حـرب وعـداوة (128) .

وفي خلافة المستنصر بالله الفاطمى (427 ـ 487 هـ / 1035 ـ 1094 م) تطورت علاقة الدولة الفاطمية في مصر بالدولة الزيرية في امريقية

---

(125) ابـن خلـدون : العبر ج 6 ص12، عبد الحميـد يونس : الهلالية ص 15، 17، 25، 26.

(126) أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 325.

(127) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 369، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 72.

(128) أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 325.

ففى 443 هـ / 1051 م (129) انفصل المعز بن باديس نهائيا عن الدولة الفاطمية (130) فقام الوزير اليازورى باغراء القبائل العربية المقيمة على حدود مصر الشرقية بالوجه القبلى مثل بنى هلال وسليم وعلى حدودها الغربية بالوجه البحرى مثل زغبه ورياح بالسير الى القيروان بعد أن أمدهم بالمال والسلاح وحقق بذلك هدفين : تخلص من هذه القبائل التى كانت دائبة على اثارة الشغب والفساد في الاراضى المصرية وانتقم من الزيريين (131) .

اجتاحت هذه القبائل بلاد برقة وطرابلس وافريقية وطردت القبائل البربرية منها فخرج المعز اليهم بكل جيوشه بالقرب من القيروان وانتهى القتال بهزيمة المعز واستيلاء العرب على مدينة القيروان وتخريبها في 449 هـ / 1105 م (132) .

اقتسم العرب بلاد افريقية فأستقرت زغبة ورياح في برقة وطرابلس كما استقر بنو هلال وسليم في منطقة تونس وما يليها غربا ، فكان لسليم الشرق ولهلال الغرب ، وانحصر سلطان الدولة الزيرية المحدود جدا في المنطقة الساحلية المحيطة بعاصمتهم المهدية (133) . واذا كانت الدولة الزيرية الصنهاجية قد استمرت بعد ذلك ـ ما يقرب من مائة سنة

(129) اختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ هذا الانفصال فجعلوه فى السنوات 435، 440، 443 هـ (ابن الاثير ج 9 ص 217، النجوم الزاهرة ج 5 ص 51) غير أن لين بول Lune - Poole حدده فى 438هـ معتمدا على آخر عملة تحمل اسم الخليفة الفاطمى فى مدينه المنصوريه (A History of Egypt in the middle ages p. 138) ويرجع احمد مختار العبادى التاريخ الصحيح لهذا الانفصال السياسى فى عام 443 هـ. كما ورد فى اتعاظ الحنفا للمقريزى معتمدا على ان وزارة اليازورى بدأت فى 442 هـ. وهى التى كانت من دواعى هذا الانفصال نظرا للنزاع الذى دب بين اليازورى والمعز بن باديس أنظر التاريخ العباسى والفاطمى تعليق (3) ص 323

(130) واضح أن أمير أفريقية اتخذ هذا الاجراء كوسيلة للاستقلال بلاده أنظر الاسباب التى أدت الى ذلك ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 387، حسن أحمد محمود : الدولة الزيرية ص 279 وما بعدها، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 324.

(131) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 388، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 14، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 324، 325.

(132) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 15، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 326.

(133) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 56 — 58، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص 326.

ـ فالفضل يرجع الى مهادنتها للقبائل العربية سواء عن طريق تزويج بناتهم للامراء العرب أو تقربها منهم حتى أصبحت أمارة في حمايتهم (134)

وكما سيطر العرب على قبيلة صنهاجة مدوا نفوذهم الى قبيلة زناتة البربرية حتى تم لهم اخضاع القبيلتين (135) ورغم ذلك لم يؤسسوا ملكا ولم يشيدوا دولة ولكنهم اقتصروا على سكنى السهول واقامة امارات صغيرة ومثال ذلك أسرة جامع من دهمان من بنى على احدى بطون رياح التى أقامت امارة عربية بمدينة قابس ونجحت في جعلها حاضرة صغيرة مزدهرة مليئة بالقصور والبساتين والعمائر ففى عهد رافع بن مكى بن كامل بن جامع الهلالى تم اختطاط بحر العروسين (136) وضربت باسم أميرها الرشيد السكة الرشيدية (137) وقد أتاح لها موقعها الجغرافى أن تتمتع بمميزات المدينة البحرية والصحراوية في آن واحد (138) مما سمح لبنى جامع ببناء السفن وانشاء علاقات تجارية بحرية مع جيرانهم . وقد عملت الدولة الزيرية بالحاح للقضاء على هذا النشاط نظرا لاحتكارها للتجارة الخارجية وبناء الاسطول التجارى البحرى فأرسل على بن يحيى الصنهاجي في511 هـ / 1117 م أسطوله لقطع الطريق على سفينة بنى جامع والاستيلاء عليها في البحر وفي نفس الوقت أرسل حليفه ميمون بن زياد الصخرى من أمراء العرب لحصار رافع بن مكى والقضاء على امارته ولكن ابن زياد نجح في التوفيق بين رافع والصنهاجيين واستمرت امارة بنى جامع بقابس حتى دخول الموحدين افريقية . فكانت نهايتها (139) .

---

(134) ابن خلدون : العبر ج 6 ص ص 15 — 16، عبد الحميد يونس : الهلالية ص 73 — 74.

(135) ابن الاثير : الكامل : ج 9 ص 390، عبد الحميد يونس : الهلالية ص74.

(136) نسب أهل قابس بناء بحر العروسيين لرشيد بن رافع بن جامع بيما يذكر التجانى أنه رأى على بعض أبواب القصر نقش على الحجر نصه «أمر بعمل هذا الباب الامير الشهم رافع ابن أمير الامراء مكى (فى بعض المصادر الاخرى بكر أو مكن) بن كامل بن جامع فى رجب 500 هـ.»، أنظر رحلته ص 94 ويؤيد ابن خلدون هذه الرواية معتمدا على وجود هذا النقش حتى أيامه، أنظر العبر ج 6 ص 167 وبحر العروسيين هذا غير قصر العروسيين الذى بناه الناصر بن علناس بن حماد فى مدينة القلعة أنظر أعمال الاعلام القسم الثالث ص 95.

(137) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 167.

(138) أنظر البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص 17، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 19 تعليق (1).

(139) التجانى : رحلته ص 98 — 100، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 161، 167.

وكذلك تمكن بنو الورد اللخميون من اقامة امارة عربية بمدينة بنزرت تمتعت بحماية جيرانهم من عرب بنى مقدم من الاثبج ودهمان من رياح في مقابل اتاوة اتفق على قيمتها ونجح امراؤها في تنمية موارد المدينة وتشييد العمران بها حتى قصدهم الشعراء لمدحهم وفى نفس الوقت عمل أمراء صنهاجة بالقلعة على القضاء عليهم ولكنهم تمكنوا من المقاومة بفضل معاونة عرب بنى مقدم ودهمان حتى دخول الموحدين افريقية فاستمرت امارتهم تحت حمايتهم (140) .

وأقام بنو هلال من عرب قيس الباديين امارة عربية شملت وادى مجردة وشمال تونس واستقروا بطبرقة كعاصمة صغيرة أقاموا بها الحصون المسيطرة (141) على التجارة بين الاندلس وامارتهم نظرا لاهمية موقع طبرقة التى كانت مرسى لاهل الاندلس اليها ينتهون ومنها الى الاندلس يركبون وأنها اشتهرت لكثرة ورود المراكب بالتجار الاندلسيين ونزولهم فيها (142) ونافسهم في السيطرة على هذه الامارة عرب لخم بقيادة ابن بيزون الذى تمكن بمساعدة عرب رياح من الاستقلال بوادى مجرده مما اضطر بنو علال الى التحالف مع جيرانهم من عرب بنى غنوش للمحافظة على كيانهم والقضاء على ثورة ابن بيزون اللخمى وأدى ذلك بالتالى الى اضعاف امارة بنى علال ، وتمكن عرب سهل تونس من قطع الطريق على تجارتها والاغارة على مدينة تونس وفرض حمايتهم عليها واستقرار بعضهم بها حيث صاهروا أهلها واندمجوا بالمدينة (143).

وفي رقطون من اقليم زغوان أسس حماد بن خليفة من عرب لخم امارة عربية توارثها ابناؤه من بعده واشتهرت بالخصب وتربية المواشى والابقار والاغنام وأستمرت بفضل حماية العرب لها الى أن فتح الموحدون افريقية فقضوا على استقلال هذه الامارات (144) .

وهكذا نرى أن الهجرات الهلالية التى أتخذت مظهر الفتح وتأسيس الامارات العربية ، عملت على تعريب القبائل البربرية بالمغرب وذلك لان الفتوحات الاسلامية الاولى نجحت في نشر الدين الاسلامى واللغة العربية

---

(140) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 169 — 170.
(141) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 170.
(142) ابن حوقل : صورة الارض ص 74.
(143) الادريسى : نزهة المشتاق ص 115، 119، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 170
(144) الادريسى : نزهة المشتاق ص 119، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 170.

بالمغرب فأتت الهجرات الهلالية لتضيف الى ذلك الدم العربى وتعدل التكوين الجنسى والعنصرى لسكان المغرب حتى أصبح العنصر البربرى القديم لا يلتمس الا في معاقل الجبال ذات الطبيعة الوعرة ولا يميز الا ببعض الظواهر اللغوية (145) .

وأضافت هذه القبائل العربية الى حضارة شمال افريقية سمات جديدة ونتج عن امتزاج العرب والبربر أجيال أقول شكيمة وأشد مراسا من أجدادهم (146) .

أما عن الاثر المدمر للهجرة الهلالية فرواية ابن خلدون توضح أن «افريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومى كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدر» (147) .

فهل كانت آثار الهجرة الهلالية على المغرب بهذا السوء يجيب على هذا الادريسى الذى يعطينا أدق وصف لمدن المغرب بعد وصول الهجرة الى افريقية وتتبعه لها ووصفه لمدنها وفي الوقت الذى نراه يصف دور العرب المخرب لبعض هذه المدن مثل المسيلة وقراها ـ بقوله «تاورت وهى قرية كبيرة عامرة» والى هاهنا تصل غارات العرب وضررها» وكذلك حصون المسيلة بقوله «وجميع هذه الحصون أهلها مع العرب في مهادنة وربما أضر بعضهم ببعض غير أن أيدى الاجناد فيها مقبوضة وأيدى العرب مطلقة في الاضرار وموجب ذلك ان العرب لها ديه مقتولها وليس عليها ديه فيمن تقتل» أما مدينة باغاى «فالاسواق في المدينة والارباض خالية بافساد العرب لها» وكذلك عند وصفه لمدينة زويلة بالمهدية والقيروان (148) . ـ نراه في مواضع أخرى من كتابه يصف تآلف العرب مع سكان المدن من البربر وتعاونهم معهم سواء في الزراعة أو التجارة فيصف المنستير بقوله وهى «قصور ثلاثة يسكنها قوم

---

(145) دائرة المعارف الاسلامية، مادة بربر، جـ 3 ص 508، عبد الحميد يونس : الهلالية ص 76، الميلى : تاريخ الجزائر، جـ 2 ص 154.

(146) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 80.

(147) ابن خلدون : المقدمة ص 150.

(148) الادريسى : نزهة المشتاق ص 93، 109، 110.

متعبدون والاعراب لا تضرهم في شيء من شجرهم ولا من عماراتهم» وكذلك تونس هي مدينة حسنة ... وجل معاملات أهلها مع ثقات العرب وأمرائها وهي الآن ... معمورة موفورة الخيرات يلجأ اليها القريب والبعيد ... والعرب تجاور أرضها وتأتي بأنواع الحبوب اليها والعسل والسمن ما يكفي أهلها غدقا» ويصف القسنطينة بقوله : «بأنها مدينة عامرة وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب وتشارك في الحرث والادخار والحنطة» (149) .

مما يعطينا الاحساس بمبالغات ابن خلدون واستغلال المستشرقين لها في وصف الآثار المدمرة للهجرة الهلالية بالمغرب لقذف العرب بأشنع التهم حتى ذهب كاريت Carette بتشبيه الهجرة الهلالية بالاعصار الذى يقتلع الاشجار ويهدم المنازل أو بالحريق الهائل الذى لا يخلف وراءه غير رمادا تذروه الرياح (150) .

2 — العرب والمرابطون

وبينما كانت افريقية في صراع متواصل مع عرب بنى هلال وبنى سليم ظهر المرابطون في جنوب المغرب الاقصى وسرعان ما امتد نفوذهم الى النصف الغربى من بلاد المغرب واستمر نحو قرن من منتصف القرن الخامس الى منتصف القرن السادس الهجرى (151) تاركين النصف الشرقى من بلاد المغرب لاخوانهم من بنى زيرى وبنى حماد الصنهاجيين ومنافسيهم من القبائل العربية الزاحفة .

(149) الادريسى : نزهة المشتاق ص 94، 108، 111.

(150) الميلى : تاريخ الجزائر، ج 2 ص 153.

(151) المرابطون من صنهاجة الجنوب الضاربة فى الصحراء الغربية — صحراء شنجيط أو ما يسمى اليوم بموريطانيا فى هذه الصحراء الشاسعة التى تشبه فى مجموعها البلاد الحجازية أرضا وماشية ونباتا والتى تحدها من الجنوب بلاد السودان حيث مملكة غانة الكبيرة وفى الغرب المحيط الاطلسى وفى الشرق نهر النيجر عندما يلتوى شمالا الى جهة تميكتو وفى الشمال منطقة سجلماسة التى يقال لها اليوم تافيلالت فى هذه الصحراء كانت تعيش قبائل صنهاجة اللثام البربرية ومن أشهرها : قبيلة لمتونة فى شمال الصحراء وتليها جنوبا مسوفة ثم جدالة وهذه القبائل الصنهاجية كانت امتداد لقبائل صنهاجة التى كانت فى الشمال والتى تكونت منها الدولة الزيرية الصنهاجية فى المغربين الادنى والاوسط وانظر أحمد مختار العبادى : الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ص 48. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 690، 715.

وقد انتشر الاسلام بين هذه القبائل عن طريق السرايا العسكرية التى أرسلها حكام المغرب الاوائل الى هذه المنطقة وعن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يمرون عبر هذه البلاد في طريقهم الى السودان (152) وقد انتسبت هذه القبائل البربرية بعد اسلامها الى العرب فأصطنعت انسابا عربية حتى تتساوى مع القبائل العربية وتستطيع المشاركة في الحياة السياسية الجديدة (153) .

وفي خلال هذه الفترة بدأ عصر ملوك الطوائف بالاندلس وضعف أمر المسلمين بها حتى اضطروا لدفع الاتاوات لمملكة قشتاله التى رنت لفتح بلاد الاندلس وطرد العرب منها مما دفع الاندلسيين الى التفكير في الاستعانة بعرب افريقية أولئك البواسل الشجعان ذوى الطباع السليمة والعزائم القوية التى لم يفسدها الخور والهوان (154) ولكن عارض بعضهم هذا الاقتراح نتيجة لما سمعوه عن وحشية أولئك العرب وخوفهم على أموالهم ودورهم ، ولذلك عدلوا عن هذا الرأى (155) وفضلوا الاستعانة بالمرابطين وقال المعتمد بن عباد كلمته المشهورة : «رعى الجمال خير من رعى الخنازير» وهذا التصريح الجميل يدل بوضوح على تفضيل عرب الاندلس للسيادة الاسلامية بطبيعة الحال (156) .

ورغم ذلك فقد اشتركت القبائل العربية بافريقية ضمن قوات المرابطين التى عبرت الى الاندلس بقيادة يوسف بن تاشفين خلال جوازه الثالث في 490 هـ / 1097 م حيث نراه يجرد «عسكرا جرارا من مرابطين وعرب وأندلس الشرق والغرب» ويشترك العرب مع جيوش المرابطين في وقعة كنسويجرا Consuegra التى وقعت في نفس العام (157).

وفي عهد الامير على بن يوسف يبدو أن طائفة من عرب افريقية جازوا الى الاندلس برسم الجهاد ضد المسيحيين حيث يذكر المؤرخون بلاء

---

(152) احمد مختار العبادى : الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ص 50.

(153) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 37.

(154) دوزى : ملوك الطوائف، ص 280، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 266.

(155) السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 37.

(156) أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 471.

(157) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص 107.

بعض الفرسان العرب في موقعة أقليش Uclés سنة 501 هـ / 1108 م (158) .

وفي 513 هـ / 1119 م بعد أن استولى المسيحيون على قلعة أيوب بشرق الاندلس جاز على بو يوسف الى الاندلس جوازه الثانى ومعه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة وسائر قبائل البربر (159).

وبعد أن اتمكن عرب بنى هلال من القضاء على ملك بنى زيرى بامريقية وهددوا الدولة الحمادية ، تطلعوا الى المغرب الاوسط ولكن قيام دولة المرابطين وحاميتها القوية المستقرة بتلمسان جنب المغرب الاوسط والاقصى - الى حين - مصير افريقية وشر القبائل العربية (160) .

---

(158) ابن القطان : نظم الجمان تحقيق محمود على مكى ص 9، 10 حاشية 1، حسين مؤنس : الثغر الاعلى الاندلسى فى عصر المرابطين - مجلة كلية الاداب - بالقاهرة، المجلد 11 ديسمبر 1949 ص 129 حاشية 22، ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ووصفه لابن الشباط تحقيق أحمد مختار العبادى تعليق (3) ص 107.

(159) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 61.

(160) G. Marcais : Les Arabes en Berberies p. 116.

الباب الثاني

القبائل العربية فى المغرب فى عصر الموحدين وبني مرين

الفصل الاول : دور العرب في الدولة الموحدية .

الفصل الثانى : دور العرب في الدولة الحفصية بافريقية .

الفصل الثالث : دور العرب في دولة بنى عبد الواد بالمغرب الاوسط .

الفصل الرابع : دور العرب في الدولة المرينية بالمغرب الاقصى .

الفصـــــل الأول

دور العـــرب فى الدولـــة الموحدية

أولا ـ اصطناع خلفـاء الموحديـن للعرب في افريقيـة :

خلفت دولة المرابطين في حكم المغرب والاندلس دولة مغربية أخـرى هى دولة الموحدين وقد قامت هذه الدولة على أساس دعوة دينية اصلاحية طابعها التجديد والعظمة وهدفها تحقيق وحـدة اسلاميـة شاملـة .

ومؤسس هذه الدعوة هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن تومـــرت الهرغى المصمودى السوسى وواضح من اسمه أنه من قبيلة هرغة احـدى بطون مصمودة الساكنة في بـلاد السوس بجبـال أطلـس (1) .

ولكن كان لابد أن تستنـد خلافتهم أيضا الى الاسس الشرعيـــة اللازمـة كالنسـب النبوى أو الاصل العربى لهذا قالوا بانتماء كل مـن المهدى وخليفته عبد المؤمـن الى الرسول عن طريق الادارسة واتخذوا اللون الاخضر شعارا لهم كى يظهروا ميلهم الى الدعوة العلوية (2) .

أما من جهة الاصل العربى فيروى ابن الاثيـر أن ابن تومرت حينما سأل عبد المؤمن عن نسبـه في أول لقـاء لهما أخبره بأنه من قيس عيلان ثم من بنـى سليـم وواضح أن سليم وقيس ينتميـان الى مضر التى منها قريش (3) . كذلك يروى المؤرخون أن عبد المؤمن بن على كان يقول لمن يذكر له اسـم قبيلة كوميـة البربرية التى ينتمـى اليها وهى من بطون زناتـة بنواحى تلمسان «أنا لست منهم وانما نحن لقيس عيلان

(1) احمـد مختـار العبـادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 104.

(2) ابو بكـر الصنهـاجـى (البيذق) : كتاب أخبـار المهدى بن تـومرت وابتـداء دولـة الموحديـن ص 21، ابـن سعيـد : كتـاب بسط الارض فى الطول والعرض ص 59، ابـن أبـى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 110، 119.

(3) أحمد مختـار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 111.

ولكومية علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم وهم الاخوال» (4) وقد حرص مؤرخو هذا العصر وشعراؤه على اثبات هذا الاصل العربى فى كتاباتهم فأطلقوا على عبد المؤمن كنية القيسي بدلا من الكومى (5) كذلك استغل الموحدون هذا الاصل العربى في اصطناع القبائل العربية المقيمة في افريقية للاشتراك معهم في جهاد المسيحيين في أسبانيا فنجد شعراء الموحدين يدعونهم بأبناء العم ويذكرونهم بصلة النسب ووشائج القربى التى تجمع الموحدين مع العرب في قيس عيلان وكان لهذه الدعاية أثرها في هجرات هذه القبائل العربية الى المغرب الاقصى مما ساعد على تعريب هذه البلاد وطبعها بالطابع العربى (6) .

ويبدأ اتصال الموحدين بالعرب أثناء اجتياز المهدى لبلاد المغرب وهو في طريق عودته الى بلاده من المشرق . فاتصل أولا بالثعالبة عرب الجزائر الذين كانوا أولى القبائل العربية التى ناصرت الدعوة الموحدية وأهدت له حمارا فارها يركبه حيث أنه كان يسعى على قدميه وقد أهداه المهدى بدوره لعبد المؤمن الذى سيصبح خليفة الموحدين موضحا لمريديه أن عبد المؤمن هو الذى ستقوم الدولة وتتسع على يديه (7).

وبعد أن تمكن عبد المؤمن 524 ـ 558 هـ / 1130 ـ 1163 م من القضاء على دولة المرابطين سعى لضم بلاد المغرب الى دولته خصوصا وأن الظروف السياسية السائدة فيها كانت تشجعه الى ذلك فقد أدى الصراع الناشىء بين القبائل العربية التى هاجرت الى افريقية والدولة

(4) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص 197.
(5) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 111.
(6) من قول ابن طفيل فى استدعاء أبى يعقوب لعرب افريقية للاشتراك فى غزو الاندلس:

أفرسان قيس من هلال بن عامر ... وما جمعت من طاعن ومضارب
وقد جعل الله النبى وآله ... ومهديه منكم بلا عيب عائب
وفزتم بتخصيص الخليفة بعده ... ونسبته الدنيا بزلفى الاقارب

وحينما يتأخر العرب يستعجلهم ابن عياش على لسان الخليفة بقوله (منها) :

بنى العم من عليا هلال بن عامر ... وما جمعت من باسل وابن باسل

أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 412، 413، 416 ـ نسب المراكشى فى المعجب هذه القصيدة الاخيرة للخليفة عبد المؤمن نفسه وتبعه فى ذلك بعض الادباء والمؤرخين ممن كتبوا عن الحياة الادبية فى عهد الموحدين وعلى حسب قول ابن صاحب الصلاة المؤرخ المعاصر هى لابن عياش، المعجب ص 225، 226، عبد الله كنون، النبوغ المغربى ج 2 ص 266، محمد المنونى : الاداب على عهد الموحدين ص 159، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 112.
(7) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 90.

الزيرية بشقيها في القيروان والقلعة الى انحلال الدولة واسرافهـا على الاندثار حتى غدت السلطة الزيرية بافريقية اسمية لا تتعدى أسـوار الملاجىء التى يحكمون خلفها (8) فتمكن النورمانديون من الاستيلاء على بعض ثغور افريقية مثل صفاقس وسوسة وغيرها ثم المهدية كما استقل شيوخ القبائل العربية كل بناحيته (9) .

وفي 541 هـ / 1146 م تحركت جيوش الموحدين بقيادة عبد المؤمن الى المغرب الاوسط فوفد عليه عربها من الاثبج وجشم مبايعين فعقد لابى الخليل بن كسلان (10) على عرب الاثبج ولحباس بن مشيغر على عرب جشم ثم استولى على بجاية وطرقت جيوش الموحدين أبواب افريقية بعنف (11) .

خشى عرب افريقية على استقلالهم الذاتى فتحالفوا مع صنهاجة افريقية جيرانهم (12) واستغلوا الخلاف الذى وقع بين قائدى القوات الموحدية يصلاش بن المعز وعبد الله بن وانودين صهر عبد المؤمن وانسحاب يصلاش وتركه عبد الله في تلة من الجند فهاجموه وأسروه وقتلوه (13) وحاصروا مدينة القيروان وقام موسى بن يحيى الرياحى المرداسى بمهاجمة مدينة باجه والاستيلاء عليها (14) .

بلغ ذلك عبد المؤمن فغضب غضبا شديدا ووجه للعرب كافة الموحدين (15) بقيادة عبد الله بن عبد المؤمن (16) حتى لم يبق معه الا الخاصة والسوقة (17) وبلغ جيش الموحدين أكثر من ثلاثين ألف فارس (18).

اجتمعت القبائل العربية بافريقية من الاثبج وزغبة ورياح وبنو قرة بقيادة ملكهم يحيى بن عبد العزيز بظاهر باجة وتناسوا ما بينهم

---

(8) أنظر هجرة القبائل العربية وأثرها فى الحياة المغربية بالباب الاول.
(9) السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 120.
(10) أو أبو الجليل بن شاكر كما ورد فى بعض نسخ ابن خلدون.
(11) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 20.
(12) الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 257.
(13) البيذق : أخبار المهدى ص 114.
(14) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 235.
(15) البيذق : أخبار المهدى ص 114.
(16) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 20.
(17) البيذق : أخبار المهدى ص 114.
(18) المصدر نفسه ص 114، الميلى : جـ 2 ص 257.

من ثارات وتحالفوا لمحاربة عبد المؤمن وأخراجه من افريقية وجمعوا نساءهم وأموالهم وارتحلوا اليه ليكون لقاؤهم اشجع وثباتهم في الميدان أصدق وأراد روجار صاحب صقلية أن يمدهم بخمسة الاف فارس من النصارى ولكن العرب رفضوا وأجابوه بأنهم في غنى عن نجدته اذ لا يستعان بكافر على مسلم (19) .

والتقى الموحدون والعرب بناحية سطيف 547 هـ / 1152 م (20) وتمكن الموحدون من هزيمتهم بعد قتال استمر اربعة أيام ولولا بعدها منهزمين تاركين خلفهم أموالهم وأولادهم ونساءهم تتبعهم القوات الموحدية ـ مضحين بالاسلاب والغنائم طالبين ثأرهم لهزيمتهم السابقة ـ يوما وليلة حتى حصن تبسه بجبل الاوراس (21) فقسم عبد المؤمن جميع أموالهم على عسكره وكان أسرى العرب من الكثرة حتى وزع سبيهم في فاس ومكناسة وسلا (22) واحتفظ بالنساء والاولاد وعين لهم من يحميهم ويقوم بحوائجهم حتى وصلوا الى مراكش فأنزلهم المساكن الفسيحة وأجرى لهم النفقات الواسعة وأمر ابنه محمدا أن يكاتب أمراء العرب ويحيطهم ان نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصيانة وأنه قد بذل لهم الامانة والكرامة والعفو (23) فوفد عليه بمراكش سلاطينهم وهم ديفل بن ميمون وحباس بن الرومية وابن الزحامس وابن زيان وأبو مطران وأبو عرفة والقائد بن معرف فرد عليهم نساءهم وأولادهم ومنحهم أموالا جزيلة فأستألف قلوبهم وضمن ولاءهم وصرفهم الى بلادهم (24) .

ولما عاد عبد المؤمن الى افريقية في 553 هـ / 1138 م بجيوش من الموحدين وقبائل العرب وزناتة والاغزاز (25) لمحاربة بني خراسان وحلفائهم بني علي برياسة أميرهم محرز بن زياد من بطون رياح والذين سبق لهم ايقاع الهزيمة بجيوش الموحدين بقيادة عبد الله ابن عبد المؤمن حول تونس . تمكن عبد المؤمن بسهولة من دخول المدينة

(19) الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 257.

(20) البيذق : أخبار المهدى ص 116، حدد ابن الاثير الموقعة فى صفر 548 هـ. والسلاوى فى 546 هـ. والميلى فى 546 هـ.

(21) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 20، الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 258.

(22) البيذق : أخبار المهدى ص 116، الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 258.

(23) ابن الاثير : احداث سنة 547 هـ. الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 258.

(24) البيذق : أخبار المهدى ص 116، ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 20.

(25) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 139.

ثم حاصر المهدية وأرسل ابنه لتصفية الامارات العربية التى تأسست وتمتعت بالاستقلال الذاتى على حساب الدولة الصنهاجية المندثرة فأستولى على «قابس» من بنى كامل من رياح «وقفصة» من بنى الورد و «طبرقة» من مدافع بن علال و «جبل زغوان» من بنى حماد بن خليفة و «شقبارية» من بنى عماد بن نصر الله الكلاعى و «الاربس» من بنى فتاتة العربى (26) و «بنزرت» من عيسى بن مقرب بن طراد ابن الورد اللخمى (27) وافتتح جميع بلاد افريقية وأدخل في طاعته أهالى المنطقة الممتدة من برقة حتى تلمسان (28) .

ولما تم لعبد المؤمن اخضاع افريقية في 554 هـ / 1159 م أمر بتقسيم البلاد من برقة شرقا الى بلاد نول من السوس الاقصى غربا بالفراسخ والاميال طولا وعرضا ثم أسقط من التقسيم الثلث للجبال والهضاب والانهار والسباخ وما بقى وضع عليه الخراج والزم كل قبيلة بربرية كانت أو عربية بقسطها من الزرع والماشية والاموال فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب (29) وأحضر أمراء العرب واحلفهم على مصحف عثمان بن عفان على السمع والطاعة والاشتراك في الجيوش الموحدية للجهاد في الاندلس ولكنهم خذلوه بالقرب من وهران وطلبوا العودة الى حللهم فقرر عبد المؤمن نقل ألفا من كل قبيلة بعيالهم الى المغرب (30) من عرب بنى رياح وبنى جشم وبنى عدى ـ وكانوا من الكثرة حتى وصفهم ابن صاحب الصلاة بقوله : «ضاق بهم الفضا ونافسوا الحصى والذباب في كثرته» (31) ـ هادفا الى ابعادهم عن افريقية واستقرارهم بقرب عاصمته مستغلا شجاعتهم وحبهم للقتال للجهاد في الاندلس .

---

(26) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 237.

(27) الزركشى : تاريخ الدولتين ص 12.

(28) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 139.

(29) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 139، يحدد السلاوى السنة فى 555 هـ. أنظر الاستقصا ج 2 ص 124.

(30) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 130، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 258

(31) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 144

(32) الزركشى : تاريخ الدولتين ص 12.

ويبدو أن عبد المؤمن تمكن من كسر شوكة القبائل العربية بافريقية وان نصيره عليهم كان ساحقا اذ تناوله الشعراء في المغرب والاندلس بالمدح فقد ورد عليه بالمهدية محمد بن عمر التيفاشى وأنشد (32).

ما هز عطفيه بين البيض والاسل   مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

وكذا أنشد عبد الملك بن عياش القرطبى قصيدة في التنديد بهزيمة رياح منها (33).

وانما بعثت من جيشها نفلا   القى نفائسه في كف منتهب
صدرت بالعرب العرباء وانقلبت   عن الحسام (رياح) شر منقلب

ورغم ذلك فلم ينس أن يوصى بنيه وولى عهده في أواخر أيامه بأن يعملوا على نقل عرب أفريقية الى المغرب للاستفادة بهم في حروب الاندلس (34).

وبعد وفاة عبد المؤمن بويع ابنه أبو يعقوب يوسف بالخلافة (558 ـ 580 هـ / 1163 ـ 1184 م) وكان واليا على اشبيلية من قبل أبيه فتأثر برقة الحياة في الاندلس وحضارتها بعد أن درس على كثير من علماء الاندلس في اللغة والنحو والقرآن والفلسفة فزالت عنه جفوة البربر (35) فكان أعرف الناس بكلام العرب واحفظهم لايامها في الجاهلية والاسلام وعد من أبطال الفرسان (36) مما ساعد على مبايعة اخوته له وكذلك رؤساء القبائل العربية (37). ولقد حرص الخليفة الجديد على الاستمرار في سياسة والده التى ترمى الى اصطناع العرب والاستعانة بهم في حروبه بالاندلس. وظل كذلك الى أن وافته منيته نتيجة لاصابة قاتله أثناء حروبه مع البرتغاليين في غرب الاندلس. ثم أخذت البيعة لابنه أبى يوسف يعقوب (المنصور) من شيوخ الموحدين ووفود كل بلد بحضور شيوخ العرب وموافقتهم (38).

(33) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 162.
(34) ابن خلدون : العبر ج 6 ص276.
(35) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص 155، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 797.
(36) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 140.
(37) فى 559هـ. تقدم عليه أخواه أبو محمد صاحب بجاية وأبو عبد الله صاحب قرطبة نائبين مبايعين بصحبة كل منهم رؤساء القبائل العربية. أنظر السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 131.
(38) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 72، 77.

وبعد أن تولى يعقوب الحكم 580 ـ 595 هـ / 1184 ـ 1199 م كان أول من بايعه أعيان زغبة تلمسان ومن معهم من العرب بقصر مصمودة (39) ولما وصل رباط الفتح تلقاه أبو عبد الله بن واجاج ومعه وفود العرب وأهل فاس ومكناسة بالتأييد (40) ولكنه في خلال فترة حكمه واجه كثيرا من المهام الصعبة في المغرب مع بنى غانية (بقايا المرابطين في جزر البليار) (41) وحلفائهم من المماليك الغز الوافدين من مصر بقيادة قراقوش ومن عرب بنى هلال وسليم بافريقية .

ثانيا : دور العرب في صراع الموحدين مع بنى غانية والمماليك الغز

كان بنو غانية في الاصل من قبيلة مسوفة الصنهاجية ومن كبار المرابطين في الاندلس ويقال انهم عرفوا ببنى غانية على اسم أمهم غانية (42) وأمثال هذه التسميات كانت معروفة عند المرابطين اذ نجد كثيرا من توادهم ينسبون الى أمهاتهم مثل ابن عائشة وابن فاطمة وابن الصحراوية وغيرهم (43) .

وكان بنو غانية يحكمون ولاية دانية بالاندلس ثم امتلكوا جزر البليار واستقل بها محمد بن غانية وأولاده من بعده وأقام بها داعيا لبنى العباس فوفدت عليه بقايا المرابطين بالمغرب بعد انهيار دولتهم (44).

ولقد ظل بنو غانية شوكة في جنب الدولة الموحدية مدة طويلة الا أنهم كانوا في نفس الوقت غزاة بحريين ضد القوى الصليبية في حوض البحر المتوسط فكثيرا ما أغاروا بأساطيلهم على سواحل قطلونيا وجنوب فرنسا وهاجموا سفنهم في البحر . كذلك كانت تربطهم في بعض الاحيان

(39) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 77، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 242، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 142.

(40) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 78.

(41) ميورقة ومنورقة ويابسة. أنظر عبد الواحد المراكشى : المعجب ص 177.

(42) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص 176، أحمد مختار العبادي : دراسات ص 331.

(43) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص 129، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 331.

(44) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص 187، انظر سعد زغلول : العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف المنصورى، مجلة كلية الاداب ـ جامعة الاسكندرية، المجلدان 6، 7 ـ 1958 ص 84 ـ 100، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 802.

بجمهوريتي جنوه وبيزا الايطاليتين علاقات تجارية طيبة (45) وعلى الرغم من أنهم ساروا على سنة أسلافهم المرابطين في الدعاء للخلفاء العباسيين في بغداد واتخاذ الويتهم السوداء شعارا لهم الا أنهم كانوا في نفس الوقت يهادنون الموحدين وبداورنهم بالهدايا والاموال تجنبا لخطرهم وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي في سيره اسحاق ابن محمد بن غانية : «واقبل على الغزو وصرف عنايته اليه فكان له في كل سنة سفرتان الى بلاد الروم ... وكان يراسل الموحدين ويهادنهم ويختصهم من كل ما يسبي ويغنم بنفسيه وجيده يشغلهم بذلك عنه مع احتقارهم لامر تلك الجزيرة وقلة التفاتهم اليها وخرج في 579 ه الى بلاد الروم غازيا فاستشهد رحمه الله هناك» (46) .

وتولى الحكم بعده ابنه على فراسلة جماعة من أعيان مدينة بجاية لتولى أمورها فاستغل أنشغال القوات الموحدية بالاندلس وموت خليفة وتوليه آخر وهاجم أخوه يحيى بن غانية المدينة على حد قول عبد الواحد المراكشي : «لما توفى أبو ابراهيم اسحق بن محمد المذكور قام بالامر من بعده ابنه على بعهد أبيه اليه وخرج بأسطول ميرقة الى العدوة وقصد مدينة بجاية حين راسله جماعة من أعيانها على ما يقال يدعونه الى أن يملكوه ولولا ذلك لم يجسر على الحروج ومما جراه أيضا كون الموحدين بالاندلس وسماعه خبر موت أبي يعقوب واشتغالهم ببيعة أبي يوسف وظن أن الامر سيضطرب وأن الحلاف سينشأ فكان هذا أيضا مما أعانه على الخروج ولولا هذه الاسباب التى ذكرنا لم يجسر على الخروج فقصد ساحل بجاية فنزل به فقاتله أهلها قتالا غير كثير ثم دخلها وكان دخوله اياها كما ذكرنا يوم الاثنين لست خلون من شعبان من السنة المذكورة» (47) .

ويبدو أن من راسله من أعيان المدينة كان من نسل بعض العائلات الغربية التى استقرت بالمغرب وتنقلت من مدينة الى أخرى وراء الغنم تارة والرزق تارة أخرى (48) .

(45) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 321.

46) عبد الواحد المراكشى المعجب ص178، أحمد مختار العبادى: دراسات ص332

(47) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص 178، 179 يحدد ابن عذارى دخول يحيى بن غانية بجاية في 19 صفر 581 ه. أنظر البيان المغرب ج 4 ص 86.

(48) فى نفس العام قام الموحدون بتغريب بعض الاسر الكبيرة من بجاية الى مدينة سلا نذكر منهم اسرة بنى حمدون وبنى القائد مما يرجح هذا الراى. أنظر ابن عذارى : البيان المغرب جـ4 ص 96.

تتبع بنو غانية الموحدين الفارين والتقوا بهم بياميلول (49) في نفس العام فانسحب العرب من صفوف الموحدين لينضموا الى بنى غانية منزلين هزيمة ساحقة بالموحدين الذين فروا الى تلمسان تاركين خلفهم أثقالهم وأموالهم (50). تقوى يحيى بن غانية بما غنمه من موقعة ياميلول ومخازن بجاية ووزع الاموال والاسلحة على حلفائه الجدد من العرب (51) فاستولى على الجزء الشرقى من المغرب الاوسط ابتداء من الجزائر حتى قسنطينة بما في ذلك مليانة وقلعة بنى حماد وما جاورها من قلاع ثم تمكن بمحالفة عرب افريقية من الاستيلاء على مدنها بما في ذلك قفصة وتوزر عدا تونس والمهدية (52) .

ونوه كتاب المرابطين بتحالفهم مع العرب حتى أدعو أن المنطقة الممتدة من بلاد الحجاز الى افريقية تموج بالقبائل العربية التى تؤيدهم فمن شعر أبى محمد عبد البر بن فرسان كاتب يحيى بن غانية قوله (53):

بين الحجاز وبين الغرب قاطعة   من العوائق سدت دونها الطرق
عوف وزغب وذباب وسالمها   والهيبيون والدوام البحر والغرق

وبدا ان دولة المرابطين سوف تبعث من جديد معتمدة على العصبية العربية سواء كانت ممثلة في أعقاب الاسر العربية التى تحملت تطور المغرب الحضارى منذ السنوات الاولى للفتح وحتى القرن السادس الهجرى أو في القبائل العربية النازحة من شبه الجزيرة العربية .

ولكن سرعان ما حسم الموحدون خطر ظهور بنى غانية في افريقية فكان رد الفعل سريعا وعنيفا . ففى نفس العام استرد الموحدون بجاية وانزلوا بأهلها من العرب العقاب لما بدر منهم مع استدعاء وتاييد لبنى غانية غفروا للاحتماء بقنن الجبال والاوعار وكذلك بأحياء العرب بالجوار (54) وبموت أبى محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدى ـ خطيب بنى

(49) ياميلول بجوار مدينة بجاية.
(50) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 86.
(51) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 87.
(52) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 507.
(53) ابن الابار : المقتضب من كتاب تحفة القادم ص 115،
Alfred Bel : Les Benau Ghanya P. 191.
(54) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 94.
(55) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص 180.

غانية وناشر دعوتهم بالمدينة ضد سيادة الموحدين صفت نفس الخليفة يعقوب تجاه بجاية حتى انه استقبل عامة أهلها منشرح الصدر ، عذب القول حتى خرجوا من حضرته متعجبين من سماحته وعطفه (55) ما عدا بنى حمدون الجذاميين احفاد ولاة المسيلة والزاب في عهدى الفاطميين والزيريين والمنتشرين - نتيجة لازدياد عددهم - من بجاية حتى سلا (56) فقد اتهموا باستدعاء بنى غانية وأجبروا على بيع أملاكهم وديارهم ونقلوا الى المغرب بمدينة سلا وقتل منهم من ثبتت ادانته وكذلك بنى الحكيم فقتل شيخهم نزار بن الزميلى وبنى القائد واصهارهم وذويهم فقد مثل بهم وأمروا بالرحيل الى سلا (57) .

وقام الشيخ أبو حفص عمر الموحدى باسترداد مدينة أشير فى 581 هـ / 1185 م من يد غزى الصنهاجى أحد قواد ابن غانية وحلفائه العرب ثم أمر بقتله وقتل أخيه وصلبهما وعلقا على باب مدينة بجاية ليتعظ كل من تسول له نفسه بالخروج على الموحدين (58) .

ساء ظن الخليفة المنصور في العرب حتى انه استبعد تجنيد عرب المغرب في جيشه - لتعاطفهم واتصالهم بعرب افريقية - حينما قرر غزو قفصة في 582 هـ / 1186 م واسترداد افريقية باستثناء بنى زيان من شيوخ عرب رياح لقدم هجرتهم الى المغرب وصدق اخلاصهم فى خدمة الموحدين (59) (*).

وحينما طرق الموحدون أبواب افريقية فوجئوا بتحالف بنى غانية والمماليك الغز وعرب بنى سليم ضدهم معسكرين بجوار القيروان ونظرا لكثرة عددهم تحول الموحدون الى تونس (60) .

---

(56) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 243.
(57) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 96.
(58) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 243
(59) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 102.
(60) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 104.

Alfred Bel : Les Banou Ghanya P. 202.

وهناك أقوال عديدة حول أسباب دخول المماليك الغز الى افريقية (61) ويرجح التجانى ان سبب هذا الغزو يرجع الى نجاح توران شاه بن أيوب في فتح اليمن في 569 / 1173 م ومحاولة تقى الدين ابن أخيه شاهنشاه تقليده في فتح المغرب ولكنه تراجع حينما أدرك أن الذى يحول بينه وبين تحقيق أمله المنشود عاملان الاول الموحدون الذين بسطوا سلطانهم على المغرب والاندلس والثانى القبائل العربية التى تجول عبر افريقية وقفار المغرب الوعرة تقطع طرقه وتهدد أمنه (62) .

ولما كان خبر حملته الى افريقية والمغرب قد سرى في جمع من جنده وخواصه وبنوا الامانى على غنائم هذا الفتح ثم عرفوا ما انتواه تقى الدين الايوبى من الغاء هذه الحملة ، فر مملوكه قراقوش الارمنى (63) وابراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظمى بمن معهما من المماليك الى المغرب وانقسما الى مجموعتين كل مجموعة برئاسة أحدهما لينفرد كل منهما بما يغزوه ويملكه .

تمكنت المجموعة الاولى بقيادة قراقوش الارمنى من الاستيلاء على دولة بنى خطاب الهواريين في بلاد فزان وعاصمتها زويلة والتحالف مع عرب بنى ذباب (دباب) وفاتح جبل نفوسة وغنم ما به من أموال عظيمة وزعها على حلفائه العرب ليضمن تأييدهم فانضمت اليه عرب رياح بقيادة مسعود بن زيان زعيم الزواودة الخارج على طاعة بنى عبد المؤمن وتمكنوا

---

(61) أنظر جمال الدين محمد بن سالم بن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج 3 ص 295، 308 — 309، 322 — 323، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج 2 ص 70، 71، سعد زغلول : العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب — مجلة كلية الاداب. جامعة الاسكندرية. المجلد 6، 7 سنة 52 — 53 ص 93، 94، 95، محمد عبد العال أحمد : دراسة حول أقوال المؤرخين عن أسباب الفتح الايوبى لليمن. مجلة معهد المخطوطات نوفمبر 1967 ص 329.

(62) التجانى : رحلته ص 112، الطاهر احمد الزواوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ص 213.

(63) قراقوش الارمنى هو شرف الدين قراقوش التقوى مملوك تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين الايوبى وهو شخصية أخرى غير بهاء الدين قراقوش الاسدى وزير صلاح الدين ونائبه ومملوك أسد الدين شيركوه. أنظر أحمد مختار العبادى : دراسات تعليق (2) ص 356.

من الاستيلاء على طرابلس فتقاطرت عليه العربان من كل مكـان طمعـا في الغنائـم مما اضطره الى تكليف أهل طرابلس فـوق ما يطيقون (64).

أما المجموعة الثانية بقيادة ابراهيم بن قراتكين فقد أحبت ان تقـدم خبرتهـا للجيـش الموحـدى ولكن شيـوخ عرب افريقية الذيـن يعشقون استقلالهم الذاتـى لم يكن ليسرهم ازدياد قوة الموحدين فحرضوهم على الثـورة ومكنهم بنـو الرنـد رؤسـاء قفصة من المدينة بسبـب ميلهـم للدعـوة العباسيـة التى ألفوهـا (65) .

ودار صراع بين بنـى غانية والمماليك الغز في افريقيـة حـول الاستحواذ على محالفة العرب وضمان تأييدهم لما يمثلونه من قـوة لها خطرها في توجيه الاحـداث . فبينما لجأ المماليك الى بريق الذهـب ورنينه لاغـراء العـرب والمحافظة على تحالفهم ، لجأ كتـاب بنى غانية وشعراؤهم الى اداة التعبير المثلى بالقبيلـة العربية وهى القصيدة الشعرية مدعيـن أن بنى غانية والعرب تربطهم صلات الرحم والانتماء الى سليم ويعيرونهم بالانقياد الى المماليك الارمن كما هو واضح من هذه الابيات (66) :

يا أيهـا الراكب السارى لطيتـه ... على عذا فـرة تشقى بهـا الاكـم
بلغ سليما على بعـد المزار لهـا ... بينى وبينكـم الرحمـن والرحـم
يا قومنا لا تشبوا الحرب انخمدت ... واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
يقودهـم ارمنـى لاخـلاق لـــه ... كأنه فيهـم من جهلهـم علـــم
اللــه يعلــم أنـى ما دعوتكـــم ... دعـاء ذى تـرة يوما فينتقـــم
لكن لامـر رسـول الله عن رحـم ... ينمى اليـه وترعـى تلكم الذمـم
فان أبيتـم فجعـل الـرد متصـل ... وان أبيتم فعند السيـف نحتكـم

وأمام هذه القوى المتحالفة أرسل الخليفة الموحدى يعقوب من تونس جيشـا بقيادة أبى يوسف بن أبى حفص لفتح قفصة فالتقى في ربيـع

---

(64) التجانى : رحلته ص 112 — 113 ويوضح الفرد بل Alfred Bel أن مجىء قراقوش هدد السلام النسبى الذى سـاد بلاد المغرب نتيجة لانقطاع الهجرة الهلالية فى ذلـك الحيـن أنظـر Les Banou Ghanya P. 188.
الطاهر أحمد الزواوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيـا ص 214.

(65) التجانى : رحلته ص 114، الطاهر أحمد الزواوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيـا ص 213.

(66) التجانى : رحلته ص 114 — 115.

الآخر 583 هـ / 1187 م بقوات بنى غانية والمماليك والعرب بعمرة (67) وحينما اندفع القائد أبو الحسن بن الربرتير (68) بفرسانة الموحدية لاحراز نصر سريع خاطف مستهينا بأعدائه فوجىء بسحائب من السهام العربية أسقطت معظم فرسانه وقبض عليه فاقتفى أثره القائد أبو على ابن يومور بفرسانه من العرب لتخليصه فأحيطت بهم القوات المتحالفة فلم يجد فرسانه من العرب بد في انسحابهم وتركهم اياه يقع في يد أعدائه وسرعان ما دبت الفوضى في القوات الموحدية ويرغم أبو يوسف ابن أبى حفص على الانسحاب الى تونس وتمتلأ أيدى العرب بالاسلاب (69) .

ويبدو أن صدى هذه الهزيمة كان كبيرا في بلاد المغرب والاندلس لدرجة أن عم الخليفة ، أبا الربيع والى تادلا وأخاه أبو حفص والى مرسية قاما باسقاط دعوته ومناداة كل منهما بنفسه خليفة للموحدين فأمر الخليفة باعتقالهما وقتلهما (70) .

جمع يعقوب المنصور قواته بافريقية وخرج بنفسه لملاقاة المتحالفين ضده فتوجه من تونس الى القيروان حيث التقى – على مسيرة أيام منها – بأعدائه في الحمة (71) وتمكن من ايقاع الهزيمة بهم في 9 شعبان 583 هـ / 1187 م (72) وهرب ابن غانية جريحا حيث مات في خيمة

(67) عمره من أعمال قفصة أنظر ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 109 وعند ابن خلدون غمره أنظر العبر ج 2 ص 244.

(68) الربرتير Reveerter أو Reberter هكذا ضبط أسمه دوزى حسب نصوص الحولية اللاتينية للامبراطور الفونسو السابع أما المصادر العربيه فقد ذكرته بأشكال مختلفة مثل الدبرتير والدبرتين والابرتين.. وواضح من اسم هذا القائد أنه من أصل مسيحى اذ كان أبوه فارسا قطلانيا من برشلونة ثم وقع أسيرا فى يد أمير البحر على بن ميمون الذى حمله الى سلطانه على ابن يوسف بن تاشفين بمراكش فعينه السلطان قائدا على جنوده الاسبان الذين فى خدمته .. وقد اعتنق ابنه الاسلام وتسمى بأبى الحسن على بن الربرتير ولما قامت دولة الموحدين انخرط فى خدمتهم راجع ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 16، 159. Dozy : Recherches II P.P. 437 - 442, ...
Levi-Provencal : Documents d'Histoire Almohade P. 139 - Note 1.
أنظر أحمد مختار العبادى : دراسات تعليق (1) ص 355.

(69) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 105 — 107، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 244، المراكشى : المعجب ص 180 — 181، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 144.

(70) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 244.

(71) تعرف بحمة دقيوس أنظر المراكشى : المعجب ص 181.

(72) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 109 — 110.

لعجوز اعرابيـة وتولى الامـر من بعـده أخوه يحيى الذى لحق بالصحراء مـع العـرب (73) .

استولى المنصور على قفصة وقابس ثم توجه الى بلاد الجريد متتبعا العرب وبنى غانيـة بلدا بعد بلـد مبقيـا على رؤسائهـا من العـرب البلديين (الافارقـة) بعـد تأكده من طاعتهم مستأصلا من بها من الاعراب الذين ثبت فسادهم (74) حتى الجاهم الى صحارى برقة مجاوه تائبيـن خاضعين فنقل قبائل هـلال بن عامر وجشم بن معاويـة بن بكر المتسلطين والمستقرين بافريقية الى المغـرب الاقصى فنزلت قبيلة رياح من بنى هلال ببلاد الهبط فيما بين قصر كتامـة المعروف بالقصر الكبير الى أزغـار البسيط الافيح هناك الى ساحل البحر الاخضر (المحيط الاطلسى) حيـث استقرت وطاب لها المقام ونزلت قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط ما بين سلا ومراكش وهو أواسط بلاد المغرب الاقصى وأبعدها عن الثنايا المفضية الى القفـار لاحاطة جبل درن بها مما اضطرهم الى الاستقرار أو علـى حد قول السلاوى (75) «فلم ييمموا بعدها قفرا ولا أبعدوا رحلة وأعلـم أن هذين البسيطين يسميان اليوم في عرف أهل المغرب بالغرب والحـوز فالغـرب عبارة عن بـلاد الهبط وأزغار وما في حكمها والحوز عبـارة عـن بلاد تامسنـا وما اتصل بها الى أغمـات ومراكش فكان لرياح بلاد الغرب وكـان لجشم بـلاد الحـوز» .

ورغم نـدم المنصور في أيامه الاخيرة بسبب نقله العرب الى المغرب الاقصى وهو يعرف أنهم أهل فساد (76) فقد أدى صنيعة هذا الى استكمال عروبتـه وصبغه بالدماء العربية حيث سبق أن قامت الدولة الادريسيـة بادخال الحضارة الاسلامية وقليل من الدماء العربية اليه .

وقبل أن يعود الخليفة المنصور الى المغرب أقام بالمهدية ريثما وضع القوانين اللازمـة لتنظيم اقطاعات القبائل العربية بافريقية وعفا عـن المماليـك الغـز ورئيسهم شعبـان واستألفهم وضمهم الى جنـده (77)

(73) المراكشـي : المعجب ص 181.

(74) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 110، السلاوى : الاستقصـا ج 2 ص 144.

(75) أنظر السلاوى : الاستقصـا ج 2 ص 151.

(76) السلاوى : الاستقصـا ج 2 ص 183.

(77) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 110، 122.

وكذا مماليك القاضى عماد الدين المصريين فبالغ في اكرامهم وميزهم على جنده من الموحدين سواء في المرتبات الممنوحة لهم أو الاقطاعات الموقوفة عليهم (78) مما أغرى قراقوش الارمنى للدخول في طاعة الموحدين وخدمتهم ولكنه عاد ليثور عليهم في 586 هـ / 1190 م ويستولى على قابس بعد أن خدع أهلها وقتل بعضهم وانتقم من احلافه شيوخ عرب الذبابيين بأن استدعاهم الى قصر العروسيين بالمدينة وقتلهم غيلة وقد بلغ عددهم السبعين شيخا منهم محمود بن طوق بن بقية جد المحاميد وحميد بن جارية وهو أبو الجوارى واليه ينسبون (79) .

وفي 588 هـ / 1192 م أصطحب أبو زيد عامل المنصور على افريقية في رحلته الى مراكش ـ عاصمة الخلافة ـ وفودا من شيوخ عرب سليم ورياح لمشاهدة عز الدولة وبهائها وغناها الذى يثير الاعجاب وليشعرهم في نفس الوقت بقوة الدولة وشدة بأسها فأقاموا بالمدينة ثمانية أيام ضيوفا على الخليفة ثم لحقوا به بفاس حيث بحثوا معه شؤون بلادهم وأعلنوا له التزامهم بطاعته ونصرته وعادوا الى افريقية بعد أن أنعم عليهم ووصلهم (80) .

توفى المنصور وبويع ابنه وولى عهده أبو عبد الله محمد وتلقب بالناصر لدين الله 595 ـ 610 هـ / 1199 ـ 1213 م وفي خلال عصره انتكست صورة التحالف الموحدى العربى فأصبح صوريا بقدر ما يحفظ على العرب استقلالهم الذاتى ويبرر خروجهم على طاعة الخليفة بمراكش ففى 596 هـ / 1200 م توالت أنباء افريقية بثورات العرب وبسط سلطانهم على مدنها وتحالفهم مع يحيى بن غانية فتحركت جيوش الموحدين بقيادة أبى الحسن بن أبى حفص ومعظم جنده من القبائل العربية من مدينة بجاية الى قسنطينة حيث تقابل الجيشان ولخيانة العناصر العربية في الجيش الموحدى وافشائهم لاسرار مضاربه وانسحابهم المفاجىء من المعركة منادين بوقوع الهزيمة مغيرين على مضارب قائد الجيش ليسلبونه ماله واثاثه أحدقت القبائل العربية وبنو غانية بالجيش الموحدى من كل جانب حتى فر قائده الى حصن قسنطينة (81) .

(78) المراكشى : المعجب ص 191.

(79) التجانى : رحلته ص 104، الطاهر أحمد الزواوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ص 216.

(80) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 151.

(81) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 194، 195.

وكانت الهزيمة مريرة أضطرت الخليفة الى ارسال أبى زيد واليا على تونس بـدلا من أبى الحسن وأخذت جيوشه اتزحف من تلمسان الى بجايـة ثم قسنطينة محققا بعض النصر على العناصر العربية القليلـة الثائـرة في نواحيها ولكنه أدرك عندما عايـن جيوش افريقية المتحالفة أنه لا قبل له بمواجهتها فأنسحب سريعا الى فـاس (82) .

ولم تلبث القبائل العربية المستقرة بالمغرب أن تأثرت بثـــورات اخوانهم في افريقية فرفعوا رايـة العصيان مما دفع الناصر للخروج بنفسه على رأس القـوات الموحدية في 599 هـ / 1202 م للقضاء على ثورتهـم فاستأصل الكثير من زعمائهم ونقـل البعـض الآخر الــى الاندلس في سنــة 600 هـ (83) .

ثم انتقلت القوات الموحدية الى افريقية فأنسحب أمامها العرب وبنو غانية من تونـس دون قتال ، وفي 601 هـ / 1204 م تتبعهم الناصر الى المهدية حيث تركوا بعض قواتهم لحمايتها وتوجهوا الى نواحـى الجريد وحوصر العـرب بالمهديـة لمدة أربعة أشهـر بـرا وبحرا ولكنهم تمكنوا من الصمـود (84) .

وقام عرب سليم ورياح المستقرين في نواحى الجريد لمساعدتهم وشد أزرهـم فأرتحلوا بأهليهم وأثقالهم وأموالهم حتى وصلوا نواحى قابـس فعقلوا الابـل وأوقفوا الظعائن ليقاتلوا دونها كالحصون وليكون دفاعهـم عنها أشـد حماسا وأكثـر صدقا . فلا يفرون ورغم ذلك فقد انهزموا (85) وقتل شيوخهم ومنهم جبارة وكاتبه ابن اللمطـى وعامله الفتح بن محمد (86) وغنم الموحدون اسلابا أضـاع العرب عشرين سنة في جمعها مـن طرابلس الى بجايـة وفي نفس الوقت استسلم عرب المهدية وعاد الناصر الى تونـس في 603 هـ / 1206 م ليعيد الهدوء الى افريقيـة وينظـــم شؤونها ويعمل على اصلاح ما فسـد من أرضها وزيادة مزارعها حتــى تستقـر القبائـل بهـا (87) .

(82) ابـن عذارى : البيـان المغرب جـ 4 ص 195 — 196.
(83) ابـن خلدون : العبـر جـ 6 ص 348، ابـن عذارى : البيـان المغـرب جـ 4 ص 203.
(84) ابـن خلدون : العبـر جـ 6 ص 348.
(85) ابـن عذارى : البيـان المغرب جـ 4 ص 207، 208.
(86) ابـن خلدون : العبـر جـ 6 ص 348.
(87) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 209، 211، 213.

لم يستسلم ابن غانية للهزائم التى أنزلها به الموحدون خصوصا بعد أن ناصرته عرب الزواودة من رياح بقيادة محمد بن مسعود البلط وغيرهم من اعراب بنى سليم وتمكن من مواجهة الجيش الموحدى بقيادة أبى محمد بن أبى حفص بنواحى تونس (88) وأثبت العرب كفاءة واضحة في الهجوم والضغط على ميسرة الجيش الموحدى حتى فر من بها من المماليك الغز والعرب ولكن ثبوت أبى محمد بمركزه في قلب الساقة مكنه من انقاذ جيشه من هزيمة محققة والانتصار على أعدائه في 606 هـ / 1209 م (89) . مما اضطر زعماء القبائل العربية واتباعهم الفرار الى طرابلس (89م) وأوقعت الهزيمة الرعب في قلوب العرب الافارقة المستقرين بالبلاد (90) .

وفي 607 هـ / 1210 م أغار أبو محمد عبد الواحد على قبائل سليم وغنم أموالهم وأسر شيوخهم بتونس رهينة ليرغم أتباعهم على الطاعة والتخلى عن مناصرة بنى غانية الذين تولى محمد بن عبد السلام والى طرابلس أمورهم فهاجمهم بجوار جبل نفوسة وسلب عتادهم (91) مما دفع بنى غانية وأنصارهم من عرب بنى ذباب الى منافسة قراقوش الارمنى على ما بيده من بلاد فزان فحاصروه بودان حتى فنى طعامه وأضطروه للتسليم وقتل هو وابنه وصلب خارج المدينة فى 609 هـ / 1212 م (92) .

وأخذ عرب بنى ذباب بثأر شيوخهم الذين غدر بهم قراقوش بقصر العروسيين بقابس . ولا شك أن هذه الاضطرابات التى لعبت فيها القبائل العربية دورا واضحا في افريقية أدت الى تعيين أبى حفص واليا دائما على افريقية مما ساعد على تدعيم النفوذ الموحدى في تلك

---

(88) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 348.

(89) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 224، 225 خصوصا وقد سبق القضاء على قوة بنى غانية بعد استيلاء الناصر على جزر البليار ومقتل عبد الله ابن اسحاق بن غانية أميرها فى 599هـ./1203م. فالتحق معظم فرسان بنى غانية بالجيش الموحدى وتزوج الموحدون من نسائهم. أنظر المراكشى : المعجب ص 211، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 367، 368.

(89م) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 348.

(90) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 226.

(91) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 230.

(92) التجانى : رحلته ص 110. Alfred Bel : Les Banou Ghanya. P. 205.

الجهات من جهة ثم قيام الدولة الحفصية المستقلة بعد ذلك من جهة أخرى (93) .

ثالثا : اشتراك العرب في العمليات الحربية التي خاضها الجيش الموحدى في الاندلس

أدى الصراع بين المرابطين والموحدين في المغرب الى استقلال كل أمير بالاندلس بامارته وانتشرت الثورات مما اضطر الموحدون - خصوصا بعد سيطرتهم على المغرب - الى التطلع للجبهة الاندلسية التى كانت تمر بظروف عصيبة (94) .

ففى الشمال قامت ثلاثة ممالك مسيحية : أراجون وقشتالة والبرتغال وفي الجنوب الامارات الاندلسية الاسلامية يفصل بينهما مجرى نهر التاجه من مصبه الى منبعه ثم تمتد الحدود بعد المنبع نحو الشمال مع تقويس يسير حتى تصل الى البحر المتوسط عند مدينة طركونة وقد أطلق المسلمون على خط الحدود الطويل في الشرق «الثغر الاعلى» وأهم ثغوره قونقة وكتندة وسرقسطة وأفراغة ولاردة وفي الوسط «الثغر الاوسط» وأهم ثغوره أقليش وقلعة رباح وماردة وبطليوس Badajoz وفي الغرب «الثغر الغربى» وأهم ثغوره شنترين (95) .

تدخل الموحدون في شؤون الاندلس اعتبارا من 541 هـ / 1146 م وتمكنوا من توطيد نفوذهم في جنوبه وبعد أن تمكن عبد المؤمن من اخضاع عرب افريقية في 555 هـ / 1160 م نقل الى المغرب عددا كبيرا منهم بجوار عاصمته وضمهم الى جنده وخصصهم لحماية رعيته وأستعان بهم في غزو الاندلس (96) وبعد ازدياد جنده بما أنضم اليه من القبائل العربية جاز الى الاندلس وأقام به شهرين ، مد نفوذ الموحدين خلالهما الى غربه وعاد الى مراكش (97) .

وفي يوم الخميس السابع والعشرين من رجب عام 557 هـ / فبراير 1182 م اجتمع عبد المؤمن في رباط سلا بجند الموحدين من مسوفة

(93) أنظر أحمد مختار العبادى : دراسات ص 121.
(94) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 787 وما بعدها.
(95) محمد عبد الهادى شعيرة : المرابطون، تاريخهم السياسى ص 104.
(96) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 172، 173.
(97) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 787 وما بعدها.

ولمتونة وعرب افريقية السابق نقلهم من افريقية وضمهم للجند وغيرهم من عرب المغرب الذين لبوا نداء عبد المؤمن للجهاد فجهزهم بالخيول العربية الواردة من أرض افريقية (98) فأجتمع له من القوات النظامية المختلفة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس ومن المتطوعة ثمانين ألف فارس ، مائة الف راجل أغلبهم من القبائل العربية (99) . وتروى المصادر أنه بعد انتهاء هذه الحملة بالاندلس ، وزعت هذه القبائل العربية التى تنتمى الى زغبة ورياح وجشم على المدن الاندلسية لحماية أهلها من ناحية والاستقرار بأرضها من ناحية أخرى ، فوزع بعضهم على نواحى قرطبة والبعض الآخر على نواحى اشبيلية وكذا على مدينة شريش فأنتشر نسلهم في جنوب الاندلس حتى أنه بعد ذلك في بداية القرن السابع الهجرى ـ على حد قول عبد الواحد المراكشى ـ تمكنوا من تقديم حوالى خمسة آلاف فارس بخلاف غيرهم من الرجالة (100) ـ وهم في العادة أضعافهم ـ للقيام بالدفاع عن جنوب الاندلس . يضاف الى ذلك عائلاتهم المستقرة هناك وهذا قد يعطينا فكرة واضحة عن كثرة أعدادهم .

ونتيجة لغزو فرناندو ملك ليون منطقة وادى آنه ومهاجمة الفونسو انريكث Alfonso Enriquez الذى تسميه المصادر العربية بابن الرنك أو الريق ـ ملك البرتغال ترجاله ويابره وحصنى شبرينه وجلمانيه بجوار مدينة بطليوس (101) وتوسعه في غرب الاندلس على حساب أملاك المسلمين وحذو ابن مردنيش حذوهم ومهاجمته قرطبة (102) أرسل أبو يعقوب يوسف أخاه أبا حفص الى الاندلس في 560 هـ / 1165 م فبادر بارسال مقدمة جيشه المكون من عسكر مختار من أعيان العرب وفرسانهم ومنهم على بن محرز بن زياد (103) وأربعة آلاف فارس من

(98) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 193، يحدد كل من ابن أبى زرع والسلاوى سنة المرور فى 558 هـ، الانيس المطرب ص 131، الاستقصا ج 2 ص 128.
(99) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 132، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 128، أورد البيذق أنه بعد اجتياز الخليفة الى سلا أمر يوسف بن سليمان باعداد 14 ألف فارس من العرب ونجح فى مهمته فكافأه عبد المؤمن، اخبار المهدى ص 121.
(100) المراكشى : المعجب ص 160، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 259.
(101) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 798.
(102) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 238.
(103) ابن الثائر العربى محرز بن زياد من رياح على الخليفة عبد المؤمن .

عشيرته لتعزيز جند أشبيلية وفرسانها من العرب للاشتراك في حمايتها وكذا خمسمائة فارس منهم لتعزيز قوات بطليوس وقد تمكن هؤلاء فى خلال طريقهم من هزيمة بعض قوات شنترين Santaren وغنموا ما معهم (104) .

وعندما أرسل أبو حفص بعض جيشه بقيادة أبى سعيد وأبى عبد الله لاستخلاص قرطبة من أبى مردنيش تقابل الجيشان بحصن لك (105) ودامت الحرب بينهما طوال اليوم أظهر العرب من دروب الشجاعة والبسالة ما جعل ابن صاحب الصلاة يشبه قتالهم بقتال المؤمنين الاوائل ولكن لتفوق قوات ابن مردنيش اضطرت القوات الموحدية العربية لطلب المعونة من الامير أبى حفص في أول رمضان 560 هـ (106) فخرج بنفسه على رأس القوات الموحدية والعرب الرياحيين والاثجيين والزعبيين حيث تقابل مع قوات ابن مردنيش ومن انضم اليه من مسيحى اسبانيا بجوار مرسيه (فحص الجلاب) .

قسم ابن مردنيش جيشه الى ثلاثة أقسام اندفع الاول لمهاجمة القبائل العربية الذين يبدو أنهم كانوا في المقدمة وهاجم القسمان الثانى والثالث باقى الجيش الموحدى ولكن نتيجة لثبات العرب في الميدان وانكسار مهاجميهم على سنان رماحهم وسيوفهم أن ثبتت القوات الموحدية من أهل تينملل وهنتاتة وصبروا صبرهم والتفوا حول قوات ابن مردنيش وتمكنوا من ايقاع الهزيمة بها وأنسحب ابن مردنيش الى مرسيه هاربا (107) وأغارت القوات الموحدية العربية على الاقطار المجاورة تستاق الغنائم من غليرة Galera وقرباقه Caravaca بنواحى بسطة ولورقة (108) .

---

(104) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 50، 51.

(105) حصن لك بنواحى قرطبة بخلاف مدينة لك بضم اللام وتشديد الكاف وتعرف Lugo وهى مدينة وولاية فى شمال غرب اسبانيا فى منطقة جليقية وكذا بخلاف مدينة لك الثانية وهى بلدة من نواحى برقة بين الاسكندرية وطرابلس الغرب، ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 270، ابن الكردبوس تاريخ الاندلس ص 151، 177.

(106) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 269 — 270.

(107) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 271 — 274، ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 238، يطلق البيذق على هذه الموقعة موقعة الجلاب : أخبار المهدى ص 126 والجلاب موضع غنى على بعد أربعة أميال من مرسيه المراكشى : المعجب ص 163

(108) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 278.

ويكفى للدلالة على دور العرب المجيد في هذه الغزوة قتل سبعة من شيوخ العرب فيها هم : **ديفل بن ميمون** وحباس بن الرومية وابن الزحامس وابن زيان وأبو قطران وأبو عرفة والقائد بن معرف (109) .

وهكذا نرى أن الموحدين اعتمدوا على العرب اعتمادا كبيرا في الجيوش المحررة للاندلس واسندوا اليهم حماية المدن الاندلسية من اعدائها حتى ان الدولة الموحدية نوهت بدورهم الايجابى في الجهاد بالاندلس وحمايته فوزع أبو حفص وأخوه عثمان رسالة على طلبة وشيوخ وأعيان الموحدين باشبيلية يزف اليهم النصر مادحا العرب بقوله : «وفي خلال مقام تلك الايام تبعثت خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن الغارة في الميمنة والميسرة . وحملت الروم حملتهم المعلومة المعهودة وصمدت جملتهم اذ صمدت قبيل رياح من الغرب والتفت عليهم قبائل الموحدين فصبروا صبر أمثالهم واحتدمت الحرب وحمى الوطيس واجفل الكفرة منهزمين والسيف يأخذ منهم فوق ما يدع .. وكتب في العشر الوسط من ذى الحجة 560 هـ» (110) .

وفي 561 هـ / 1177 م اختار الموحدون شيخا من شيوخ الموحدين وهو أبو عبد الله بن ابى ابراهيم ليكون واليا على اشبيلية مأصطحب معه عسكرا من العرب والموحدين لحمايتها وتمكن بمساعدتهم من هزيمة نصارى شنترين واجبارهم على رد ما سبق أن سلبوه من مدينة طلياطة Tablada وكذلك أسر بعض جنودهم (111) .

وفي 563 هـ / 1167 م أجمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف ابن عبد المؤمن وتسميته بأمير المؤمنين (112) حيث أنه منذ تولى الحكم في 558 هـ / 1163 م تسمى بالامير رغم مبايعة أخويه صاحبى قرطبة وبجاية في 559 هـ / 1164 م (113) ولكن نتيجة لاستقرار الامور الى حد ما في المغرب والاندلس وتمكنه من الاستفادة بالقبائل العربية الموجودة في المغرب كجند ضمن الجيش الموحدى الذى قام بدور فعال

(109) البيذق : أخبار المهدى ص 116، 126.
(110) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 281.
(111) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 293 — 296.
(112) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 353، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 239.
(113) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 133.

في الجهاد في الاندلس والاستقرار في أراضيها جددت بيعيته وتسمى بأمير المؤمنين .

وفي 565 هـ / 1169 م عزم أبو يعقوب يوسف على استكمال غزو الاندلس ولكنه أرغم على تأجيل ذلك لمرضه ورغم ذلك فقد قام باستدعاء عرب افريقية طوال هذه السنة والنى تلتها محرضا اياهم على الجهاد ومثيرا فيهم شهامتهم والقربى التى تجمعهم واياه في قيس عيلان في قصيدة طويلة ثم يعود ويعاتب القبائل العربية لتأخرها في الوفود عليه بقصيدة طويلة من نفس الغرض (114) فيلبى عرب افريقية والزاب والمغرب الاوسط النداء مسارعين للمغرب رفقة أبى زكريا والى بجاية وأبى عمران والى تلمسان (115) وأبى محمد عبد الواحد والى تونس (116) مزودين بالخيل العراب ، العتاق ، المدربة عندهم والبالغ عددها أربعة آلاف من افريقية والف من تلمسان فوصلوا مراكش يوم السبت الثانى من ربيع الآخر 566 هـ / 1171 م فقسمت عليهم الدروع والبيضات والرماح والدرق والاسلحة والكسوات والعلامات والرايات وبعد أن تم تميزهم بلغ عسكر العرب عشر آلاف فارس وخمسة وثلاثون ألف راجل ونفس العدد تقريبا من جنود الموحدين (117) حتى بلغ عدد الجيش مائة ألف من العرب والموحدين والمتطوعة (118) .

عندئذ أمر أبو يعقوب يوسف بالحركة الى الاندلس فجاز أبو سعيد يخلف بن الحسين بالموحدين ثم تلاهم أبو زكريا بالقبائل العربية ودام هذا الجواز خمسة أيام (119) .

ومكث أبو يعقوب في الاندلس أربعة أعوام (120) صالت فيها القبائل العربية وجالت في ارجائها فتمكنت من استرجاع بطليوس من أيدى مسيحى أسبانيا في 566 هـ / 1170 م ووفقت في حصار وبذة **Huete** والانتصار على أهلها ولا يقلل من شأن دور العرب في جهاد الاندلس في

(114) القصيدة الاولى من نظم ابن طفيل والثانية من نظم ابن عياش أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 368، 411 — 415.
(115) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 240، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 134.
(116) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 418.
(117) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 418 — 430، 436، 451.
(118) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 134.
(119) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 451.
(120) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 799.

خلال هذه الفتــرة موقفهــم المتخــاذل في موقعــة قــونكــة Cuenca عندما رأى الموحدون مواجهة المسيحيين هناك ولكن العرب رأوا أن أرض المعركة ليست ملائمة لطريقتهم في القتــال فهى جبلية وعرة بينما هــم يناسبهم الارض السهلة المترامية الاطراف المناسبة للكر والفر مما ادى الى أن اتهمهم ابن صاحب الصلاة بالجبــن والهزيمة (121) .

وبعد عــودة أبى يعقوب يوسف الى مراكش لم تلبث أن ســاءت الاحوال من جديد في الاندلــس اذ تمكن القشتاليــون بمساعدة المونسو الثانى ملــك ارغــون من الاستيلاء على قونكة في 572 هـ / 1176 م ثــم أخذت ضربات مسيحى أسبانيا تتوالــى على امارات المسلمين فعــزم أبو يعقــوب على الجواز الى الاندلــس للمــرة الثانيــة (122) ، فأخــذ في استدعاء العرب من افريقية (123) فوفد ابو سرحــان مسعود بن سلطان أمير رياح عليه بمراكش في جيش عظيم من وجوه قومه برسم الخدمة (124).

وبعد أن جهز الجيش بالمجانيق والسلاح والخيول والاموال اللازمة ميــز أبو يعقوب الموحدين والعرب في جمادى الآخر 579 هـ / 1184 م تمهيدا للغــزو ووزع الاخبية على الفرسان لكل عشرة منهم خباء ثم أقلع الجيش الــى رباط الفتــح بســلا قاصدا افريقية ـ ويبدو أن ذلك بسبب عــدم استجابــة القبائل العربيــة بها للدعــوة لغزو الاندلس ـ وحينما وصل الى المهدية (125) وفدت عليه فرسان العرب رفقة أبى محمد ابن أبى اسحاق ابن جامــع معلنين الطاعة والبراءة ممن ثار من القبائل العربية التــــى هربت الى الصحارى عندما علمت بخروج الخليفة الى افريقية وتتابعــت الوفود العربية الى المهدية فأجزل الخليفة لهم العطاء فأمدوا حملته بثلاثين ألف من الفرســان والمشــاة (126) .

وفي 580 هـ / 1184 م جازت الجيوش الموحدية الى الاندلس وفي مقدمتها القبائل العربية (127) متوشحين بالسيوف الهندية والدرق اللمطية

(121) ابــن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 400، 492، 494، 507.
(122) السيد عبد العزيز ســالم : المغرب الكبير ج 2 ص 800.
(123) السلاوى : الاستقصــا ج 2 ص 136.
(124) الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 259.
(125) تقــع فى شمــال مدينــة ســلا بالمغرب .
(126) ابــن عذارى : البيــان المغرب ج 4 ص 54 — 60.
(127) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 140، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 138.

والقس الخطية (128) وحاصرت مدينة شنترين مفتاح وادى التاجو من بـلاد غرب الاندلـس وأمر الخليفة ابنه أبا اسحاق بغزو مدينة أشبونة وشن الغارات على أنحائهـا وأن يتحرك اليها بقوات الاندلس فقـط وأن يكون رحيله نهارا فأساء الفهم ورحل ليـلا فاتبعته القوات الموحدية وجاء صباح اليـوم التالى ليجـد الخليفة نفسه بـدون جنـده فاستغـل المسيحيون الفرصة وهاجموه وأصابوه بمقتل (129) .

وخلفه ابنه يعقوب المنصور الذى سار على سياسة آبائه في ضرورة توحيـد المغـرب الكبيـر فقضى على ثورات افريقية ونظم أمورها وبعـد أن تم له ذلـك رأى أنـه حان الوقت للانتقـام لهزيمة أبيه ومقتله فـى الاندلس ففتح بـاب التطوع لجميع المسلمين من بربر وعـرب وغيرهم في جبـال وسهول المغـرب فأتتـه معظم القبائل العربية (130) .

وفي 586 هـ / 1190 م حينما علم مسيحو أسبانيا بانشغاله في بلاد افريقيـة هاجموا مدن شلـب **Silves** وباجـة ويابـرة **Evora** من غرب الاندلس فأستعظم المنصور ذلك وكتب الى امـراء الاندلس يأمرهم بمواجهتهم وعبر بجيشه الذى ازداد عـدده بفضل من انضـم اليه مـن القبائل العربية المنقولة الى المغرب الاقصى (131) . وتظهر براعة هـذا المجاهـد الكبير في استطاعته تجنب لقـاء اعدائه مجتمعين وان ينفـرد بهـم واحـدا بعـد الآخـر (132) .

---

(128) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 62.

(129) ابـن أبى زرع : الانيس المطرب ص 140، 141، المراكشـى : المعجـب ص 258، 261، أشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ج 2 ص 74، أحمـد مختـار العبـادى : دراسـات ص 354.

(130) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 128، أحمد مختـار العبـادى : دراسات ص 358، 359، 361.

(131) ابـن أبى زرع : الانيس المطرب ص 144، السيد عبد العزيز سـالم : المغرب الكبير ج 2 ص 805 لاحظ دور البحرية الموحدية فى هذه الحملات أنظر أحمد مختـار العبـادى : دراسـات ص 364 .

(132) من المعروف أن الخليفة يعقوب المنصور فضل التحالف مع ملك قشتالة وملك أرجون كى يتفرغ لمحـاربة ملك البرتغـال ثم رأى بعـد ذلـك أن يتحالف مـع ملكى ليون ونافارا وأراجون كى ينفرد بملك قشتالة فى ميدان المعركة. أنظر :
Lévi Provencal : Les Trente Septs Letires officielles Almohades PP. 218 - 228 (Rabat 1941).
أحمـد مختار العبادى : الموحدون والوحدة الاسلامية ص 29 مقالة بمجلة التربيـة الوطنية السنة الثالثة. العدد 2 أبريل 1962.

بدأ المنصور بمملكة البرتغال اذ كانت أشد الممالك الاسبانية خطورة على المسلمين وقد سبق أن استشهد فيها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن والد المنصور . هاجم المنصور مملكة البرتغال في 587 هـ / 1191 م برا وبحرا وحطم قواها وخرب حصونها وديارها واكتسح أراضيها ولم يجرؤ ملكها سانشو هنريك Sancho I Enriquez على مواجهة المنصور في معركة عامة مكشوفة بل ظل مختفيا وراء جدرانه لا حول له ولا قوة (133) . وعاد المنصور الى المغرب بعد أن صالحه صاحب قشتالة على خمس سنين لا يهاجم أحدهم الآخر ولكن في نهاية هذه الهدنة ووقوع الخليفة فريسة لمرض أيأس اطباءه (134) طمع فيه المجاورون له فتربص به ملك قشتالة وثار العرب بافريقية وعادت تشتعل نارا .

ثم شفى الخليفة من مرضه وعزم على الخروج بنفسه لمحاربة الخارجين عليه وأضطر الى البدء بالجبهة القشتالية (135) فعبر الى الاندلس سنة 591 هـ / 1195 م في جيش كبير من الموحدين والعرب ثم زحف شمالا حتى انتهى الى الموضع المعروف بالارك وهو قريب من قلعة رباح وهناك عقد مجلسه الاستشارى المكون من شيوخ العرب والموحدين للتشاور في كيفية ادارة الحرب مع المسيحيين (136) وعقد للقائد ابن صناديد على جيش الاندلس ولجرمون بن رياح على القبائل العربية ولمنديل بن عبد الرحمن المغراوى على قبائل مغراوة ولمحيوا بن أبى بكر ابن حمامة المرينى على قبائل بنى مرين ولجابر بن يوسف على قبائل بنى عبد الواد ولعباس بن عطية على قبائل بنى توجين وللتلجين بن على ، على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ولمحمد ابن منغفاد على قبائل غمارة وللفقيه الصالح أبى خزر يخلف بن خزر الاوربى على المتطوعة والجميع تحت قيادة أبى يحيى بن ابى حفص زعيم هنتاتة (137) .

---

(133) أحمد مختار العبادى : الموحدون والوحدة الاسلامية ص 29، مقالة بمجلة التربية الوطنية بالمغرب السنة الثالثة العدد 2 أبريل سنة 1962.
(134) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 165.
(135) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 157 — 158.
(136) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 146.
(137) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 165 — 169.

وزع أبو يحيى الرايات على رؤساء أمراء القبائل وقسم عساكره على النحو التالى : عسكر الاندلس في الميمنة وزناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في الميسرة والمتطوعة والاغزاز والرماة في المقدمة وبقى هو وقبيلة هنتاتة في القلب (138) .

وبعد توزيع القوات خرج جرمون بن رياح يتنقل في صفوف المقاتلين مشجعا اياهم على الثبات والصبر في ميدان القتال وفجأة تقدمت محموعة من فرسان مسيحى أسبانيا تقدر بنحو عشر آلاف فارس مدججين بالسلاح مدرعين بالحديد لالقاء الرعب في نفوس المسلمين فبرز من امراء العرب عامر الزعيم مشاركا جرمون في تشجيع المسلمين دافعا بقبائله العربية من الميسرة الى جموع الفرسان الذين تمكنوا من اختراق القلب ونجحوا في قتل قائد الجيوش الاسلامية أبى يحيى وتمكنت القبائل العربية والمتطوعة التى حذت حذو العرب من الاحاطة بهم ووقع فرسان أسبانيا المسيحيين بين شقى الرحى تطحنهم القوات الاسلامية طحنا فانكسرت شوكة جيش الفونسو الثامن الملقب بالصغير Chico حيث كان جل اعتماده على هؤلاء الفرسان (139) .

وفي نفس الوقت أظهر المنصور في هذه الوقعة شجاعة وبسالة نادرة مهدت له النصر فيروى المؤرخون أنه حينما رأى انكسار مقدمته أمام هجمات العدو ترك مقر قيادته وسار منفردا الى الصفوف الامامية حيث القى على جنوده بعض نصائحه وتوجيهاته العسكرية في كيفية النفوذ الى العدو ثم عاد ثانية الى موضعه فلما وقعت أعين الناس عليه وعلموا بالدور الذى قام به حميت نفوسهم وحملوا على العدو حملة صادقة انتهت بالنصر (140) وأسرع بعض فرسان العرب الى يعقوب يبشرونه بهزيمة العدو (141) وهكذا تمكن العرب سواء عن طريق تشجيعهم للمقاتلين في ميدان القتال من ناحية واندماعهم للقتال

---

(138) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 165 — 169.

(139) يذكر ابن أبى زرع أن عامر الزعيم العربى شجع القوات الاسلامية بقوله «عباد الله انكم حزب الله وأثبتوا للقتال بين يدى أعداء الله فان حزب الله هم المفلحون وهم المنصورون وهم الغالبون» : أنظر الانيس المطرب ص 149 — 150.

(140) أنظر ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 163، الشريف أبو القاسم محمد الغرناطى : كتاب رفع الحجب المستورة فى محاسن المقصورة ج 2 ص 156 (القاهرة 1344هـ)، أحمد مختار العبادى : الموحدون والوحدة الاسلامية ص. 30 مقالة بمجلة التربية الوطنية بالمغرب السنة الثالثة — العدد 2. أبريل سنة 1962.

(141) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 149 — 150.

في اللحظة المناسبة من ناحية أخرى من العمل على احراز النصر في موقعة الارك Alarcos واسترداد الموحدين لبعض الحصون القشتالية مثل ملجون وبنافنتى وكاراكويل وقلعة رباح ويعلل الاستاذ ميراندا Huici Miranda هزيمة القشتاليين بأن جيش الموحدين كان يحسن الكر والفر ويجيد الرماية بالسهام (142) وهى خصال تتوفر فى العرب وتتفق مع طريقتهم في القتال .

بقى يعقوب المنصور بالاندلس حتى 592 هـ / 1196 م وتمكن من الاستيلاء على حصن منتانجش Montanchez بعد استسلام حاميته وتأمين الخليفة لهم وعند توصيل الحامية لاقرب المواضع الى بلادهم هاجمتهم بعض قوات العرب ووضعوا فيهم السيوف حتى أفنوهم وسبوا ما كان برفقتهم من النساء والاولاد وحينما علم الخليفة بذلك ثار وغضب لانتهاك العرب لامانة وعهده فقبض على هذه القوات وسجنها وجمع النساء والاطفال وأوصلهم الى أول حدود بلادهم (143) وكذا استولى على ترجالة Trujillo وبالنثيا Palencia منزلا الخراب والدمار بأنحاء مملكة قشتالة مما دفع ملكها الى طلب السلم والمهادنة لمدة عشر سنوات فوافق يعقوب المنصور وعاد الى مراكش حيث توفى في 595 هـ / 1199 م (144) .

ولم ينس الفونسو الثامن ملك قشتالة هزيمة الموحدين له فى الارك فظل يفكر في محور آثار الهزيمة وبدأ يحصن قلاع بلاده الواقعة على الحدود الاسلامية وتحالف مع كل من ملكى نبرة وأرغون وفى 607 هـ / 1210 م نقض القشتاليون الهدنة القائمة بينهم وبين الموحدين (145) فكتب الناصر الى جميع بلاد افريقية والمغرب وبلاد القبلة يستنفر المسلمين للغزو فأجابه خلق كثير ورغم ذلك فقد الزم كل قبيلة من القبائل العربية ببلاد المغرب بحصة من الخيل والفرسان

---

(142) Huici Miranda : La Campana de Alarcos, Revista dei Instituto Egipcio de Estudios Islamicos de Madrid, Vol II, 1959, P. 24.
السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ 2 ص 811.

(143) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ 2 ص 813.
Huici Miranda : La Compana. P. 50.

(144) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ 2 ص 814 — 815.
Huici Miranda : La Campana. P. 50 - 55.

(145) السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 195، 196، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ 2 ص 819.

والرجالـة للانضمام الى الجيش الموحدى والخروج معه للجهاد بالاندلس ولما تكاملت لديه الحشود تحرك الى الاندلـس في 19 شعبان 607 هـ / 1211 م (146) ووصل الى أشبيلية وأقـام بها للراحة والاستعداد للغـزو فأجتمـع له في هذه الغـزوة من أهل المغرب والاندلـس ستمائـة ألـف مقاتـل قسمهم الى خمـس فـرق :

الاولـى من العـرب والثانيـة من زناتـة وصنهاجـة والمصامـدة وغمـارة وسائـر أصنـاف قبائـل المغـرب والثالثـة من المتطوعـة والرابعـة من جنـد الاندلـس والخامسـة من الموحدين وأنـزل كل فرقة منهـم بناحيـة (147) ولما انتهـى من تنظيـم جيشه تحرك في أوائـل 608 هـ / 1211 م الى بـلاد قشتالة واستولى على قلعتى اللج وشلبطـرة معتمدا في ذلك على الفرقة العربيـة من جيشه (148) .

زحفت الجيوش المسيحية من طليطلة في 609 هـ / 20 يونيو 1212 م واستولت على ملجـون وعلى قلعة ربـاح Calatrava بعد أن حاصرتها ويئـس قائد حاميتهـا من نجدة الناصر له ففضل تسليمها مقابل خروجه بقواته والمسلمين آمنين على أنفسهم فغضب الناصر لذلك وأمر بقتلـه في اشبيلية وأثـار ذلك غضب الفرقة الاندلسية في جيشه فعزل قوادهـم واستبقى الجنود وأخطـأ بذلك نظـرا للتعود قواد الاندلـس محاربـة المسيحيين بها ودرايتهم بخططهم في القتـال . والتقى الجيشان وجيـش المسلمين على هذه الحالة من التفكك (149) بموضع يعرف في المصـادر العربية باسم العقاب وفي المصادرة الاسبانيـة Las Naves de Tolosa

---

(146) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 154، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 196

(147) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 155، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 197 :
René Millet : Les Almohades, Paris, 1952 P. 139.

(148) ابـن عـذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 239.

(149) أنظـر ابـن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 157، السيـد عبـد العزيز سـالم : المغرب الكبير ج 2 ص 823 — 825.

(150) فقامت فرقة المتطوعة البالغ عددها مائة وستون ألف بهجوم خاطف ولكن القوات المسيحية تمكنت من امتصاص الفرقة بأكملها بداخلها ورغم تفانى المتطوعة في القتال فقد استشهدوا عن آخرهم وباقى الفرق الاخرى من الجيش الموحدى ينظرون الى فنائهم دون أن يمدوا اليهم يد المساعدة (151) .

فرغ المسيحيون من فرقة المتطوعة فهاجموا القوات الموحدية العربية الباقية ودار القتال عنيفا بينهم وانتهزت الفرقة الاندلسية الفرصة وولت الادبار انتقاما بما فعله الناصر بقوادها فكان ذلك بداية الهزيمة لجيوش الموحدين اذ حذت حذوها فرقة القبائل البربرية ثم تلتها فرقة الموحدين وآخر من ترك ميدان المعركة الفرقة العربية التى اشتبكت وتلاحمت بالسيوف مع المسيحيين مدافعة عن الناصر ورغم ذلك تمكن المسيحيون من الوصول الى الدائرة التى تحيط به وقتلوا من عبيد دائرته نحو عشرة آلاف فارس .

أدركت الفرقة العربية أن الهزيمة قد حاقت بالجيش الموحدى وأن المسيحيين قد أوشكوا على قتل الخليفة الناصر (152) فقام بعض فرسانها بمعاونة الخليفة على الفرار حتى تخلى أحدهم عن فرسه العربى الاصيل للناصر لبدانة فرسه وثقله قائلا له : «اركب هذه الحرة فانها لا ترضى بعار فلعل الله ينجيك عليها فان في سلامتك الخير كله» فركبها الناصر تتقدمه نخبة من فرسان العرب ويحيط به عبيده والقوات المسيحية في أعقابهم حتى تمكنوا من الفرار به (153) وقضى على معظم الجيش

---

(150) يطلق اسم نافاس Navas فى اللغة الاسبانية على الوديان الفسيحة أو الاراضى الوطيئة والمقصود هنا الوديان التى تنساب بين جبل الشارات وقد وقعت هذه الموقعة فى أحد الوديان القريبة من بلده تولوسا ولهذا عرفت فى المصادر الاسبانية باسم لاس نافاس دى تولوسا Las Navas de Tolosa أما التسمية العربية فهى العقاب (بضم العين) نسبة الى حصن أو قصر قديم مرتفع ينسب الى الامويين ما زالت بقايا هذا الحصن باقية حتى الان كما لا يزال الاسم الاسبانى لاس نافاس دى تولوسا يطلق على قرية هناك فى ولاية جيان Jaen تخايدا لذكرى هذه الموقعة أنظر : Henri Terrasse : Histoire du Maroc I. P. 341. أحمد مختار العبادى : دراسات ص 176، 177.

(151) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 158، انظر أحمد مختار العبادى : دراسات ص 370 واثر هذه الموقعة فى انهيار نفوذ الموحدين فى الاندلس.

(152) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 199 — 200.

(153) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 159.

الموحدى وعاد الناصر الى مراكش حزينا حيث احتجب بقصره الى أن توفى في شعبان 610 هـ / 1213 م أى بعد سبعة شهور من هزيمة العقاب (154) .

ولقد انهار تماما نفوذ الموحدين في الاندلس بعد هذه الكارثة وأخذت المدن الاندلسية تتساقط في يد المسيحيين ويسجل تاريخ وفاة محمد الناصر بداية انهيار دولة الموحدين التى امتدت رغم ذلك حتى 668 هـ / 1269 م سنة مقتل أبى دبوس أمام أسوار مراكش التى دخلها بنومرين (155) .

رابعا : ثورات العرب ودورهم في انهيار الدولة الموحدية :

تمكن الموحدون من اصطناع القبائل العربية سواء بنقلهم الى المغرب الاقصى والعمل على استقرارهم به أو بادخالهم في خدمتهم وضمهم للجيش . ورغم ذلك فلم تكن جميع هذه القبائل تعطى الود خالصا للموحدين فما أن تضطرب الاحوال السياسية للدولة حتى نراهم ثائرين أو مؤيدين للحركات الخارجة عليها . وتركزت ثورات القبائل العربية في افريقية ومناطق استقرارها ببلاد المغرب وكذا يلاحظ أنهم منحوا تأييدهم ومساعدتهم لمن انتسب لذرية على بن أبى طالب .

ففى 541 هـ / 1146 م ثار محمد بن هود الماسى على الموحدين وتلقب بالهادى وادعى الهداية اقتداء بالمهدى بن تومرت وظهر برباط ماسة في بلاد السوس حيث نشر دعوته (156) فآمن به أهل سجلماسه ودرعة وقبائل دكالة ورجراجة وتامسنا وهوارة من البربر ومعظم قبائل العرب المستقرة بالمغرب مما اضطر الخليفة عبد المؤمن لارسال حملة للقضاء على هذه الثورة ولكنها فشلت فجهز جيشا كبيرا بقيادة أبى حفص عمر بن يحيى وبعض شيوخ الموحدين التقى بالثوار فى رباط ماسة وعددهم نحو ستين ألف راجل وسبعمائة من الفرسان وتمكن

---

(154) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 200، أحمد مختار العبادى : دراسات ص. 370.

(155) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 828، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 370.

(156) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 232، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 159.

الموحدون من هزيمتهم وقتل داعيتهم والكثير من اتباعه من البربر والعرب وذلك في 548 هـ / 1153 م (157) .

وفي 575 هـ / 1179 م ثار على بن المعز المعروف بالطويل من أعقاب بنى الرند بقفصة وتلقب بالناصر لدين النبى (158) بتحريض من واليها السابق يعلى بن المنتصر الذى خلعه عبد المؤمن بعد استيلائه على افريقية وأمر بنقله الى مراكش فتآمر على الموحدين وراسل العرب وكذا على بن المعز في ذلك ويبدو أن الذى وشى به للخليفة يوسف بعد ذلك بعض عرب افريقية الذين كان عبد المؤمن قد نقلهم الى المغرب (159) .

وعندما فتح يوسف بن المؤمن بجاية في 576 هـ / 1180 م قبض على يعلى بن المنتصر اذ ضبطت المخاطبات المتبادلة بين يعلى بن المنتصر وبين متولى قفصة والعرب بافريقية فزحف يوسف الى قفصه فوفدت عليه شيوخ عرب رياح معلنين الطاعة طالبين الامان في دورهم وانفسهم فاجابهم الى طلبهم (160) وحاصر قفصة حتى هرب منها على ابن المعز الى تونس فولى اخاه ابا على افريقية والزاب وكذا أخاه ابا موسى على بجاية وعاد الى مراكش (161) مصطحبا معه سادة عرب افريقية وعائلاتهم حيث وزعهم على بلاد المغرب ليستقروا بها (162) .

ولكن سرعان ما ثارت القبائل العربية بقيادة عرب سليم بافريقية مرة أخرى في 579 هـ / 1183 م وتمكنت من هزيمة الجيوش الموحدية الخاصة ببجاية وافريقية بالقرب من قابس (163) وتمكنوا من أسر أبى على وأبى موسى واشترطوا دفع فدية كبيرة في سبيل الافراج عنهما وبعد التفاوض مع الموحدين قبل العرب تخفيض الفدية الى ستة وثلاثين

(157) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 232.

(158) المراكشى : المعجب ص 252، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 240، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 797.

(159) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 240.

(160) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 32 أما ابن خلدون فيشير الى أن يوسف انتقم من شيوخ العرب وتتلهم : أنظر العبر ج 6 ص 240 أما ابن أبى زرع فيشير الى وفود رياح على الخليفة بهدف الخدمة والانضمام الى الجيش : أنظر الانيس المطرب ص 139.

(161) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 240.

(162) البيذق : أخبار المهدى ص 120.

(163) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 52.

ألف مثقال فلما أخبر الخليفة الموحدى بذلك استكثر المبلغ وأدرك أن في دفعه تدعيم لقوى عرب افريقية وتشجيعهم على الاستهانة بسلطة الدولة فاحتال لمنع ذلك بأن أرسل لهم دنانير من النحاس مموهة بالذهب فأنخدع العرب وأطلقوا سراح الاسيرين ومن كان معهما من الخدم والحشم (164) .

وفى 589 هـ / 1193 م قامت ثورة ببلاد الزاب بقيادة الاشل ودعا لنفسه وبايعه أهل تلك الجهات (165) من نسل عرب الفتح اليمنيين والمضريين خصوصا بنى حمدون الجذاميين (166) وكذلك جاءته القبائل العربية بالمغرب الاوسط مما اضطر السيد أبو زكرياء والى بجاية من الخروج بنفسه للقضاء على هذه الثورة فحاصرته جيوش الاشل العربية وهموا بالفتك به ولكنه تمكن من الفرار واللجوء الى قلعة حماد وبالمؤامرة والخديعة تمكن من أسر زعماء العرب وأولادهم بعد أن دعاهم الى وليمة بالقلعة وقرر عدم اطلاق سراحهم الا بعد تسليمهم لرئيس الثورة الاشل (167) .

وكان الاشل قد أدعى الانتماء الى العلويين وارتدى الثياب الفاخرة وتعمم بعمامة خضراء واقنع اتباعه بلسان حضرى عربى فصيح حتى ان العرب فضلت أن يأتى القتل على جميعهم ولا يغدروا به ويسلموه ولكن أمهات المحجوزين من نساء العرب ثاروا على عشائرهم ورفضوا أن يقتل أبناؤهم في سبيل رجل دعى منافق سارق وطردوا أزواجهن من خبائهن فأختلفت القبائل على الاشل وعندما أحس بذلك أراد الفرار ولكن قبض عليه وسلم هو ووزيره لابى زكرياء فضرب عنقه وعنق صاحبه وأطلق سراح المعتقلين (168) .

وعند تولية الناصر لدين الله في 595 هـ / 1199 م ظهر بالمهدية ثائر يدعى محمد بن عبد الكريم الرجراجي (169) الذى دعا لنفسه بالخلافة بعد أن تمكن من الاستعانة ببعض القبائل العربية مثل قبيلة رياح

(164) المراكشى : المعجب ص 196، 197.
(165) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 154.
(166) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 243.
(167) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 154، 155.
(168) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 155 — 157
(169) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 247.

واشياعها فنازع ابن غانية والموحدين وهاجم تونس ودمر قراها 596 هـ / 1210 م وحاصر ابن غانية بقابس . ولكن لظروف لا نعرف أسبابها تخلى عن مناصرته الشيخ محمد بن مسعود البلطى شيخ عرب رياح وتبعته بطبيعة الحال عصبيته وأشياعه من العرب وانضموا الى ابن غانية الذى تقوى بهم وتمكن من هزيمة الرجراجى في قفصة ثم حاصره في المهدية ودخلها وقتله في 599 هـ / 1203 م (170) .

وفي بلاد جزوله بالمغرب الاقصى ثار عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن الفرس من طبقة العلماء بالاندلس ويعرف بالمهر وقد سبق له أن حضر مجلس المنصور وأدلى برأى خشى عاقبته فبعد خروجه من المجلس أختفى عن الانظار وبعد وفاة المنصور ظهر في بلاد جزولة بالمغرب الاقصى مدعيا الامامة وأنه القحطانى المقصود فى قول النبى (صلعم) لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يملؤها عدلا كما ملئت جورا ... الخ (171). فادعى عبد الرحيم هذا أنه القحطانى المنتظر وأخذ ينشد شعرا للحصول على تأييد عرب المغرب مثل قوله :

قولوا لابناء عبد المؤمن بن على ... تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء سيد قحطان وعالمها ... ومنتهى القول والغلاب للدول
والناس طوعا عصاه وهو سائقهم ... بالامر والنهى بحر العلم والعمل
وبادروا أمره فالله ناصره ... والله خاذل أهل الزيغ والميل

ولكن نتيجة لعدم استجابة جميع عرب المغرب لدعوته وقيامهم لنصرته تمكنت جيوش الموحدين من القضاء على ثورته (172) .

وفي 600 هـ / 1204 م ثار محمد بن عبد الله بن العاضد وهو حفيد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر ، ظهر بجبال ورغة من أحواز فاس (173) بعد مدة ثلاث وثلاثين سنة من قضاء صلاح الدين الايوبى على الدولة الفاطمية الشيعية بمصر 567 هـ / 1171 م (174) ظهر لكى

(170) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 247.
(171) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 250. السلاوى : الاستقصا ج 2 ص195.
(172) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 250.
(173) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 195.
(174) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج 3 ص 326، الشيال : تاريخ الحضارة المصرية ج 2 ص 457.

يعيد للدولة الفاطمية نفوذها القديم في المغرب معتمدا على بقايا العناصر العربية المتخلفة من الدولة الادريسية بالمغرب الاقصى في مدينة فاس وما حولها والفاطميين واتباعهم الذين سبق لهم النزوح من مصر الى المغرب بسبب الصراع الدامى بين عناصر الجند من المغاربة والسودانيين والاتراك والعرب وغيرهم (175) مستغلا انتمائه الى آل البيت . وبعد أن تمكن الموحدون من قتله (176) حمل لواء الثورة من بعده ابنه الذى ادعى انه الفاطمى وتمكن من السيطرة على جبال غمارة في شمال المغرب وبايعه أهلها وأهل البادية المجاورين من البربر والعرب الذين نقلوا من افريقية ولكن الناصر تمكن من القضاء عليه فى 610 هـ / 1213 م (177) .

وبعد أن تولى الحكم يوسف المستنصر ظهر في 612 هـ / 1215 م ببلاد جزولة (178) رجل من العبيديين ادعى الانتساب الى العاضد وتسمى بالمهدى وتقدم حتى وصل نواحى فاس باعوانه من العرب ولكن تمكن عامل المستنصر على فاس من القضاء على ثورته بعد أن بذل لشيعته من المال ما دفعهم الى القبض عليه وتسليمه اياه فقتله (179) وهكذا

(175) ابن ميسر : تاريخ مصر ص 21، يذكر المقريزى فى احداث 488 هـ/1095م. انه كان للمستنصر أولاد فروا الى المغرب منهم محمد واسماعيل وطاهر وعاد منهم فى خلافه الحافظ واحد الى مصر ولا عقب له ويضيف الى ذلك أنه فى 526هـ/1131م خرج أبو عبد الله الحسين بن نزار بن المستنصر وكان قد توجه الى المغرب مستخفيا وجمع هناك جموعا كثيرة ليعود بهم الى مصر وفى 556هـ/1160م قدم من المغرب حسين بن نزار بن المستنصر الى برقة ودعا الى نفسه فاجتمع عليه قوم كثير وتلقب بالمستنصر وعزم على المسير الى القاهرة مما يرجح أن بلاد المغرب فى خلال هذه الفترة قد أصبحت ملجئا لامراء الدولة الفاطمية وانصارهم من الجند. أنظر اتعاظ الحنفا باخار الائمة الفاطميين الخلفا ج 3 ص 15، 147، 246، الشيال : تاريخ الحضارة العربية ج 2 ص 446.

(176) بعد قتله حمل رأسه الى الناصر الذى أمر تعليقها على باب الشريعة بفاس واحراق جسده فى وسط الباب المذكور بعد صلبه لمدة خمسة عشر يوما وكان حرقه فى اليوم الذى تم فيه سور المدينة بعد اصلاحه وتجديده واتمام الباب المذكور فركبت مصاريعه فسمى به باب المحروق لاجل حرق العبيدى فى وسطه يوم تمامه. أنظر الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ص 84، أبو الحسن على الجزنائى : زهرة الاس فى بناء مدينة فاس ص 33.، ليفى برونفسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ص 75 وما بعدها.

(177) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 181، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 195.

(78) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 245.

(179) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 250، 251.

الحقت هذه الثورة بالمحاولات السابقة لاقامة الخلافة الفاطمية في المغـرب بعـد سقوطها في مصـر .

ولما توفى المستنصر وتولى الخلافة عبد الواحد بن يوسف **بن عبد** المؤمـن 620 ـ 621 هـ / 1224 م اتسم عهده بالفوضى وتفرق أمـــر الموحدين والتصارع على السلطة فاستقل أبو محمد عبد الله بن يعقـوب المنصور بامـر الموحدين بالاندلس وأيـده بعض أعيانهم بالمغرب مخلعوا عبد الواحد وقتلوه بعد شهـور من ولايته واستدعوا أبا محمد من الاندلس وتلقـب بالعـادل .

استعان العادل بشيوخ جشم وعرب الخلط وسفيان (180) لتعزيز قواته ودخول مراكش ورغم ذلك فقد قاسى الامرين من العرب المستقرين في المناطق الممتدة ما بين سـلا ومراكش وازداد الامـر سوءا بتحلى عرب الخلط عنـه واغارتهم على نواحـى مراكش مخربين بلاد دكالة . أرسل اليهم العـادل قواته للقضاء على ثورتهم ولكنها منيت بهزيمة تلو أخرى خصوصا بعد أن تحالفوا مع قبائل هسكورة وغيرهم من الموحدين على خلعه فهاجموا مراكش واقتحموا عليه قصره ونهبوه وقتل العادل خنقـا في 624 هـ / 1227 م (181) .

بايـع الموحدون يحيى بن الناصر 624 ـ 627 هـ / 1227 ـ 1230 م ودخل مراكش وبايعت عرب الخلط بقيادة أميرها هـلال بن حميدان ابن مقدم منافسـه بالاندلس ادريس المأمون ابن المنصور (182) الذى رحب بذلك وأشاد بالعرب من جشم والخلط وهلال حينما أجاب على بيعتهـم بقولـه : (183)

---

(180) رافقـه هلال بن حميدان بن مقـدم أمير الخلط وتخلف عن ركبه ابـن جرمون أميـر سفيـان .

(181) ابـن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 260، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 252، السلاوى : الاستقصـا ج 2 ص 207.

(182) السـلاوى : الاستقصـا : ج 2 ص 208، 209.

(183) والقصيدة من نظـم أبى زيـد الفازازى أنظر ابن عذارى : البيان المغـرب ج 4 ص 273 — 274.

الطعن والضـرب منسوبان للعـرب   بالسمهريـة والهنديـة القضـب
حازوا الوفاء الى الاقدام وانتسبوا   الى خلال المعانـى كل منتسـب
تجشمت جشم نصر المعـد لهـا   اسنـى الجوائز من مال ومن نشب
وجاءت الخلط المشكـور مقدمهـا   كالاسد تبـدو عليها صدره القضب
اما هـلال فقـد أوفـى بذمتـه   وغـاء راع لحـق الـديـن والادب
راى الخلافـة حلت غيـر موضعها   فـدركتـه عليهـا غيـرة العـرب

وبينما كانت جيوش الموحدين تهاجم عرب الخلط لترغمهم بالقوة على المبايعة (184) أخذ يحيى بن الناصر في التنديد والتعريض بهم ردا على تمجيد المأمـون لهم بقصيـدة منها (185) :

نسبت شـر عبيـد العجم للعرب   جهلا بفضل رسول اللـه والنسب
اصغ لتسمـع انساب الذين هـم   شعاركم في الخطوب السود والنوب
كانت عبيد العصا للقرمطى فـاذا   وافى الموفق لاذت منـه بالهرب
حلـت محـلاة بترا فقـد رحلـت   عنهـا بنو جشم من مائهـا الاشب
ونيطت الخلـط الزرى بهم نسبا   كانها القبـس الصيفـى بالذنـب
أما هلال فقد حـاق المحاق بـه   لاقى الوبالين من حرب ومن حرب

فشلت القوات الموحدية في كسر شوكة العرب الثائرين الذين أخذوا في شن الغارات على أطراف مراكش وقطع الطرق على أهلها منزليـن بالموحديـن هزائم متكـررة مما أدى الى اضطراب أحوال المغرب الاقصى وانتفـاض البـلاد بالثـورة (186) .

زحف المأمون من الاندلس وعند الجزيرة الخضراء ـ على أبـواب المغرب ـ علم أن شيوخ الموحدين نكثوا بيعته ولكنه رغم ذلك قرر العبور الى المغرب معتمـدا على محالفة عـرب الخلط وجشم (187) ومعاونـة

---

(184) ابـن أبى زرع : الاتيـس المطرب ص 165، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 209.
(184) ابـن أبى زرع : الانيس المطرب ص 165، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 209
(185) القصيدة من نظـم أبى عبد الله بن الصفار المعروف بالبرنامج. أنظر ابـن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 275.
(186) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 209.
(187) ابن خلـدون : العبر ج 6 ص 252، 253، السلاوى : الاستقصـا ج 2 ص 212.

خمسمائة فــارس من جنود مملكة قشتالة (188) مقابل التنازل عن عشرة حصون بالاندلــس لقشتالة واقامة كنيســة بمراكش حتى يتمكــــــن المسيحيون من مباشرة شعائرهم الدينية (189) وقد أرجع البعض ميوله الاسبانيــة أو الاندلسية الى أن أمه كانت حفيدة لابن مردانيش وكذلك الى زوجته حبابه التى كانت في الاصل جارية مسيحية اسبانية (190) .

تقابل المتنافسان على السلطة بجبل ايجليز بجــوار مراكش فــى 627 هـ / 1230 م (191) ، فوقف عرب الخلط في صف المامون وعـــرب سفيان في صف يحيى وهزم يحيى وانسحب باتباعه من العرب متحصنا بدروب الجبــل وشعابه (192) ودخل المأمون مراكش وقتل من تذبذب في طاعته من شيوخ الموحدين (193) واذن للمسيحيين القادمين معه ببنــاء الكنيســة وسط مراكش ورنت بها اجراسها (194) مما أدى الى اعتــراض قاضى الجماعة بمراكش أبى محمد عبد الحق فقبض عليه المأمون وسلمه لهلال بن حميدان الخلطى الذى أطلق سراحه مقابل فدية بخمســة آلاف دينــار (195) .

وفي خلال غياب المأمون عن مراكش بسبب محاصرته لاخيه أبــى موسى عمران في 629 هـ / 1232 م هاجمها يحيى بن الناصر وأحلافه من عرب سفيــان بقيادة أميرهم جرمون بن عيسى (196) وهدموا كنيســة النصارى التى بنيت بها وقتلوا الكثير من يهودها وسبو أموالهم وانسحبوا

---

(188) ابــن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 280 وتبالغ بعض المصادر فى عــدد الفرسان الى 12 ألف : الانيس المطرب ص 167 والاستقصا ج 2 ص 212 — وهذه ليست أول مرة يدخل فيها المغرب جنود اسبــان مسيحيون فقد سبق أن استعــان المرابطون والموحدون الاوائل بأمثال هؤلاء الجنود والفرسان الاسبــان .

(189) ابــن خلدون : العبر ج 6 ص 252، 253، السلاوى : الاستقصــا ج 2 ص 212.

(190) Henri Terrasse : Histoire du Maroc I P. 354.

(191) ابــن عذارى : البيــان المغرب ج 4 ص 280.

(192) السلاوى : الاستقصــا ج 2 ص 212.

(193) يحــدد ابــن أبى زرع عدد من قتل من شيوخ الموحدين بأربعة آلاف وستمائــة وهو مبــالغ فى العدد أنظر الانيس المطرب ص 168.

(194) ابن خلدون : العبــر ج 6 ص 253.

(195) ابــن عذارى : البيــان المغرب ج 4 ص 289، حدد السلاوى فدية القاضى بستــة آلاف. أنظر الاستقصا ج 2 ص 214.

(196) ابــن خلدون : العبــر ج 6 ص 254.

الى مقرهـم بالجبل (197) فأقلـع المأمون راجعا الى مراكش ولكنه توفى في طريقه بوادى أم الربيـع 630 هـ / 1232 م (198) .

تكتمت زوجته حبابة الرومية خبر وفاتـه عن الجند ما عدا كبـار قواده وهـم كانون بن جرمون السفيانى وشعيب بن وقاريط الهسكورى وشانجـه sancho ومرقسيل أوفرقسيل الفرنجي وكانوا أعمدة جيش المأمـون يسيطر كل واحد منهم على أزيد من عشرة آلاف فارس من قومه وأعوانه بيدهم الحل والعقد (199) فبايعوا ابنها الرشيد البالغ من العمر أربعـة عشر عاما مبايعة خاصة في 630 هـ / 1232 م الى أن وصلـوا مراكش فأخذوا له البيعـة من عموم الجند عامـة (200) وآلت غنائم عرب سفيـان المنهزمين والفارين الى عرب الخلط بما فيها من أمـوال وذخائر ومواشى فاستقـرت قبائلهم حول مدينة مراكـش وفي ضواحيها (201).

ازدادت قوة عرب الخلط بقيادة أميرهم مسعود بن حميدان بكثـرة جموعهم اذ كانوا أزيد من اثنى عشر ألف فـارس ومثلهم من الاتبـاع والرجالة الذين لا حصر لهم على حد قول ابن عذارى : «أما رجلهم فالجراد المنتشـر لا يحصى عددهم الا خالقهم» وكذلك ازدادت قوتهم بغناهم وكثرة ثرواتهـم وما من فـارس الا لـه جمله من الخيل واعداد من كامل السلاح على أنواعه وأما الثيـاب والمـال العين والانيـة من الذهب والفضة والابل والمواشي شيء يقـف دون حصـره الاوهام» (202) .

وكان لكثـرة العدد والغنى تاثيـر كبير مثل اثاثير الخمر وسحره للمدمنين اذ يـروى أن أحد هؤلاء العرب أخذ سلاحه وامتطى جواده مندفعا الى البحـر قائلا له ان كانت لك يا بحـر طاقة فبارزنى . وان دلـت هذه الروايـة على مدى اغترارهم بقوتهم فهى تـدل في نفس الوقت علـى

(197) السلاوى : الاستقصـا ج 2 ص 214، 215.
(198) ابـن خلدون : العبـر ج 6 ص 254.
(199) ابـن أبى زرع : الانيس المطرب ص 170، يوضح ابن عذارى أن مـن أخبـر بمـوت المأمون شيوخ الخلط وقواد الروم وبعض الاقـارب : البيـان المغرب ج 4 ص 206، 323، الاستقصـا ج 2 ص 216.
(200) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 306، 307، ابـن أبـى زرع : الانيس المطرب ص 170 كـانت المبايعة فى مقابل مبلغ كبير من المـال وكذا اباحه مدينـة مراكش لهم فى حـالة انتصـارهم فأخذوا له البيعة طوعا وكرها بسيوفهم.
(201) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 309، 312.
(202) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 328، 329.

أنهم وصلوا الى مستوى من القـوة جعلهم يستهينـون بسلطة الدولـة ونظامهـا (203) حتى انهم عملوا على تعطيـل تحصيل الاموال (المجباة) الخاصـة بالدولة (204) . ولجأ الرشيد الى استمالة جميع زعماء الموحدين ليقلل من نفوذ عرب الخلط وفي الوقت نفسه اتفـق كل من مسعود الخلطى وعمـر بن وقاريط الهسكورى ـ الثائر السابق على المامون ـ على التآمـر والثورة على الرشيد بتحريض من وقاريط (205) .

أخذ كل من الرشيد ومسعود الخلطى يتربص بالآخر فلجأ الرشيد الى الحيلة بعد أن أعوزته القـوة فأوهم زعماء عرب الخلط بصرف جنـده الى نواحى باجـة واستدعى مسعود الخلطى الى مجلسه وفي نفس الوقت وزع خاصة قواتـه في ارجـاء قصره متخفيين وسمح لمسعود بالدخـول وبرفقته جماعـة من شيوخ الخلط (206) يقدر عددهم بخمسة وعشرين (207) وتكاثرت عليهم قوات الرشيد وتمكنت من قتلهم بعد مقاومتهـم مقاومة باسلة (208) فاستقدم الرشيد من كان بكنيسة النصارى مـن التجار والفرسان المسيحيين للاستعانة بأموال البعض وبسيوف الاخريـن في القبض على من بقى من عرب الخلط بالمدينة واقرار الامور بها لحيـن عـودة جيشـه (209) .

بلغ الخلط الخبر فأقاموا يحيى بن هلال بن حميدان عليهم خلفـا لمسعود وانقلبوا الى يحيى بن الناصر مبايعين اياه زاحفين به لحصـار مراكش طالبين لثأرهم وشرعوا في تدمير نواحيها وقطع أشجارها حتـى خلت المزارع والقرى (210) الا من كان تحت سلطانهم من الرعية فاستقر تحت حمايتهم في رغـد من العيش بينما ذاق المحاصرون في المدينة المر من قلـة الاقوات وارتفاع أسعارها وعانى من ذلك الرشيد وخاصته وكلما خرجت بعض قواته لفك الحصار لا تعود مما دفـع الفرقة المسيحية بقيادة غنصالـه Gonzalo وبعض القوات الموحدية الى الخروج لمواجهة العرب

(203) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 328، 329.
(204) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 329.
(205) ابـن خلدون : العبـر ج 6 ص 254، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 216 217.
(206) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 330 وما بعدها.
(207) السلاوى : الاستقصـا ج 2 ص 218.
(208) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 335 وما بعدهـا.
(209) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 339.
(210) ابـن خلدون : العبر ج 6 ص 255، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 218.

فالتقوا معا بوادى تانسيفت وعندما ادركوا أنهم قاب قوسين من الهزيمة التمسوا طريق النجاة من قنطرة تانسيفت ولكن العرب حاصرتهم فوقها وأفنت جموعهم وبحلول الظلام تسترت بقاياهم وعادت للمدينة منهزمة (211) .

ازداد اضطراب أحوال المدينة نتيجة لهذه الهزيمة وعمت الفوضى أرجاءها واستهان سكانها بالسلطان وجنوده مما دفعه الى الهروب من المدينة الى جبال سجلماسة (212) ودخل عرب الخلط ومعهم يحيى ابن الناصر المدينة فنهبوها ودمروها وساءت سيرتهم فيها واستبدوا بالامر دونه حتى انه اذا جلس في القبة (213) ما بقى أحد من العرب الا وهو يقتحم عليه فيها بدون اذن وفي نفس الوقت الذى امتلات أيدى العرب بالاموال والاسلاب لم يجد يحيى ما ينفقه على مجلسه حتى اضطر لطلب معونتهم (214) .

تحالف الرشيد مع جرمون بن عيسى أمير عرب سفيان (أعداء الخلط التقليديين) وخرج في 633 هـ / 1235 م ليهاجم مراكش (215) وتقابل مع عرب الخلط واستمرت الحرب بينهما عشرة أيام انتهت بفرار الخلط وهزيمتهم ودخول الرشيد مدينة مراكش واستيلائه على اقطاعاتهم بأوطان صنهاجة تاسغرت ودكالة ورجراجة وأسند ادارتها الى ولاة من قبله وأقر لعرب سفيان ما غنموه حيث كانوا في ضيق من العيش فتحسنت أحوالهم وكثرت جموعهم وانضاف اليهم الكثير من أحلاف الخلط من العرب (216) .

نتيجة لهذه الهزيمة نكث عرب الخلط بيعتهم ليحيى بن الناصر وسافرت جماعة من وجوههم برئاسة أحد أولاد هلال صحبة ابن وقاريط الى الاندلس لمبايعة ابن هود وطلب مساعدته (217) بينما وصل يحيى

(211) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 345 — 347.

(212) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 255 يبرر ابن عذارى هروب الرشيد افتعال وصول خطابات تأييد من عرب سفيان وزعيمهم جرمون مما دفع الخلط الى فك الحصار لملاقاة عرب سفيان بوادى أم الربيع أولا فاستغل الفرصة الرشيد وهرب : أنظر البيان المغرب ج 4 ص 350، 351.

(213) مجلس العلماء أنظر ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 364.

(214) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 364، 366.

(215) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 255.

(216) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 370، 374.

(217) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 376.

ابن الناصر الى عرب المعقل لاجئا فاجاروه ووعدوه التاييد ولكنهم اشتطوا عليه في الثمن وحينما ادركوا خواء جرابه قتلوه بجهة تازا (218) وحملوا رأسه الى الرشيد بفاس الذى مناهم بالمكافاة وارسلهم الى مرسس حيث اوعز الى نائبه بها بقتلهم وهم حسن بن زيد شيخ عرب العاصم والاخوان قائد ابنا عامر شيخا عرب بنى جابر (219) .

قتل يحيى بن الناصر وتاخر وصول مساعدة ابن هود بالاندلس فاضطر عرب الخلط للعودة لطاعة الرشيد الذى أظهر لهم الود وأمنهم واستدعاهم الى تانسيفت حيث قبض على رؤسائهم في 634 هـ / 1236 م وأمر بقتلهم وكذا من قدموه كرهائن بازمور دليل طاعتهم ومنهم على ووشاح ابنى هلال وفي نفس الوقت هاجمت قواته حللهم واحياءهم وسبيت اموالهم ونساؤهم وأولادهم ونقلوا الى مراكش حيث امتلات بهم الاسواق وتساوت الحرة العربية والامة في العبودية ولكن الخصال العربية الحميدة تغلبت على العصبية القبلية فحنت قلوب عرب سفيان وبنى جابر على اعراض اعداء الامس فاستخلصوهم وستروهم وحفظوهم .

ورغم كسر الرشيد لشوكة عرب الخلط ونقل الباقى منهم الى السوس بعيدا عن العاصمة مراكش (220) الا انه لم يستطع القضاء على ثوراتهم ففى 636 هـ / 1238 م ثار ببلاد السوس ابن ياوجى بحصن تيونبوين معتمدا على هذه العناصر وبالاتفاق مع عرب المعقل ولكن لم يكتب لهذه الثورة النجاح بسبب اغتيال قائدها في بدايتها بيد رجل من جزوله خشى من تسلط العرب على الحصن وطرد عصبيته منه (221)

توفى الرشيد في 640 هـ / 1242 م وتولى أخوه على السعيد (أبو الحسن) 640 ـ 646 هـ / 1242 ـ 1248 م فقبض على معظم شيوخ الموحدين وصادر أموالهم واعاد عرب الخلط من بلاد السوس الى مراكش وقرب أمراء العرب من جشم (222) حتى أصبح كانون بن جرمون امير عرب سفيان نديم مجلسه ومستشاره الخاص (223) .

(218) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 166، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 255
(219) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 255، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 219.
(220) أبن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 397، 398، 421.
(221) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 399 — 400.
(222) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 423 — 424، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 256، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 221.
(223) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 224.

وفي 642 هـ / 1244 م ثـار عبد الله بن زكريـاء الهرجى عامل سجلماسة من قبل الموحدين وبايـع الحفصيين بافريقية مما اضطر أخـوه أبو زيـد بن زكرياء وأعوانه من جند النصارى الى الهرب من مراكش خوفا من بطـش السعيد به ووقـع أبو زيـد بن زكرياء أسيرا هو وجنـده النصارى بيـد عرب المعقل المسيطرين على طريق درعة وحينما هموا بالفتك بـه وباعوانه وعدهم بفديـة تقدر بعشـرة آلاف دينار يؤديها لهـم بسجلماسة ونجح عبد الله بن زكرياء في استمالة عرب المعقل اليه فانضموا الى جنـده . وعندما هاجم السعيد سجلماسة استخف جند النصـارى بعرب المعقل فانقلبوا على عبد الله ابن زكريـاء وقبضوا عليه وأسلموه الى السعيـد الذى أمـر بقاتلـه (224) .

وفي نفس العام قام السعيد بالقبض على كبار رجال دولته ومنهم ابو محمد بن وانودين الذى تمكن من الهرب الى احياء عرب سفيان وأميرهم كانـون بن جرمـون صديقه طالبا مساعدته (225) فتخير كانون أجود عتـاق خيله وأرسله الى قبيلته هنتاتـة رفقة مائة وخمسين من أشهـر فرسان سفيان متحديا بذلك ارادة الخليفة السعيد بل وساخرا منها اذ لم يكتف ابـن وانوديـن بالهـروب بل مـر بمراكش ليلا وقذف رمحه فـى أحـد أبوابها برسالة للخليفـة فحواها انه راجع الى مقـر عصبيته محتميا بجبـال درن المنيعـة (226) .

وفي 643 هـ / 1245 م أعلـن أمير عرب سفيان كانون بن جرمون ثورتـه على الخليفة الموحدى السعيد محالفا الاميـر أبى يحيـى المرينى الزناتـى مما اضطـر السعيـد الى طلب ود عـرب بنى جابر والخلـط وغيرهم من شيـوخ العرب وخرج من مراكش قاصـدا عرب سفيان وبنـى مرين ببلاد تامسنـا حيث تقابـل الجيشان وتمكن السعيد من ايقـاع الهزيمـة بالمرينيين الذين ولوا الادبـار فأنسحب كانون وعرب سفيـان وخشى السعيـد من مهاجمتهم مراكش فتتبعهم الى مدينـة ازمور التـى

(224) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 428 — 433.
(225) ابـن خلـدون : العبـر ج 6 ص 257.
(226) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 438، 439.

تمكنوا من الاستيلاء عليها (227) وغنموا ما بها من أمـوال وأغرموا من بها من اليهـود أموالا كثيـرة ثم استأصلوهم وأضطرهم السعيد للفرار من المدينة وتمكن من النيل من مؤخرة جيوشهم واسترد المدينة (228) .

ونتيجة لتحالف الحفصيين وبنى عبد الواد ضد الموحدين (229) ان تحسنت العلاقات بين السعيد ، وكانون بن جرمون السفيانى (230) وأقام السعيـد بتانسيفت حتى وفد عليه جميع عرب المغـرب من سفيـان وجشم وفي 645 هـ / 1247 م قام السعيد بمهاجمة تلمسان فأنسحب بنو عبـد الواد الى شعاب الجبال متحصنين بقلعة تامجردرت (231) بجوار وجدة وتأمروا مع عرب الخلط الذين تخلوا عن السعيد عندما تتبع بنى عبد الواد فتمكنـوا من اغتياله في صفر 646 هـ / 1248 م (232) وقام نحـو الف فـارس مدرع من عرب الخلط بنهب محلة (معسكر) السعيد فاستولوا على أمواله وقتلوا كانون بن جرمون السفيانى فتفرقت القوات الموحدية (233).

تولى الحكم أبو حفص عمر وتلقب بالمرتضـى 646 ــ 665 هـ / 1248 ــ 1266 م استقدمه الموحدون من سـلا وبايعوه حيث انه كان واليا على ربـاط الفتح واستقبلـوه وعلى رأسهم شيوخ عرب المغـــرب بتامسنـا مبايعين فأقـر المرتضى ليعقوب بن كانـون امارته على عرب بنى جابر ولعمه يعقوب بن جرمون امارته على عرب سفيان برضى وتأييد قومهم (234) ثم توجه الى مراكش ببلاطه وحاشيته «وهيئة الملكـــة بوزراء وأمـراء من العـرب» (235) .

وفي أوائـل عهده ازدادت قوة بنى مريـن فقد استولوا على ربـاط تـازا ومكنـاسـة وفـاس وضواحيها فـور مقتل السعيد في 647 هـ / 1249 م واقتطعوا من المرتضى بلاد الغرب كلها ولم يبق له غيـر بـلاد الحـوز من سـلا الى السوس . وفي 649 هـ / 1251 م استولى أبو بكر

(227) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 257، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 221، 222
(228) ابن عذارى. البيـان المغرب ج 4 ص 444.
(229) السلاوى : الاستقصـا ج 2 ص 223.
(230) يكنى بأبى حديد. أنظر ابـن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص464.
(231) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 464.
(232) ابـن خلدون : العبـر ج 6 ص 258، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 224
(233) ابن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 466.
(234) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 258، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 227.
(235) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 470.

المرينى على سلا ورباط الفتح (236) مما دفع المرتضى الى الخروج لمحاربة بنى مرين وعلى الرغم من مجلس السلام الذى عقده شيوخ بنى مرين وبعض زناتة والعرب مطالبين بالصلح مع المرتضى الا أن الخليفة الموحدى رفض هذا العرض متأثرا بموقف وزرائه الذين قالوا بعدم صلاحية وشرعية وجود ملكين في اقليم واحد (237) وتحريض موسى وعلى بن زيان الونكاسى من قبائل بنى مرين أباه على قتال بنى عبد الحق (238).

التقى الجيشان في أمان ايملولى (امن ملولين) فانسحب الامير أبو يحيى بقواته كاتبا ليعقوب بن جرمون بأن انسحابه رغبة في السلام والمصالحة فأمر يعقوب رجاله من العرب بالرحيل وشاع الامر بين قوات الموحدين بأن الصلح تم فأنسحبوا جميعا لاى مراكش تاركين خلفهم بعض مضاربهم وآلاتهم التى استولى عليها بنو مرين فكانت هزيمة بدون قتال (239) . وهكذا أرغم يعقوب أمير سفيان الخليفة المرتضى على صلح انهزامى سبق أن رفضه هو ووزراؤه بمراكش والادهى من ذلك أنه أغضى ليعقوب عن فعلته هذه (240) بسبب حاجته اليه .

وفي 651 هـ / 1253 م هرب على بن بدر أحد أعوان وزير المرتضى أبى محمد بن يونس الى السوس وتحصن بجبالها وتحالف مع عرب الشبانات وذوى حسان من عرب المعقل (241) واستولى على تارودانت فعظم أمره بما انضم اليه من العرب وتمكن من هزيمة جيوش المرتضى التى أرسلها اليه . واستمرت سيطرته على بلاد السوس طوال عهد المرتضى (242) .

وفي 652 هـ / 1254 م ثار عرب بنى جابر بقيادة يعقوب ابن محمد بن قيطون ووزيره ابن مسلم ببلاد تامسنا فأرسل المرتضى اليهم جيشا بقيادة أبى الحسن بن يعلو ويعقوب بن جرمون شيخ عرب سفيان فقضيا على الفتنة وقبضا على يعقوب بن محمد ووزيره واستدعى المرتضى مشيخة عرب الخلط الى مراكش وقتلهم انتقاما منهم لدورهم في

(236) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 227.
(237) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 489.
(238) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 258.
(239) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 490 — 491.
(240) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 228 .
(241) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 228.
(242) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 228.

مقتل السعيد (243) وفي العام التالى جهز المرتضى جيشا يقدر بثمانين ألف فارس من الموحدين والعرب وغيرهم لاسترجاع فاس من بنى مرين ولكنه فشل (244).

وفي 655 هـ / 1257 م تمكن محمد القطرانى من الاستيلاء على سجلماسة بمعاونة عرب المعقل (245) وفي السنوات التالية استفحل خطر بنى مرين وتقدموا للاستيلاء على سهول تامسنا فخرج الموحدون اليهم وتقابلوا بوادى أم الربيع في 660 هـ / 1262 م وأنهزم الموحدون بسبب غدر عرب بنى جابر بهم (246) ولحق عيسى بن على شيخ الخلط ببنى مرين (247).

واعتمد المرتضى على عرب سفيان وأميرهم يعقوب بن جرمون ولكن نافسه في امارة سفيان محمد بن أخيه كانون مدعيا أنه أحق بالامارة منه ولذا اغتاله فانتقم اخوة يعقوب له وقتلوا محمد بن كانون فولى المرتضى عبد الرحمن بن يعقوب بن جرمون بدلا منه ولكن عبد الرحمن هذا أنشغل بملذاته وقطع الطريق مما آثار المرتضى عليه ففر الى بنى مرين فولى المرتضى عمه عبد الله بن جرمون على سفيان ولعجزه استبدله بأخيه مسعود وحينما عاود عبد الرحمن بن يعقوب واتباعه الدخول في طاعة الموحدين امر المرتضى بالقبض عليهم وسلمهم الى على بن أبى على الخلطى الذى قتلهم لتذبذبهم في الطاعة بين الموحدين وبنى مرين (248).

ولم يسلم المرتضى حتى من بعض اقربائه اذ تآمر عليه ابن عمه وقائد جنده أبو العلا الملقب بأبى دبوس تحالف مع بنى مرين لمساندته وكذلك مع على بن أبى على الخلطى الذى أمده بالآلات والرجال من قومه فارتاب المرتضى فيمن حوله وقبض على مسعود ابن كانون شيخ سفيان واسماعيل بن قيطون شيخ بنى جابر خوفا من مساندتهم ومبايعتهم لابى دبوس ورغم ذلك فقد انحاز الكثير من قومهم

(243) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 259.
(244) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 228.
(245) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 259.
(246) وتعرف هذه الموقعة بأم الرجلين. أنظر السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 229
(247) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 259.
(248) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 260.

اليـه فقتل اسماعيل بن قيطون بسجنه فلجأ أخوه ثائـرا بالبقية الباقية من عرب بنـي جابـر الى أبي دبوس طالبا ثـاره وحذا حذوه علوش ابن كانـون لاستخلاص أخيه من معتقله فسـاروا جميعا الى مراكش فـي 665 هـ / 1266 م (249) وتسور العرب سور المدينة وفر المرتضى الـى أزمـور حيث قبض عليه وأرسل أبو دبوس ، مسعود بن كانـــون السفياني لقتله واستقل بالحكم وتلقب بالواثـق بالله والمعتمد على الله 665 ـ 668 هـ / 1266 ـ 1269 م (250) .

على أن استيلاء أبي دبـوس على الحكم وتأييد عرب جشم له لـم ينقـذ دولـة الموحدين من الانهيار أمام هجمات بني مرين الذين احتلوا العاصمة مراكش في 668 هـ / 1269 م (251) .

وقامت على انقاض الدولة الموحدية أربـع دول مستقلة هي :

1 ـ الدولة الحفصية ... في تونس سنة 627 هـ / 1230 م وهي فـرع لدولة الموحديـن وامتداد لهـا .

2 ـ دولة بني عبد الـواد ... في تلمسان ونواحيها بالمغـــرب الاوسط سنة 623 هـ / 1235 م.

3 ـ دولة بني مرين أو بني عبد الحق ... في فاس وهي الدولـة التي استقلـت بالمغرب الاقصى بعد أن قضت على خلافة الموحدين نهائيا في 668 هـ / 1269 م.

4 ـ مملكة غرناطة ... وهي آخر ما تبقى للمسلمين من ممتلكات في اسبانيا وقد استقل بها بنو الاحمر أو بنو نصر 635 هـ / 1238 م (252).

لم تعترف هذه الدول بعضها لبعض بالاستقلال فاستمرت الحروب فيما بينهم وربما وقعت الحرب بين الامراء المرشحين للملك في الدولـة الواحدة . ولتقارب القوى الحربية والسياسية لكل منهم لم ينحسـم النزاع وسوف نرى أن هذه الدول كانت في حاجة الى مساندة العـــرب ومساعدتهم ولكن سياستها تجاههم اعتمدت على ظروف كل دولة ومـا تمـر به من احـداث .

(249) ابن خلدون : العبـر جـ 6 ص 260، 261.
(250) السلاوي : الاستقصـا جـ 2 ص 230، 231.
(251) السلاوي : الاستقصـا جـ 2 ص 233، 234.
(252) أحمد مختـار العبـادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص 179.

ففى حالــة الحرب ارتفعت قيمة العرب واقطعوا الاراضى الواسعة وجباية القبائل المستضعفة ونفحوا الهدايا والاموال وقربوا لاهل الحــــل والعقــد سواء بالنسب أو الاستشارة ، أما في وقت السلم فيسعى الحكام الى الاستغناء عن خدماتهم ويحاولون تجريدهم من امتيازاتهم واقطاعاتهم وبالتالى يلجــأ العرب الى الثورة أو الانضمــام الى أى من الامـــــراء المرشحين للملك أو الى الملوك الطامعين في التوسع للعمل تحت لوائهم حتى يمكنهم الاحتفــاظ بما في أيديهــم من امتيــازات .

ونتيجة لسياسة كل من هذه الدول وموقف العرب منها ساد الضعف واضطراب الامن وقلة الانتــاج واستحكمت العداوة بين القبائل العربية مما أدى في النهاية الى طمع مسيحى أسبانيا ـ بعد أن تمكنوا من طــرد المسلمين من الاندلس ـ في امتلاك المغرب (253) .

واستيفاء لهذا الموضوع رأينــا أن نفصل القــول عن كل دولة على حدة مع بيــان الدور الذى لعبته القبائل العربية في سياستها .

(253) أنظر الميلى : تاريخ الجزائر ص 283، 284.

الفصل الثاني

دور العرب في الدولة الحفصية بافريقية

أولا — دور عرب رياح وعوف في تأسيس الدولة

للموحدين دولتان : المؤمنية في مراكش نسبة الى عبد المؤمن بن علي، الحفصية في تونس نسبة الى أبى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى شيخ قبيلة هنتاتة المصمودية وأحد القائمين بدولة المهدى بن تومرت والخليفة عبد المؤمن من بعده .

فالدولة الحفصية شعبة من دولة الموحدين كما هو واضح من أصلها وعلاقة الحفصيين بافريقية ترجع الى سنة 603 هـ / 1206 م حينما فوض الخليفة الموحدى محمد الناصر أمر افريقية الى وزيره وصهره الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص الهنتاتى ومنحه جميع السلطات التى تخول له حكما مستقلا بهذه الولاية وهذا الحدث يعتبر في الواقع ايذانا باستقلال افريقية عن الدولة الموحدية في مراكش ثم حدث الانفصال الرسمى النهائى على يد أبى زكريا بن عبد الواحد الحفصى سنة 626 هـ / 1229 م (254) .

وبدأت هذه الدولة كامارة مستقلة في عهد أبى زكريا يحيى الاول ثم تحولت الى خلافة في عهد ولده أبى عبد الله محمد المستنصر بالله أمير المؤمنين وأستمرت هذه الدولة مدة طويلة الى أن سقطت في يد العثمانيين نهائيا سنة 981 هـ / 1574 م (255) .

أما عن حدود هذه الدولة فقد كانت تشتمل على الاراضى التى تقابلها اليوم طرابلس الغرب في ليبيا والجمهورية التونسية وجزء

254 ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ص 104 — 108 .
ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 267، 275.
أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 180.
(255) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 180 — 181

كبير من الجمهورية الجزائرية الذى يشمل ولايات بونة أو عنابة (بلد العناب) وقسنطينة وبجاية وتدلس التى اتسمى حاليا دلس Dellys غربا وما بعد ورقلة في الصحراء الجزائرية جنوبا (256) .

ولقد أستند الحفصيون في اعلان خلافتهم الجديدة الى الاسس الشرعية في هذا الصدد كالاصل العربى والنسب النبوى الى جانب قرابتهم للموحدين فزعموا أنهم من سلالة الخليفة أبى حفص عمر بن الخطاب (257) ولقد حرص الحفصيون على الاعتزاز بهذا الاصل واظهاره في كل مناسبة ونجد ذلك واضحا في أقوال كتابهم وشعرائهم التى أطلقت على دولتهم اسم العمرية والفاروقية (258) .

وقد سبقت الاشارة الى أن الموحدين بعد استيلائهم على افريقية قد نقلوا الى المغرب الاقصى عرب العاصم ومقدم وقره وتوابع لهم من جشم وأنزلوهم بلاد تامسنا بسبب تأييدهم لبنى غانية الثائرين عليهم وحلت قبائل رياح محلهم فأستولوا على ضواحى قسنطينة وآلت زعامتهم الى الزواودة مما اضطر بقايا الاثابج - لضعفهم - الى الاستقرار بقرى الزاب (259) .

وفي بداية الدولة الحفصية ازدادت قوة رياح بزعامة الزواوده مما شجعهم على الخروج على طاعة الدولة عندئذ لجأ الحفصيون الى بنى سليم وأنزلوهم بالقيروان وبلاد قصطيلة فصاروا حلفاء لهم ضد رياح وتمكنوا في النهاية من طردهم من شرق افريقية الى غربها وملك بنو عوف من بنى سليم ضواحى الجانب الشرقى من قابس الى بونة ونفطة (260) فأثبتهم السلطان في ديوان العطاء (261) .

وفي نفس الوقت اصطنع الحفصيون قبائل كرفة من بطون الاثابج فكانوا حربا على الزواودة ، ورياح وشيعة للسلطان الذى أقطعهم جبايه

(256) أنظر العمرى : مسالك الامصار ص 2، الجيلالى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 11، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 310، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 181

(257) ابن سعيد : كتاب بسط الارض ص 59، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 275، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 24، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 123 — 124.

(258) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ص 108، أحمد مختار العبادى: دراسات ص 124. Borunschvig : Le Berbérie Orientel ... II P. 18.

259 ابن خلدون : العبر ج 6 ص 22، 24.

(260) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 22، 33.

(261) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 73، 74.

الجانب الشرقى من جبـل أوراس ـ حيث كانوا يقيمون ـ وكذلك جزءا كبيرا من بلاد الزاب الشرقيـة حيث كانت محلاتهم الشتوية (262) .

كذلك خصت الدولة الحفصية أولاد جامع من مرداس برياسة عرب عوف بأفريقيـة ورغم اختلاف حالهم في الاستقامة تارة والثورة تارة أخرى الا أن الحفصيين حرصوا على جذب مودتهم واستخدامهم (263) غير أن الحفصيين لم يلبثوا ان استبدلوهم بأبناء عمومتهم الكعوب فحارب أهـل القبيلة الواحدة اخوانهم وطرد الكعوب اخوانهم المرداسيين من افريقية الى الصحراء واستقرت رياسة عـرب عوف بافريقية في أولاد يعقوب ابن كعب (264) ثم في أولاد مهلهل وأولاد أبى الليل وتنازعوا الرياسة فيما بينهم حتى أصبح رضاء الدولة على بعضهم يغضب البعض الآخر (265).

ورغم ذلك فقد حرص الحفصيون على الاحتفاظ بود هذه القبائـل العربية التى كانت ملجأ لامرائهم المغضوب عليهم من ناحية وطالبـى السلطة من ناحية أخرى فعند لجوء الاميـر أبى يحيى بن السلطان أبـى بكـر الى احيـاء الزواودة من رياح بعـد وفاة أبيه في 747 هـ / 1347 م نـزل على زعيمهم يعقوب بن على فأصهر اليه في ابنـة أخيه سعيد وعقد له عليهـا واستقر عندهم (266) بل أن السلطان أبا العباس أحمـد تزوج من عرب المحاميـد بطرابلس وهم من سليم لاستئلافهم وهذا يفسر لنا ازديـاد سلطة العرب في عهـد ابنه أبى فارس عبد العزيز بحكم كونهم اخوالـه (267) .

وكذلك اعتمدت الدولة الحفصية على بعض زعماء العـرب في ادارة بعض ممتلكها فأسندت الى فضل بن على بن مزنى ـ من العرب النازحين ضمن الهجرة الهلالية ـ ولاية الزاب كما ولت أخاه عبد الواحد على بـلاد قصطيلة وكانـت الولايـة فيهما من قبل الموحدين (268) .

(262) ابـن خلدون : العبر جـ 6 ص 22 .
(263) ابـن خلدون : العبر جـ 6 ص 74.
(264) ابـن خلدون : العبـر جـ 6 ص 74، 75.
(265) الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 284.
(266) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 393، 394، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 99.
(267) الزركشـى : تاريخ الدولتين ص 114، 117، 120.
(268) أنظر ابـن خلدون : العبـر جـ 6 ص 296 — 298.

ثانيا ـ موقف العرب من غزوات مسيحى أوربا لتونس

لاشك أن موقع الدولة الحفصية في تونس قد هيأ لها اتصالات وثيقة مع الدول الاوربية المواجهة لها في حوض البحر المتوسط ومن أهمها ايطاليا وجزيرة صقلية وهذه الاتصالات اتخذت اشكالا مختلفة حسب حالة الحرب أو السلام التى تسود هذه المنطقة (269) .

ونظرا لاستقرار أغلب القبائل العربية بافريقية فقد لعبت دورا واضحا في صد غزوات مسيحى أوربا لملكة تونس وأولى هذه الحملات المسيحية التى تصدت لها القبائل العربية بالمقاومة حملة لويس التاسع التى كانت خارجة للانتقام لهزيمة الفرنسيين بالمنصورة في 648 هـ / 1250 م ولكنها تحولت الى تونس بتأثير وتوجيه شارل دى أنجو ملك جزيرة صقلية وأخو لويس الذى طمع في استغلالها لحسابه الخاص وتدعيم ملكه ومد نفوذه الى تونس مستغلا شارة الصليب (270) .

ورغم أن المصادر الاوروبية والمعاصرة للحملة تعزو قيامها لاسباب متعددة ومتنوعة منها ايواء المستنصر الحفصى لبعض العصاة من جزيرة صقلية مما أساء الى شارل ملكها وتطلع شارل الى اضافة اقليم ذو موقع استراتيجى هام على الساحل الافريقى لخدمة الحركة الصليبية وأخيرا ميل المستنصر الحفصى الشديد للمسيحيين ومعاملته الحسنة لهم والزعم باستعداده للتنصر والتحول عن الاسلام باظهار قدر قليل من القوة كفيل بجعله يعلن اعتناقه للمسيحية (271) .

والمصادر التونسية تعزو قيام هذه الحملة الى تناول المستنصر بالله الحفصى لسيرة الملك لويس التاسع باستهزاء مما أثار الملك لويس وأغضبه فحول طريقها عن مصر الى تونس للانتقام لكرامته (272) وان صحت هذه الرواية ـ التى لم يوجد لها ذكر في كتاب جوانفيل مؤرخ حملة لويس التاسع على تونس وأحد أصدقائه ومستشاريه

---

(269) دائرة المعارف الاسلامية مادة تونس ج 6 ص 61.
Aziz Suryal Atiya : The Crusade in the later middle ages p. 398.

(270) أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الاولى فى مصر والشام ص 227.

(271) Joinville, John : Histoire de saint Louis (ed Wailly) Paris 1871 P. 262-265.
Steven Runciman : A History of the Crusades Vol III,, P. 291.

(272) أنظر ابن أبى دينار : المؤنس فى اخبار افريقية وتونس ص 129.

العقلاء والذى لم يخف كراهيته للحملة وعدم ثقته في مشروع شـارل دى أنحو أخو لويـس ـ فيبدوا أن ذلك كان سببا مباشرا فقط أما السبب الحقيقى فيرجع الى أهمية موقـع تونـس بالنسبة لصقلية (273) .

ولم تكـد الحملة تصل الى الشواطىء التونسية في 18 يوليو 1270م 668 هـ وعلى رأسها لويس وابنائه الثلاثة وحلفائه من ملوك وأمـراء أوربا في أشـد أوقات صيف افريقية حـرارة حتى تفشى المرض في المعسكـر الفرنسى فوقـع الامـراء والفرسان والعساكر فريسة المرض (274) وأصيب لويـس التاسع بحمـى شديدة مـات على أثرها وتولى أخـوه قيـادة الحملة (275) المشكلة من ستة آلاف فـارس وثلاثين ألفا من الرجالـة واستولى على تونـس في 668 هـ / 1270 م فقام العرب بالاشتراك مـع غيرهم من المسلمين بمقاومتهم مقاومة باسلة مرسلين رجالهم كفدائيين عن طريق البحيـرة التى تطل على المدينة لمناوشتهم خاطفين فرسانهم ليـلا منزلين الرعب في صفوفهم حتى تمكن السلطان المستنصر بالله من حشد قواتـه التى بلغـت أربعين ألفـا من الرمـاة فقط (276) لاشك أن أغلبهم من القبائـل العربية بافريقية لشهرتهم في استخدامه (277) .

ورغم استمرار احتلال الفرنسيين لتونس لمدة ثلاثة شهور ونصف وتفكير المستنصر بالله في الانتقـال الى قسنطينة الا أنه يبدو أن دور العرب في مقاومة الاحتـلال (278) جعل جوانفيل يذكـر وينـوه بـدور شـارل دى أنجو في المحافظة على القوات الفرنسية الباقية حتى الخريـف وانقـاذ الحملة من كارثة محققة (279) وفي نفس الوقت رفع من الـروح

---

(273) يكفى ان نلاحظ أن فتح المسلمين لصقلية تـم مـن تونس فى 212 هـ/827م. أنظر ابـن الابـار : الحلة السيراء ج 2 ص 281، أحمد مختار العبادى : قيـام دولـة المماليك الاولى ص 227.

Joinville, John : Histoire de saint Louis P. 262-265, Steven Runciman : A History of the Crusades Voi, III P. 292.

(275) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ص 60، أحمد مختار العبادى : قيـام دولـة المماليك الاولى ص 227.

(276) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 293، 294، ابن القنفذ : الفارسية ص 110، 131، 132، ابـن الشماع : الادلة النورانية ص 65 — 68.

(277) ابـن خلدون : العبـر ج 6 ص 74، القلقشندى : صبـح الاعشـى ج 1 ص 340، عبد الرحمن زكى : السلاح فى الاسلام ص 47، 48.

(278) ابـن القنفـذ : الفـارسية ص 111.

المعنوية لاهل تونس حتى أن أحد أدباء تونس شبه نهاية هذه الحملة بنهايتها في مصر من حيث الهزيمة والفشل وذلك عند قوله (280) :

يا فرنسيس هذه أخت مصر فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكير

ويجمل لنا ابن خلدون دور العرب في مقاومة هذه الحملة وتاثيرهم في نتائجها بقوله (281) : «وسلك بعض المسلمين طريقا في البحيرة واتبعهم العرب فأصابوا غرة في العدو فظفروا وغنموا وشعروا بمكانهم فكلفوا بحراسة البحيرة وبعثوا فيها الشوانى والرماة ومنعوا الطريق اليهم ... فراسلت العلجة أم ملك الفرنجة الجديد المستنصر أن يبذل لها ما خسروه في مؤونة حركتهم وترجع بقومها فاسعفها السلطان لما كان العرب اعتزموا على الانصراف الى مشاتيهم وبعث مشيخة الفقهاء لعقد الصلح في ربيع الاول 669 هـ «فرحا بالصلح مقابل الف قنطار من الفضة (282)وهكذا عادت الحملة تجر أذيال الخيبة بتلك النتيجة المادية الضئيلة التى أغضبت معظم الذين اشتركوا فيها (283) حتى يمكن القول أن الحملة في مجموعها قد تبددت (284) ففى المشرق الاسلامى ازداد ارتياح المسلمين عند سماعهم كارثة تونس بينما غمر الصليبيين حزن عميق لوفاة لويس التاسع الملك التقى المتدين الحالم بتخليص المدينة المقدسة حتى وهو يموت فكان آخر ما فاه من كلمات : بيت المقدس .. بيت المقدس (285) .

وحينما ثار أبو بكر بن موسى الكومى المعروف بابن الوزير أحد قواد الامير أبى اسحق الحفصى بمدينة قسنطينة (286) و «كتب الى

(279) Joinville, John : Histoire de Saint Louis P. 262-265,
Steven Runciman : A History of the Crusades Vol, III P. 292.

(280) ابن القنفذ : الفارسية ص 111.
(281) أنظر ابن خلدون : العبر ج 6 ص 294.
(282) ابن القنفذ : الفارسية ص 132.
(283) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ص. 60، أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الاولى ص 228.
(284) Joinville, John : Histoire de Saint Louis P. 262-265,
(285) Willian of Saint-Pathus : Vie de Saint Louis (ed Selaborde) P. 153-155,
Runciman (S) A History of the Crusades Vol III, P. 292.
الترجمة العربية للسيد الباز العرينى ج 3 ص 503.
(286) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 300 — 301، ابن القنفذ : الفارسية ص 139.

النصارى يحرضهم (يحضهم) على ملك قسنطينة وغيرها فجهزوا الحركة اليهـا وتقـدم بعضهم الى مرسى القل وكتب فيه أهل قسنطينه قبـل ظهـور نفاقه عقدا مشهودا بشهودها انه ارتـد واكل الخنزير وظهر منه ما يـدل على نفاقه من رد الاوامـر السلطانية وانه وضع يـده في أهـل البلـد بالنهب ووجهوا العقد الى الاميـر أبى اسحق فأعرض عن النظر فيـه وتاريخ العقـد السابع والعشرون من شهر رمضان من سنة تسع وسبعين وستمائة» (287) واستعان أبو بكر بن موسى الكومى بملـك أرغـون وتمكنت القوات المسيحية من احتلال المدينة لمدة خمسة عشر شهـرا زحف الامير أبو فـارس بن ابى اسحق اليها بجيش من العرب في 681 هـ / 1282 م وحاصرها وتمكن عرب المعقل من تسور سور المدينـة من بعـض جهاته مفاجئين الثائرين واعوانهم من الجنـد المسيحيين مما عجل بالنصر والاستيلاء على المدينه وامر ابو فـارس بقتل الثائر أبى بكر وأخيـه عمران بعد القبض عليهما (288) .

وفي 683 هـ / 1284 م ظهر نورمان صقلية بجزيـرة جربه وسواحل طرابلس ونهبوها واستولوا على ثلاثين سفينة من الجزيره وأسروا نحو ثمانيه الاف من شبابها نقلوهم الى سفنهم حيث باعوهم في سـوق الرقيـق بأوربـا (289) ويبدو ان مرغم بن جابـر بن عسكر شيخ عرب الجوارى المستقرين بجـوار طرابلس قد وقع اسيرا مع المسلمين الذيـن أسـروا من سواحل طرابلس فلقد ظهر في نفـس العام ضمن أسرى مراصنة صقلية بالاندلس فاشتـراه عثمان بن أبى دبـوس (290) واعتقه مقابل قيامـه بالدعـوة له في تونـس واستطاع عثمان ان يقنع اميـر برشلونة بمدهـم بالمساعـدة فجهز لهم أسطولا مقابل مـال اشترطه عليهم فنزلوا طرابلس في 688 هـ / 1289 م وحمل مرغم قومه على مبايعة عثمان ابن أبـى دبوس الذى اخذ يتنقل بين القبائـل العربية في افريقيه عارضا نفسه عليهم (291) حتى استقدمه احمد بن أبى الليـل شيخ عـرب الكعـوب

(287) ابـن القنفـد : الفـارسيـة ص 139.
(288) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 300، 301، ابـن القنفـذ : الفارسية 140.
(289) وتحدد المصادر الاوربية عـدد الاسرى بألفين فقط أنظر دائرة المعارف الاسلامية مـادة جربـة ج 6 ص 326، ابن القنفـذ : الفارسية ص 149، 150.
(290) بعد مقتل أبى دبوس آخر خلفاء الموحدين بمراكش فى 668هـ./1269م. انتقل ابنـه عثمان الى شرق الاندلس ولجـأ الى أمير برشلونـة حيث استقر حتى 682هـ./1283م أنظر ابـن خلدون : العبر ج 6 ص 308.
(291) ابـن خلدون : العبـر ج 6 ص 86، 308، 309.

الثائر على الدولة ـ في ذلك الوقت ـ وزحفوا به الى تونس ولكنهم هزموا وهرب عثمان بن أبى دبوس الى مصر حيث أقام بها حتى وفاته (292) .

وعندما استولى الجنوبيون على طرابلس في 755 هـ / 1354 م واضطروا واليها محمد بن ثابت (293) من عرب الوشاجيين الى الهرب لجأ الى قبيلة الجوارى فقتلوه لدم يطلبونه منه ولم تتمكن القوات المرسلة لتحرير المدينة عبر أراضى عرب الجوارى من المرور فأضطر ابن مكى والى قابس لفدائها من المسيحيين مقابل مبلغ كبير من المال اشترك في جمعه أهل قابس وعربها من المحاميد من بنى سليم وأهل الجريد والحامة ومن بها من العرب (294) وعندما عاود الجنوبيون بالاشتراك مع الفرنسيين مهاجمة الساحل الافريقى والاستيلاء على مدينة المهدية في 792 هـ ـ 1390 م تمكن الامير أبو فارس ومن معه من العرب من استردادها بعد شهرين ونصف من نزولهم (295) .

وفي أواخر الدولة الحفصية عندما اشتد الصراع بين الدولة العثمانية ومسيحى أسبانيا وأوربا حول السيطرة على الشمال الافريقى قامت القبائل العربية في هذا الصراع بدور تأرجح بين السلبية والايجابية . ويتضح هذا الدور السلبى عندما اعترضت بعض القبائل العربية ، القوات العثمانية بقيادة خير الدين بربروسة أثناء انسحابها من اتونس في 941 هـ / 1534 م أمام القوات الحفصية وحلفائها من مسيحى أسبانيا عند تبرسق منزلة بها خسائر فادحة وكذلك عندما أباح الامير الحفصى مدينة تونس لمعاونيه من الاسبان لمدة ثلاثة أيام ـ مكافأة لمعاونتهم اياه ـ يقتلون ويسبون أهلها عاونتهم بعض القبائل العربية في القبض على من هرب من أهل المدينة الى

---

(292) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 86، 314، 315.

(293) محمد بن ثابت من عرب الوشاحيين من بنى سليم استقلوا بحكم طرابلس نحو 79 سنة اعتبارا من 724هـ حتى 803هـ. أنظر الطاهر أحمد الزواوى : تاريخ الفتح العربى في ليبيا ص 234.

(294) الزركشى : تاريخ الدولتين ص 94، الطاهر أحمد الزواوى : تاريخ الفتح العربى في ليبيا ص 234 ـ 238.

(295) ابن القنفذ : الفارسية ص 188، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 112.
Aziz Suryal Atiya : The Crusade in the later middle Ages P. 398.

ناحية زغوان مقابل مبلغ من المال مما اضطر القادرين من أهل تونس الى فداء أنفسهم من العرب بمبلغ ألف دينــار فأكثر (296) .

أما الجانب الايجابى لاشتراك العرب في هذا الصراع فيتمثل فـى ثورة عرب الشابين على الحفصيين واستيلائهم على القيروان واواسـط مملكة تونس وقيامهم بالدعــوة بين القبائل العربية لمقاومة الغزو المسيحى لملكة تونــس (297) وسيطرتهم على البــلاد ونجاحهم في صد القــوات الحفصية والاسبانية المتحالفة لاسترداد تونس مما أثار غضــب الاميــر الحفصى ومنحه حصن حلق الوادى لاعوانه من مسيحى أسبانيا ووعــده لهم باباحة مدينــة تونــس بعد استردادها وذلك انتقاما من عـــــرب الشابيين الثائريــن عليه وترضية لاعوانه من القوات المسيحية الاسبانية.

وفي خلال تلك الفتــرة انحازت القبائل العربية من عمراوة وكرفة وسويــد الى العثمانيين وقدموا نحو سبعة آلاف فارس بخلاف الرجالــة للقوات العثمانيــة مما عجل بحسم الصراع الدائر في الشمال الافريقــى فاستولت القوات العثمانية على تونس في 977 هـ / 1569 م وطــردت القوات المسيحية منها وأسقطت الدولة الحفصية في 981 هـ / 1574 م (298)

ثالثا ــ دور رياح والزواودة فى انقسام الدولة الحفصية

آلت رياسة عرب رياح طوال عصر الموحدين بمراكش وبنو حفص بافريقية الى الزواودة وأعترفت باقى القبائل العربية المستقرة في ضواحى افريقيــة لهم بالرياســة والزعامة وعندما ازدادت قوة الزواودة انكــر الحفصيون عليهم مكانتهم فأخذوا في اثــارة عرب الكعوب ومرداس مـن بنــى سليــم ضدهــم .

وبعد أن تمكنت الكعوب من طرد الزواودة من شرق افريقية الـــى غربها استقرت سليم بالجانب الشرقى بالدولة الحفصية من قابس الـى بونه ونفطة غربــا واستقرت ريــاح بالجانب الغربى من الدولة الحفصية

---

(296) ابــن أبى دينــار : المؤنس فى أخبــار أفريقية ص 152، 153، 155.
(297) دائرة المعارف الاسلامية : مــادة تونس ج 6 ص 63.
(297) دائرة المعارف الاسلامية : مادة تونس ج 6 ص 63.
(298) ابــن أبــى دينــار : المؤنس فى أخبــار افريقية ص 156 ــ 169.

بضواحى قسنطينة وبجاية وامارات الزاب ومجالات ريغة وورا كلى وما وراءها من الصحراء جنوبا (299) .

ويلاحظ أن تقسيم افريقية بين رياح وسليم أدى الى انقسام الدولة الحفصية في 674 هـ / 1275 م الى قسمين : قسم شرقى عاصمته تونس وغربى عاصمته بجاية وحظى كل منهما بتأييد القبائل العربية المستقرة بأراضيها .

وهكذا أصبح عرب الزواودة في حالة عداء تكاد تكون دائمة مع الدولة الحفصية بتونس ووجد الثائرون والخارجون على الدولة الملجا الامين بمخيمات عرب الزواودة فحينما أدرك ظافر مولى المستنصر بالله الحفصى (647 ـ 675 هـ / 1249 ـ 1277 م) ارتياب وشك المستنصر بالله فى صدق ولائه وتحينه الفرصة للايقاع به والقضاء عليه اضطر للهرب واللحاق بعرب الزواودة حيث استقر في جوارهم طريدا (300) .

وفي 661 هـ / 1262 م لجأ أبو القاسم ابن عم المستنصر بالله الى عرب الزواودة بسبب ما أثاره من شكوك حول غش النقود التى صكها المستنصر بالله ونزل على أميرهم شبل بن موسى بن محمد الذى حرضه على الثورة ضد المستنصر والعمل على خلعه وضمن له تاييد عرب رياح لحركته ولكن أبا القاسم خشى تخلى العرب عنه والغدر به فتسلل هاربا من مخيماتهم (301) .

ضايق المستنصر موقف الزواودة العدائى فزحفت قواته في 664 هـ / 1265 م وهاجمت أوطان رياح حتى وصلت الى المسيلة آخر اوطانهم ففر الزواودة الى الصحراء جنوبا وارسلوا في طلب الصلح والعودة للمبايعة فأوعز المستنصر لوالى بجاية الشيخ أبى هلال عياد بن محمد الهنتاتى بالتظاهر بقبول الصلح والغدر بهم فقبض على زعماء رياح : شبل ابن موسى ، سباع بن يحيى ، حداد بن مولاهم ، دريد بن سازير (تازين)

---

(299) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 22، 32، 33.

(300) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 285.

(301) استحدث المستنصر سكة من النحاس أطلق عليها (الجندوس) لتسهيل المعاملات ولكن أفسدها الناس وأهل الرتب بضربها ناقصة عن الوزن حتى اشتكت العامة وثارت أنظر ابن خلدون : العبر ج 6 ص 288.

وغيرهم ممن وفدوا عليه وأرسلهم الى المستنصر الذى أمر بقتلهم وصلبهم (302) .

ويبدو ان الدولة اعتبرت ما أنزلته بشيوخ عرب رياح انتصارا ساحقا حتى مجده الشعراء والكتاب (303) فمن قصيدة لابى الحسين حازم يشمت فيها لمقتل كل زعيم من زعماء رياح بقوله :

وبلغت في الاعداء كل مراد وغدا لك التأييد ذا اسعاد
وغدا الاعادى من رياح عندما عبث بنصركم الرياح كعاد
اضحى سباع للسباع فريسة وسطا بشبل غالب الاساد
وكبت بحداد وسائر صحبه دهم أتت من مربط الحداد

ومن قصيدة لابى عبد الله ابن الشيخ الصالح أبى تميم الحميرى في نفس المعنى :

وهام جناة أبرزوها على القنا فثق بنجاة عندها ونجاح
فياحسن ما قرت به أعين الورى رؤوس رياح في رؤوس رماح
فهذى دماء المارقين مباحة وهذا دم الاسلام غير مباح
بمستنصر يرمى العدى بكتائب تعم نواحى أرضهم بنواح

نتيجة لتلك الكارثة التى المت برياح أضطرت بعض بطونها الى الانتقال الى المغرب الاوسط والاقصى فلجأ بنو سباع بن يحيى الى بنى عبد الواد بتلمسان وبنو محمد ابن مسعود الى بنى مرين بفاس حيث استقروا واعادوا تنظيم صفوفهم وحصلوا على الامدادات من الخيل والابل والعتاد والآلات وزحفوا مرة أخرى الى أوطانهم بالدولة الحفصية وفرضوا طاعتهم على قصور ريغة ووراكلى وامارات الزاب وبسكرة وبلاد الحضنة وجبل أوراس ومن به من القبائل والبطون مما اضطر سلطان تونس لمداهنتهم واقطاعهم ما غلبوا عليه من البلاد (304) .

لم تكتف رياح بذلك بل استغلت الصراع القائم في البيت الحفصى حول السلطة فأيد داود بن هلال بن عطاف وعطية بن سليمان ابن

(302) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 289 — 290، ابن القنفذ : الفارسية ص 127، 129، ابن الشماع : الادلة النورانية ص 64.
(303) أنظر القصائد كاملة في ابن القنفذ : الفارسية ص 130.
(304) أنظر ابن خلدون : العبر ج 6 ص 33 — 35، 289 — 290، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 286، 287.

سباع من زعماء الزواودة الاميـر أبا زكرياء يحيى الثائر على عمه الامير أبى حفص عمر الاول وعاونوه في الاستيلاء على مدينة بجاية وقسنطينة مما ادى الى انقسام الدولة الحفصية في 684 هـ / 1284 م (305).

رابعا — دور سليم والكعوب فى أنهيار الدولة الحفصية

ومع بداية القرن الثامن الهجرى كان على الدولة الحفصية ان تداهن عرب رياح وأن تتحالف في نفس الوقت مع عرب سليم وبالذات مرداس وحصين ودلاج بزعامة بنى كعب حتى تتمكن من مقاومة ثورات عرب رياح التى تكاد تكون مستمرة .

ونتيجة لضعف الدولة وانقسامها والصراع بين أمرائها من ناحية وتهديد الممالك المجاورة لها من بنى عبد الواد بتلمسان وبنى مرين بفاس من ناحية أخرى أضطر الحفصيون الى الاعتماد على بعض هذه القبائل اعتمادا يكاد يكون تاما (306) حيث أنه لم يكن من السهل على أمراء الدولة الحفصية الحفاظ على بلادهم في حالة تخلى هذه القبائل عنهم.

ويتجلى هذا الوضع في ثورة أحمد بن مرزوق بن أبى عمارة المسيلى وهو من العائلات التى انتقلت من مدينة المسيله للاستقرار ببجايه مدعيا أنه من أهل البيت وأنه الفاطمى المنتظر مشكلا حلقة من الحلقات في سلسلة الثورات التى قام بها أفراد ينتمون الى أهل البيت هادفين الى بعث الدولة الفاطمية التى انهارت في القاهرة منذ عدة قرون (307) . اعتمد هذا الثائر أحمد بن مرزوق على عرب المعقل مستعملا الشعوذة والغيبيات للتاثير عليهم ولكن يبدو أنهم لم يستجيبوا له فأنتقل الى عرب ذباب من سليم بطرابلس مدعيا انه الفضل بن الواثق الحفصى لتشابه بينهما فقام بدعوته مرغم بن صابر بن عسكر زعيم عرب ذباب حتى فرض طاعته على عرب الكعوب وامارات الجريد والقيروان والمهدية وصفاقس وسوسه مما أرغم السلطان ابا اسحق الحفصى الى الانسحاب من تونس وتركها لاحمد بن مرزوق وأنصاره من عرب

(305) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 306 — 310، ابن القنفذ : الفارسية ص 148 ،149.

(306) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 76، 308، 309.

(307) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 33 — 35، 289 — 290، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 286، 287.

الكعوب وذباب (308) والذى تمكن من احراز النصر النهائى على أمراء الحفصيين وقواتهم في 682 هـ / 1283 م فدانت له البلاد الحفصية بالطاعة واستتبت له الامور فيها .

عمل أحمد بن مرزوق على توطيد أركان ملكه واقرار النظام بالبلاد فقبض على ثلاثة من زعماء العرب أتهمهم أهل تونس بالفساد وأمر بقتلهم وصلبهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم وفي نفس الوقت أرسل عبد الحق ابن تافراكين شيخ الموحدين على رأس جيش كبير وهاجم قبائلهم وعاد بثمانين من زعمائهم كرهينة حتى لا تثور هذه القبائل وتخون (309) ورغم ذلك ثارت قبائل سليم بقيادة أبى الليل بن أحمد زعيم عرب الكعوب وبايعت الامير أبا حفص عمر الثانى ـ الذى تنازل أبوه أبو اسحق ابراهيم الاول له عن الحكم ـ وجهزت القوات الحفصية بالالآت والخيول والاخبية وغير ذلك مما ساعد على احراز النصر وهزيمة أحمد بن مرزوق وأنصاره ودخلت سليم تونس في 683 هـ / 1284 م لتعيد الدولة الحفصية مرة أخرى .

ولقد منح الامير أبو حفص عمر الثانى انصاره من العرب الاقطاعات الواسعة وجباية القبائل المستقرة مكافأة لهم رغم أن سياسة الحفصيين تجاه القبائل العربية بأفريقية تعارضت مع ذلك خوفا من ازدياد قوة هذه القبائل الى حد يصعب معه السيطرة عليها (310) كما حدث مع بنى كعب أشهر القبائل العربية التى اعتمد الحفصيون عليها فبعد أن آلت رياستها لهراج بن عبيد بن أحمد بن كعب اعتز على السلطان وفرض على الدولة اقطاعاته من البلاد التى تمكن من وضع يده عليها وأتاواته التى فرضها على أهلها مما اثار عليه الخاصة والعامة وبلغ به الكبر حدا جعله حينما قام بزيارة تونس في 705 هـ / 1305 م يدخل المسجد لصلاة الجمعة لابسا خفية وحينما راجعه الناس قال لهم : «أنى أدخل

(308) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 302 ـ 305، ابن القنفذ : الفارسية ص 141 ـ 144، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 35 ـ 45.

(309) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 303 ـ 305، ابن القنفذ : الفارسية ص 142، 143، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 45 ـ 50.

(310) رغم رواية ابن خلدون أن الامير أبا حفص عمر الثانى هو أول من أقطع العرب الأراضى لاول مرة الا أن رواية ابن القنفذ تنص على أن أباه الامير أبا اسحق ابراهيم الاول هو أول من كتب البلاد الغربية بالظهائر وزاد فى العوائد ليجد الراحة فى لذاته نقلت المجابى فى أيامه أنظر العبر ج 6 ص 305، الفارسية ص 139، 145.

مجلس السلطـان بهما فكيف الجامـع» فأستعظم الناس تكبره وتطاولـه على الديـن وقتلـوه (311) .

وتولى رياسة الكعوب بعده محمد بن أبى الليـل يشاركه مولاهـم وأخـوه حمـزة بن عمـر وتمكنوا من فرض زعامتهم على جميع قبائـل سليم بافريقية ينافسهم بنو عمهم أولاد مهلهل بن قاسم (312) .

ثارت الكعوب متهمة السلطان بمسئوليته عن قتل زعيمها هراج ابـن عبيد واستدعت عثمان بن أبى دبوس من نسل أمراء الدولة الموحدية المتنقل بين القبائـل العربية لنصرته واستعادة حق آبائه في العرش الحفصـى بتونس ولكنهم هزموا وقاتل واعتقل بعض شيوخهم فتحولوا الى محالفة الامير أبى البقاء صاحب الثغـر الغربى من الدولة الحفصية وحرضوه على غزو تونـس فأستولى عليها في 710 هـ / 1310 م وتمكن الكعوب مـن اطـلاق سراح أميرهم مولاهـم بن عمـر (313) .

وخشى الكعوب غدر الامير أبى البقاء فاستبدلوه بالامير أبى يحيى زكريـا بن أحمـد بن اللحيانى وناصروه حتى استولى على تونس فـى 711 هـ / 1311 م وفي خلال فتـرة حكم كل من اللحيانى وابنه أبى ضربه محمد الثالـث التى استمرت حتى 718 هـ / 1318 م ازدادت سلطة العرب واصبحت سلطة الحفصيين بتونس اسمية حتى فضل اللحيانى الانسحاب الى مخيمات عرب ذباب بطرابلس تاركا الامور لابنه أبى ضربه الـذى عمل على الحد من سلطة العرب الذين أرهقوه بمطالبهم من ناحيه والوقوف في وجه الاميـر أبى يحيى أبو بكـر منافسه على السلطة من ناحية اخرى ولكنه فشـل في المهتمين مما أضطره للحاق بأبيه تاركا القبائل العربية من سليـم بقيادة حمزة بن عمـر تدافع عن استقلالها الذاتـى امام زحف الاميـر ابى بكـر الذى أنـزل بهم هزيمة منكـرة وقتل الكثير من زعمائهم وشـرد الباقى في انحاء البلاد وسيطر على أمور تونس في الفتـرة مـن 718 هـ الى 747 هـ (1318 م ـ 1347 م) (314) .

(311) ابـن خلدون : العبر ج 6 ص 76، 308، 309.

(312) ابـن خلدون العبر ج 6 ص 76.

(313) ابـن خلدون : العبر ج 6 ص 76، 314 — 322، الـزركشى : تـاريـخ الدولتيـن ص 56 — 60.

(314) ابـن خلدون : العبر ج 6 ص 77، 322 — 334، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 60، 61.

لجأ عرب الكعوب الى أعداء الدولة الحفصية بعد أن فشلوا في مقاومة قواتها فأنتقل زعماء سليم : حمزة بن عمر وطالب بن مهلهل ومحمد بن مسكين من أولاد القوس من عرب بني حكيم الى المغرب الاوسط لاجئين الى بنى عبد الواد بتلمسان الذين استغلوا ثورات العرب ضد الحفصيين لشغلهم واستنفاذ قوتهم حتى يتمكنوا من تثبيت سلطتهم بتلمسان ومدها الى بجاية فنصبوا عليهم الامير أبى حفص ابراهيم الشهيد اللاجيء الحفصى اليهم لمنافسة أبى بكر بتونس (315).

وضاق الامير أبو يحيى أبو بكر ببنى عبد الواد ورد على موقفهم هذا بأن اتصل ببنى مرين بالمغرب مدعما هذه الصلة بالصهر فيما بينهما وفي نفس الوقت لجأ حمزة بن عمر زعيم عرب الكعوب الى بنى مرين الذين استولوا على تلمسان محرضا ابا الحسن المرينى على غزو تونس فراعى أبو الحسن الصلات التى تربطه بأبى بكر ووفق فيما بينهما وعاد حمزة الى تونس وركنت عرب افريقية الى الهدوء وساد السلام المملكه (316) حتى اغتيل حمزة بيد من عرب بنى كثير أحد بطون كعب فاتهم أبو الليل بن حمزة السلطان أبابكر بتدبير قتله وحاصرت العرب تونس وأوفد أبو الليل وزيره المعز بن مطاع (المعن بن مطاعن) الى الامير أبى العباس ابن السلطان ووالى قفصة لتحريضه على الثورة ضد أبيه والدعوة لنفسه فقبض أبو العباس على الرسول وقتله (317) ولكنه عاد ورحب بمحالفة العرب بعد وفاة أبيه أبى بكر في 747 هـ / 1347 م ونازعه على السلطة أخوه الامير أبو حفص عمر فساعدته القبائل العربية حتى استولى على تونس ولكن أبا حفص عمر تمكن من اقتحام المدينة وقتل أخيه وأنصاره من زعماء العرب البالغ عددهم أكثر من ثمانين رجلا منهم أبناء حمزة الثلاثة فعاود العرب الوفود على أبى الحسن المرينى مطالبين بثأر شيوخهم فأستغل هذه الاحداث وزحف الى افريقية (318) وقام بنو حمزة بن عمر وعرب الكعوب بملاحقة الامير أبى حفص عمر الهارب وأعوانه من عرب مهلهل منافسيهم

---

(315) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 306، 308، 335، 336، ج 7 ص 107، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج 1 ص 336، 337، ابن القنفذ : الفارسية ص 149، 155.

(316) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 340 — 342، 346 — 347.

(317) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 77، 78، 347، 348.

(318) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 356 — 357، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 81

في رياسة سليم فأدركوه بأرض الحامة بجوار قابس وقتلوه في 748 هـ/ 1347 م وأصبحت مملكة تونس للمرنيين حتى 750 هـ / 1350 م (319).

وكما قاومت القبائل العربية بافريقية الحفصيين حينما عملوا على الحد من سلطتهم فانها ثارت كذلك على المرينيين حينما فكروا في تقليم اظافرهم وقبض يدهم عن جباية القبائل المستقرة التى احترفت الفلاحة سواء من العرب أم البربر فانقلبت افريقية نارا مما اضطر ابو الحسن المرينى للانسحاب منها في 750 هـ / 1350 م.

ومن الطريف أنه في نفس الوقت الذى تزعم فيه قتبة (أبو الليل) ابن حمزة الثورة ضد المرينيين كان أخوه خالد بن حمزة وعرب أولاد مهلهل يناصرونهم بينما كان كبير الاخوة عمر بن حمزة يقوم بالحج بمكة ويقرر مصير هذا الصراع بالاتفاق مع الشيخ أبى محمد عبد الله ابن تافراجين (320) قام عمر بن حمزة والشيخ ابو محمد عبد الله ابن تافراجين - بعد عودتهما من الحج - بالتوفيق بين الاخوين خالد وقتبه واتفقوا جميعا على خلع الامير الفضل بن ابى يحيى الحفصى محددت اقامته بين مخيمات عرب أولاد أبى الليل وآقاموا اخاه أبا اسحق من بعده وأولوه منصبا شكليا فقط بينما استأثر بالسلطة الحقيقية أولاد أبى الليل من الكعوب مما ادى الى نقمة منافسيهم أولاد مهلهل فتحزبت البطون ونشأ صراع ضارى بينهما انتهى باغتيال أبى الليل (321) .

أدت الفوضى السائدة بأفريقية الى الغزو المرينى الثانى في 757 هـ/ 1356 م ولم تتمكن المقاومة المشكلة من أولاد أبى الليل وأولاد مهلهل للدفاع عن افريقية باسم الحفصيين من وقف زحف المرينيين بقيادة أبى عثمان فتحولوا لمبايعتهم فكأفأهم أبو عنان ومنحهم الاراضى كاقطاعيات وأثبت ذلك في السجلات والصكوك وأخذ أبناءهم رهينة مقابل طاعتهم (322) .

وحينما أراد أبو عنان المرينى أن يقوم بتنظيم تونس وافريقية ويقضى على الفوضى الضاربة في البلاد - كما سبق أن حاول أبوه أبو

(319) ابن القنفذ : الفارسية ص 170، 173، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 81، 72، السلاوى : الاستقصا ج 3 ص 154 — 156.
(320) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 363.
(321) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 364، 365، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 91
(322) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 367، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 95.

الحسن ـ حصل على نفس النتيجة فقد أحس العرب بالخطر على استقلالهم الذاتي وبادروا الى الثورة فخشيت القبائل المرينية أن يكون مصيرها كمصير قوات أبى الحسن من الهزيمة المخجلة فتسللوا من جيش السلطان حتى أدرك أنه لا جدوى من بقائه فأنسحب الى المغرب (223) .

عاد أبو اسحق ابراهيم الثاني الى تونس وآلت رياسة عرب أولاد أبى الليل الى منصور بن حمزة الذى تمكن من فرض سيطرته على أبى اسحق وابنه خالد من بعده حتى أرغم الدولة على اقطاعه ضواحى البلاد بل وقاسم بنى حفص جبايات الامصار ريفا وصحراء ونلولا وجريدا وعندما أظهر الامير خالد استياءه من هذا التسلط والاستبداد استبدله منصور بالامير أبى العباس أحمد الاول الحفصى 772 هـ / 1370 م الذى عمل على مداهنة العرب واستئلافهم الى أن أغتيل منصور في 770 هـ / 1373 م (324) واتولى صولة بن خالد بن حمزة رياسة الكعوب فحلت الجفوة بين أبى العباس أحمد الاول وعرب أولاد أبى الليل بسبب قيام أبى العباس أحمد بالقضاء على الاستقلال الذاتي لمدينة سوسة بعد محالفته لاولاد مهلهل مما دفع صولة للفرار بأعوانه الى الصحراء (325) .

استمرت ثورة عرب أولاد أبى الليل ومحالفيهم من عرب حكيم حتى توليه أبى فارس الحكم فتمكن اخواله من عرب المحاميد بطرابلس من اغتيال أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين المشهور بابى صعنونة شيخ عرب حكيم وأحد زعماء الثورة ضد الحفصيين مما أدى الى نجاح السلطان في السيطرة على القبائل العربية بافريقية والزامهم بالزكاة والعشر (326) .

ومن بداية القرن التاسع الهجرى حتى سقوط الدولة في أواخر القرن العاشر اشتد الصراع بين أمراء البيت الحفصى وكثر تدخل العرب وثوراتهم

---

(323) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 371.

(324) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 78، 79، 384.

(325) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 79، 83، 39، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 111، 123، 124.

(326) الزركشى : تاريخ الدولتين ص 128، ابن أبى دينار : المؤنس فى اخبار افريقية وتونس ص 145.

بقيادة أولاد أبى الليل بينما ناصر أولاد مهلهل في الغالب الدولة وعلى سبيل المثال فبعد نجاح الامير أبو عمرو عثمان 839 ـ 893 هـ / 1435 ـ 1488 م في الاستيلاء على الحكم بتونس قام أولاد أبى الليل بحماية منافسه على العرش الامير أبى عبد الله محمد بن أحمد وأنزلوه بمخيماتهم ولكن وعد ووعيد أبو عمرو عثمان أرهب أولاد أبى الليل فأسلموه لاجئهم وأنصاره فقتلهم في نفس العام ويبدو أنه لم يف بوعده اذ هاجم أولاد أبى الليل مدن افريقية سالبين مراعيها قاطعين الطريق على أهلها وحاصروا مدينة تونس فأطلق أولاد مهلهل منافسيهم عليهم واشتبكوا معا بالقرب من تونس وقتل منهما الكثير (327) وانسحب أولاد أبى الليل منهزمين ليعودوا مرة أخرى لحصار تونس بمعاونة الامير أبى الحسن والى بجاية ويلتقى الفريقان في 840 هـ / 1436 م (328) وينتصر أبو عمر وعثمان وحلفاؤه من أولاد مهلهل ويقبض على زعماء أولاد أبى الليل (329) .

وهكذا نرى أن الصراع بين الامراء الحفصيين على الحكم قد انعكس على قبائل عرب سليم وصراعها من أجل السيطرة على جميع عرب افريقية والاستحواذ على رضاء الدولة وهيأتها وليس معنى هذا أن أولاد مهلهل كانوا أنصارا وحلفاء للدولة بصفة مستمرة فقليلا ما ثاروا على الدولة لسبب أو لآخر ففى 867 هـ / 1463 م عندما خفض أبو عمرو عثمان مرتباتهم ثار أولاد مهلهل وفر زعماؤهم الى الصحراء فاستبدلهم أبو عمرو عثمان وعين بدلا من الشيوخ الثائرين عليه رجالا منهم أما أخا للشيخ أو عما أو ابن عم (330) وأخذ أولادهم رهنا لديه لضمان طاعتهم وأرسلهم الى العاصمة حيث أنزلوا بقصر خاص لتثقيفهم وتربيتهم على الولاء للدولة والاخلاص لها (331) .

وفي خلال فترة حكم أبى عبد الله محمد الخامس وابنه الحسن من 899 هـ / 1494 م الى 943 هـ / 1536 م ثارت جميع قبائل افريقية

(327) الزركشى : تاريخ الدولتين ص 133، 136، 137، .
(328) الزركشى : تاريخ الدولتين ص 138.
(329) وهم منصور بن خالد بن صولة وطلحة بن محمد بن منصور بن حمزة ومنصور بن ذؤيب. أنظر الزركشى : تاريخ الدولتين ص 138 ـ 146.
(330) عقد للحاج محمد بن سعيد على أولاد يعقوب بدلا من أخيه سمير البعبو وجديد على أولاد يحيى بدلا من أخيه اسماعيل والطاهر بن رحيم على أولاد سلطان بدلا من فارس بن على ولمالك بن منصور بدلا من على الشيعى ولقاسم بن طالب العونى بدلا من يحيى بن طالب أنظر الزركشى : تاريخ الدولتين ص 153، 154.
(331) الزركشى : تاريخ الدولتين ص 153 ـ 154.

بقيادة عرب الشابيين (332) وتمكنوا من الاستيلاء على القيروان منزلين هزيمة ساحقة بقوات الدولة التى تخلى عنها أنصارها من العرب وتمكن الشيخ عرفة من زعماء الشابيين من الاستقلال بحكم القيروان وتلاه أخوه محمد بن أبى الطيب ثم الشيخ عبد الصمد بن محمد بن أبى الطيب ثم ابنه على ويعرف بأبى زغاية ثم ابنه زيان واستمر الصراع بين عرب الشابيين بالقيروان وما حولها والدولة النظامية بتونس الى أن قضى الترك على استقلال الجميع (333).

خامسا ـ الامارات العربية المستقلة بالدولة الحفصية

نتيجة لانقسام البيت الحفصى وصراع الامراء الحفصيين على السلطة وثورات العرب المتعددة ضعفت قبضة الدولة على أطراف المملكة وسنحت الفرصة للاسر العربية القوية المستقرة بالزاب وبلاد الجريد للاستقلال باماراتها ومثال ذلك :

بنو مزنى بالزاب :

وكان بنو مزنى من أشهر الاسر العربية التى انتقلت الى افريقية احلافا لقبائل بنى هلال في القرن الخامس الهجرى وهم من مزنة بن دنفل ابن محيا بن جزى بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف من عرب الاثبج ويرجح ذلك الرأى أن معظم أهل الزاب من عرب الاثبج الذين عجزوا عن الترحال والظعن فاستقروا بقرى الزاب وجاوروا أهلها من بربر زناتة وبقايا عرب الفتح حيث اتخذوا الفلاحة حرفة لهم (334). ويزعم بنو مزنى أنهم من عرب فزارة وقد يرجع ذلك لما لفزارة من تاريخ حافل ووضع ممتاز بين القبائل العربية في الجاهلية والاسلام (335) اذ

(332) أصلهم من الشابة، وهى بلدة قرب صفاقس.

(333) ابن ابى دينار : المؤنس فى أخبار افريقية وتونس ص 150 ـ 160.

(334) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 405، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 291.

(335) من عرب فزارة حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية بن لوذان بين ثعلبة بن عدى بن فزارة وهو صاحب الفرس المعروفة بالغبراء التى أجريت مع الفرس المعروف بداحس وهو فرس قيس بن زهير العبسى وكانت بينهما الحرب المعروفة بحرب داحس بين عبس وغطفان، وفيهم (فزارة) يقول الشاعر :

فزاره بيت العز والعز فيهم ... فزاره قيس حسب قيس نضالها
لها العزة القعساء والحسب الذى ... بناه لقيس فى القديم رجالها

أنظر القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ص 113، 114.

تميل بعض القبائل الغارمة أو المغمورة الى الانتساب الى أنساب مشهورة لشجاعة أو كرم أو غير ذلك ما يرفع من شأنها بين القبائل المجاورة لها على حد قول ابن خلدون بأنه «قد يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب الى أنساب يلهجون بها أما لخصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم أو ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه أنفسهم من القدح في رئاستهم والطعن في شرفهم» (336) .

ويبدو أن بني مزني انتسبوا الى عرب فزارة لما أنتهى اليه عرب الاثبج من الاستقرار بالزاب واحتراف الفلاحة والخضوع لما تفرضه الدولة عليهم من مغارم ووضائع فأنفوا من ذلك خصوصا وقد اعتمدوا في استمرار اماراتهم بعد سيطرتهم على بسكرة والزاب على محالفة الزواودة زعماء عرب رياح كفرسان يحمون الامارة بسيوفهم (337) . فأحبوا أن يكون لهم نسب يزيد أن لم يضاهى نسب الزواودة محاليفهم .

والزاب وطن كبير قاعدته بسكرة وهو يمتد من قصر الدوسن غربا الى قصر بادس شرقا ويشتمل على قرى متعددة متجاورة أشهرها زاب الدوسن ثم زاب طلوقة وزاب مليان وزاب بسكرة وزاب تهودة وزاب بادس (338) وعمل بنو مزني على اتساع امارتهم فأضافوا الى امارة الزاب من الشمال بلاد الحضنة المكونة من قرى مقره ونقاوس والمسيلة ثم بلاد التل من أرض سدويكش وعياض ومن الشرق جبال أوراس ومن الجنوب قرى ريغة ووراكلى المطلة على الصحراء (339) .

وفي خلال عصر الدولة الموحدية استقر بنو مزني بقرية حناس احدى قرى بسكرة حيث تناسلوا وكثروا وشاركوا أهلها في مراعيهم ومصادر مياههم ثم انتقلوا للاستقرار بالمدينة مع أهلها من بربر بني رمان حيث انضموا الى مجلس الشورى بها (340) .

---

(336) أنظر ابن خلدون : المقدمة ص 132 وما بعدها.

(337) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 405، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 7292

(338) مجهول : الاستبصار فى عجائب الامصار ص 171، 175، ابن خلدون : العبر ج 2 ص 405.

(339) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 406، 407.

(340) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 406، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 291.

استنكف بنو رمان مشاركة بنى مزنى لهم بالمدينة وعمل كل منهما على طرد الآخر منها الى أن ثـار الامير أبو اسحق على أخيه محمد المستنصـر الحفصى فبايعه فضل بن على بن أحمد بن الحسن بن على بن مزنـى وتمكنوا من السيطـرة على بـلاد الزاب وبسكرة بمحالفة عـرب الزواودة ولكن المستنصر تمكن من القضاء على ثـورة أخيه فلجأ الاميـر أبو اسحق وانصاره وعلى رأسهم فضل بن على الى الاندلس الى أن عاد أبو اسحق الى تونس بعد وفـاة أخيه وتولى الخلافة فعقد لفضل بن على. على ولايـة الزاب ولاخيه عبد الواحد على ولايـة بلاد الجريد مقابـل اخلاصهمـا (341) .

استكان بنورمان لحكم بنى مزنـى خلال فتـرة حكم السلطان ابـى اسحق ولكن عندما قامت ثـورة أحمد بن مرزوق بن أبى عمـارة في 681 هـ / 1282 م وقتل السلطان أبو اسحق في العام التالـى استغلوا هذا الظرف فتآمروا مع عرب أولاد حـر من لطيف احدى بطون الاثبج المستقرين بقرية باشـاش من أعمال بسكرة ونجحوا في اغتيال فضل بن على في 683 هـ / 1284 م واستبد بنو رمـان بحكم بسكرة والزاب وتمكنوا من الحصول على تأييد السلطان أبى حفص بتونس على ذلك بل وقـام السلطان أبو حفص باعتقـال منصور بن فضل بن على المتواجد بتونس في ذلك الوقـت لبعـض شئون الامـارة .

وبعد استقلال الامير ابى زكريـا يحيى بن أبى اسحق بامـارة بجاية وبونة وانقسام الدولة الحفصية تمكن منصور بن فصل من الهرب الى بجايـة حيث عقـد له أبو زكريـا يحيى على ولاية الزاب وبسكرة في 693 هـ / 1294 م (342) ويعود منصور الى بسكرة وينتقم من قاتلى أبيه فيجد أن عـرب الحر طردوا من بيوتهم وتفرقوا في بـلاد ريغة فيسخـر بربـر بنى رمـان في بناء قصر له ولشيعته وبنـاء سور حول مدينـة بسكـرة لتحصينها ثم طردهم من المدينـة بعد ذلـك .

---

(341) ابـن خلدون : العبر ج 6 ص 406.
Georges Marcais : Les Arabes en Berbéries P. 417, 426, 646.
الميلـى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 291.

(342) ابـن خلدون : العبـر ج 6 ص 406، 407.
G. Mrcais : Les Arabes... P. 646.
الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 291، 292.

وأستتبت الامور لمنصور وأحكم سيطرته على امارة الزاب ونجح في تحصيل جبايته فأضاف اليه السلطان أبو زكرياء يحيى جبل أوراس وقرى ريغة ووارگلى وبلاد الحضنة المكونة من قرى مقرة ونقاوس والمسيلة لتنظيم ادارتها وتحصيل جبايتها حتى اغتنت امارة بسكرة وامتلات خزائنها بالمال فأشترى بنو مزنى رضاء أعوان السلطان وحاشيته بالذهب والفضة وعندما تولى الامير أبو البقاء خالد فى 709 هـ / 1309 م علت مكانة منصور بالدولة الحفصية للعلاقات الودية التى تربطه بأبى عبد الرحمن بن عمرو حاجب الامير أبى البقاء فأضاف الامير أبو البقاء الى ادارته بلاد التل من أرض بربر سدويكش وعرب عياض فنجح في ادارتها وتحصيل جبايتها بعد أن «لقح عقيمها وتفجرت ينابيعها» على يديه على حد قول ابن خلدون (343) بل واقطعه بعض قرى تونس التى خصصت للسلطان وبنيه لما اسداه للدولة من خدمات (344) .

ونتيجة لاتساع امارة بسكرة والزاب ونجاح بنى مزنى في تحصيل الجباية من القبائل المستقرة بقرى الزاب ومدنه تعرضت الامارة لثورة دينية دعا اليها رجل عربى يعرف باسم سعادة يدعو الى ترك المغارم والمكوس تخفيفا على الرعية وعملا بالسنة ويعرف أنصاره بأهل السنة من المرابطين وتمكنت امارة بسكرة من صد هجوم مرابطى سعادة المتكرر عليها بفضل تحالفها مع عرب الزواودة من رياح ومساندتهم لها حتى قتل سعاده في 705 هـ / 1305 م ولكن دعوته استمرت بتأييد عرب عساكر بقيادة أبى يحيى بن ادريس وعرب أولاد طلحة بقيادة كل من حسن بن سالمة وعطية بن سليمان بن سباع الذين تمكنوا من ايقاع الهزيمة بقوات أمير بنى مزنى وقتل ابنه على ابن منصور وأسر حليفه على بن أحمد زعيم عرب الزواوده ورغم اطلاق اتباع سعادة لسراح على بن أحمد زعيم الزواودة الا أن المنصور لم يغفر لهم قتلهم لابنه وبالتالى استمرت العلاقة فيما بينهم عدائية طوال عهده (345) .

(343) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 407. G. Marcais : Les Arabes... P. 647.
الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 292.
(344) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 76، 314 — 322، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 56 — 60.
(345) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 407. G. Marcais : Les Arabes... P. 678.

استمرت علاقة امارة بسكرة العربية بالدولة الحفصية علاقة وطيدة الى أن طلب الحفصيون من منصور بن مزنى تدبير الاموال والنفقات اللازمة لحملة الامير أبى يحيى الى تونس في 717 هـ / 1317 م ويبدو أنهم اشتطوا في مطالبهم مما اضطر منصور للانسحاب ومعه حلفائه من عرب أولاد حرب بقيادة عثمان بن الناصر وعرب أولاد خنفر بقيادة يعقوب بن ادريس الى امارته وتحويل مبايعته الى بنى عبد الواد أعداء الدولة الحفصية حتى وفاته في 725 هـ / 1325 م (346) .

وعندما تولى عبد الواحد بن منصور امارة بسكرة عاد لطاعة بنى حفص ولكن سرعان ما تجددت الوحشة بين بجاية وبين امارة بسكرة بسبب المنافسة بين كل من عبد الواحد ومحمد بن أبى الحسن بن سيد الناس حاجب بجاية على التقرب لسلطان تونس وهاجمت قوات بجاية املاك بنى مزنى ولكن عبد الواحد تمكن من اقرار السلام بعد موافقته على تسليم الجباية لبجاية وعقده لمحمد بن أبى الحسن بن سيد الناس الحاجب على ابنته الى أن اغتاله أخوه يوسف في 729 هـ / 1329 م (347) .

وفي خلال فترة حكم يوسف بن منصور التى امتدت حتى 767 هـ / 1365 م تعرضت امارة بسكرة العربية لثلاثة تيارات متعارضة تمكن بحسن سياسته من اجتيازها : أولى هذه التيارات تفويض السلطان الحفصى لقائده محمد بن الحكيم القضاء على الخارجين على الدولة والمستقلين عنها فنازل بلاد الجريد وتمكن من اخضاعها وتحول لامارة بسكرة وزحف اليها مرات عديدة بقواته ويوسف يراوغه في الطاعة ويدافعه بتسليمه الجباية واتحافه بالهدايا الى أن نكب السلطان قائده فى 744 هـ / 1343 م .

وثانيها : ثورة حليفه على بن أحمد زعيم عرب الزواودة بسبب استئثار يوسف بالجباية دونه فأنقلب على يوسف وحرض عليه القبائل العربية من أتباع سعادة ولكن يوسف نجح في القضاء على هذه الثورة بضمه ابن يعقوب الثائر الى جانبه واصهاره له في اخته بنت منصور

---

(346) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 408.
(347) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 408، 409.
الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 293.

واستئلافه عرب أولاد سباع بقيادة سليمان بن على منافس على ابن أحمد مما أضطره للعودة لمحالفة بنى مزنى (348) .

وثالثهما : موقف يوسف من الغزو المرينى الاول والثانى لافريقية فقد بايع يوسف أبا الحسن المرينى وآوى أولياءه وحاشيته بامارته شهورا وبعد ثورة افريقية على أبى الحسن ظل يوسف متمسكا بطاعته مرسلا الاموال اليه بتونس والجزائر داعيا له على منابره حتى وفاة أبى الحسن في 752 هـ / 1351 م وبايع ابنه السلطان أبا عنان من بعده وارتفعت منزلة يوسف بالدولة المرينية حتى خلطه أبو عنان بأوليائه ونظمه في طبقات وزرائه وأثره على ما بيده واختصه بكسوة ثيابه وعياله من قصره (349) .

وبعد سقوط الغزو المرينى الثانى وانسحاب أبى عنان الى المغرب عاد يوسف لطاعة الحفصيين حتى وفاته وتولى الرياسة من بعده ابنه أحمد بن يوسف والاختلاف بين طباع الاب وابنه تميز فترة حكم كل منهما وأصدق وصف لعصرهما قول ابن خلدون (350) :

«ان خلق أبيه (يوسف) كان سجية وخلق هذا (أحمد) تقليد لما فيه من التحذلق» .

ففى عهده قام السلطان أبو العباس أحمد الحفصى باخضاع مدن الجريد والقضاء على استقلال امارتها ومدنها في 777 هـ / 1375 م فانتقل شيوخها الى بسكرة (351) حيث تآمرا على مبايعة بنى عبد الواد بتلمسان فزحف اليهم أبو العباس بأنصاره من عرب بنى سليم فتحالفت رياح والاثبج على الموت دون بسكرة والزاب تعصبا للخصومة الازلية بين رياح وسليم ودفاعا عن أوطان رياح ومراعيها وكذلك عن امارة الزاب العربية والملجأ الحصين لكل عربى غضبت عليه الدولة النظامية مما اضطر أبو العباس لمهادنة بنى مزنى (352) .

(348) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 409.
(349) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 410 — 411، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 294.
(350) ابن خلدون : العبر ج 6 412.
(351) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 388، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 109.
(352) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 396، 397.

واذا كانت امـارة بسكرة قد تمكنت من المحافظة على استقلالهـا الذاتـي سواء عن طريق المصانعة لامراء الدولة الحفصية والرشـوة لحاشيتها أو طريق القوة المسلحة لاعوانها من عرب ريـاح والاثبج حتى بدايـة القـرن التاسع الهجرى فان السلطان أبا فارس عبد العزيز بن أبى العبـاس الحفصى قد تمكن من القضاء على هذا الاستقـلال في 804 هـ / 1401 م وحمل أميرها أحمـد بن يوسف وبنى مزنـى الى العاصمـة تونس بعـد أن حكموا بسكرة والزاب حوالى قـرن ونصف (353) .

الامـارات العربيـة ببـلاد الجريـد :

اطلق على هذه الامارات بلاد الجريد نظرا لانتشار زراعه النخل بها حيث تجود زراعته ويحسن انتاجه وهى تشمل توزر ونفطة وقنصـة ونفـزاوة والحامـة وتعرف كلها باسم بلاد قسطيلة (قصطيلة) وهى كثيرة العمران ذات حضـارة مزدهـرة (354) .

بنـو يملـول بتوزر : وهى أشهر الامارات العربية ببـلاد الجريد ويعتبر بنو يملـول زعماء لباقى امارات بلاد الجريد لسيطرتهم على توزر أكبر مدنها واتسـاع نواحيها وتمـدن قراها فتوزر تعتبر عاصمة البـلاد الجريدية كما تعتبـر بسكـرة عاصمة الـزاب .

وبنو يملـول ينتسبون الى عرب الفتح من قبيلة تنـوخ العربيـة استقروا منـذ فتـرة طويلة بتوزر مع غيرهم من العرب الافارقه حيـث امتزجوا نسبـا وصهرا ولعبوا دورهم السياسى في الاشتراك في مجالس الشورى بامارات بـلاد الجريد واتصلوا بالدولة الحفصية سواء كوافديـن على الملـوك للشـورى أو استقبال عمال الدولة القادمين من دار الخلافـة لبـلادهـم (355) .

تطلع جدهم أحمد بن محمد بن يملـول الى رياسة المدينة منذ بداية الدولة الحفصية في افريقية ونافس وجوه واشراف أهلها حتى تمكنوا من ابعاده بـل والتشكيك في امانته فأمتحنه الحفصيون في مالـه وصادروه مما أضطره الى الانتقـال الى تونس يطرق أبواب الوزراء والخاصة ويلثم

(353) الزركشى : تاريخ الدولتين ص 120، 122، الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 295
(354) دائـرة المعـارف الاسـلامية جـ 6 ص 354.
(355) ابـن خلدون : العبر جـ 6 ص 412 — 413.

أطـراف الاوليـاء والحاشية ويشترى بما بقى من ماله من يقدر عليه حتى أسنـد اليه ادارة ديـوان البحر بتونس فوزع العمـال على مرسى السفـن لجباية الاعشـار من تجار دار الحرب ونتيجة لنجاحه في جباية الاموال أضيفت اليه جباية باقى انحـاء المدينة فازدادت سلطته وكثرت أمواله فاخذ في توزيـع الهدايا والتحف على رجال الحكم والحاشية مما يجلبه الـروم من كل غريـب ومثير قاطعا لالسنه الساعين فيه الى ان ابطـره الغنى ودلت على عـدم امانته الثـروة فقبض عليه واغرم مائتـى الف دينـار بـاع من أجل تسديدها ملابسـه .

ورغم أنه خرج من النكبة الثانية مسلوب الامانة خاوى اليدين الا انـه استغل الظروف التى مرت بالدولة الحفصية وتقلص نموذها وتحول امـر البـلاد الجريديـة الى الشورى وتمكن من الوصـول الى مشيحـة تـوزر واستمـر بها حتى وفاته في 718 هـ / 1318 م (356) .

وتولى مشيخة توزر من بعـده أبنه يحيى بن أحمد الذى نجـح في القضاء على منافسيه من شيوخ المدينة من العرب الافارقة فاستقرت الامـور بالمدينه لبنى يملـول حتى وفاة يحيى بن احمد في 723 هـ / 1323 م فتولى امـارة توزر اخـوه محمد بن احمد الذى عمل على مد نفـوذ بنـى يملـول الى خارج تـوزر بمساعدة عرب مرداس من سليم بزعامه اولاد ابـى الليـل لنسب بينهما (357) فكانوا أعوانا مخلصين وجنودا مطيعين له مما ارغم ملوك الدولة الحفصية الى اسناد امارة بلاد الجريد وجبايتها اليه حتى وفاته في 744 هـ / 1343 م (358) .

وما كاد ابنه عبد الله بن محمد يتصدى لامـارة تـوزر حتى اغتاله عمه أبو زيـد بن أحمد وكان محبـا لسفك الدماء واستباحة الحرمـات واغتصاب الاموال فثار عليـه أهل البلد من العـرب وراسلوا سرا أخاه ابـا بكـر بن احمد المعتقل بتونـس فأطلقه السلطان وعقد له على امـارة المدينـة وأرسلـه الى تـوزر فتمكن من احتلالها بمعاونة انصاره مـن عرب مرداس من سليـم المستقرين بضواحي المدينة وحلفائه من مزاوة

(356) ابـن خلدون : العبر ج 6 ص 413.

(357) سبق أن عقـد أبـو الليل جـد عرب أولاد أبى الليل على أخت أو عمة أحمد ابن يملول. أنظر ابن خلدون : العبر ج 6 ص 414.
G. Marcais : Les Arabes... P. 495-497.

(358) ابـن خلدون : العبر ج 6 ص 414.

المجاوريـــن (359) ونقض أبو بكر اتفاقه مع السلطـان الحفصى في الوفاء بالجبايــة والطاعة فهاجمتــه القوات الحفصية في 745 هـ / 1344 م فهرب الى امــارة بسكرة والزاب ثم انتقــل الى حصون بنى يملــول بجوار توزر متحينــا الفرصــة لاسترداد امارته لكنه توفــى في 746 هـ / 1345 م وتمكــن يحيى بن محمد بن أحمــد بن يملــول من استرداد توزر بمعاونة عرب كعب من سليــم بقيــادة أولاد مهلهل (360) .

وفي عهده اتسعت الامارة وتمكن من ضم نفــزاوة وأعمالها وهى تتكون من قــرى عديدة معروفة بخصبها يفصلها عن توزر سبخــة الجريد ويربطهــا بها طريق ثم تحديــده بقوائم من الخشب يهتدى بها السالك اليهــا والخارج منها ويسكــن هذه القرى قوم من بقايا بربــر نفزاوة استقروا بعد انقراض أجدادهم واندمجوا مع بطون العــرب الافارقة التــى استقرت بالمدينــة ومن نــزل بها من عرب الشريد وزغب من بنى سليــم بعد أن عجزوا عن الترحال والظعن (361) وأدى اتساع الامارة الى تشبه بنى يملول في الشارة والحجاب والالة والمجالس بالملوك وكذلك فــرض الضرائب على الرعية ومصادرة أموال البيوتات القوية بالمدينة (362) .

بنو العابــد بقفصــة : أما بنو العابد فهم يزعمون أنهم ينتسبون الى قبيلة بلى العربية وأنهم أحلاف لعرب الشريد من بطون سليــــم ومؤسس هذه الاسرة هو يحيى بن محمد بن على بن عبد الجليل بن العابد الذى آلــت اليه أمــور قفصة بعد تحــول أمــر بــلاد الجريد الى الشورى نظــرا لان بنــى العابــد هؤلاء كانــوا أقوى عصبية بالمدينة فاستبـــدوا بحكمها الا أن الغزو المرينى الاول قد انحصر وقامت القوات الحفصيـــة باسترداد ولايات الدولة فزحفت الى مدينــة قفصة في 735 هـ / 1334 م وحاصرتها نحو شهــر تقطع نخيلها وتحكم الحصار حولها حتى فر بنـــو العابــد الى قابــس وتركوا أهل المدينة يعلنون طاعتهم لسلطان تونــس الذى عين ابنــه الامــيـر أبــا العباس واليــا على بــلاد الجريد الى أن

---

(359) ابـــن خلدون : العبر ج 6 ص 414.
G. Marcais : Les Arabes... P. 643-644.
(360) ابـــن خلدون : العبر ج 6 ص 415، 416.
(361) ابـــن خلدون : العبر ج 6 ص 419.
G. Marcais : Les Arabes... P. 219, 675-676.
(362) ابـــن خلدون : العبــر ج 6 ص 416.

توفي في 747 هـ / 1346 م (363) فعاد أحمد بن عمر بن العابد الى قفصة خلفا لابن عمه يحيى بن محمد بن علي وكان محبا للخير والعدل فاستقرت الامور بالمدينة وراجت الاحوال بها خصوصا وأنه لم يكن مسرفا على حاشيته ومجالسه بل كان ميالا الى الاقتصاد والاعتدال وفي الوقت الذى حظى فيه بحب رعيته من أهل قفصة فقد أثار سخط أمراء بنى العابد لانه ضيق عليهم فأبعده ابنه محمد بن أحمد مستغلا كبر سنه واقتدى باقرانه من أمراء الجريد في التظاهر بالترف والتشبه بأمراء الدولة الحفصية وفرض الضرائب والمكوس على الرعية .

ولما أحس بنو العابد بازدياد سلطة الدولة الحفصية وتصميمها على السيطرة على أطراف املاكها تحالفوا مع غيرهم من أمراء مدن الجريد وسربوا أموالهم الى عرب الكعوب بزعامة أولاد أبى الليل ولكن السلطان أبا العباس بادر بالقضاء على عرب الكعوب أولا ثم حاصر قفصة فقام أهلها بتسليم محمد بن أحمد وابنه ودخل ابو العباس المدينة واستولى على ديار بنى العابد بما فيها من أموال وقضى على ولايتهم لقفصة في 780 هـ / 1378 م (364) .

بنو الخلف بنفطه : أما بنو خلف فهم ينتسبون الى قبيلة غسان العربية من العرب الافارقة انتقل جدهم من بعض قرى نفزاوة الى مدينة نفطة واستقر بها حيث كون أسرة قوية آلت الى ابنائها الاربعة أمور المدينة خلال فترة الفوضى التى عمت أنحاء الدولة الحفصية وهم : مدافع وأبو بكر وعبد الله ومحمد وابنه أحمد بن محمد وبعد استيلاء السلطان أبى بكر على بلاد الجريد هاجمت القوات الحفصية المدينة فلاذ أهلها بالطاعة واسلموا بنى مدافع للسلطان ابى بكر فضرب أعناقهم وصلبهم على جذوع النخيل وبعد موت السلطان أبى بكر وابنه الامير أبى العباس والى البلاد الجريدية في 747 هـ وعودة أمراء بلاد الجريد كل منهم الى اماراته عاد على بن الخلف الذى تمكن من النجاة من المذبحة التى حلت بأسرته الى نفطة وقام بالحج في 764 هـ / 1362 م والتزم مذاهب الخير وطرق الصلاح في الحكم حتى وفاته فى

(363) ابن خلدون : العبر ج 2 ص 414، 415.
G. Marcais : Les Arabes... P. 448-449.

(364) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 417.
G. Marcais : Les Arabes... P. 492, 495, 500, 672.

765 هـ / 1363 م فخلفه ابنه محمد بن على الذى سار على نهج أبيه في الصلاح وتوفى في نفس العام (365) .

تولى أخوه عبد الله بن على فأساء السيرة فنقم الناس عليه وشجعوا أخاه الخلف بن على بن الخلف مع مشيخة المدينة على خلعه واستعانوا في ذلك بمحمد بن خلف الله قاضى نفطة السابق الذى انتقل الى تونس وتولى خطة القضاء بها والذى حرض الحفصيين على مهاجمة نفطة فنجح الخلف في اغتيال أخيه والاستقلال بحكم المدينة ولكنه نقض اتفاقه مع شركائه في التآمر مما دفع الحفصيون الى معاودة الهجوم على المدينة وحينما ادرك عدم جدوى مقاومته سارع الى اعلان طاعته فاشترط السلطان ابراهيم الثانى بن أبى يحيى عليه انتقاله من نفطة الى توزر وتولى حجابه ابنه الامير المنتصر وتكليف من يراه لتولى أمور نفطة في غيابه وقبل الخلف هذه الشروط على مضض وأضمر التآمر على الحفصيين فراسل يعقوب بن على أمير عرب رياح لمساعدة أمراء بلاد الجريد في استرداد اماراتهم ولكن ضبطت مكاتباته وقبض عليه وقتله الامير المنتصر (366) .

ولقد افلحت بلاد الجريد في الاحتفاظ باستقلالها الذاتى بفضل موقعها المنعزل واعترفت بالاسم لا بالفعل بسلطان الدولة الحفصية فكانت المدن بمثابة جمهوريات صغيرة تحكمها مجالس من الاعيان أو يلى أمرها أسر من ذوى النفوذ العريض فحاربت الحفصيين طوال القرن الثامن الهجرى بزعامة أسرها القوية النفوذ تعاونها في ذلك القبائل العربية المستقرة حولها ويحالفها بنو مزنى أمراء بسكرة والزاب (367).

(365) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 415، 416.

(366) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 415، 416، 417، 418.
G. Marçais : Les Arabes... P. 492, 495, 672, 673.

(367) دائرة المعارف الاسلامية ج 6 ص 354 — 355.

الفصـــل الثـــالـــث

دور العرب فى دولة بنى عبد الواد بالمغرب الاوسط

أولا ــ دور زغبة والمعقل فى قيام دولة بنى عبد الواد

تنتمي دولة بنى عبد الواد الى قبائل زناتة التى كانت ترتاد جبال وصحراء المغرب الاوسط ، ولما فتح الموحدون هذه البــلاد كان بنو عبد الواد عونـــا لهم على ذلك فنالوا ثقة الموحدين وحصلوا منهم على اقطاعات وفيرة بأحواز تلمسان فأستقروا فيها منـــذ ذلك الوقت (368) .

وكانت حدود هذه الدولة غير ثابتة اذ أنها كانت تضيق وتتســـع حسب قوة جيرانها من بنى حفص شرقا وبنى مرين غربا الا انه يمكن القول بأن حدودها كانت تمتد طولا من البحر المتوسط شمالا الى صحراء الجزائر جنوبا وعرضا من جبال سعيدة ووادى مينة شرقا الى وادى ملوية ومدينة وجــدة غربــا (369) .

وينقسم بنو عبد الــواد الى بطون وشعوب أهمها : بنو ياتكين وبنـــو أولوا وبنو ورهطف وبنو نصوحة وبنو لومرت وبنو القاسم، ويزعم بنـــو القاســـم انهم من أولاد القاســـم بن ادريـــس ، وعمل بنـــو عبد الواد على تأكيد هذا النسب (370) خصوصا في عهد موسى بن يوسف ابـــن عبد الرحمن بن يحيى بن **يغمراسن بن زيـــان الذى يعتبر** عصـــره (753 ــ 791 هـ / 1352 ــ 1389 م) من أزهـــى عصور الدولة ، حيث أنه ولد فى غرناطـــة سنـــة 723 هـ / 1323 م وقضى فيها فتـــرة شبابه عندما كان

---

(368) ابـــن خلدون : العبر ج 7 ص 72، وعرفت دولـــة بنى عبد الواد بدولة بنى يغمراسن باعتباره أول ملوكها وبدولة بنـــى زيـــان أو الزيانية نسبة الى اســـم والده، أنظر أحمـــد مختـــار العبـــادى : دراسات ص 197، 198.

(369) ابـــن خلدون : العبر ج 7 ص 72 وما بعدها، القلشندى : صبح الاعشى هـ 5 ص 149. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 198

(370) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 72، موسى بن يوسف : واسطة السلوك فى سياسة الملـــوك ص 16.

والــده منفيــا بها ، فتأثــرت شخصيته بالحضارة الاندلسية التى كانت سائــدة في غرناطــة في ذلك الوقت مما كان لــه أثــر كبيــر في ذلــك الازدهار الحضارى الذى نعمت به تلمســان حتى صارت صــورة مــن غرناطــة في عهــده ، ويبــدو من تاريخ هذا السلطــان أنه كان قبل كــل شيء جنديا باسلا كما كان أديبا وفيلسوفا وشاعرا وفنانا في نفــس الوقــت (371) .

ويظهر تأكيده هذا النسب بوضوح في كتابه «واسطــة السلوك في سياسة الملوك» عند افتخاره بانتصاره على المرينيين وتنويهــه بمساعــدة عرب عامــر له حيث يقــول (372) :

تسربلــت كردوسين من آل عامــر — ومن آل ادريس الشريف بن القاسم
حملنـــا عليهــم حملــة مضريـــة — فولوا شرادا مثل جفل النعائـــم

وحذت حذوه طبقة الكتاب والشعراء التى أحاط بها نفسه أمثــال الكاتب يحيى بن خلدون (373) الذى أطلق على السلطان لقب الامـــام ونص على وجوب خلافته الهاشمية شرعا (374) ومدح بنى عبد الــواد بقــولــه (375) :

خير قريـــش ابــا وأمجدهـــــا — وأكثرها نــائــلا واجــودهـــــا
اطعنهـــا بالقنـــــاة واضربهـــــا — بالسيف جحجاحهـــا مسـودهـــا

---

(371) أحمــد مختار العبادى : دراسـات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 201، 202.
(372) موسى بن يوســف : واسطه السلوك فى سياسه الملوك ص 16.
يحيى بن خلدون : بغيه الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ج 2 ص 28.
(373) دعى السلطان المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون فى 769هـ/1368م لحجابته ولكنه اعتذر عن تلبيــة رغبته وأنـــاب عنه أخاه يحيى بن خلدون فشغلها مدة طويلــه أنتج خلالها عــدة أعمـــال ادبيه وتاريخيه مثل كتاب «بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبــد الواد» وقد مــات يحيى بــن خلدون قتيـــلا على يــد ولــى العهد أبى تاشفين فى 780 هـ/1379م. أنظر ابــن خلدون : العبر ج 7 ص 140، 420، 421، أحمــد مختــار العبادى : دراســـات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 203.
(374) يحيى بن خلدون : بغيه الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ج 2 ص 9، 184.
(375) قيلت فى مدح الاميــر ابن تــاشفين بعد انتصاره على العرب فى 774 هـ. أنظر يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج 2 ص 271.

وكذلك غيره من الشعراء (376) الذين مدحوا بنى عبد الواد ونسبوهم الى النبـى (صلعم) بقولـه :

شرفا بنـى حسن بن فاطم شادء   لكـم واعـلاه النبـى المرسـل

ولم يكتف بنو عبد الواد بتأكيد نسبهم الى آل ادريس بل تقربـوا الى العلوييـن حيث كانت لهم قرية من أعمال تلمسان تعرف بقريـة العلويين ، وقد عمل أبو حمو موسى بن يوسف على تدعيـم هذه الصلـة فـزوج ابنته للامـام العالم أبى عبد الله محمد بن أحمـد الشريف الحسنى ويعـرف بالعلوى وبنى لـه مدرسة بتلمسان للانتفاع بعلمه ودرسه حتى توفى في 771 هـ / 1369 م (377) .

كذلك حالف بنوعبد الواد القبائل العربية التى استقرت بالمغـرب الاوسط خصوصا بطون عرب زغبة الذين جمعتهم وزناتة عصبية الحلـف (378) وذوى عبيد الله من عرب المعقل المجاورين لبنى عامر بن زغبـة المستقرين بجـوار تلمسـان (379) .

وازدادت مكانة شيوخ هذه القبائل حتى أسند يغمراسن في بعـص الاحيان الى عمر بن مهدى شيخ عرب سويد بن مالك بن زغبة ولايـة تلمسان وما يتبعها شرقا عند خروجه لقتال أعدائه (380) .

وحينما نقل يعقوب المنصور الموحدى بعض القبائل الهلالية مـن افريقية الى صحراء المغرب الاقصى في أواخر القرن السادس الهجرى (381) رافق هذه القبائل عدد لا يتجاوز المائتين من عرب المعقل ، نزلوا المنطقـة التى تلى ملوية حتى رمـال تافيلالت ، حيث ازداد عددهم وكثـروا ، وعمروا صحارى المغرب الاقصى ، وتغلبوا على فيافيه (382) ، وحالـف

(376) يحيى بن خلدون : بغيـة الرواد جـ ص 18.
(377) ابـن خلدون : التعريف بـابـن خلدون ورحلته غربـا وشرقـا ص 62.
(378) بطـون زغبه : يزيد وحصيـن ومالك وعامر وقـد اقتسموا بلاد المغرب الاوسط فيمـا بينهم. انظر ابـن خلدون : العبـر جـ 6 ص40.
(379) ابـن خلدون : العبر جـ 6 ص 58، 59، محمد بن مـاء العينين : الجـأش الربيط . ص 28، 29.
(380) ابـن خلدون : العبـر جـ 6 ص 45.
(381) السلاوى : الاستقصـا جـ 2 ص 145.
(382) ابـن خلدون : العبـر جـ 6 ص 59، محمد بن مـاء العينيـن : الجـأش الـربيـط ص 28، 29.

عرب المعقل، زناتة ، أكثرهم مع بنى مرين ما عدا ذوى عبيد الله منهم فقد حالفوا بنى عبد الواد لمجاورة مجالاتهم لدولتهم واشتراك حدودهم حيث أن مواطنهم كانت ما بين تلمسان ووجدة (383) .

وبعد أن تمكن بنو عبد الواد من تأسيس ملكهم بتلمسان الحقوا بخدمتهم عرب المنبات من الاحلاف من ذوى منصور من المعقل ، وموطنهم المغرب الاقصى ما بين ملوية ودرعة (384) .

وفي النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى لجأ والى درعة عبد الله ابن مسلم (385) وأحلافه من عرب أولاد حسين من ذوى منصور من المعقل الى بنى عبد الواد ، فرحبوا بهم ، وقلد أبو حمو وزارته لعبد الله ابن مسلم ، فقام عبد الله بنقل معظم عرب ذوى منصور من العمارنة والمنبات وغيرهم من المعقل الى ضواحى تلمسان ، حيث أقطعهم الاراضى وآخى بينهم وبين بنى عامر بن زغبة (386) .

ثانيا – دور عرب يزيد وعامر فى قوة الدولة واستمرارها

وعرب زغبة أخوة لرياح ، كانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم افريقية ، استقروا في المنطقة الممتدة من طرابلس الى قابس ، وأثناء صراع الموحدين مع بنى غانية ناصرت رياح وجشم بنى غانية وانضمت زغبة الى الموحدين وحالفوا بربر بنى بادس من زناتة ونقل الموحدون زغبة الى المغرب الاوسط لحمايته ، فاستقروا في المنطقة الممتدة من المسيلة الى تلمسان وما جاورها من الصحراء (387) .

(383) ابن خلدون : العبر ح 6 ص 61، ح 7 ص 85.

(384) ابن خلدون : العبر ح 7 ص 85، ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 209، السلاوى : الاستقصا ح 3 ص 36.

(385) كان واليا لابى الحسن المرينى ثم لابنه أبى عنان على درعة ولما تولى أبو سالم المرينى الحكم خشى على نفسه لاشتراكه فى القبض على أخيه أبى الفضل وتسليمه لابى عنان حينما ثار عليه فخاف أن ينتقم منه أبو سالم فهرب ومعه ثروته الضخمة التى جمعها فى خلال فترة حكمه الطويلة وأحلافه من العرب الذين يضرب بهم المثل فى وفائهم له. أنظر ابن خلدون : العبر ح 7 ص 123.

(386) ابن خلدون : العبر ح 7 ص 124، 132، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ح 2 ص 222، 234، 235، السلاوى : الاستقصا ح 2 ص 131، 132.

(387) ابن خلدون : العبر ح 6 ص 40.

وبعد استيلاء عبد الواد على المغرب الاوسط معتمدين على عرب زغبة، انتقلوا الى المدن والامصار فزحفت زغبة من أوطانها الى التلول ، وسيطروا على من بقى بها من البربر ، وانتقل عرب المعقل المجاورين لهم الى أوطان زغبة بالصحراء واستبدوا بمن بقى من عرب زغبة ، وفرضوا عليهم خفارة يختارونها من بكرات ابلهم ، فأنفوا وتآمروا واتفقوا على محو هذا العار بقيادة ثوابة بن جوثة زعيم عرب زغبة ، فطردوا المعقل من أوطانهم بالصحراء ، وفي نفس الوقت ازدادت قوة بنى عبد الواد وكثرت جموعهم فطردوا زغبة من التلول الى أوطانهم القديمة بالصحراء ، حيث ندرت الحبوب وقلت الاقوات فهزلت مواشى زغبة وضعف أمرهم ، وأعطوا الاتاوة والصدقة للدولة مرغمين الى أن ضعفت الدولة بسبب الهجمات الخارجية من جيرانها ، وكثرة ثورات أمراء بنى عبد الواد بسبب الصراع حول السلطة ، فتمكنت بعض بطون زغبة من العودة للتلول حيث الحبوب ووفرة الاقوات والرخاء ، وأقطعت الدولة زغبة النواحى والسهول والامصار مقابل المحالفة والمساندة والطاعة (388)، حتى يتمكن امراؤها من مقاومة الغزو الخارجى من ناحية والاستحواذ على السلطة والقضاء على منافسيهم المتطلعين للحكم من ناحية أخرى .

وتنقسم زغبة الى عدة بطون ، حالف بعضها الدولة وأخلص مى خدمتها وعادى البعض الآخر الدولة وناصر كل ثائر عليها حتى انتهى الامر بضعفها وسقوطها .

بنو يزيد : ومن أولى بطون زغبة التى ناصرت الدولة وحالفتها عرب بنى يزيد ، وخلال العصر الموحدى أقطعهم الموحدون بلاد حمزة وبنى حسن من أوطان بجاية ، فاستقروا هناك وقاموا بحماية بجاية من بربر زواوة وصهاجة ، وبعد أن عجز الجند النظاميون من جباية مدينة بجاية ، قام عرب بنى يزيد بها فكافأتهم الدولة بالاقطاعات الكثيرة بجوار مدينة بجاية .

وبعد سيطرة بنى عبد الواد على المغرب الاوسط تمكنوا من اقتطاع أوطان حمزة من نواحى بجاية ، وصارت من أملاكهم، وتمكن بنو يزيد من الاستقلال بأوطانهم وتوزيع جبايتها على بطونهم خلال فترة ضعف الدولة (389) .

---

(388) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 40.

(389) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 41.

وأثناء الصراع الذى دار بين أبى زيان وأبى حمو حول السلطة ثار عرب بنى يزيد وناصروا أبا زيان فأسرع أبو حمو بارسال قواته التى قامت بتدمير وطن حمزة وبنى حسن ، وأصاب أبو حمو بعمله هذا مقتلا من عرب بنى يزيد نظرا لبدء موسم الحصاد في ذلك الوقت مما أضطر عرب بنى يزيد بزعامة أبى الليل للهروب الى حصن جرجره، فحاصرته قوات أبى حمو فأعلن طاعته وأعطى ولده رهنا على ذلك (390).

بنو عامر : وبجوار بنى يزيد استقر عرب بنى عامر يظعنون معهم في مجالاتهم ، ويظاهرونهم في حروبهم مقابل ضريبة من الزرع تسمى القرارة ،وهى ألف غرارة من الزرع (الحبوب) ، ويرجع السبب فى فرضها الى صراع رياح مع بنى يزيد حول السيطرة على الدهوس من وطن حمزة ، حيث استنجد بنو يزيد ببنى عامر ، وبعد استرجاع بنو يزيد للدهوس قرروا دفع ألف غرارة سنويا مقابل خدمات بنى عامر (391) .

وبعد استلاء بغمراسن على تلمسان وانتقال زناتة الى التلول والارياف استولت المعقل على مواطن زناتة القديمة بالصحراء ، وكثر فسادهم بها ، فنقل يغمراسن بنى عامر من أوطانها بجوار بنى يزيد الى جواره بصحراء تلمسان لمنافسة عرب المعقل ، وتبع عرب حميان من بنى يزيد عرب بنى عامر حيث كانوا ناجعة ولم يكونوا حلولا مستقرين، فصاروا في عداد بنى عامر (392) .

وأثناء الغزو المرينى للمغرب الاوسط، قام عرب بنى عامر بدور ايجابى في مقاومة الغزو واسترداد أملاك بنى عبد الواد واعادة دولتهم ، فبعد استيلاء أبى الحسن المرينى على تلمسان في 737 هـ / 1337 م مرض بمدينة متيجة وظن أبناؤه عبد الرحمن وأبو مالك أنه على وشك الهلاك ، فجند كل منهما الاعوان وما أن شفى أبو الحسن حتى سكنت الفتنة ، وأدار أنصار الامس ظهورهم للاميرين ، فاشتد جزع الامير عبد الرحمن وهرب الى أولاد على من أمراء زغبة بأرض حمزة المحالفين لبنى عامر طالبا مساعدتهم ضد أبيه ، فقبض عليه أميرهم موسى ابن

(390) يحيى بن خلدون : بغية الرواد جـ 2 ص 133 — 135.
(391) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 41، 42، 51.
(392) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 42.

أبـى الفضل وأعـاده الى أبيـه الذى اعتقله وأودعه السجن فتفـرق خدمه في الجهـات .

وكان منهم ابن هيدور جزار مطبخه وشبيهه الذى لحـق بعـرب بنى عامـر الثائريـن على أبى الحسن لاختصاصه أعدائهم عرب سويد وأميرهم عريف بن يحيى بمودته وكـذا لما يربطهم من صلات وحلف ببنى عبد الـواد بالمغرب الاوسط، أوهم ابن هيـدور بنى عبد الواد بأنه عبد الرحمـن بن أبى الحسن ، فبايعـوه وتمكنوا من الاستيلاء على المدينة ولكن سرعان ما هاجمهم ونزمار بن عريف بن يحيى وعرب سويد ، وهزموهم فنبذوا للجزار عهـده وطردوه (393) .

انتقم بنو عامـر لانفسهم ، اذ عندما شرعوا في تخليص المغـرب الاوسط من يـد قوات أبى عنـان المرينى وصلت الاخبار بوفاة أبى عنان، فأجتمع عـرب المغرب الاوسط على مبايعة أبى حمو ومحالفيه من عرب بنى عامـر ووعدوه المناصرة والمعاونة ، فاشتبك مع عرب سويد حلفاء بنى مريـن خارج تلمسان وهزمهم ، وقتل أميرهم عثمان بن ونزمـار ، وعاد الى تلمسـان في 760 هـ / 1359 م (394) .

ولم يجد ابن السلطان أبى عنـان والى المدينـة مفرا من اللجـوء وحاشيته وقومـه الى صغير بن عامـر زعيم العرب لحمايتهم ، فأحسن اليهم وأجارهم وأعادهم الى بلادهم في حمايـة فرسان عرب بنى عامر ، ضاربا بذلك المثل لاخـلاق الفارس العربى في أخفـار ذمة اللاجىء الطالب للحمايـة حتى وان كان من الاعـداء (395) .

ونوه الشعراء بـدور عرب بنى عامر في اعـادة الدولة اليغمراسنيه، ونـددوا بهزيمة أعدائهـا من عـرب سويـد (396) .

---

(393) ابـن خلدون : العبـر حـ 7 ص 259، 260، السلاوى : الاستقصـا حـ 3 ص 133، 134.

(394) ابـن خلدون : العبـر حـ 7 ص 123، 302، يحيى بـن خلدون : بغيـة الرواد حـ 2 ص 20 — 27.
ينوه السلطان موسى بن يوسف بدور عرب رياح وبنى عامر فى مساعدته فى استرجاع تلمسـان والمغرب الاوسط. أنظر مذكراته الخاصة فى كتابه واسط السلوك فى سياسة الملوك ص 13، 14، 15.

(395) ابـن خلدون : العبـر حـ 7 ص 124، 302، السلاوى : الاستقصا : حـ 2 ص 103.

(396) يحيى بـن خلدون : بغيـة الرواد حـ 2 ص 28.

تسربلت كردوسيــن من آل عامــر ومن آل ادريس الشريف ابن القاسم
رجال اذا جاش الوطيــس تراهــم أسود الوغى من كــل ليــث ضبارم
وولت سويد ثــم خلــت مجيرهــا وشيخ حماها في الثــرى أى جاثــم

كافأ أبو حمو أنصاره ومحالفيه من العرب العامرية والمعقلية حينما وفدوا لتهنئته ، فكساهم جميعا رغم كثــرة عددهم البالغ نحو ثمانيــة آلاف ووهب رؤساءهم الخيــل الاصيلة وسروجها المرفهة والاسلحة المحلاة بالجواهر بجانب ما منحهم من المــال (397) .

ومنذ بداية النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى خصوصا خلال فتــرة حكــم السلطان أبى حمو ازدادت قوة عرب بنى عامر وحلفائهم من القبائــل العربية بالمغرب الاوسط ، وضعفت قبائل زناتة ، فتملكت زغبة سائــر البــلاد بالاقطاع من السلطــان طوعــا أو كرها حتــى طردوا زناتة الى سيــف البحــر (الساحل) ، والواضح أن دفاع هذه القبائل عن المغرب الاوسط هو في الواقــع دفاع عن مصالحها من الضيــاع (398) .

وهذا يفسر لنا استماتة هذه القبائل في حروبهم ضد قوات بنــى مرين التى أرسلها الوزير الحسن بن عمر لاسترداد تلمسان ، والحافهم الهزيمة بها حتى أضطروهم الى الانسحاب وهم عراة ، حتى حدود الدولة المرينية في 760 هـ / 1359 م (398) .

وفي 761 هـ / 1360 م زحف أبو سالــم المرينى لغزو تلمسان ، ولكن زغبــة بزعامة بنى عامــر تمكنت من ارغامه على الانسحاب من تلمسان أيضا وذلك بمهاجمتهم مدن الحــدود المرينية ، مثل وطاط وبــلاد ملوية وكرسيف ، مخربين زروعها ومحطمين عمرانها مما أثار ونزمار زعيم عرب سويــد المستقــر بقصر مرادة على الحدود المرينيــة ، وازدادت ثورته بوفود عرب بنى مالــك وبعض الديالــم والعطاف مطرودين من أوطان المغرب الاوسط ، وباعتقال ابى حمو لاخيه محمد بن عريف ، فأخذ يحــرض المرينيين على غــزو تلمسان سنة 770 هـ (1368 م) ، فأنسحب عرب بنى عامــر مع أبى حمــو الى الصحراء وتتبعهم ونزمار بن عريف وكافة حلفائه

(397) يحى بن خلدون : بغية الرواد جـ 2 ص 39، 50، 51.
(398) ابــن خلدون : العبــر 6 ص 47 – 48، هـ 7 ص 302.
(399) ابــن خلدون : العبــر هـ 7 ص 302، 303، الســلاوى : الاستقصــا هـ 2 ص 104.

من العرب ، ودمروا قصور بنى عامر بالصحراء بجوار جبل راشد ونهبوها (400) .

وهكذا نرى أن القبائل العربية لعبت دورا كبيرا في استقرار دولة بنى عبد الواد وفي علاقاتها مع جيرانها في الحرب والسلام . وقد يؤيد ذلك أن معظم السفارات التى تبودلت بينها وبين جيرانها الحفصيين والمرينيين كانوا من زعماء القبائل العربية في افريقية والمغرب ، ففى 763 هـ / 1361 م أوفدت بجاية رسولها محمد بن يعقوب بن على الرياحى الى أبى حمو لاقرار الصلح بينهما مقابل تحديد اقامة أبى زيان اللاجىء الى بجاية ومنعه من اثارة القبائل العربية على دولة بنى عبد الواد (401) ، وفي نفس الوقت أوفد المرينيون ونزمار بن عريف سميرا ورسولا الى بنى عبد الواد لطلب السلام، عارضين استعدادهم لاطلاق سراح المعتقلين من أمراء بنى عبد الواد بالمغرب والبالغ عددهم أربعمائة تقريبا ، مما دفع جميع عرب المغرب الاوسط الى اعلان طاعتهم وتسليم رهائنهم الى الامير ابى تاشفين تأكيدا لمبايعتهم (402) .

ويتضح مدى أهمية اعتماد دولة بنى عبد الواد على بنى عامر وارتباط ذلك باستمرار وقوة دولتهم حينما اعتقل أبو حمو، خالد بن عامر زعيم عرب بنى عامر لقتله أخيه شعيب بن عامر لمنافسة بينهما ، اذ اشتعلت الثورة بين قبائل عرب أولاد حسين من المعقل بقيادة أحمد ابن رحو بن غانم ، واتفقوا مع عرب سويد بقيادة ونزمار بن عريف والمرينيين وأبى زيان منافسه على السلطة على مهاجمة بلاد منداس من المغرب الاوسط فزحفت اليهم قوات بنى عبد الواد ولكنها هزمت كلها في 765 هـ / 1364 م هزيمة منكرة ، وانسحب أبو حمو تاركا خلفه آلاته وأتبعته العرب ، ولم ينقذه من الهزيمة الكاملة سوى اطلاقه لسراح عامر بن خالد الذى استألف عرب زغبة تحت قيادته ، وتمكن من القضاء على تحالف المعقل وسويد والمرينيين (403) ، بل استطاع

(400) ابن خلدون : العبر هـ 7 ص 132، 133.
يحى بن خلدون ، بغية الرواد ج 2 ص 222، 234 — 235، 238 — 245.
السلاوى : الاستقصا هـ 2 ص 131، 132.

(401) ابن خلدون : العبر هـ 7 ص 126، يحيى بن خلدون : بغية الرواد هـ 2 ص 132.

(402) ابن خلدون : العبر هـ 7 ص 126، 127.

(403) ابن خلدون : العبر هـ 7 ص 127، يحى بن خلدون : بغية الرواد هـ 2 ص 146 — 151.

أيضا أن يساعد أبا حمو في مهاجمة ونزمار بن عريف في 766 هـ / 1365 م على الحدود المرينية ، وحطم وطنه كرسيف ونهبت بنو عامر محاصيله انتقاما لتدمير سويد لقصورها بالصحراء مما اضطر ونزمار الى الهروب الى معاقل الجبال (404) .

أدرك أبو حمو أهمية محالفيه من عرب بنى عامر وغيرهم من العرب ، فهادن خالد بن عمر زعيم بنى عامر وأبا بكر بن عريف من عرب سويد ، وبذل لهما الاموال الكثيرة وأقطعهما ما طلبوه من البلاد رغم اشتطاطهما ، الا أن تيار ثورة ابى زيان وارتفاع أمره أغراهما بالانضمام اليه ، مما دفع أبو حمو للاستقرار في تلمسان للدفاع عنها تاركا حماية باقى البلاد لاولاد عمر بن ابراهيم وأولاد عسكر المخلصين له من بنى عامر ومحمد بن عريف وبعض عرب سويد (405) .

ولما خذل عرب المغرب الاوسط أبا حمو اضطر للاستعانة بعرب رياح بأفريقية بزعامة الزواودة ، وأحرز نصرا على الثائرين عليه فى 768 هـ / 1367 م ، وقتل الكثير من عرب زغبة (406) ، واعتقل ابو حمو شيوخ زغبة الذين اضطرته الظروف للصبر على احتمال تجبرهم واستبدادهم كعبد الله بن شيفر وسعد بن العباس وزيان بن يعقوب ورزين بن رحو بن منصور ومنديل بن يحيى الصغير ، وكافأ أحلافه الجدد من رياح ، ووزع الثياب المحمة على فرسانهم ، وأعطى مرسوم الخدمة لزعمائهم مع مبلغ كبير من المال (407) ، فزحفوا في 769 هـ/ 1367 م لمحاصرة عرب حصين بحصن تيطرى (اشير) ، وما أن تخاذلت رياح وانسحبت عائدة لاوطانها حتى وقعت الهزيمة بأبى حمو، وكاد أن يقتل لولا خلصاؤه من عرب أولاد عسكربن معرف العامرى الذين حموه حتى عاد الى عاصمته، فاحسن اليهم، وأطلق سراح المعتقلين من زعماء عرب زغبة ، وتلطف في استئلاف خالد بن عامر للعودة لخدمته مقابل مبلغ كبير من المال حتى يتمكن من مقاومة انصار أبى زيان (408) ،

(404) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 128.

(405) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 130، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج 2 ص 195، 196.

(406) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 130 — 131، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج 2 ص 200.

(407) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج 2 ص 200.

(408) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 131، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج 2 ص 202، 206 — 208، 223.

وزحف بهم في 770 هـ / 1368 م لمهاجمة حلفاء أبى زيان من العرب . فدمر أوطان عرب الحرث وأولاد عريف ، وحطم زروعها ، ونهب مخازنها وخرب قلعة ابن سلامة ، وعاد الى تلمسان بعد أن انتقم من أولاد عريف أعدائه وأعداء بنى عامر التقليديين (409) .

وفي 774 هـ / 1372 م بعد انحسار الغزو المرينى عن المغرب الاوسط عاد أبو حمو المنفى بالصحراء الى تلمسان مع انصاره من عرب يغمور بن عبد الله من أولاد خراج برياسة عبد الله بن صغير أحد زعماء عرب بنى عامر ، وتغيرت سياسة بنى عبد الواد تجاه أولاد عريف بعد أن قام ونزمار زعيم أولاد عريف بدور رئيسى في تسكين العلاقات بين أبى حمو وبين المرينيين ، فسالم أبو حمو ونزمار واعترف بمكانته بين عرب المغرب ، ولتفرغ أبو حمو لاعادة سلطة الدولة على أملاكها يساعده في ذلك أبو بكر وأخوه محمد بن عريف أميرا سويد ، فقام محمد بن عريف باقناع أبى زيان ابن عم السلطان ومنافسه على السلطة بالمغرب الاوسط بالاستقرار بأفريقية والاقامة بأوطان عرب رياح مقابل مبلغ يدفع اليه بصفة دورية، وفي نفس الوقت استألف سالم ابن براهيم زعيم عرب الثعالبة وحليف أبى زيان مقابل عهد أمان من السلطان واستمرار ولايته على قومه وأوطان متيجة وبلاد الجزائر (410).

ولقد أثار تحالف بنى عبد الواد وأولاد عريف ثائرة خالد بن عامر وابن أخيه عبد الله بن صغير وأخوانهم من سائر عرب بنى عامر ، وعملوا على فشل هذا التحالف والقضاء عليه ، وتصارع بنو عامر وسويد ، فأغار عبد الله بن صغير وقومه على جبل راشد وطن العمور أحلاف سويد، ودارت بينهم المعارك انتصر فيها عرب سويد وأحلافهم (411). فيعود بنو عامر وبنو يعقوب من زغبة للاغارة على البلاد ، فتعترضهم عرب سويد وتدور بينهم المعارك طوال النهار والليل مشعلين النيران مخافة البيات ، وانجلت المعركة الضارية بين القبائل العربية فى المغرب الاوسط عن مقتل عبد الله بن صغير وأخيه ملوك والعباس ابن عمه ومحمد بن زيان ، ويموت خالد متأثرا بجراحه ويلى امر قومه

---

(409) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 131.

(410) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 134 — 137، يحيى بن خلدون : بغية الرواد جـ 2 ص 270، 308 — 309.

(411) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 132.

من بعده مسعود ابن أخيه صغير ، ويهرب بنو عامر والديالم والعطاف الى الصحراء بعيدا عن أيدى عرب سويد المنتصرين (412) .

وخلال الفترة التى تلت عصر ابن خلدون وحتى الاستيلاء التركى على المغرب الاوسط استمر عرب بنى عامر كحلفاء مخلصين لدولة بنى عبد الواد يساهمون بستة آلاف فارس على الاقل - مجهزين بخيولهم والاتهم - في جيش سلطان تلمسان (413) .

ثالثا - ثورات عرب الثعالبة وذوى عبيد الله وحصين وسويد

على الرغم من تقلب القبائل العربية وبطونها في سياستها واتجاهاتها فاننا حاولنا بقدر الامكان في الصفحات القليلة السابقة ، ابراز القبائل الموالية لبنى عبد الواد والدور الذى قامت به في هذا المضمار وبقى الآن أن نتحدث عن القبائل والبطون التى تمردت على هذه الدولة وأيدت كل ثائر عليها طوال مدة حكمها . ونذكر من هؤلاء الثعالبة وذوى عبيد الله وحصين وسويد .

الثعالبة : أما الثعالبة فهم من بطون عرب المعقل الذين استقروا أولا بجبل تيطرى (أشير) ، وبعد سيطرة بربر بنى توجين على وانشريس طرد الثعالبة الى سهول متيجة ، وشغل عرب حصين مواطنهم بتيطرى حيث كان الثعالبة وحصين في عداد رعايا بنى توجين يؤدون اليهم المغارم ، ويساهمون بجنودهم في قواتهم ، وانتقلت رياستهم بعد ذلك الى بربر ملكيش المستقرين بجوارهم في سهول متيجة الى أن سيطر بنو مرين على المغرب الاوسط، وقضوا على بربر ملكيش، فاستولى الثعالبة على سهول متيجة وسيطروا على من بها (414) .

ورغم المكانة الخاصة التى كانت لعرب الثعالبة بدولة الموحدين الا أنهم فقدوا هذه المكانة في دولة بنى عبد الواد ، اذ كثيرا ما ناصروا وحالفوا أعداء الدولة ، فعندما ثار ابن علان بمدينة الجزائر على الدولة الحفصية ، واستقل بها معتمدا على حلفائه من عرب الثعالبة المستقرين بسهول متيجة واعتمد عليهم في التخلص من منافسيه من أهل البيوتات

(412) - ابن خلدون : العبر ج 7 ص 136 - 139.

(413) Léon l'Africain : Description de l'Afrique, I. P. 56.

(414) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 64، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 159.

والاسـر الكبيرة بالمدينة حتى يحكم سيطرته على شؤونها ، قامت قوات أبـى حمو الاول في 712 هـ / 1312 م بغزو بـلاد متيجة ، واخضـاع عربهـا ، ومحاصرة مدينة الجزائـر حتى تمكنت من الاستيلاء عليهـا وضمها الى أمـلاك بنى عبـد الـواد (415) . وأثنـاء غـزو المرينيين لتلمسـان في 770 هـ / 1368 م حالفهم عرب الثعالبة وحصين (416) ، وعندما ثـار خالد بن صغير بن عامـر زعيـم عـرب بنى عامر على الدولة في 777 هـ / 1375 م ، وانهـزم امـام قـوات بنى عبد الواد ، انسحب بأنصاره الى وطن الثعالبة بمتيجة لاجئا الى سالم بن ابراهيـم زعيمهـا (417) .

وظهر موقف الثعالبة العدائـى من دولة بنى عبد الواد عندما ثـار أبـو زيـان على أبى حمـو ، فانضم الثعالبة لابـى زيـان وقام أميرهم سالـم بن ابراهيم بالدعـوة لنصرته بين أهل الجزائـر ومليانة حتى اجتمع جميـع عـرب المغرب الاوسـط على مبايعته ، متمكـن مـن الاستيلاء على مدن تنـس ومستغانـم وفرغران ووهران ، مما دفع أبو حمو لاستئلاف عرب الثعالبة وزعيمهم ، فمنحه عهد امان وأقـره على ولايـة قومه وأوطانهـم بمتيجة وبلاد الجزائـر مقابـل تخليه عن أبـى زيـان وطـرده من بـلاده .

ولم يغفر أبو حمو لسالم بن ابراهيـم ثورته وتأييده لابى زيان ، كما لم يكـن مطمئنا لعهده، فانتظر حتى حلول فصل الشتاء وعودة احلافه من العرب الى مشاتيها بالصحراء، وفاجاه بحصن متيجة، فهربت الثعالبة الى رؤوس الجبال، وتحصن سالم بجبل بنى خليل فاقتحمه أبو حمو ، ففـر سالـم الى بنـى ميسرة بجبـال صنهاجة ، ولم يتمكن أبو حمو من النيـل منه الا بعد وعـده له بالامـان ، وقبض عليـهوقتله بتلمسان فى 779 هـ / 1378 م ليضعف أمـر الثعالبة ، ويندمجوا بعد ذلك بمن جاورهم مـن العـرب والبربـر (418) .

ذوى عبيـد اللـه : أما ذوى عبيد الله من المعقل فهم مجاورون لبنى عامـر بن زغبة حيث استقروا في المنطقة الممتـدة من تلمسان الى مصـب

(415) ابـن خلدون : العبر جـ 7 ص 100 — 101.

(416) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 133، 134، يحيى بن خلدون : بغية الرواد جـ 2 ص 237 — 269.

(417) ابـن خلدون : العبر جـ 6 ص 54، 55.

(418) ابـن خلدون : العبر جـ 6 ص 65، جـ 7 ص 137 — 139.

وادى ملوية بالبحر ، والعلاقة فيما بينهم وبنى عامر عدائية . والحروب مستمرة بينهم في أغلب الاحيان ، وهم ثائرون على دولة بنى عبد الواد بصفة تكاد تكون مستمرة ، حيث كانوا أحلافا لبنى مرين خلال فترة قوتهم (419) ، مما أضطر بنى عبد الواد في بداية دولتهم الى غزوهم اثنين وسبعين مرة خلال فترة حكم يغمراسن فقط ، حتى يتمكن من كسر شوكتهم وفرض الضرائب عليهم (420).

وبعد أن اشتد ساعد الدولة وعظمت قوتها، اضطر ذوى عبيد الله الى اعطاء الصدقة مرغمين ، وعسكروا مع قوات السلطان في حروبه الى أن ضعفت الدولة ، فاستقروا بالتلول ، وملكوا وجدة ، وأقطعتهم الدولة جباية البربر المستقرين بجوارهم مثل بنى سنوس بجانب ما فرضوه عليهم من اتاوات ووضائع حتى أنهم فرضوا ضريبة على طريق فيما بين تلمسان وبلد هنين على الساحل ، اطلقوا عليها ضريبة الاجازة ، فلا يمر بالطريق مسافر الا بتصريح منهم بعد تسديد الضريبة المقررة (421) .

ونظرا لقرب مواطنهم من حدود الدولة المرينية فقد انحازوا اليهم خلال غزوهم للمغرب الاوسط ، بل واعتمد المرينيون عليهم كجنود وفرسان ضمن قواتهم ، فأثناء غزو أبى الحسن المرينى لتلمسان حالفوه وعاونوه ، وأسند اليهم غزو قصور الصحراء جنوب مدينة وجدة (422) .

حصين بن زغبة : أما عرب حصين بن زغبة فقد استقروا غرب مواطن عرب بنى يزيد ، في المنطقة الممتدة من تيطرى (أشير) جنوبا الى مدينة المدية شمالا ، وبعد سيطرة بنى عبد الواد على المغرب الاوسط، أساؤا معاملة عرب حصين والزموهم الاتاوات والصدقات حتى صاروا في عداد القبائل الغارمة ، ولذلك فقد رحبوا بكل غاز للمغرب الاوسط وكل ثائر على بنى عبد الواد .

فقد ناصروا وحالفوا وباركوا الغزو المرينى المتكرر للمغرب الاوسط، حتى اذا ما سيطرت القبائل العربية بالمغرب الاوسط على مواطن

(419) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 61، الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 159.
(420) يحيى بن خلدون : بغية الرواد حـ 1 ص 115.
(421) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 61.
(422) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 61.

استقرارها وما جاورها بعد انحسار غزو أبي عنان المريني عن تلمسان استقرت عرب حصين بجبل تيطرى وملكوه وتحصنوا به ، واستغلوا فتنة أبي حمو مع ابن عمه أبي زيان وبايعوا أبا زيان على الموت، وقاموا بالاستيلاء على المديه في 768 هـ / 1366 م ، ولكنهم عادوا وانسحبوا الى جبلهم حينما زحفت قوات بني عبد الواد اليهم ، حيث تحصنوا وحفظوا به جميع انعامهم ، وحاصرتهم قوات بني عبد الواد حتى فنيت أقواتهم وشارفوا على الموت ، فلجأوا الى حيلة ماكرة ليتخلصوا من الحصار ، فاندفعوا من حصنهم بالجبل الى محاصريهم مرة واحدة بفرسانهم وانعامهم ، ففوجئت قوات بني عبد الواد وولت الادبار منهزمة ، واسترجعت حصين المديه مرة أخرى (423) .

وأثناء الفتنة التي وقعت بين السلطان أبي حمو وابنه الامير أبي تاشفين حول الاستئثار بحكم المغرب الاوسط ، ادرك أبو حمو ازدياد قوة ابنه وضعف موقفه ، فخرج الى الجزائر ليستعين بقبائل حصين والثعالبة ضده ، وبعد فشل خطته تمكن ابنه أبو تاشفين من عزله واعتقاله بوهران في 788 هـ / 1387 م ، فهرب أخوته المنتصر وأبو زيان وعمير أبناء أبي حمو الى عرب حصين ، واستجاروا بهم خوفا من أبي تاشفين ، واستقروا بحصن تيطرى (424) .

سويد : وهم من بطون عرب بني مالك بن زغبة ، كانوا أحلافا مع العطاف والديالم لبربر بني يادين ، وربطتهم علاقات طيبة ببني عبد الواد قبل ظهور دولتهم بالمغرب الاوسط ، وبعد سيطرة بني عبد الواد على تلمسان وضواحيها اختصوا عرب سويد بحلفهم وولايتهم دون سائر بطون زغبة ، وقرب يغمراسن مؤسس دولة بني عبد الواد رؤساءهم من أولاد عيسى بن عبد القوى ، فاختص مهدى بالرياسة عليهم ثم ابنه يوسف بن مهدى ثم أخوه عمر بن مهدى ، وقطع يغمراسن، يوسف بن مهدى بلاد البطحاء وسيرات ، وأقطع عنتر بن طراد بن عيسى برارى البطحاء، يأخذون اتاواتهم من رعاياه (425) .

وبعد أن تدهورت العلاقات بين سويد وبني عبد الواد بسبب الفتنة بين يغراسن وعمر بن مهدى والتي قتل فيها عمر بن مهدى ، طرد بنو

(423) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 130، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج 2 ص 184 — 195.
(424) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 143 — 145.
(425) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 45.

عبد الواد عرب سويد من التلول والارياف ، فاستقروا بجوار أوطان بربر بني توجين في الصحراء وهادنوهم وتصاهروا فيما بينهم حتى صاروا حلفاء ضد بني عبد الواد ، وعندما تولى أبو تاشفين ابن موسى بن عثمان بن يغمراسن الحكم تقرب اليه عريف بن يحيى زعيم عرب سويد لسابق علاقة ربطت بينهما أيام الصبا ، ولكن سرعان ما غضب عليه بسبب تنبه عريف بن يحيى بالملوك في بعض تصرفاته المقصورة على امراء بني عبد الواد من ناحية وتآمر هلال مولى أبي تاشفين على عريف من ناحية أخرى ، فهرب عريف بن يحيى الى بني مرين في 720 هـ / 1320 م ، وأخلص في خدمتهم (426) .

نتيجة لذلك اتسمت العلاقات بين سويد وبني عامر بالعداء الشديد ، وحل بنو عامر محل سويد في خدمة ومحالفة دولة بني عبد الواد وتأييدها (427) .

ولعبت سويد دورا رئيسيا في غزو بني مرين للمغرب الاوسط سواء بالتحريض أو الاشتراك في قوات المرينيين ، وكسب طاعة القبائل العربية بالمغرب الاوسط لحساب حلفائهم من بني مرين ، مما جعلهم في وضع مميز في الدولة المرينية خصوصا وقد اعتمدوا عليهم وعلى أحلافهم من عرب العطاف والديالم الاقل عددا وقوة من سويد (428) .

وبعد أن ضعفت دولة بني عبد الواد أضطرت لمهادنة أولاد عريف وعرب سويد، حتى تتمكن من الاستمرار في حكم بلاد المغرب الاوسط .

واعتبارا من عصر ابن خلدون وحتى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى) لم تتوفر المعلومات الكافية لتحديد العلاقات بين عرب سويد وملوك تلمسان ، ولكن في خلال عصر ليون الافريقى سيطر عرب سويد على أراضى شاسعة خصوصا على حدود مملكة تونس الغربية (429)، وبعد ذلك تدهورت حالتهم حتى أصبحوا مضرب الامثال بين القبائل العربية ببلاد المغرب على سوء الحال ، وتناولتهم الاشعار والاغانى العربية تحكى قصتهم (430) .

(426) ابن خلدون : العبر هـ 6 ص 46.
(427) ابن خلدون : العبر هـ 6 ص 46.
(428) ابن خلدون : العبر هـ 6 ص46 — 48.
(429) Loén l'Africain : Description de l'Afrique, Vol. I, P. 57.
(430) Sonneck : Chants Arabes du Maghreb, P. 145, - G. Marcais : Les Arabes en Berbérie P. 596.

الفصل الرابع

دور العرب فى الدولة المرينية بالمغرب الاقصى

أولا ـ دور العرب فى نشأة الدولة المرينية

كان بنو مرين من القبائل الزناتية التى لم تتشأ الخضوع لنفوذ الموحدين على عكس أبناء عمومتهم بنى عبد الواد ولهذا آثروا الهجره الى الصحراء جنوبا على الدخول في طاعة الموحدين وكانت حياة الصحراء توافقهم لانهم من البدو الرحل وكانوا يرحلون في فصل الربيع الى شمال المغرب الاقصى لرعى ابلهم ومواشيهم فيقضون شهورا من السنة نازلين بين فجيج (فكيك) وملوية حتى اذا اقترب مصل الشتاء رجعوا الى بلادهم (من زاب افريقية الى سجلماسة) (431) .

ورغم هذا الاصل الزناتى البربرى (432) فان المرينيين يرفعون نسبهم الى مضر حيث يجتمعون بنسب الرسول «صلعم» (433) والبعض ينسبهم الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب (434) ووجدوا من شعراء العرب من يؤيدهم ويمدحهم وينوه بأصلهم المشترك بقوله (435) :

ألا أيها الساعى لفرقة بيننا ... توخى هداك الله سبل الاطائب
فأقسم أنا والبرابر أخوة ... قمانا (436) وهم جد كبير المناسب
أبونا أبوهم قيس عيلان في الورى ... لهم حرمة تشفى غليل المحارب

(431) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 167، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 5، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى الادبية، مجلة البنية، ديسمبر 1962، أحمد مختار العبادى دراسات ص 205.

(432) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 57، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 3.

(433) ابن الاحمر : روضة النسرين ص 9، ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 184.

(434) ابن الاحمر : روضة النسرين. ص 8.

(435) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 185.

(436) من قمس أى يجمعنا بجواره.

هذا ونلاحظ أن ملوك بنى مرين وأمراءهم قد حرصوا على مصاهرة القبائل العربية المقيمة في المغرب ويبدو أن هذا الحرص كان بدافع تأكيد نسبهم العربي من جهة واصطناع هذه القبائل من جهة أخرى فقد تزوج مؤسس الدولة المرينية عبد الحق بن محيو شريفة عربية من بنى على الشرفاء الحسينيين اسمها سوط النساء وأنجب منها أولاده عبد الله وادريس وعبد الرحمن (الذى يقال بلسانهم رحو) وحذا حذوه معظم أمراء بنى عبد الحق في الدولة المرينية فقد تزوجوا من النساء العربيات (437) واستخدموا في الحجابة والكتابة رجال من العرب (438) .

فتزوج يعقوب بن عبد الحق 657 ـ 685 هـ / 1259 ـ 1282 م أرملة مسعود بن كانون أمير عرب سفيان الثائر عليه بعد وفاته في 680 هـ/ 1282 م (439) وتزوج كذلك بنت أمير عرب الخلط أبى عطية مهلهل ابن يحيى الخلطى صاحب الدور المشهور في غزوات الاندلس وانجب منها عثمان الذى تولى الحكم في الفترة 710 ـ 731 هـ / 1310 ـ 1331 م (440) ثم تزوج من حرة علوية تسمى أم العز بنت محمد بن حازم العلوى (441) أخو وزيره يحيى بن حازم العلوى (442) وأنجبت له يوسف الذى سيتولى الحكم من بعده 685 ـ 706 هـ / 1286 ـ 1307 م (443) وتزوج الامير عبد الله بن يوسف المرينى مولدة عربية اسمها زيانة أنجب منها سليمان الذى تولى الحكم في الفترة 708 ـ 710 هـ / 1308 ـ 1310 م (444) وتزوج أبو سعيد عثمان الذى تولى الحكم في الفترة 710 ـ 731 هـ / 1310 ـ 1331 م ابنه زعيم بنى حميد ، عامر بن ابراهيم بن يعقوب من عرب عامر بن زغبة بعد نزول الاخير عليه

---

(437) ابن الاحمر : روضة النسرين ص 16، 18، 21، 23، السلاوى : الستقصا جـ 3 ص 9.

(438) ابن الاحمر : روضة النسرين ص 18، 24، 28، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 213، 216، 217.

(439) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 223، 228، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 54.

(440) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 274، ابن الاحمر : روضة النسرين ص 23، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 103.

(441) ابن زرع : الانيس المطرب ص 258، ابن الاحمر : روضة النسرين ص 21.

(442) ابن الاحمر : روضة النسرين ص 18.

(443) ابن الاحمر : روضة النسرين ص 21.

(444) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 272، ابن الاحمر : روضة النسرين ص 23

محالفا ومفارقا لبنى عبد الواد مما أدى الى قيام عرب يعقوب منافسى بنى حميد في رياسة عرب عامر باغتياله (445) وعقب ثورة عرب افريقية على السلطان أبى الحسن المرينى أثناء حملته على تونس في 749 هـ / 1349 م ومهادنة كل منهما للاخر عقد أبو الحسن الصهر بينه وبين عمر بن حمزة أحد أمراء عرب بنى حمزة فزوج ابنة عمر بابنة أبى الفضل حتى يربط النسب بينهم ويأمن ثورتهم (446) ومن بين زوجات السلطان أبى عنان المرينى مولدة عربية اسمها غزالة وهى أم ولده محمد الذى تولى الملك من بعده في الفترة 759 ـ 760 هـ / 1358 ـ 1359 م ويبدو أنها أم بناته ست العرب ورقية وعائشة (447).

من كل ما تقدم نلاحظ أن بنى عبد الحق مؤسسى الدولة المرينية حاولوا الانتساب الى الاصل العربى والنسب النبوى وأظهروا ذلك صراحة عن طريق كتابهم وشعرائهم وعقد أواصر القربى والمصاهرة مع زعماء القبائل المستوطنة بالمغرب وان كان كل هذا لا ينفى بأى حال من الاحوال أصلهم المغربى من بربر زناتة ولعل هذه السياسة العربية التى انتهجتها هذه الدولة المرينية الناشئة كانت وازعا ضروريا لاكتساب الشرعية الكافية في مواجهة جيرانها واعدائها من الموحدين والحفصيين وبنى عبد الواد الذى ادعوا لانفسهم هذا الاصل العربى والنسب النبوى كما اتخذوا احلافا من القبائل العربية المقيمة في المغرب.

ولعل هذا يبدو واضحا في الصراع الذى نشب في بداية الامر بين المرينيين وبين عرب رياح وجشم حلفاء الدولة الموحدية المنهارة اذ عندما تمكن الامير عبد الحق المرينى من الاستيلاء على رباط تازا في 613 هـ / 1216 م وأخذ يغير غربا على بلاد الهبط (448) في شمال المغرب دفع

---

(445) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 52.

(446) السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 162.

(447) ابن الاحمر : روضة النسرين ص 29.

(448) كانت بلاد المغرب الاقصى تنقسم الى أربع مناطق رئسية وهى : 1 ــ الغرب وهى المنطقة التى تشمل مصب وادى سبو فى شرق المغرب الاقصى . 2 ــ الهبط وهى المنطقة التى تقع فى شمال عرباوة والقصر الكبير فى الشمال . 3 ــ دكالة وهى البساط الغربية المطلة على المحيط الاطلسى غربا. 4 ــ الحوز وهى المناطق الخصبة الجنوبية وكانت قاعدتها قديما مدينة أغمات ثم حلت محلها مدينة مراكش أنظر السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 6، 10، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 205، 206.

الموحدون بأنصارهم وحلفائهم من عرب ريـــاح وكانت يومئذ اشد قبائل المغرب قوة واحدهم شوكة وأكثرهم خيلا ورجالا لحداثة عهدهم بالبداوة لمقاومة المرينيين ورحبت رياح بذلك دفاعا عـن أوطانهم «بـلاد الهبط» التي سبق أن استقـروا بهـا (449) .

ثم زحف عرب ريـــاح وبربر بنـــى عسكر (450) الى بنى مريـن وتقابلوا بـوادى سبـو فانتصر العرب وتمكنوا من قتـل الامير عبـد الحق وابنــه الاكبر ادريـس في 614 هـ / 1217 م (451) وتولى قيـادة القبائل المرينية الامير عثمان بن عبد الحق وأقسم على الاخذ بثأر أبيه من عرب ريــاح حتى أنه قـرر عدم دفنه لحين وفائـه بوعده وبالفعل تمكـن من ايقــاع الهزيمة بهم وقتل مائة من شيوخهم وشردهم في الشعاب والاودية ورؤوس الهضاب وغنـم معسكرهم بما فيه من سلاح وحيـــل وأثـــاث حتى اذعن عـرب رياح الى الطاعة فوافق الاميـر عثمان بن عبد الحق مقابل اتــاوة يؤدونها اليه كل سنــة (452) .

ازدادت قـوة المرينيين بعد هذا النصـر مما اضطر السعيد الموحـدى أن يوجه لهم حملة أخرى من القبائـل العربيـة التى يبدو انها رحبـت بذلك للانتقام لما أنزلـه الاميـر عثمان بها واشتـرك معهم بربـــر مصمودة وفرسان من الاسبان حتى بلـغ الجيش عشرين الفا ثم التقـى الجيشان في 642 هـ / 1244 م بصخرة أبى بيــاس في أحواز فاس حيـث انتهت المعركة بهزيمة بنى مريـن وقتل أميرهم أبى معـرف بن عبد الحق فخلفه أبـو يحيى بن عبد الحق (453) الذى زحف الى مكناسة وتمكن من

(449) آلت ريـاسة رياح بافريقية الى مسعود بن سلطان بن زمـام بن ورديغى بن داود وكـان يلقب بالبلط لشدتـه وشجاعته ونقله المنصـور الموحـدى مع ريـاح والاثبج الى المغرب وأنزل ريـاح بـلاد الهبط فاستقروا هنـاك رغم عودة مسعود الى افريقية، أنظـر ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 32، 36.

(450) بنو عسكـر من عشيرة بنى مريـن نافسوهم على الرياسة وبعد أن حازهـا المرينيون انشق بنو عسكر الى الموحدين.

(451) كان ادريس ولى عهده فى رياسة القبائل المرينية من زوجته العربية سوط النساء من بنى على أنظر ابـن أبى زرع : الانيس المطرب ص 190، ابن الاحمـر : روضة النسرين ص 14، 16، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 7.

(452) ابن أبى زرع: الانيس المطرب ص 191، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 7، 9

(453) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 193، 197، السلاوى : الاستقصـا حـ 3 ص 11.

الاستيلاء عليها صلحا في 643 هـ / 1245 م (454) ولجأ اليه كانون شيخ عرب سفيان الثائر على السلطان الموحدى بسبب بطشه بكبار رجال دولته فأتبعه السعيد الموحدى بحشوده من عرب بنى جابر والخلط خوفا من ازدياد قوة المرينيين والتقوا بمقربة من واسنات بتامسنا وانتهى الامر بهزيمة بنى مرين وانسحاب كانون بعرب سفيان ولكن السعيد الموحدى اضطر الى متابعته خوفا من اغارته على مدينة مراكش الخالية من الحماية تاركا المرينيين دون أن يحرز عليهم نصرا حاسما (455) ثم استغل المرينيون مقتل السعيد الموحدى اثناء صراعه مع بنى عبد الواد وتأييد عرب سفيان لهم وتمكنوا من استعادة رباط تازا ومكناسة وفتح فاس وضواحيها حتى لم يبق بيد الموحدين غير بلاد الحوز الجنوبية (456) .

وفي 649 هـ / 1251 م استولى الامير أبو يحيى بن عبد الحق على سلا ورباط الفتح وثار عليه موسى بن زيان الونكاسى وأخوه على بن زيان ولجأ الى المرتضى الموحدى محرضين اياه على قتال المرينيين (457) ولكن عرب سفيان بقيادة يعقوب بن جرمون تمكنوا من اقناع بنى مرين بطلب السلام والصلح ولم يقبل المرتضى ذلك بتأثير وزرائه الذين افتوا بعدم جواز وجود ملكين فتقابل الجيشان بموضع يعرف أمن ملولين (أمان لميملولى) ولكن يبدو أن المرينيين وعرب سفيان اتفقوا على فرض السلام على الموحدين بعد أن فشلوا في الحصول عليه بالمفاوضات فقيل أن المرينيين انسحبوا من ميدان القتال وخاف الموحدون أن يكون الانسحاب خدعة فلم يتبعوهم (458) وفي رواية أخرى وهى الارجح أن يعقوب بن جرمون شيخ عرب سفيان اكتفى بكتاب وصله من الامير أبى يحيى بن عبد الحق المرينى بموافقته على الصلح فأشاعه في القوات الموحدية فتخاذلوا ورحبوا بالسلام واتبعوا عرب سفيان في رحيلهم عائدين الى مراكش مما أوقع الرعب في بقية جنود

(454) السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 12.

(455) ابن عذارى : البيان المغرب حـ 4 ص441 — 444، السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 221، 222.

(456) السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 227.

(458) ابن عذارى : البيان المغرب حـ 4 ص 489، 490.

الموحدين الذين عجلوا بالانسحاب تاركين خلفهم بعض آلاتهم ومضاربهم فغنمها بنو مرين بدون قتال (459) .

ازدادت قوة المرينيين بما غنموه فسارعوا بمهاجمة بلاد تادلا وقضوا على حاميتها من عرب بني جابر من جشم (460) كما تمكنوا بمحالفة عرب المعقل من الاستيلاء على سجلماسة ودرعة جنوبا في 655 هـ / 1257 م (461) .

وفي ولاية الامير يعقوب بن عبد الحق 657 ـ 685 هـ / 1259 ـ 1286 م زحف المرينيين الى بسائط تامسنا شمالا فواجهتهم القوات الموحديه (462) فانسحبوا الى وادى ام الربيع بعد ان اتفقوا مع عرب بني جابر على التخلى عن الموحدين عند نشوب المعركه ووقع الموحدون في الفخ وانهزموا وانضم عيسى بن على شيخ عرب الخلط الى السلطان يعقوب المرينى الذى استولى على تامسنا وملك مدينه انفا وهى المسماة الان بالدار البيضاء ثم استمر في زحفه جنوبا حتى انتهى الى جبل انجليز وشارف دار الخلافه الموحديه مدينه مراكش 660 هـ / 1262 م وهكذا سيطر بنو مرين على معظم بلاد المغرب (463) .

دب الذعر في صفوف الموحدين وارتاب الخليفه المرتضى في انصاره من العرب واعتقل بعض زعمائهم وقتل جمله منهم ثم عهد لابن عمه ابى دبوس بقيادة الجيش الموحدى واستطاع ابو دبوس ان يوقف زحف السلطان يعقوب المرينى ويقتل بعض كبار قواده غير ان مثيرى الفتن سعوا عند ابن عمه الخليفه المرتضى واوهموه بانه يطلب الامر لنفسه وشعر ابو دبوس بهذه السعاية وخشى من بطش المرتضى ففر الى السلطان يعقوب المرينى في 661 هـ / 1263 م وطلب منه أن يعينه بقوة من عنده على دخول مدينة مراكش على أن يشركه بعد ذلك في

(459) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 490، 491، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 258، السلاوى : استقصا ج 2 ص 227.

(460) السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 128، ج 3 ص 18.

(461) ابن خلدون العبر ج 2 ص 259، ابن أبى زرع : الانيس المطرب 197.

(462) استعد المرتضى الموحدى لهذه الغزوة غاية الاستعداد وجهزها بوجوه الموحدين وأنصاره من عرب جشم من الخلط وسفيان والاثبج وبنى جابر وبنى حسان وأعوانه من مرسان الروم وأسبانيا والاغزاز حتى لم يترك بعاصمته الا نفرا يسيرا نضبط أمورها. أنظر ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص 202.

(463) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 259، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 229

الفتح والغنيمة فاستجاب السلطان يعقوب الى طلبه وامده بخمسة آلاف من بني مرين وأهاب بالعرب والقبائل من اهل مملكته أن يكونوا معه يدا واحدة (464) وسار أبو دبوس بهذه الكتائب ومعه من زعماء العرب علي بن أبي على الخلطى وعربه من جشم وعلوش بن كانون كبير عرب سفيان بالاضافة الى جموع بنى جابر وغيرهم واقتحم أبواب العاصمة واستقل بالحكم فيها 665 هـ / 1266 م وتلقب بالواثق بالله بينما فر المرتضى الى مدينة أزمور حيث نزل على صهره ابن عطوش الذى لم يتردد في قتله وبذلك استتب الامر لابى دبوس (465) .

غير أن الخليفة الجديد لم يلبث أن نقض العهد وتنكر لاتفاقه مع يعقوب بن عبد الحق المرينى فتحرك الاخير في 666 هـ / 1268 م لمحاصرة مراكش ومهد لذلك بغزو عرب الخلط من جشم ببلاد تادلا فأوقع بهم واستباح حللهم ثم أغار على أحواز مراكش مما أغضب شيوخ العرب والمصامدة على أبى دبوس واتهموه بالخوف من مقاتله المرينيين رغم ما انزلوه من دمار ببلادهم وما سلبوه من أموالهم فاضطر ابو دبوس الى الخروج لملاقاتهم فانهزم وقتل في 668 هـ / 1269 م وقضى بذلك على دولة الموحدين بالمغرب (466) .

ثانيا ـ دور العرب فى جهاد المسيحيين باسبانيا

سارت دولة بنى مرين على سياسة اسلافها المرابطين والموحدين التي تقوم على حماية الاندلس من اطماع جيرانها المسيحيين وكانت الاندلس على عهد الدولة المرينية قد اقتصرت حدودها على مملكة غرناطة الاسلامية في جنوب شرق اسبانيا (467) وكان ملوك بنى الاحمر أو بنى نصر الذين يرتفع نسبهم الى سعد بن عبادة الانصارى سيد الخزرج على عهد الرسول يحكمونها (468) .

(464) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 260، 261، ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 203، 204.
(465) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 261، السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 231.
(466) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 273، ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 203
السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 233، 234، حـ 3 ص 26، 27.
(467) الحميرى : الروض المعطار ص 112.
احمد مختار العبادى : دراسات ص 224.
Simonet : Deocripcion del Reino de Granada P. 47 .
(468) أحمد مختار العبادى : دراسات ص 226، 227.

ولاشك أن مملكة صغيرة محاطة بالاعداء مثل غرناطة كانت في حاجة الى مساعدة جيرانها واخوانها في الدين بالعدوة المغربية ولقد استجاب سلاطين بنى مرين الى هذا النداء وقادوا الجيوش وارسلوا الحملات عبر المضيق لمساعدة اخوانهم الغرناطيين من جهة والاحتفاظ ببعض القواعد الجنوبية الاندلسية التى تضمن لهم السيطرة على مضيق جبل طارق من جهة أخرى .

ولقد لعبت القبائل العربية ـ كما حدث من قبل في عهد الموحدين ـ دورا هاما في هذا الصراع أيام بنى مرين وخاصة في عهد السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق فيروى المؤرخون أن شيوخ قبائل سفيان والخلط والعاصم وبنى جابر بطون جشم من الاثبج وذوى حسان والشبانات من المعقل وقبائل رياح وغيرهم قد بذلوا مساعى كبيرة لازالة الخلاف بين بنى مرين وبنى عبد الواد واقرار الصلح بين ملكيهم يعقوب ويغمراسن كى يتسنى لهذه القبائل العربية التفرغ للجهاد بالاندلس (469) .

وبعد أن استتب الامر للسلطان يعقوب في الجبهة الشرقية وعقد الصلح مع بنى عبد الواد ملوك تلمسان 674 هـ / 1275 م قرر تلبية نداء محمد الثانى ملك غرناطة واستدعى قبائل المغرب من عرب وبربر للجواز معه الى الاندلس برسم الجهاد (470) وقد لعبت اساطيل بنى العزفى حكام سبتة دورا هاما في عمليات العبور ونقل الجنود والمعدات من قصر المجاز الى مدينة طريف (471) ومن هناك دخل بجيوشه فى الاراضى التابعة لملك قشتالة الفونسو العاشر (الحكيم) يحطم ويخرب حصونها ويفسد زرعها حتى بلغ نهر الوادى الكبير قرب اشبيلية وهناك عند استجه Ecija التقى في معركة عامة بالجيش القشتالى بقيادة الزعيم نونة Don Nuno Gonzalez de lara في 15 ربيع الاول 674 هـ / 8 سبتمبر 1275 م وقد انتهت المعركة بنصر المسلمين وهزيمة

(469) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 207، ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 184 السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 32.

(470) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 210، 211، ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 190، 191، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 39.

(471) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 186، ابن تنفذ : الفارسية ص 277.

القشتاليين وقتل قائدهم نونه مع عدد كبير من خيرة ضباطه وجنوده(472)

أما العبور الثانى للسلطان يعقوب الى الاندلس فقد تم في 676 هـ/ 1277 م وقد شاركت فيه كما هى العادة القبائل العربية التى لم يقتصر عملها في هذه الحملة على تنفيذ ما يصدر اليها من أوامر عسكرية كما فى الحملة الاولى بل شارك شيوخها كمستشارين في المجلس الحربى للسلطان المرينى لابداء الرأى حول الخطط العسكرية وأفضل الطرق لملاقاة العدو (473) وقد نجحت هذه الحملة في تحقيق اهدافها اذ حاصرت قواتها المرينية والعربية أشبيلية وشريش وقرطبة وجيان وانزلت الدمار بضواحيها واقتحمت بعض حصونها عنوة مما اضطر ملك قشتالة الفونسو العاشر الى عقد هدنة مع سلطان المغرب ابن يوسف يعقوب (474) الذى عاد بعدها الى عاصمة ملكه بعد أن ترك في الجزيرة الخضراء مفتاح الاندلس الف فارس من بنى مرين والعرب بقيادة عمر بن على لحمايتها (475) .

وتخوف سلطان غرناطة محمد الثانى الفقيه من أطماع سلطان المغرب وظن به الظنون وخشى ان يغلبه على بلاده كما فعل يوسف ابن تاشفين مع المعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف فلجأ الى جيرانه المسيحيين وعقد مع سانشو الرابع Sancho IV ملك قشتالة وخايمى الثانى Jaime II ملك اراجون معاهدات دفاعية ضد ملك المغرب .

---

(472) بلغ عدد قتلى مسيحى اسبانيا ثمانية عشر الفا وخمسمائة كرواية ابن أبى زرع، ستة آلاف كرواية ابن خلدون بينما عدد من استشهد من المسلمين ثلاثون رجلا تسعة من البربر وخمسة عشر من العرب وثمانية من المتطوعة ورغم المبالغة الواضحة فى كثرة خسائر مسيحى اسبانيا وقلة شهداء المسلمين الا أن رواية كل من أبى زرع وابن خلدون توحى بمدى مساهمة القبائل العربية فى هذه الحملة وتحملهم آثارها. أنظر ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 214، ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 193.

(473) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 217، 219، ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 195، 196.

(474) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 220، 222.
Aguado Bleye (Pedro) : Manual de la Historia de Espana I P. 602.

(475) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 222.

واستطاع كل من الملكين سانشو وخايمى ان يقنع سلطان غرناطة بضرورة احتلالهما بصفة مؤقتة لبعض قواعد المضيق مثل طريف Tarifa والجزيرة الخضراء Algeciras التى كانت في يد المرينيين لانها تعتبر رأس جسر لعبور القوات المغربية الى الاندلس ووافق سلطان غرناطة على ذلك بشرط ان تسلم له هذه القواعد بعد ذلك (476).

ثم نازلت أساطيل اراجون وقشتالة مدينة الجزيرة الخضراء 677 هـ / 1278 م وبينما كان يعقوب يسرع بتجهيز الجند للجواز للاندلس فاجاه اندلاع ثورات القبائل العربية بالمغرب (477) فانشغل باخماد هذه الثورات في انحاء مملكته وفي ذلك الوقت وردت الاخبار بشدة الحصار على حاميه الجزيرة الخضراء واقامة المجانيق والرعادات عليها بغيه اقتحامها حتى قتل اكثر أهلها بسبب الجوع والاجتهاد لمداومه السهر على اسوارها للحماية والقتال فاسرع ابنه يوسف لمباشرة حربهم ومنيت أساطيل اراجون وقشتاله بهزيمه فادحه امام الاسطول المغربى والسبتى واضطرت الى الاقلاع عنها خائبة السعى وتمكن سلطان المغرب من العبور بجيوشه الى اسبانيا (478).

وهذا العبور هو الرابع ليعقوب في 684 هـ / 1285 م وتروى لنا المصادر دور العرب في هذه الحملة وحوله هالة من فخار وعلى الرغم من انتقاد بعض المؤرخين القدامى والمحدثين لصاحب هذه الروايه وهو أبى أبى زرع وكتابه الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ولكثرة الاخطاء التاريخية والجغرافية في بعض

---

(476) يرجع سوء ظن بنى الاحمر فى بنى مرين الى تأييد أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى لثورة بنى أشقيلولة حكام مالقة ورندة ووادي آش على بنى الاحمر رغم رابطة القرابة التى تربطهم به أنظر ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الخاص بالاندلس ص 287 — 291، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 403، 404.

(477) ثار عرب جشم بتامسنا (الشاوية الحالية فى المنطقة الممتدة على ساحل المحيط الاطلسى من مدينة الدار البيضاء حتى مصب نهر أم الربيع) وقطعهم الطريق على أهلها. وكذلك ثار عرب سفيان بقيادة أميرهم مسعود بن كانون ببلاد نفيس من أحواز مراكش وثار عرب ذوى حسان من المعقل بالسوس أنظر ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 222، 223، ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 202، 203، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 50.

(478) أنظر ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 223، ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 202، 203، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 50.

كتابته (479) الا أن ما أورده عن دور العــرب في هذه الحملة لا نجده بهذا التفصيل عنــد غيره من المؤرخين وهو خارج نطاق هذا النقد حيث لا يوجد ما يبرر اختلاقها فبعــد وصول يعقوب الى مدينة شريش وانضمام بقايا حامياته من بني مريــن والعرب بالاندلس له قــام بحصار المدينة وقــام فرسان عــرب العاصم بقيادة اميرهم عياد العاصمى بالطواف على ابــواب المدينــة لمنع الامدادات من الوصول الى المحاصرين وقتل الفاريــن منهم وتمكنــوا من الاغــارة على حصــن شالوقــه Sanlucar (480) وقتلوا بعض حاميته وغنموا دوابهم وأسروا منهم أربعة عشر رجلا (481) وفى نفس الوقت قامــت جماعة من الاعراب بقيادة سعيد بن يخلف بالمرور على المجاهديــن بالماء العذب يروون ظماهم طوال مدة الحصار نظرا لشــدة حرارة الجو في ذلك الوقت (482) وتبارى زعماء العرب في التضحية والدفاع عن الديــن وتطوع الامير مهلهل بن يحيى الخلطى صهر السلطان ومعــه ألف فــارس من عرب الخلط يتناوبــون الحراسة حول شريش مع عــرب العاصــم ليــلا ونهــارا (483) .

وحينما أرسل يعقوب حفيده الامير أبا على منصور بن عبد الواحد للاغــارة على اشبيلية كان معظم فرسانه من عــرب العاصم والخلط والاثبج ومجلس حربــه يضــم رؤساءهم من العــرب الذين أشاروا عليه بتقسيم قواتــه الى قسميــن : الاول يغيــر على اشبيلية والثانــى على قرمونــة حتى يأمــن مباغته قــوات اى منهما مما أدى الى نجــاح الاغارة وتحقيق الهــدف منهــا والعــودة غانميــن (484) .

وحينما بــدأ المسيحيون يقاومون حصار مدينتهم شريش قـــام فرسان أبراجهم وحصونهم بقطع الطريق على فرسان المسلميــن فــرادا

(479) أنظر أحمــد مختــار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلس ص 509، 510.

(480) شلوقــة اسم عربى لقلعة حصينة ذات أبراج سبعة كــانت قائمة فى ذلــك المكــان عند مصب الوادى الكبير ثم تطــور اسمها الى Solucar, Xoluca وأخيرا Sanlucar الحالية وأما معنى شلوقة فهو الريــاح الشرقيــة أو الجنــوبيــة الشرقيــة الحــارة. انظــر أحمد مختــار العبادى : تاريخ الانــدلس لابن الكردبوس ووصفــه لابــن الشبــاط ص 35.

(481) ابــن أبى زرع : الانيس المطــرب ص 232، 234، ابــن خلدون : العبــر حـ 7 ص 207.

(482) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 233.

(483) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 234، 235.

(484) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 232، 233، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 59.

وجماعات فأسند يعقوب الى حفيده ابى على مهمة القضاء على خطرهم وأمده بمائة من رماة سبتة بنى العزفى والف رجل من المتطوعة وغيرهم فهاجم أكبر هذه الابراج بجوار المدينة وحينما أظهر من به من المسيحين صبرا على القتال مما اضطر الامير لتولى القتال بنفسه نزلت فرسان العرب عن افراسها وأخذ كل منهم درقته بيده زاحفا الى البرج على قدميه مقتحمين اياه وأتبعهم رماة سبتة فقتلوا واسروا من به وغنموا محتوياته وهدموه ونتيجة لذلك اتهور فرسان المدينة وحماتها واندفعوا خارجين من أبوابها لمهاجمة فرسان المسلمين الذين تمكنوا من ايقاع الهزيمة بهم واضطروهم الى الانسحاب مرة أخرى (485) .

ولم يقف دور العرب في ذلك الوقت عند مصاحبتهم للسلطان يعقوب بل كانت لهم اليد الطولى في جميع الامدادات التى وصلت من المغرب الى الاندلس فلقد جاء عدد كبير من عرب الخلط وسفيان رفقة الامدادات التى وصلت بقيادة الامير يوسف بن يعقوب ووصل كذلك خمسمائة فارس من عرب بنى جابر من أهل تادلا وعلى رأسهم الامير أبى زيان يوسف ابن قيطون (486) .

تكررت اغارة القوات المرينية على اشبيلية وقرمونه وتبارى كل من عرب الخلط وسفيان وبنى جابر في مهاجمة حصونها منزلين الدمار بضواحيها مظهرين الكثير من الشجاعة فعلى سبيل المثال حينما قاومتهم احد حصون قرمونة ترجل فرسان العرب من بنى جابر عن حيونهم وتقدموا الى الحصن تحت سيول سهام المحاصرين به حتى تمكنوا من اقتحامه عنوة (487) أما عرب سفيان فقد امدوا القوات المرينية بالابقار والاغنام التى تمكنوا من الحصول عليها من غارتهم المتكررة على حصون الوادى وكذلك قام فريق منهم بحماية معسكر المسلمين ومؤخرة جيشهم في حالة خروج القوات المرينية لغزو حصون المسيحيين ومدنهم (488) .

أما عرب العاصم وزعيمهم عياد بن أبى عياد العاصمى بطل هذه الحملة بدون منازع فيكفى للدلالة على بسالته ذلك الكمين الذى أعده

(485) ابن أبى زرع : الانيس المطرب، ص 246، 237.

(486) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 238، 241، السلاوى : الاستقصا ج 3 ص 60.

(487) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 239 — 241، السلاوى : الاستقصا ج 3 ص 60.

(488) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 242.

على أبواب شريش مع عصبيته من عرب العاصم الذين اختبأوا في حفير أمام المدينة ثم سار في أربعة من رجاله وبيده راية حمراء متحديا الحامية المعسكرة على أبواب المدينة فخرجوا للحاق به ففر أمامهم حتى اجتاز الحفير فوقعوا في الكمين وقتل معظمهم (489) .

ورغم عجز الجيش المرينى عن احتلال شريش وتحقيق نصر عسكرى حاسم كنصر المنصور الموحدى في موقعة الارك سنة 591 هـ / 1195 م الا أن المؤرخين تناولوا دور العرب في هذه الحملة بالتعليق والتمجيد فيتفق كل من ابن خلدون والسلاوى في العبارة الآتية : «وأبلى في هذه الغزوات عياد بن أبى عياد العاصمى من شيوخ جشم بلاءا عظيما وكان لهم فيها ذكر وصيت ... وكذا سائر المجاهدين من عرب جشم وغيرهم» (490) ... «مثل مهلهل بن يحيى الخلطى صهر السلطان ويوسف بن قيطون الجابرى وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم» (491) أما ابن أبى زرع فيتناول دور عياد بقوله : «وكان عياد رحمه الله من أشد المسلمين نكاية في الروم لا يغفل عن الاغارة على بلادهم ليلا ولا نهارا ولم يترك الجهاد ساعة واحدة من يوم نزول المسلمين على شريش الى يوم رحيلهم عنها» (492) .

أقبل الشتاء فعاد يعقوب الى الجزيرة الخضراء بعد اقراره الصلح مع مملكة قشتالة وهناك رفع اليه الفقيه الاديب أبو فارس عبد العزيز الملزوزى الاصل المكناسى الدار ويعرف بعزوز قصيدة انشدها بين يديه الفقيه أبو زيد الفاسى المعروف بالغرابلى استعرض فيها سيرة السلطان وفضله على الاسلام وغزواته وغزوات بنيه واحفاده كما امتدح قبائل مرين وقبائل العرب على اختلافها (493) مثل قوله (494) :

(489) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 232، 243.
(490) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 208، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 61.
(491) أنظر السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 61.
(492) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 243.
(493) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 248، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 64.
(494) أنظر ابن أبى زرع : الانيس المطرب (طبعة ابسالا 1842) ص 255، والقصيدة مكونة من مائتان وثلاثة وثلاثون بيت.

واذكـر خدمـة العرب التـى قـد اعتز بهم (495) لدى المولى جنابا
فحـازوا عنـده أعلـى مكـان مكين لم يرام ولم يصابـا (496)
اذ نصـح الخديـم ينـل مناه ويحرس من ذوى العلى احتسابا(407)
فأنتم أيهـا العـرب انتصرتـم لعزكـم فالزمكـم منابـــا
اليـس لحميـر لكـم انتسابـا كذاك(498)مرين أن رجعوا انتسابا
وأنتم أخـوه نسبـا وصهـرا فما حدتم عن الفخر اجتنابـا
وجـد جميعكـم سبـا وقيـس من الاعلام في العرب انتصابـا
ولـم لا والرضى عنكـم توالـى من المولـى به مـلأ القبابـا
فسفيـان سمـوا قـدرا ففيهـم سراة العـز يولـون الرغابـا
لهـم أيـام صـدق ليس تخفـى لها حسن تجلـى (499) ان يعابا
بنو جرمون أنجمهم وفيهـم (501) هلال بدرهم يجلو سحابا (500)
وسيف العاصـم اشتهرت وسارت بأرض الروم تغمدهـم الرقـابـا
سمـا عبـادهـم قـدرا ووافـا باخوته لمولانا النصابـا (502)
لقد نصحـوا ويشهـد في علاهـم بما فعلوا الـذى كتـب الكتابـا
وللخلـط السيـوف مجوهـرات تصيرها أعدائهـم قرابـا (503)
هبيـرة من كنجدهـم افتخـار للخطب هاج وحـرب ارابـا (504)
مقدمهـم تقـدم فـى المعالـى بهم ومهلهل احصا (505) الذبابا
جماعـة جابـر قـوم كـرام كسوا من صدق نصحهـم ثيـابـا
فجـروا منـه يـوم الحرب ذيـلا على الاعـداء تنسحـب انسحابـا
بيوسـف بن قيطـون تسامـوا فعـزوا جانبـا وحموا جنابـا
وقـل للاثبـج وانـت علاهـا بكم ساقاتكم تدنى (506) اقترابا
سيوفهـم تدور علـى الاعـداء كؤس ردا سقوا منها شرابا (507)

---

(495) الفروقات التالية من نسخة طبع الحجر بفاس فى 1885 (أعزتهم).
(496) لـن يرام ولـن يصابا
(497) ويحرز من ذوى العليـا.
(498) كذلـك
(499) تعـالى
(500) يجلـو السحابا
(501) سيوف العاصم اشتهرت وصارت
(502) اعتصـابـا.
(503) وللخلط السيوف سيوف حتفا تصيرها فى أعدائهـم قرابـا
(504) اخطب هاج أو حرب ارابا
(505) احصـى
(506) تـدنـو
(507) سيوفكم تدور على الاعداء كؤس ردى سقوا منها شرابا

أصغى يعقوب وحوله جميع شيوخ بنى مرين وزعماء القبائل العربية لمنشد القصيدة حتى آخرها فأمر يعقوب للناظم بألف دينار وخلع وللقارىء بمائتى دينار (508) .

وحينما قام يعقوب بتنظيم حاميات الثغور لم ينس ان يسند لعياد ابن أبى عياد العاصمى وعرب العاصم حماية اسطبونه والاستقرار بها مكافأة لهم غير أن السلطان يعقوب لم يلبث ان توفى بعد ذلك بقليل بالجزيرة الخضراء في 22 محرم 685 هـ / 1286 م وحمل جثمانه الى المغرب حيث دفن بمسجد شالة Cheila وهى الجبانة الملكية لبنى مرين بالقرب من مدينة الرباط (509) .

تولى يوسف بن يعقوب المرينى الحكم في 5 صفر 685 هـ / 1286 م وبايعته جميع قبائل مرين والقبائل العربية فوزع الاموال والهدايا على الجميع وعين أخاه الامير أبى عطية على ممتلكات المرينيين بالاندلس واسند قيادة الجيش المرينى بالاندلس لابى الحسن على بن يوسف وكان مكونا من ثلاثة آلاف فارس من بنى مرين والعرب بخلاف الرجالة ثم عاد الى المغرب (510) .

نقض كل من سلطان غرناطة وسانشو الرابع ملك قشتالة اتفاقهم السابق مع المرينيين في 690 هـ / 1291 م فهاجم ابن الاحمر مدينة اسطبونة وتمكن من الاستيلاء عليها بعد انتصاره على واليها عياد ابن أبى عياد العاصمى وتعاونت كل من قشتالة واراجون في محاصرة طريف والاستيلاء عليها بعد حصار دام ستة أشهر (511) مما دفع يوسف لاصدار أوامره لفرسان مرين والعرب بالاندلس لشن الغارات على حصون المسيحيين لحين عبوره بقواته من بنى مرين والقبائل العربية التى لم تستطيع احراز أى نصر وعادت الى المغرب مع ابتداء فصل الشتاء بالاندلس أول محرم 691 هـ / 1291 م (512) .

(508) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 248، السلاوى : الاستقصا ج 3 ص 64
(509) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 257، ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 210، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 64.
(510) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 258، 260، السلاوى : الاستقصا ج 3 ص 66.
(511) السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 71.
(512) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 262، ابن خلدون : العبر ج 7 ص 215

وخمدت غزوات بنى مرين بالاندلس منذ دولة السلطان يوسف ابن يعقوب 685 ـ 706 هـ / 1286 ـ 1307 م لانشغاله مع بنــى عبد الــواد بتلمســان وانشغال حفدته من بعده بأمــور المغرب الداخلية والصراع حول السلطة في الدولــة مع قصر مــدة ولايتهم الى أن تولى أبو الحســـن المرينــى 731 ـ 749 هـ / 1331 ـ 1348 م «وكان له رغبة في الجهاد» على حد قــول السلاوى (513) . ورغم اشتراك أبى الحسن المرينى فــى التوقيــع على معاهــدة سلام مع بنى الاحمــر ومملكة قشتالة وكــان من شروطها ان يســود السلام بين هذه الــدول الثلاث مدة أربع سنــوات على الا تمــر قوات مغربية الى الاندلس اللهم ما يتعلق باستبدال جنــود الحاميات المغربية في الاندلس وكذا اشتراكه في معاهدات سلمية مماثلة مع ملــك اراجــون (514) تسابق ملــوك أسبانيا والمغرب ـ مستغلين فرصة الســلام ـ في التسلح والاستعداد للحــرب وكــان اهتمام كل فريــــق موجها نحو تقوية بحريته لانها الضمان الاساسى للسيطرة البرية بعــد ذلك (515) وبدأت المعركة بينهما في ربيع 740 هـ / 1340 م في مياه الجزيــرة الخضراء انتهت بغرق معظم الاسطول الاراجونى وقتل قائــده وانسحاب فلوله الى برشلونة وهزيمة الاسطول القشتالى امام اسطــول المغرب واستولى المسلمون على بعض قطعه وبهذا النصر الباهر أصبــح السلطان أبو الحســن المرينى سيــدا بلا منازع على مضيق جبل طــارق وصار من السهل عليه نقل قواته الى اسبانيــا في سهولة ويســر .

واتجهت انظار هذا المجاهد الكبيــر الى مدينة طريف (516) القاعدة الباقيــة في أيدى الاسبان من ثغــور المضيق فلو أنه استولى عليها لصار المضيق كله في يــده كما صار الطريق أمامه مفتوحا الى قادس واشبيلية

(513) السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 52.

Gimenez Soler (Andres) : La Corona de Aragon Y Granada Baletin de la Real acadamia de buenas Letras de Barcelona. Num 28 (1907) P. 200.

أحمــد مختــار العبــادى : دراســت ص 416.

(515) أحمــد مختــار العبــادى : دراســات ص 416.

(516) سميت باســم أحد ضبــاط موسى بن نصير يدعى طريف بن مالك أو ملــوك ويكنى بأبى زرعة والذى قــام بالاغارة على ساحل اسبانيــا الجنوبى وعبر المضيق فى مــائــة فــارس وأربعمائة راجل فى 91هـ/710م ونزل فى المكان المعروف باسمه حتــى اليــوم Tarifa وأغار مع جنوده على المناطق التى تليها الى جهــة الجزيرة الخضراء وأصاب سبيا ومالا كثيرا ورجع سالما، راجع أحمد مختار العبادى : دراســات ص 15.

لهذا عــول على احتلالها (517) وأجاز اليها «العساكر من المتطوعة والمرتزقة ولما تكاملت العساكر بالعبــور وكانت نحـو ستين الف أجـــاز هو في أسطوله مع خاصتـــه وحشمه آخر سنة 740 هـ ونزل بساحة طريـــف وشرع في منازلتها ووافـــاه سلطان الاندلس أبو الحجاج يوسف ابـــن اسماعيل بن الاحمـــر في عسكر الاندلس من غزاة بنى مرين وحاميـــة الثغـــور ورجاله البـــدو فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف (518) ولاشك أن القبائل العربية بالمغرب الاقصى ساهمت في هذه الغزوة خصوصا وقد قامـــت بعض هذه القبائـــل مثل عرب العاصم بالمساهمة في حماية ممتلكـــات الدولة المرينية بالاندلـــس .

وشعر ملك قشتالة الفونسو الحادى عشر بخطورة الموقف فاستنجد بملك أراجـــوان بدرو الرابـــع كما استنجد بصهره ملك البرتغال الفونسو الرابع وهـــرع الجميـــع الى ساحة طريف بغية انقاذها وفي 7 جمـــادى الاولى سنـــة 741 هـ (أكتوبر 1340 م) دارت بين الفريقين معركة حاسمة انتهت بهزيمة المسلمين وقتل عدد كبير منهم (519) .

وانتهز ملك قشتالة فرصة الاضطرابات التى حلت بجيوش المسلمين بعد هذه الهزيمة وواصل هجومه على غرناطة ثم حاصر مدينة الجزيـــرة الخضراء سنـــة 743 هـ (1342 م) وحاول كل من سلطان المغرب وسلطان غرناطـــة انقاذ هذه القاعـــدة الهامة بشتـــى الطرق السلميـــة والحربية ولكن محاولاتهما باءت بالفشل وانتهى الامر باستسلام الجزيرة الحضراء في ربيـــع سنة 744 هـ (1344 م) ثم عقدت معاهدة سلمية بين قشتالـــة وغرناطـــة والمغرب مدتها عشـــر سنوات (520) .

وما كادت حركة الجهاد ضد المسيحيين باسبانيا تهدأ حتـــى دب نـــزاع جديد بين سلطان المغرب أبى عنـــان فارس المرينى 749 ـ 759 هـ/ 1348 ـ 1358 م وبنى الاحمر بغرناطة والسبب في هذا النـــزاع يرجـــع الى أن اثنيـــن من اخـــوة ابى عنـــان وهما الاميران أبو الفضل وابو سالم

(517) أحمد مختار العبـــادى : دراسات ص 418.

(518) السلاوى : الاستقصـــا جـ 2 ص 22.

(519) سميت هذه الموقعة فى المصادر العربية باسم موقعة طريف اما المصادر الاسبانية فقد سمتهـــا بوقعة نهر سلادو del rio Salado على اسم النهر المجاور لطريف فى جنوب اسبانيا كمـــا سمتها أيضـــا بوقعة الملوك الاربعة del los cuatro reyes راجع أحمد مختار العبادى : دراسات ص 418، 419.

(520) أنظر المقرى : نفح الطيب جـ 6 ص 120 — 128، أحمد مختار العبادى : دراســـات ص 420، 421.

خرجا عن طاعة أخيهما السلطان وهربا الى سلطان غرناطة ملتمسين حمايته وقبل أبو الحجاج يوسف طلبهما وأواهما في بلاطه وقد آثار هذا العمل غضب السلطان المرينى فأرسل الى سلطان غرناطة خطابا شديد اللهجة مليئا بعبارات الاحتجاج والتهديد وكان رد يوسف عليه واضحا اذ أوعز الى الامير أبى الفضل بالسفر الى قشتالة وطلب معونة من ملكها بدرو الاول لمحاربة أخيه وانتزاع الملك منه ووافق ملك قشتالة على طلب الامير المغربى أبى الفضل لانه كان متخوفا من أطماع أبى عنان (521) فأمده بالاساطيل والاموال وأنزله بنواحى السوس في جنوب المغرب كى يشعل حربا أهلية ضد أخيه وثارت ثائرة السلطان أبى عنان لهذا العمل العدائى غير أن الظروف سرعان ما هدأت من روعة عندما قام واليه عبد الله بن مسلم على درعة بمقاومة حملة أبى الفضل بمساعدة محاليفه من عرب المعقل وتمكن من القبض على أبى الفضل وارساله لاخيه أبى عنان ليقتله في 755 هـ/ 1354 م (522) .

وتوالى بعد ذلك على عرش المغرب وغرناطة عدد من ملوك بنى مرين وبنى الاحمر لم تكن لهم قوة اسلافهم ولا حذرهم وحيطتهم وشعورهم بالخطر المحدق بهم فعاشوا عيشة ترف ولهو ومن تصاريف القدر العجيبة انه في الوقت الذى أخذ الضعف فيه يدب الى كل من فاس وغرناطة كانت القوة قد بدأت تتجمع في كل من اسبانيا والبرتغال (523) .

وكان استيلاء البرتغاليين على مدينة سبتة في 818 هـ (1415 م) نذيرا بانهيار دولة بنى مرين وهكذا انقلب الوضع بالنسبة للمسلمين وتحولت الحرب المقدسة من أرض الاندلس الى أرض المغرب وتمكن البرتغاليون من الاستيلاء على جزء كبير من ساحل المغرب وبموت السلطان عبد الحق المرينى في رمضان 869 هـ (مايو 1465) انقرضت الدولة المرينية في المغرب (524) .

(521) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 293، 294، ابن الاحمر : روضة النسرين ص 23، 24، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 422، 423.

(522) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 124، 293، 294، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 190، 191.

(523) أحمد مختار العبادى : دراسات ص 455.

(524) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص 872، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 458.

ثالثا ـ دور العرب بزعامة سويد فى أتساع الدولة المرينية

ما أن سقطت مدينة مراكش عاصمة الدولة الموحدية ودانت بلاد المغرب لبنى مرين حتى زحف يعقوب بن عبد الحق 657 ـ 685 هـ / 1259 ـ 1286 م ببنى مرين وقبائل المغرب من العرب لاستخلاص سجلماسة من أيدى بنى عبد الواد فنصب عليها آلات الحصار سنة كاملة لمناعتها وأثناء هذه الفترة كان المحاصرون من العرب بداخلها يصعدون على أسوارها لاعنين يعقوب وأنصاره من العرب الى أن دك المنجنيق سورها فاقتحمتها جيوش بنى مرين في 673 هـ / 1274 م وقتلت من بها من بنى عبد الواد وانصارهم من عرب المنبات من المعقل (525) .

وتطلع يعقوب بن عبد الحق المرينى للاستيلاء على أملاك الدولة الموحدية السابقة خلال ازدهارها بالمغرب الاوسط فقام بغزو تلمسان عدة مرات مستعينا بالقبائل العربية بالمغرب : سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر من عرب الاثبج وذوى حسان والشبانات من المعقل ورياح ولكن بنى عبد الواد تمكنوا بزعامة يغمراسن من مقاومة الغزو المرينى بفضل اعتمادهم على عرب يزيد وحصين ومالك وعروة وعامر من زغبة وذوى عبيد الله من المعقل (526) .

استمرت سياسة بنى مرين العدائية تجاه بنى عبد الواد بتلمسان خصوصا بعد أن نجحت الدولة المرينية في تثبيت أقدامها في المغرب فتطلعت لمد نفوذها الى المشرق حيث دولة بنى عبد الواد بتلمسان وبنى حفص بتونس خصوصا بعد تحول عرب سويد زعماء زغبة واحلاف بنى عبد الواد المخلصين الى خدمة بنى مرين (527) فاتسعت الدولة المرينية خاصة خلال عصرى أبى الحسن على بن عثمان وابنه

---

(525) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 85، ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 209 السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 36، 37.

(526) فى سنوات 670هـ/1271م، 679هـ/1281م أنظر ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 207، 226، ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 86، 184، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 31، 32.

(527) كان عريف بن يحيى ولى لابى تاشفين بن موسى بن يغمراسن ثم انتقل لخدمة ملوك الدولة المرينية فى بداية القرن الثامن الهجرى وكان له دور كبير فى توجيه العلاقات مع بنى عبد الواد حتى علت مرتبته فى عهد أبى الحسن المرينى فوق كل عرب زغبة والمعقل دون منازع. أنظر ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 46، 47.

أبى عنـــان في الفتــرة من 731 هـ الى 759 هـ (1331 ـ 1358 م) واتصل ملك المرينيين ما بين برقــة الى الســوس الاقصــى .

زحف أبو الحسن المرينى لغزو تلمسان وحاصر المدينة وأثناء تفقده لحصونها ومعاينته لابوابها فاجأه فرسان بنى عبد الواد ـ مقلدين ما فعله يغمراســن بالسعيــد الموحدى ـ وكادوا ان يغتالوه لولا وليــه عريف ابن يحيى اميــر عرب سويد الذى دافــع باخلاص عن سيده حتى لحقت بهم الامدادات ودخل بنـــو مرين تلمسان في 748 هـ / 1347 م وقام عريف ابن يحيى السويدى باستئلاف القبائل العربية بالمغرب الاوسط لحســـاب سلطانه فحالفت بطون حميــد وأولاد ديـــاب من بنى عامر بن زغبـــة المرينيين ما عــدا بعض بنى عامــر بقيـــادة صغير والديالم وأولاد ميمون ابـــن غانـــم بن سويـــد منافـــس أولاد عريف فقد فضلوا ملازمة بنـــى عبـــد الواد وهربوا الى الصحراء واستقروا بقليعة بعيدا عن متناول أعدائهم (528)

وفي نفس العام استجاب ابو الحسن المرينى لتحريض القبائـــل العربية الثائــرة على الحفصيين بافريقية بقيادة خالد بن حمزة بن عمر (429) وبعد ان احتـــل وهران زحف الى افريقية بقواته من بنى مريـــن والعرب وأصبح على أبـــواب بجاية وأثناء ذلك وفد عليـــه شيوخ عـــرب افريقية وأمرائها من نسل عـــرب الفتح المستقلين ذاتيـــا بامارات بـــلاد الجريد والزاب وبسكرة مبايعين ومؤيدين فأقرهـــم على بلادهم واقطاعاتهم (530) ودخل ابو الحسن المرينى تونس في موكب حافـــل من شيـــــوخ القبائل العربية بالمغـــرب وافريقية وعن يمينه مستشاره عريف بن يحيـــى زعيم عـــرب سويد (531) وهكذا استطاع السلطان أبو الحسن أن يعيـــد للمغـــرب الكبيـــر وحدتـــه .

وبعد أن قـــام بتنظيـــم البـــلاد وتسليـــح ثغـــور افريقيـــة بالالآت والقوات اعـــاد النظر في اقطاعات العرب فترك لهم ما كان في حدود المعقول اما اقطاعـــات الامصار والضواحى والتى تؤدى الى الاستقلال الذاتـــــى ومنافسة الدولة فقد عوضهم عنها برواتب من ديوان الجند وانقص جباياتهم

(528) ابـــن خلدون : العبـــر جـ 6 ص 52، 53.

(529) ابـــن خدون : العبر جـ 6 ص 355، الزركشى : تـــاريخ الدولتـــين ص 81، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 154 ـــ 155.

(530) ابـــن خلدون : العبر جـ 7 ص 268، 269، الســـلاوى : الاستقصـــا جـ 3 ص 155، 156.

(531) ابـــن خلدون : العبـــر جـ 6 ص 46، 47.

والغـى الاتاوات التى فرضوها على مدن افريقية وأهلها والتى تعـرف «بالخفـارة» (532) .

ادت الاجراءات السابقة الى تذمر بعض القبائل العربية بافريقية فثاروا وأغاروا على معسكرات المرينيين وقواتهم بثغور أفريقية وامتدت ايديهم الى ماشيـة السلطان بضواحى تونس مما أغضبه وازداد غضبـه اشتعالا حينما علـم بتآمـر العرب والحفصيين لطرده من افريقية فقبض على شيوخ العرب الوافدين (533) على تونـس لتهنئته بعيد الفطر (534) فتحزبت البطون والقبائل من أولاد أبى الليل وأولاد القوس وبنى مسكين ضـده واتصلوا بمنافسيهم من عرب أولاد مهلهل الفارين بالصحـراء وتحالفت أحياء عرب سليم وتبايعوا على الموت وصاروا يدا واحـدة رغم ما بينهم من عداوات وثارات ضد المرينيين (535) وتمكنوا من الحـاق هزيمة مـرة بالجيوش المرينية ونهبوا معسكر أبى الحسن وسبوا حريمه وحاصروه بالقيروان في 749 هـ / 1348 م (536) .

وما أن شاعت أخبار هزيمة ابى الحسن المرينى ومحاصرته بالقيروان حتى توالت المشاكل أمام أبى الحسن فثارت تونس وقامت العامة من اهل المدينة بمحاصرة المرينيين بقلعتها ومن بها من أبنـاء السلطان وحريمه ووجوه قومه وأمنـاء بيت ماله وانفضت القـوات المرافقة للامير أبى سالم ابراهيم بن السلطـان الوافدة من المغـرب كمدد وهو في طريقه الـى القيروان فلجأ الى تونـس لينضم الى المحاصرين من بنى مرين وتخلـى ابن تافراجين عن أبى الحسن وبدلا من مفاوضته القبائل العربية بافريقية لصالح سيده أبى الحسن وضع يده في يدهم فقلدوه حجابه سلطانهم (537) .

---

(532) ابن خلدون : العبـر ج 6 ص 270، 274، السـلاوى : الاستقصـا ج 3 ص 156 — 158.

(533) هـم خالد بن حمـزة وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله من بنى مسكين وابـن عمه خليفة بن أبى زيد من أولاد القوس وغيرهم.

(534) أنظر ابـن خلدون : العبر حـ 7 ص 274، 275، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 158، 159.

(535) ابـن خلدون : العبـر حـ 7 ص 275، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 159.

(536) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 275، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 160، 161

(537) بعد قيامهم بالثورة نصبوا أحمد بن عثمان بن أبى دبوس آخر ملوك بنى عبـد المؤمن كان يحترف الخياطة بتوزر أنظر ابـن خلدون : العبر حـ 7 ص 275، 276، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 159 — 161.

ولكن سرعان ما ظهرت الخلافات القديمة بين القبائل العربية المتحالفة وعملت كل قبيلة على الاستفادة من نكبه المرينيين فأولاد مهلهل وافقوا على الافراج عن أبى الحسن مقابل مبلغ كبير من المال فأسرع أولاد أبى الليل للاتفاق معه مقابل اطلاق سراح بعض زعمائهم وشيوخ العرب المعتقلين بالمدينة فوافق أبو الحسن المرينى ودعم هذا الاتفاق زواج ابنه الامير أبى الفضل بابنة زعيم عرب الكعوب عمر بن حمزة فأخرجوه من القيروان سرا الى سوسة وركب البحر الى تونس (538) .

وفي المغرب قام صراع في البيت المرينى حول السلطة انتهى بتنصيب الامير أبى عنان سلطانا في 749 هـ / 1348 م وتارجحت طاعة مدن المغرب بين أبى الحسن وابنه أبى عنان الى ان تقرر مصير الصراع بينهما على أرض المغرب الاوسط وبيد قبائله العربية فقامت سويد بقيادة عريف وابنه ونزمار وانصارهم من عرب حصين والعطاف والديالم للقضاء على ثورة أبى عنان ومحالفيه من بنى عبد الواد وعرب بنى عامر والتقوا جميعا بوادى ورك من بلاد العطاف في 750 هـ / 1348 م وهزمت سويد وأحلافها فلجأ الامير الناصر بن ابى الحسن الى أمير بسكرة ولجا عريف بن يحيى الى أبى عنان بالمغرب (539) .

وازداد الامر سوءا بتحول عرب أولاد أبى الليل الى الحفصيين ومحاصرتهم لابى الحسن المرينى بتونس عدة مرات ومبايعة امارات بلاد الجريد للامير الفضل الحفصى فلم يسع السلطان أبو الحسن الا أن يقرر العودة الى المغرب فترك تونس وركب البحر في أسطول ضخم (خمسمائة قطعة) في فصل الشتاء قاصدا المغرب فلم يلبث أن هاج البحر وغرق الاسطول بمن فيه من علماء وجنود وخلص السلطان على خشبه الى الجزائر بعدما عاين الموت بعينيه تاركا أبى الفضل بتونس فحاصرته القوات الحفصية وكادوا ان يفتكوا به وبأنصاره لولا تدخل عرب بنى حمزة أصهاره للافراج عنه فخرج الى مخيمات أصهاره الذين أوصلوه الى أبيه 750 هـ / 1349 م (540) .

---

(538) ابن خلدون : العبر ﺟ 7 ص 276، السلاوى : الاستقصا ﺟ 3 ص 161 — 163
(539) ابن خلدون : العبر ﺟ 7 ص 117، 118، 279، 283، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ﺟ 1 ص 153، 154.
(540) ابن خلدون : العبر ﺟ 7 ص 284، 285، السلاوى : الاستقصا ﺟ 3 ص 170.

وهناك في الجزائر اجتمع عليه عدد كبير من عرب سويد والديالم والعطاف والحرث وحصين بقيادة ونزمار بن عريف بن يحيى السويدى ومن التف حوله من عرب الثعالبة فزحف بهم الى تلمسان والتقى بقوات بنى عبد الواد وحلفائهم من عرب بنى عامر بقيادة الامير أبى ثابت فهزمت القوات المرينية وقتل الناصر بن أبى الحسن وفر أبو الحسن المرينى ووليه ونزمار بن عريف الى الصحراء حتى بلغ سجلماسة بالمغرب الاقصى عازما على استرداد ملكه (541) .

زحف أبو عنان لملاقاة أبيه وكتب عريف بن يحيى الى ابنه ونزمار بن عريف ينصحه ومن معه من عرب سويد بالتخلى عن أبى الحسن المرينى مهددا أياه بقتل ابنه عنتر بن ونزمار الموجود معه فآثر ونزمار رضا أبيه ولحق ببسكرة مما اضطر أبو الحسن المرينى الى اللجوء الى جبل هنتاتة ببلاد المصامدة بالاطلس الكبير ومن هناك اتجه الى مدينة مراكش بعد ان دخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة وعند أم الربيع جرت بينه وبين ابنه أبى عنان المعركة الاخيرة التى يحدثنا عنها ابن خلدون بقوله :

«وأنتهى كل واحد من الفريقين الى واد أم الربيع وتربص كل واحد بصاحبه اجازة الوادى ثم اجازة السلطان أبو الحسن والتقى الجمعان وانهزم عسكره ولحق به ابطال بنى مرين فرجعوا عنه حياء وكبابة فرسه فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله واعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن على أمير الزواودة (من عرب رياح الذى صحبه من الجزائر) فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه ردا له وخلص السلطان الى جبل هنتاتة ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد الهنتاتى فنزل عليه وأجاره واجتمع اليه الملأ من هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتعاهدوا على الدفاع عنه وبايعوه على الموت» وجاء أبو عنان على اثره حتى احتل بمراكش وانزل عساكر على جبل هنتاتة ورتب المسالح لحصاره ولم يتحمل أبو الحسن هذه الكوارث المتلاحقة فاعتل خلال ذلك ومات حزينا شهيدا 752 هـ وبعث أولياؤه بالخبر الى ابنه بمعسكره ورفعوه على أعواده اليه فتلقاة حافيا حاسرا وقبل اعواده وبكى

(541) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 119، 285، يحيى بن خلدون : بغية الرواد جـ 1 ص 156، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 171، 172.

واسترجع وعفا عن أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذى رضوه من دولته (542) .

وفي عهد السلطان أبى عنان المرينى ارتفعت مكانة ونزمار ابن عريف أمير عرب سويد فأقطعه أبو عنان بلاد السرسو وقلعة ابن سلامه وكثيرا من بلاد توجين (543) بينما ظلت العلاقات عدائية مع بنى عبد الواد وحينما قام أبو عنان بغزو تلمسان في 753 هـ / 1352 م كان ونزمار بن عريف على رأس عرب سويد والمعقل وهزم بنى عبد الواد وقام ونزمار وأنصاره من العرب بمتابعة الفارين حتى تمكن من أسر وقتل الامير أبى ثابت وانتقم للهزيمة التى أوقعها به هذا الامير أيام أبى الحسن المرينى (544) .

وبعد وفاة أبيه عريف أراد أبو عنان أن يأخذ ونزمار مكانه لمشورته ولكنه آثر السكينة والبعد عن الصراعات فبنى حصنا بوادى ملوية علىحدود دولة بنى مرين الشرقية وأقام به وما فتىء ملوك بنى مرين يذكرون له سابق خدمته للدولة المرينية ويؤثرونه بالشورى والتدخل في الاحوال الخاصة بين الملوك والرؤساء من سائر البلاد 545 (545) .

رابعا ــ ثورات عرب رياح والمعقل والاثبج ودورهم فى انهيار الدولة المرينية

نتيجة للصراع الموحدى المرينى ومن بعده الصراع بين بنى مرين مع بنى عبد الواد بتلمسان وبنى حفص بافريقية أن ضعفت قبضة الدولة على أطرافها خصوصا مناطق استقرار القبائل العربية بالمغرب مما أدى الى استقلالها استقلالا ذاتيا فرياح ببلاد الهبط في المنطقة الممتدة من قصور كتامة الى ساحل المحيط والاثبج وبطونها من جشم وسفيان

(542) راجع ترجمته فى ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا ابى الحسن نشره ليفى بروفنسال فى مجلة Hespéris V 1925 ، مخطوط مصور 1319 سكوريال بمكتبة الجامعة العربية، راجع كذلك ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 286، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 172.

(543) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 47.

(544) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 20، 121، 289، يحيى بن خلدون : بغية الرواد حـ 1 ص 160 ــ 162. السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 182، 183، 185.

(545) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 47.

والخلط وبنو جابر والعاصم ببلاد تامسنا وتادلة في المنطقة المحصورة بين وادى أبى الرقراق (بورجرج) شمالا ووادى أم الربيع جنوبا ثم عرب المعقل وبطونهم ذوى حسان وذوى منصور وذوى عبيد الله في المنطقة الممتدة جنوبا الى وادى السوس ودرعة وسجلماسة (546) .

عرب رياح : حالفت رياح الموحدين وقامت بدور واضح في مقاومة المرينيين عند استيلائهم على بلاد المغرب الى ان تمكن المرينيون في بداية القرن الثامن الهجرى من طردهم الى رؤوس الهضاب فقل عددهم ولحقوا بالقبائل (547) ففى 707 هـ / 1308 م قام عامر بن عبد الله بن يوسف المرينى بغزو عرب رياح ببلاد الهبط بمنطقة أبى طويل وفحص ازغار وقتل منهم خلقا كثيرا وسبى اولادهم وانتقل الى قصر عبد الكريم (كتامة) ليستألف من به من عرب رياح ويغزو قلعة علودان بجبال غمارة.

عرب المعقل : اما عرب المعقل فنظرا لبعد أوطانهم عن عاصمة الدولة فقد استلزم اخضاعهم جهدا مركزا ومتواليا من المرينيين ففى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق في الفترة من 657 الى 685 هـ (1259 ـ 1286 م) اضطر لارسال قواته اليهم بل وخرج بنفسه لاخضاعهم ففى 668 هـ / 1269 م أرسل ابنه الامير ابا مالك عبد الواحد لاخضاع ذوى حسان عرب السوس وفي العام الذى يليه خرج يعقوب بنفسه لغزوهم ومحاليفهم من ذوى منصور ببلاد درعة الثائرين بها والمسيطرين على حصونها وقلاعها فحاصرهم اياما حتى ارغمهم على الطاعة (548). وفي الفترة الاخيرة من حكمه ارسل ابنه يوسف لتسكين ثورات بلاد السوس وخرج بنفسه في 683 هـ / 1284 م لغزوهم وتتبعهم الى الصحراء حتى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس حيث لا زرع ولا ماء مما أدى الى مقاتل اكثر عرب ذوى حسان جوعا وعطشا (549) .

---

(546) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 32، 58، 59، محمد بن ماء العينين : الجأش الربيط ص 28، 29.

(547) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 35، 36. أشهر بطون رياح بالمغرب عرب الاخضر ورياستهم فى أولاد تامرى برياسة زياد بن تمام بن عامر وكان أبوهم شديد السمرة فأطلق عليه الاخضر اذ تسمى العرب الاسود أخضر. أنظر ابن خلدون العبر حـ 6 ص 35، 36، حـ 7 ص 236، 237، ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 270، 271، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 94، 95.

(548) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 205، 206، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 27.

(549) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 206، ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 228، 230، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 54، 58.

لم يكتف عرب المعقل بالثورات المتعددة على الدولة المرينيه بل قاموا بمناصرة كل ثائر عليها كلما سنحت الظروف ففى 685 هـ / 1287 م قاموا بتأييد طلحة بن على البطوى الثائر ضد الدولة المرينية وأقام طلحة بينهم داعيا لنفسه فبايعته عرب بلاد السوس (550) حتى حدودها الجنوبية على نهر السنغال وحينما نجح المرينيون في القضاء على هذه الثورة التى استمرت سبعة شهور عادت لتشتعل مرة أخرى بوادى درعة بين عرب ذوى منصور الذين قطعوا طريق سجلماسة على المسافرين والتجار مما اضطر يوسف بن يعقوب للخروج بنفسه اليهم فى 686 هـ / 1287 م في اثنى عشر ألف فارس فهزمهم ومثل بهم وأمر بتعليق رؤوس زعماء الثورة منهم على أسوار مدن مراكش وفاس وسجلماسة لتكون عبرة لمن يفكر في الثورة (551) .

وفي 715 هـ / 1315 م اسند أبو سعيد عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق ولاية سجلماسة الى ابنه أبى على عمر لابعاده عن فاس بعد ثورته عليه واستقر الامير أبو على بسجلماسة وتمكن من تأسيس دولة على أكتاف عرب المعقل فنظم الدواوين وفتح معاقل الصحراء وقصور توان وتيكرارين وكامنطيت وغيرها فاستقر ملكه وازدادت قوته مما أدى الى قيامه بالثورة مرة أخرى على أبيه في 720 هـ / 1320 م فاستولى على وادى درعة وتطلع الى مراكش التى زحف اليها في 722 هـ / 1322 م بانصاره من عرب المعقل ونجح في الاستيلاء عليها ولكنه لم يلبث أن ارتد مهزوما الى سجلماسة طالبا من أبيه الصفح والرضا فأجابه الى ذلك (552).

وبعد وفاة السلطان أبى سعيد عثمان خلفه ابنه الاكبر أبو الحسن على 731 ـ 749هـ/1331ـ1348م الذى زحف بقواته الى سجلماسة لاختيار نية أخيه أبى على سلما أو حربا فتلقته وفود أخيه أثناء الطريق ترحب به وتبايعه فأقره أبو الحسن على سجلماسة وماجاورها كسابق

---

(550) وهو وطن كبير فى مثل مساحة البلاد الجريدية بافريقية ذو عمائر وقرى ومزارع وأمصار وأشهر مدنه تارودانت وفى جنوبه رباط ماسة الشهير المعروف والى جنوب الرباط زوايا أولاد بنو نعمان وجنوبها الساقية الحمراء وهى آخر مجالات عرب المعقل فى مشاتيهم. أنظر ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 274.

(551) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 260، 261، ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 211، 212، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 67.

(552) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 244، 245، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 107، 111.
G. Marcais : Les Arabes. P. 383-389.

عهده مع أبيه وأشهد على ذلك شيوخ مرين والعرب (553) . الى أن قام أبو الحسن بغزو تلمسان فانتهز أخوه أبو على عمر هذه الفرصة وزحف الى بلاد درعة وقتل واليها من قبل أبى الحسن وعين بدلا منه ثم تقدم بقواته الى مدينة مراكش ولما علم أبو الحسن المرينى بغدر أخيه قرر الانسحاب عائدا الى المغرب حيث تتبع أخاه حتى حاصره بسجلماسة واقتحمها عليه في 734 هـ / 1333 م وقتله بعد أن استمرت ولايته بسجلماسة مدة تسعة عشر عاما نجح في جعلها امارة قوية معتمدا على عرب المعقل المستقرين في نواحيها (554) .

ولعل هذا هو السبب الذى جعل من عرب المعقل حلفاء مخلصين لاولاد أبى على عمر من بعده ويظهر ذلك بوضوح بعد وفاة أبى عنان المرينى في 759 هـ / 1358 م واضطراب أحوال الدولة من بعده اذ عاد أولاد أبى على عمر للمطالبة بملك آبائهم وناصرتهم عرب ذوى عبيد الله من المعقل ونجح الامير عبد الحليم منهم في دخول سجلماسة في 763 هـ/ 1362 م حيث بايعته جميع عرب المعقل فأقطعهم عبد الحليم الاراضى وجباية خراج بلاد درعة والسوس مكافأة لهم وحينما زحف اليه الوزير عمر بن عبد الله المستبد بأمور الدوله المرينية لمحاربته أدرك ما يتمتع به من قوة بفضل تأييد حلفائه عرب المعقل فرحب بوساطة زعماء العرب بالمغرب لاقرار الصلح بينهما على أن تكون سجلماسة لعبد الحليم على أساس أنها من تراث أبيه (555) .

وبالرغم من ذلك فقد سعى الوزير عمر بن عبد الله الى استمالة عرب أولاد حسين من ذوى منصور المستقرين بنواحى سجلماسة لاضعاف جبهة الامير عبد الحليم ونجح فيذلك مما اضطر عبد الحليم لكسب ود عرب الاحلاف منافسيهم واشتعل الصراع بين أولاد حسين والاحلاف فأرسل عبد الحليم أخاه عبد المؤمن للتوفيق بينهما فحرضه أولاد حسين على الثورة ضد أخيه وزحفوا به مرغما للاستيلاء على سجلماسة فى 764 هـ / 1362 م ونجحوا في دخول المدينة بعد أن هزموا عرب

---

(553) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 253، السلاوى : **الاستقصا جـ 3 ص 119.**

(554) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 254، السلاوى : **الاستقصا جـ 3 ص 120.**
G. Marcais : Les Arabes... P. 384-385.

(555) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 316 — 319، **ابن الخطيب : نفاضة الجراب** ص 313 وما بعدها.

الاحلاف وأقاموا عبد المؤمن واليا عليها بعد طرد عبد الحليم منها واتجه عبد الحليم يائسا الى مكة لقضاء فريضة الحج (556) بينما لجأ الاحلاف الى سياسة الانتقام لما نزل بهم من هزيمة على يد أولاد حسين فحرضوا الوزير عمر بن عبد الله على استرداد سجلماسة فأمدهم بعساكره وعندما أدرك أولاد حسين رجحان كفة الاحلاف وأعوانهم انقسموا على أنفسهم وأنضم الكثير منهم الى الاحلاف فسقطت سجلماسة وعادت تابعة الى الدولة بفاس (557) .

عرب الاثبج : وكما تعددت ثورات عرب المعقل المستقرين في جنوب الدولة المرينية كذلك لعبت القبائل العربية المستقرة ببلاد تامسنا وتادلة دورا في صراع البيت المرينى حول السلطة لمجاورتها مراكش وتاثرها بما يدور فيها من احداث ففى 707 هـ / 1308 م بعد اغتيال السلطان يوسف بن يعقوب وهو محاصر لتلمسان وتولى حافده أبو ثابت عامر الحكم ناصرت قبائل الاثبج الامير عثمان بن أبى العلاء بن عبد الحق منافسه على السلطة وهاجموا بلاد أصيلا وسلبوها مما اضطر السلطان أبو ثابت عامر الى الخروج اليهم فاستقبلته وفودهم من جشم والخلط والعاصم وبنى جابر وسفيان مقدمين فروض الطاعة فداهنهم حتى دخل مدينة آنفا فقبض على ستين من شيوخهم فقتل عشرين منهم وصلب أشلاءهم على أسوار المدينة واعتقل الباقى بسجن المدينة وكذلك فعل بشيوخ عرب رباط الفتح اذ قبض على من أتهم بالحرابة وقطع الطريق من الاعراب وقتل ثلاثين منهم (558) .

على أن أحوال القبائل العربية لم تلبث أن هدأت واستقامت فى عهد هذا السلطان أبى ثابت وكذلك في عهد أخيه وخليفته من بعده أبى الربيع سليمان وبعد وفاة هذا الاخير في 710 هـ / 1310 م اجتمعت القبائل العربية على مبايعة الامير أبى سعيد عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق لان أمه ـ عائشة ـ كانت حرة عربية وبنت أمير عرب الخلط

---

(556) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 310، 311، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 120
G. Marcais : Les Arabes... P. 396-397.

(557) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 320.
G. Marcais : Les Arabes... P. 398-399.

(558) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 270، 271، ابن خلدون : العبر ج 7 ص 236، 237، السلاوى : الاستقصا ج 3 ص 94، 95.

ابى عطية مهلهل بن يحيى الخلطى (559) وأيدهم في هذا الاختيار مشيخة بنى مرين والوزراء وكان لهذا السلطان الجديد أبى سعيد عثمان ولدان أحدهما وهو الاكبر من أمة حبشية وهو أبو الحسن على بن عثمان وثانيهما وهو الاصغر من أمه من سبى الفرنج (أسبانية) وهو أبو على عمر بن عثمان وكان الاصغر أعلق بقلب السلطان وأحبهما اليه فرشحه لولاية العهد ولم يدخر عنه شيئا من مراسم الرياسة والملك ولاشك أنه كان للقواد المسيحيين بالجيش المرينى تأثير كبير في هذا الاختيار اذ لم يلبث الموقف ان تمخض عن وجود مركزين للقوى في داخل الدولة : السلطان أبو سعيد عثمان وأخواله القبائل العربية وولى العهد أبو على عمر وأخواله الجنود المسيحيون وأنفجر الموقف بعصيان الابن وهزيمة الاب وارغامه على التنحى عن الحكم وتولى أمور منطقة تازا حتى وادى ملوية وشهد على ذلك شيوخ القبائل العربية وزناتة الذين يبدو أنهم قد بيتوا النية للايقاع بهذا الابن العاق اذ ما كاد أن يدخل أبو على عمر العاصمة فاس حتى حاصروه وكادوا ان يفتكوا به لولا انه بادر بطلب الصلح من أبيه مقابل توليه سجلماسة ونواحيها في أقصى الجنوب فأجابه والده الى ذلك وعفا عنه في 715 هـ / 1315م (560).

غير أن هذا الابن الثائر المدلل لم يلبث ان استغل فرصة العداء القائم بين عرب العقل سكان هذه المنطقة الجنوبية النائية وبين حكومة فاس وعمل على استمالتهم الى جانبه والثورة من جديد ضد والده أبى سعيد عثمان ثم ضد أخيه أبى الحسن المرينى من بعده وانتهى الامر بمقتله كما سبق ان بينا في الصفحات القليلة السابقة ومن العجيب ان السلطان أبا الحسن المرينى بعد أن تخلص من منافسه أخيه أبى على عمر وقام بحركته التوسعية في المغرب الكبير بغية توحيده لم يلبث بعد أن فشلت مساعيه أن وقع في نفس مأساة والده وأخيه من قبل اذ ثار ضده ولده أبو عنان وأعلن نفسه سلطانا للدولة المرينية وهنا ينقسم المغرب على نفسه مرة أخرى فتنضم مشيخة بنى مرين بجيوشها الى الابن بينما انضمت قبائل عرب الاثبج ورياح والمصامدة الى الاب والتقى الفريقان ـ كما سبق أن قدمنا ـ بوادى أم الربيع في 751 هـ / 1350 م ودارت الهزيمة على قوات الاب أبى الحسن

(559) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 274، 275، ابن الاحمر : روضة النسرين ص 23، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص103 وما بعدهيا.

(560) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 243، 244، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص102

وحامت حوله فرسان مرين بعد أن كبا به فرسه فاعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن على بن أحمد أمير الزواودة من عرب رياح (561) دافع عنه حتى امتطى فرسه وسار من ورائه يحميه ويذود عنه حتى تمكن أبو الحسن من الهروب الى جبل هنتاتة حيث توفى بعد أن كتب لابنه بولاية العهد في ربيع الثانى 752 هـ / 1351 م ولم ينس أبو عنان أولياء أبيه من العرب وأخلاصهم له فقربهم خاصة أبا دينار بن على ابن أحمد الذى أسنى جائزته وخلع عليه واعاده الى قومه بافريقية مكرما (562) .

وبعد وفاة أبى عنان المرينى في 759 هـ / 1358 م استبد بأمور الدولة وزيره حسن بن عمر فترة من الوقت الى أن تولى السلطان أبو سالم ابراهيم ملك المغرب في 760 هـ / 1359 م فأبعد هذا الوزير الى مراكش تخففا منه وريبه بمكانه من الدولة غير انه لم يلبث أن ثار ضد السلطان أبى سالم في 761 هـ / 1360 م ولجأ الى بنى جابر من عرب جشم ببلاد تادلا فأجاره كبيرهم الحسن بن على الورديغى فأرسل أبو سالم جنوده للقضاء على ثورته فاحتلت بلاد بنى جابر واعتصم حسن ابن عمر بالجبل بجوار بربر صناكة الذين ثاروا بحماته وفضوا جمعهم وقبضوا عليه وسلموه مقابل مبلغ من المال وقتل بفاس (563) .

وفي النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى تمزقت الدولة المرينية بين الامراء المتنافسين على السلطة بين فاس ومراكش وقام زعماء العرب بدور نشط بين المتنافسين ففى 767 هـ / 1366 م سعى حسون بن على الصبيحى زعيم عرب بنى صبيح في الصلح بين الوزيرين عمر بن عبد الله بفاس وعامر بن محمد الهنتاتى بمراكش (564) وفي 768 هـ / 1367 م ثار عامر بن محمد الهنتاتى على سلطانه أبى الفضل بمراكش وهرب خوفا من بطشه الى فاس مبايعا سلطانها عبد العزيز فأسند أبو الفضل شوراه لمبارك بن عطية الخلطى وحينما علم بزحف سلطان فاس اليه انسحب ووزيره مبارك الخلطى الى بلاد تادلا معتصما بحماية أهلها

(561) هاجر مع السلطان بعد عودته من افريقية أنظر ابن خلدون : العبر ﺣ 7 ص 287، السلاوى : الاستقصا ﺣ 3 ص 173.

(562) ابن خلدون : العبر ﺣ 7 ص 286، 287، السلاوى : الاستقصا ﺣ 3 ص 173

(563) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص 29، 262، 263، ابن خلدون : العبر ﺣ 7 ص 299، 309، 310، السلاوى : الاستقصا ﺣ 2 ص 119.

(564) ابن خلدون : العبر ﺣ 7 ص 322.

من عرب بنى جابــر فأتبعه عبد العزيز وداخل بعض عرب بنى جابــر فى تسليــم أبى الفضل والتخلى عنه عند الحــرب مقابل مبلغ من المال وهزم أبـــو الفضـــل وهرب الى قبائل صناكة وقام أعوان عبد العزيز من عـــرب بنى جابــر باستخلاصه منهم بما بذلوه لهم من مـــال ونقلوه الى عبــد العزيز الذى أمــر بقتله وقتل مستشاره مبارك بن عطية الخلطى فـــى 769 هـ / 1368 م (565) .

وبعد وفاة السلطان عبد العزيز بن أبى الحسن في 774 هـ / 1372 م قـــام ونزمار بن عريف زعيم عرب سويد المقيم بقصره مراده بوادى ملوية بـــدور خطير في توجيه أحداث المغرب فبمشورته تجتمع القبائل العربيـــة بالمغـــرب لنصرة أميـــر مرينى ضد آخـــر حتى انتهت الامور الى استقرار أبى العباس أحمـــد بن أبى سالـــم المرينى بفـــاس ومنافسه عبن الرحمن ابن أبى يفلوسن بن أبى على المرينـــى بمراكش تفصل بين املاكهما ولاية ازمور العربية شبه المستقلة برياسة حسون الصبيحى (566) .

أصبحت ولايـــة آزمور مرآة لما يدور من صراع بين العاصمتين فاس ومراكش وانقســـم عرب بنى صبيح في أزمـــور على أنفسهم : قسم يناصر فاس والآخـــر ينحاز الى مراكش ونظرا لتكافؤ قوات الجانبين فقد استمرت ولايـــة ثغر ازمور وعليها الحسن بن يحيى بن حسون الصبيحى الفاصلة بين أملاك كل منهما الى أن تمكن أبو العبـــاس أحمد من الاستيلاء علـــى مراكش في أواخـــر فتـــرة حكمه في 784 هـ / 1382 م ووحد المغـــرب (567) غير أن أبا العباس لم ينعم بذلك طويلا فقـــد طـــرده موسى بن أبى عنان في 786 هـ / 1384 م من الحكم ففـــر الى الاندلس بينما هرب وزيـــره محمد بن عثمان الى ونزمار بـــن عريف طالبا معونته فخذلـــه فتحول الى عرب المنبات من المعقل فآووه أول الامـــر ثم ارسلوا الى السلطان بخبره واسلموه اليه فقتلـــه (568) .

وحينما ضاقت الحاشية والاتباع بالسلطان موسى بن أبى عنـــان واتآمـــرت عليه وعملت على استيراد سلطانا غيـــره من مملكة غرناطة ـ التى أصبحت ملجأ المطالبين بالعرش المرينى والمبعدين عن السلطة بالمغرب ـ

(565) ابـــن خلدون : العبر ﺟ 7 ص 324، السلاوى : الاستقصا ﺟ 4 ص 53 ـ 54
(566) ابـــن خلدون : العبـــر ﺟ 7 ص 339 ـ 341.
(567) ابـــن خلدون : العبر ﺟ 7 ص 344، 345، 347.
(568) ابـــن خلدون : العبر ﺟ 7 ص 351، 352.

كان أحمد بن محمد الصبيحى على رأس الوفد المرسل الى الاندلس لقضاء هذه المهمة وبعد نجاحه استبد واستطال على من تآمر معهم وكذا على السلطان الجديد معتمدا على ازدياد جنده مما أدى الى تحالف الجميع للتخلص منه خصوصا بعد انضمام عرب أولاد حسين بقيادة أميرهم يوسف بن على بن غانم للسلطان الجديد وحاشيته (569) .

وساءت العلاقة بين الدولة المرينية ومملكة غرناطة فأعاد ابن الاحمر (470) سلطانها السابق أبا العباس أحمد الى المغرب وأيد ونزمار ابن عريف كبير العرب بالمغرب رجوعه وأعلن تأييده له وحض القبائل العربية بالمغرب على مبايعته ومساعدته فأطاعته عرب أولاد حسين ومعظم عرب المعقل بقيادة زعيمهم يوسف بن على فدخل فاس في 789 هـ /1387 م (571) وقاتل من تردد من زعماء العرب في مبايعته مثل حركات ابن حسون شيخ عرب تادلا (572) .

وفي سجلماسة تخلى عرب الاحلاف عن الامير محمد بن عبد الحليم وقامت طائفة منهم بحراسته حيث هرب لاجئا بجوار بنى عبد الواد (573).

وفي عهد آخر ملوك بنى مرين عبد الحق بن أبى سعيد بن أبى العباس 823 ـ 869 هـ / 1320 ـ 1465 م ضعف بنو مرين وانتقلت السلطة للوزراء والحجاب ففى سنة 846 هـ /1442 م غزا الوزير أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسى عرب الشاوية لتمردهم على الدولة وازدياد سلطتهم ففرق شملهم وخرب منازلهم ولكنه اغتيل في 852 هـ / 1448 م بيد عرب انقاد (أنكاد) (574) .

اضطربت احوال الدولة المرينية بتعدد ثورات عرب الشاوية وتدهورت الامور بفاس بعد سيطرت يهوديان على أمورها مما اضطر شيوخ المدينة ورؤساؤها الى اغتيال السلطان عبد الحق ومبايعة الشريف أبا عبد الله

(569) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 353.
(570) هو محمد الخامس الغنى بالله سلطان غرناطة فى ذلك الوقت.
(571) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 356 — 357.
(572) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 360، السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 140 (طبعة 1894 م).
(573) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 359، السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 139 (طبعة 1894م).
(574) السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 149 (طبعة 1894م).

محمد بن على الادريسى الجوطى (575) نقيب الاشراف بفاس في رمضان 869 هـ / 1465 م الذى استمر في الحكم يعاونه ابنه كوزير له وفى خلال عهده تزايد ضرر عرب الشاوية فزحفوا الى بلاد المغرب من أحواز مكناس وفاس سالبين أهلها اموالهم وماشيتهم منزلين الرعب والدمار حتى اضطروا الناس الى الرحيل عنها (576) .

وفي نفس الوقت تمكن بنو وطاس (577) من استغلال هذه الاحداث وخلعوا أبا عبد الله في 875 هـ / 1470 م وهكذا انتهت دولة بنى عبد الحق على أيدى وزرائهم وأبناء عمهم الوطاسيين حينما أعلن محمد الشيخ بن أبى زكرياء نفسه سلطانا على المغرب 876 ـ 910 هـ / 1472 ـ 1504 م مؤسسا بذلك الدولة الوطاسية (578) .

(575) نسبة الى جوطة وهى قرية على نهر سبو فى العدوة الجنوبية لم يبق منها الا آثار نزلها جدهم يحيى بن محمد بن يحيى العدام بن القاسم بن ادريس فنسب اليها وهو من بيت بنى عمران فرقه من أدارسة فاس استقروا ببيت جدهم ادريس وكانت لهم السيادة الروحية على أهل المغرب كافة.
أنظر السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 158 (طبعة 1894م).

(576) السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 158، 159 (طبعة 1894م).

(577) هم قبيلة من قبائل بنى مرين نزلوا ضواحى بلاد الريف حيث آلت اليهم جباية أمصاره ورعاياه أنظر السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 159 (طبعة 1894م).

(578) أحمد مختار العبادى : دراسات ص 220، 221.

الباب الثالث

القبائل العربية وأثرها في الحياة المغربية

الفصل الاول : توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب .

الفصل الثانى : وضع القبيلة العربية بالمغرب .

الفصل الثالث : دور القبيلة العربية في النواحى الادارية والعسكرية .

الفصل الرابع : أثر القبائل العربية في الحياة الاقتصادية المغربية .

الفصـــــل الأول

توزيع القبائل العربية ببـــلاد المغرب

أولا : القبائل العربيـــة بـــأفريقيـــة

الهـــلاليـــون : الاثبــــــج

يزعمون انهم من ولد الاثبــج بن أبى ربيعة بن نهيك بن هـــلال وكانـــوا من أوفر القبائل الهلالية الداخلة لافريقية عددا وأكثرهم بطونا .

مواطنهـــم : بعد أن تمكنوا من اخضاع صنهاجة استقروا بجبـــال أوراس الشرقيـــة .

بطونهم : أهمها : دريـــد وكرفة وقرة وعياض والعاصم ومقدم ولطيف

وعندما ثار بنو غانيـــة على الموحدين بافريقية أيدهم العاصم ومقدم وقـــرة فنقلهم الموحدون الى المغرب فاستقروا بتامسنا فازدادت قوة جيرانهم من ريـــاح واستولوا على ضواحى قسنطينة مما اضطر بقايا الاثابج الى ترك الظعـــن والاستقرار بقـــرى الزاب (1) .

1 ـ كـــرفـــة :

وبطونهم بنو محمد بن كرفة والمراونة بنو كثير بن مروان بن قطن بن كرفة وهم رحل جائلـــون في القفـــار يقيمون في معاشهم من الحبوب على زروع أهل الجبـــل . والحدلجات وهم أربع بطون : أولاد شبيب ابن محمد بن كليـــب ويعرفون بالشبيبة ، أولاد صبيح بن فاضل بن محمد ابن كليب ويعرفون بالصبحة ، بنـــو كليب بن عطية بن قطن ويعرفون بالكلبة، أولاد سرحان بن فاضل بن محمد بن كليب ويعرفون بالسرحانية .

(1) ابن خلدون : العبر هـ 6 ص 22، 24، السلاوى : الاستقصا هـ 2 ص 121.

ومواطن الحدلجات بجبل أوراس مما يلي زاب اتهودا .

وأولاد نابت بن فاضل وهم ثلاث أفخاذ : أولاد مساعد ، أولاد ظافر ، أولاد قطيفة والرياسة في أعقاب بيت مساعد في أولاد علي بن جابر ابن مفتاح بن مساعد أقطعهم الحفصيون جانب أوراس الشرقي والزيبان الشرقية وربما يستخدمهم صاحب الزاب كجنود ورسل للاخبار وغير ذلك من المهمات (2) .

وأولاد دريد بن تازير زعماء أولاد نابت (3) .

2 ـ دريد :

تولت رياسة هلال عند دخولهم افريقيه ولعبوا دورا واضحا في استقرار القبائل العربية بافريقية حتى مدحهم شعراؤهم منوهين بدورهم:

دريد ذات سراه البدو وللجود منقع كما كل أرض منقع الماء خيارها
تحن الى أوطان قره يافتى لكن معها جملة دريد كان موارها
وهم عربوا الاعراب حتى تعرب بنوف المعالى ما ينفى قصارها
وتركوا طريق النار برهة وقد كان ما تقوى المطايا حجارها

مواطنهم : ما بين بونه وقسنطينة الى قرية طارف مصقلة وما يحاذيها من القفر .

بطونهم : أولاد سرور ، أولاد عطية ، أولاد عبد الله .

ورياسة أولاد عطية في أولاد مبارك بن حباس ، ومن أولاد عبد الله، أولاد جار الله ، توبه ، ورئاسة أولاد جار الله في أولاد عنان بن سلام، ورئاسة توبه بين أولاد وشاح بن عطوه بن عطية بن كمون بن فرج ابن توبة بن عطاف بن جبر بن عطاف بن عبد الله ، وأولاد مبارك بن عابر (عابد) .

(2) ابن خلدون : العبر ﺣ 6ص 23، الميلى : تاريخ الجزائر ﺣ 2 ص 161، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ﺣ 1 ص 418.
G. Marcais : Les Arabes P. 637-8.

(3) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 33،
G. Marcais : Les Arabes en Berbérie P. 637-638.

- واستقر أولاد مبارك بن جباس بتلة بن حلوف من ضواحى قسنطينة فزحفت اليهم توبة من مواطنهم بطارف مصقلة فدثروا وتلاشوا فأستقرت توبـة وأستبدلـت الابل بالشـاء والبقر وقعدت عن الظعن وعليها للسلطان جبايـة وعسكره وأولاد سـرور وأولاد جـار الله مجاورون لتوبة وعلى سننهـم في الحيـاة (4) .

وفي أواخـر القـرن الثامن الهجرى كانت رئاسة أولاد وشاح منقسمة بين سحيم بن كثير بن جماعة بن وشاح وبين أحمد بن خليفة بن رشاش ابـن وشـاح .

وكانت رئاسة أولاد مبارك بن عابـر منقسمة بين بنـو ماح ابـن محمد بن منصور (5) وأولاد عبد الله بن أحمد بن عنان بن منصور (6).

3 ـ عياض بن مشـرف بن أثبـج :

استقروا بجبل قلعة بنى حماد بعـد أن تمكنوا من هزيمة قبائلـه البربرية وتولى جبايتهم ولما سيطر الموحدون على افريقية استعانوا برياح للسيطـرة على عياض . ورياستهم في أولاد ديفـل .

ومن بطونهـم : الزبـر بنو زبير ، وأولاد صخر ، وأولاد رحمة ، والمهاية والخـراج ، والمرتفع وهم ثلاثة بطـون ، أولاد تبـان (تبـار) ورياستهـم في أولاد محمد بن موسـى ، أولاد حناس ورياستهم في بنى عبـد السـلام ، أولاد عبدوس ورياستهم في بنى صالح . والخـــراج ورياستهم في أولاد زائـدة بن عبـاس بن خص (7) .

ومواطنهم جبل قلعـة بنى حمـاد من المشرق الى المغـرب ما بين ثنيـه غنية والقصاب الى وطن بنى يزيـد بن زغبـة أوله للمهاية والزبر

(4) ابـن خلدون : العبر حـ 6 ص 23، 24، الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 160 عبد الوهاب بن منصور : قبـائل المغرب حـ 1 ص 418.
G. Marcais : Les Arabes... P. 635-6.

(5) ابـن خلدون : العبر حـ 6 ص 23، 24.
G. Marcais : Les Arabes... P. 735.

(6) G. Marcais : Les Arabes... P. 735.

(7) ينص الجدول الذى وضعه جورج ماسيه لتوزع قبائل عرب الاثبج على أن ريـاسـة الخراج فى أولاد عبـاس بن خضير بن زائـدة وهذا يختلف مع رواية ابن خلـدون. وقد يرجع هذا الخطـأ الى قلب الاسم، أنظر ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 24.

وبعدهم المرتفع والخراج ويلى الخراج غربا أولاد صخر ورحمة وهذا آخر وطن الاثابج (8) .

4 ـ الضحاك بن مشرف بن أثبج :

كانوا بطونا كثيرة وفي بداية الدولة الموحدية تصارع على رياستهم اميران هما أبو عطية وكلب بن منيع وانتهى الامر بانتصار كلب بن منيع واستئثاره بالرياسة مما أدى الى رحيل أبى عطية الى سجلماسة بالمغرب الاقصى واستقر معظمهم بالزاب بعد أن أخضعهم الزواودة من رياح وصاروا من جملتهم فتركوا الظعن واتخذوا ببلاد الزاب المدن (9).

5 ـ لطيف :

من بطونهم ، اليتامى أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف ، وذوو مطرف ، وذوو أبى الخليل ، وذوو جلال بن معافى ، والنقامنة ، وأولاد لقمان بن خليفة بن لطيف ومنهم أولاد جرير بن علوان بن محمد ابن لقمان ومنهم أولاد براز بن معن بن محيا . والى علوان ينسب بنو مزنى ولاة الزاب وبسكرة حيث ينتمون الى مزنه بن ديفل بن محيا ابن جزى بن علوان (10) .

وكانوا كثرة فلما اخضعهم الزواودة انتقل بعضهم الى المغرب الاقصى بينما نزل فريق من براز على العطاف من زغبة فقل عددهم وعجزوا عن الظعن واستقروا ببلاد الزاب مثل الوسن وغريبو وتهودة ، وتنومة وبادس وأصبحوا من رعايا والى الزاب وبسكرة له عليهم حق الجباية (11) .

---

(8) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 24، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 161.
عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ج 1 ص 419.

(9) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 24، 25.
G. Marcais : Les Arabes... P. 639.

(10) أنظر ابن خلدون : العبر ج 6 ص 405 وما بعدها «بنو مزنى ببسكرة».
G. Marcais : Les Arabes... P. 639-642.

(11) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 24، 25، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 121، 162، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ج 1 ص 418.

6 ـ العمــور :

ليسوا من الاثبــج وانما يلحقون بهم ويغلب على الظن أنهــم من ولــد عمــرو بن عبــد منــاف وليسوا من ولد عمر بن أبى ربيعة بن نهيك ابــن هــلال نظــرا لعــدم وجود صلات فيما بيــن ريــاح وزغبة والاثبــج من ناحيــة وبين قــرة أشهر بطونهم من ناحية أخرى في الوقت الذى نجــد بيــن قــره وغيرهم من بطون هلال صلات . وان كنــا نجد في نفــس الوقت صــلات بين قــرة وبين غيرها من بطــون هــلال .

والعمور بطنــان قــرة (مــرة) وعبد الله وهم مستقرون بالضواحى والجبــال وفيهم الفرسان وأكثرهم رجاله وموطنهم ما بين جبل أوراس شرقــا الى جبل راشــد حيث القفــر والجــدب .

وبنو قــرة بطن متسع الا أنهم موزعون في القبائل والمدن وحدانا ورياستهم في بنى عبد الله بن على ومنهم بطنــان ، أولاد محمد ، وأولاد ماضى ومنهم أولاد عنــان بن محمد وعزيز بن محمد ومنهم أولاد شكــر ابن عنــان وفارس بن عنان ومنهم زكــرى بن سعيد بن بسيط بن شكــر وشيخهم في أواخــر القــرن الثامن الهجرى يعمور بن موسى بن بوزيــر ابــن ذكرى ، أولاد يحيى بن سعيد بن بسيط بن شكــر وشيخهــم المعاصر ليعمــور هــو عامر بن أبى يحيى بن يحيــى .

وموطن أولاد فارس وأولاد عزيز وأولاد ماضى بسفح **جبل أوراس** المطل على بسكــرة متصلين بجوار ريــاح تحت طاعتهم خصوصا الزواودة الذين يجولون بوطنهم . ولصاحب الزاب وبسكرة عليهم طاعة لقــرب جــواره وحاجتهــم الَى سلطانــه .

وموطن أولاد شكر جبل راشد ثم استقل به أولاد محيا بعــد طردهم لاولاد زكرير منه الى جبل كسال واستمر الصراع فيما بينهما الى أن استولت زغبــة على جبــل راشــد فصار أولاد محيا أتبــاع لسويد ابن زغبــة وأولاد زكريــر في حمايــة بنى عامــر (12) .

---

(12) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 25، 26، الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 162، عبد الوهــاب بن منصور : قبــائل المغرب حـ 1 ص 419.

الهـلاليـون : ريـــاح

يرجع نسبهم الى ريـاح بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر وهو أخـو الاثبـج .

وبطونهم : عمـر ، على ومنهم أولاد فادع وأولاد دهمان ، عامـر ومنهم خصر ويعرفون بالاخضر ، سعيد ، مرداس .

مواطنهـم : كانت بطون رياح دائبة الحركة والتنقل من الجريـد الى القيروان الى الزاب الى المسيلة الى ورقلة ولهم اقطاع بالحضنـــة ونواحـى قسنطينـة وبجايـه .

1 ـ مـــرداس :

هم أكثرهم بطونا وأشهر بطونهم ، الزواودة أولاد داود بن مرداس، وأولاد ضنبـر بن عقيل بن مرداس وأخوتهم أولاد مسلم بن عقيل ، أولاد عامـر بن يزيـد بن مرداس ومنهم بنو موسى وجابر ومحمد ومشهور ابن محمد وقد يقـال ان أولاد عامـر بن يزيد من لطيـف من الاثبـج ، كمـا ينسب بنو مشهـور في غير ريـاح .

ورياسة ريـاح لمرداس طوال عهدهم في أولاد ضنبر عند دخولهـم افريقيـة ثم انتقلت للزواودة طـوال عصر الموحدين بافريقية . وأشهـر زعمائهـم مسعود بـن سلطان بن زمام بن ورديغى بن داود الملقـب بالبلط لشدتـه وصلابته نقله الموحـدون مع بعض بطون ريـاح والاثبـج الى المغرب حيث استقرت ريـاح ببـلاد الهبـط (13) .

ونقل الحفصيون قبائل ريـاح الى ضواحى القيروان وبلاد قصطيلة لمنافسـة الزواودة لما أنكـروه عليهم من استبدادهم ويبدو أنهم حرضوا بنى مرداس من بنى سليـم عليهم كذلك فحاربوهم حتى طردوهم مـن شـرق افريقية الى غربها واستقر الكعوب ومرداس من بنى سليم مـن قابس الى بونه ونفطـة والزواودة بضواحى قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الـزاب وريـغ ووراكلى وما وراءها من القفـار .

(13) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 32، الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 162، 163

واستقر أولاد مسعود وأولاد عساكر (14) وأولاد سباع من الزواودة بجبل أوراس والزاب وبلاد الحضنة (نقاوس ومقرة والمسيلة) (15) .

وبطون رياح تابعون للزواودة مرة ومنقسمون وملتمسون ما في أيديهم مرات وأشدهم قوة وأكثرهم جمعا بطون سعيد ومسلم والاخضر وهم يبعدون الرحلة في القفار والرمال ويسخرون الزواودة في صراعهم مع بعضهم .

2 ـ بنو سعيد :

هم أحلاف لاولاد محمد سائر أيامهم الا قليلا ورياستهم في أولاد يوسف بن زيد ومنهم أولاد ميمون بن يعقوب بن عريف بن يعقوب أبن يوسف ومنهم اولاد عيسى بن رحاب بن يوسف ، ودعار بن عيسى ابن رحاب .

وهم يزعمون انتسابهم الى بنى سليم في أولاد القوس والارجح أنهم من رياح بالحلف والوطن . وينتمى اليهم لفائف من العرب يعرفون بالخادمة والعيوث وهم من أولاد مشرف بن أثبج بن نفاث احدى بطون جذام ومن زنارة احدى بطون لواته من البربر (16).

3 ـ بنو مسلم :

من أولاد عقيل بن مرداس بعضهم ينتسب الى الزبير بن العوام والبعض ينسبهم الى الزبر بن المهاية من عياض الاثبج .

ورياستهم في أولاد جماعة بن مسلم بن حماد بن مسلم بين أولاد شاكر بن حامد بن كسلان بن غيل بن رحال بن جماعة وبين أولاد زواوة بن موسى بن قطران بن جماعة وهم والاخضر أحلاف لاولاد سباع ابن يحيى من الزواودة .

---

(14) رغم نسب ابن خلدون محمد بن يحيى بن ادريس وأحمد بن عيسى بن ادريس الى أبو الشيخ حركات بن عامر برى جورج مارسيه ينسب عيسى بن يحيى بن ادريس الى أبيه عساكر مباشرة. أنظر ابن خلدون : العبر ج 6 ص 37.
G. Marcais : Les Arabes... P. 736.

(15) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 34. أنظر الجدول البيانى لبطون مرداس.

(16) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 35، 53، الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 163.

4 ـ عامـــر :

ومنهم بنــو الاخضر وهم يزعمون انهم من ولد خضر بن عامــر وليس عامر بن صعصعة ولعله عامــر بن زيــد بن مرداس من ريــاح ، ورياستهم في أولاد تامــر بن عامــر بن تمام بــن عمار بن خضر ابــن عامر بن ريــاح . وحالف بنــو مرين منهم أولاد تامرى بن عامر بن صالح ابن عامر بن عطية بن تامر ومنهم زيادة بن تمــام بن عمار (17).

واستقرت بافريقية بطون مختلفة من القبائل العربية جاورت رياح واندمجت فيهم مثل بنــو رئاب بن حجير وينتسبون الى بنى ربيعة مــن سواءه بن عامر بن صعصعة ، بنو عنــزة بن أســد بن ربيعة بن نــزار ابن معد بن عدنــان ، بنو طرود بن فهم بن عمرو بــن قيس، وبنــو طرود قد يظعنــون مع بنى سليم كذلك ، وبنو شداد بن الاشجع ابــن هــلال بــن عامر بن صعصعة المستقرون بضواحى بونة ، وفرقــة من بنى سعــد بن بكر بن هوزان استقــرت بنواحى باجة وهم يعسكرون مــع جنــد السلطــان (18) .

5 ـ بنــو علــى :

ومنهم بنــو دهمان وفــادغ ومن بنى دهمان ، أولاد جامــع ولاة تابس، ومن فادغ أولاد جبارة ولاة مدينة سوسة (19) .

بنــو سليــــم

بطن متسع من أوسع بطون مضــر وأكثرهم عددا ، انتقلوا الــى افريقية مع الهلاليين وأقاموا ببرقة وجهات طرابلس زمانا ثم انتقلــوا الى افريقيــة .

وأهم بطونهم : زغب وذبــاب وهبيب وعوف ولبيــد .

(17) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 35، الميلى : تاريخ الجزائر ﺣ 2 ص 163 .

(18) القلقشندى : نهاية الارب ص 258، 290، 304، 322، 378، قلائد الجمان ص 129، 130؛ النويرى : نهاية الارب ﺣ 2 ص 328، 335.

(19) ينسب كل من العماد الاصفهانى والتجانى بنى جامع الى بنى فادغ من بنى على بينما ينسبهم ابن خلدون الى دهمان من بنى على أنظــر خريدة القصــر ص 123، 130، 139، رحلة التجانى ص 30، 94 ومــا بعدها، العبــر ج 6 ص 37، 167، جورج مارسيــه ص 726.
G. Marcais : Les Arabes p. 736.

1 ـ زغب (زعب) :

نسبهم ابن الكلبى في زغب بن نصر بن خفاف بن امرىء القيس ابن بهثة بن سليم ، أما التجانى فقد نسبهم الى زغب الاصغر ابن زغب الاكبر بن جرو بن مالك وزعم أن زغب الاكبر أبو ذباب وزغب الاصغر الذين من أحياء بنى سليم بافريقية، أما أبو الحسن بن سعيد فقد نسبهم في زغب بن مالك بن بهثة بن سليم (20) .

2 ـ هبيب (هيب) :

هو ابن بهثة بن سليم (21) ومواطنهم من أول أرض برقة الى العقبة الصغيرة شرقا استقروا هناك بعد دخول اخوانهم افريقية . لبنى أحمد منهم اجرابيه واختاشة وجهاتهما وهم عديدون يرهبهم الحجاج، ولشماخ برقة خصوصا الجهات الخصبة منها مثل المرج وطلمينا ، لذلك فهم أغنى هبيب . ولمحارب وشماخ من برقة الى العقبة الكبيرة شرقا والرياسة في هاتين القبيلتين لبنى عزاز (22) .

وجميع بطون هبيب تمكنت من السيطرة على اقليمها الطويل وعلى سكانه وفي خدمتهم بربر وعرب من رواحة وفزارة وأمم كثيرة ويهود يحترفون الفلاحة والتجارة .

ورياسة هبيب ببرقة لابى ذؤيب (23) .

3 ـ عوف :

هو ابن بهثة بن سليم . ومواطنهم ما بين قابس وبونه وهو بلد العناب بافريقية واشهر بطونهم ، مرداس ومنهم أولاد جامع ، علاق ومنهم أولاد يحيى وأولاد حصن .

(20) ابن خلدون : العبر حـ 2 ص 308، حـ 6 ص 72، القلقشندى : نهاية الارب ص 272، قلائد الجمان ص 125 ــ 128، يطلق التجانى على زغب زعب. أنظر رحلته ص 85، 86، 141، المقريزى : البيان والاعراب ص 67 ــ 71، عبد الوهاب ابن منصور : قبائل المغرب جـ ف ص 429، 430.

(21) القلقشندى : نهاية الارب ص 444، قلائد الجمان ص 127، المقريزى : البيان والاعراب ص 67، 68 «هيب».

(22) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 72، القلقشندى : نهاية الارب ص 34، 307، 415، قلائد الجمان ص 127، 128.

(23) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 72، 73.

أ ـ بنو يحيى بن علاق ومرداس (24) :

ومن علاق بطنان ، بنو يحيى وحصن ومن بنى يحيى حمير ودلاج ورياح ومن حمير ، ترحم وكردم ومن ترحم بنو كعب بن أحمد ابن ترحم (الكعوب) ورياسة علاق عند دخولهم افريقية كانت لرافع ابن حماد وعنده راية جده التى حضر بها مع النبى (صلعم) وهو جد بنى كعب فيما يزعمون ثم انتقلت الى أولاد شيخة بن يعقوب بن كعب .

ورياسة مرداس في أولاد جامع وبعده لابنه يوسف بن عون وبعده لعنان بن جابر بن جامع (25) .

وحالفت الدولة الحفصية بافريقية منهم أولاد جامع من مرداس واختلف حالهم بين الاستقامة والنفرة حتى ثار عنان بن جابر زعيمهم وأقام بين عصبيته مرداس واحلافهم من عرب رياح فراسله السلطان أبو زكريا بقصيدة يؤنبه على ثورته ويستدعيه لطاعته منها :

قدو المهايه بالمريه القود   واطووا فلاه بتصويب وتصعيد
سلو ومنه بين الغض والسواحر   هل استن فيها واكفات المواطر

فأجابه عنان بن جابر بأخرى على نفس الوزن منها :

خليلى عوجا بين سلع وحاصر   بهوج عناجيج نواج ضوامر

ولحق بالموحدين بالمغرب محرضا اياهم على الحفصيين بافريقية وتوفى ودفن بسلا (26) فاصطنع الحفصيون الكعوب الذين حاربوا المرداسيين وطردوهم من افريقية فانسحبوا الى القفر واستغل المرداسيون أيام مرابع الكعوب في الصيف بالتلول ليسيطروا على ضواحى قسنطينة فاذا انحدرت الكعوب الى مشاتيهم بالقفر شتاء انسحبت مرداس الى القفر البعيد ولهم على توزر ونفطة وبلاد قصطيلة اتاوة يؤدونها اليهم (27) .

(24) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 73، القلقشندى : نهاية الارب ص 381، قلائد الجمان ص 126، يطلق عليهم النويرى «علاف» : أنظر نهاية الارب ص 315.

(25) ابن خلدون : العبر ﺣ 2 ص 308، ﺣ 6 ص 73، القلقشندى : نهاية الارب س 418، قلائد الجمان س 127، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ﺣ 1 ص430 ينسب جورج مارسيه بنى كعب الى كردم وهذا غير صحيح أنظر :
Les Arabes... P. 739.

(26) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 74.

(27) ابن خلدون : [illegible] 74، 75.

ب ـ بنو حصن بن علاق :

أشهرهم بطنان ، بنو على بن حصن بن علاق ، بنو حكيم ابن حصن بن علاق وفي رواية أخرى أن حكيما ليس لحصن وانما ربى فى حجرة فانتمى اليه .

1 ـ وبطون حكيم عديدة منهم بنو ظريف بن حكيم ومنهم أولاد جابر والشراعبة ونعير (نمير) وجريدة من مقدام بن ظريف وزياد ابن ظريف .

ومنهم وائل بن حكيم .

ومنهم بنو طرود بن حكيم وقد يقال ان طريدا ليس لسليم وانهم من منبس احدى بطون هلال بن عامر ويرجح ابن خلدون أن طرود من بنى فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن عدوان وكانوا احلافا لدلاج ثم تحولوا الى آل ملاعب .

ومنهم بنو نمير بن حكيم ومنهم بطنان ملاعب بن نمير وأحمد بن نمير . ومن أحمد بنو محمد والبطين ، ومن ملاعب ، أولاد زمام والغزيات وأولاد مياس . أولاد قائد ومن أولاد قائد ، الصرح والمدافعة وأولاد يعقوب بن عبد الله بن كثير بن حرقوص بن قائد ورياسة حكيم وسائر بطونهم اليهم (28) .

ومنهم القوس وينسبهم جورج مارسيه الى حكيم مباشرة برغم نص ابن خلدون على أنهم من أولاد يعقوب بن القوس وفي نفس الوقت نسبهم الى أولاد يعقوب بن عبد الله وهو الارجح لاحتمال تسمية عبد الله بالقوس لمعاصره يعقوب بن القوس ، ليعقوب بن عبد الله وكذلك لابى على بن كثير بن يزيد بن على . وتولوا رياسة حكيم بقيادة محمد بن مسكين بن عامر بن يعقوب بن القوس ينافسه بنو عمه سحيم بن سليمان بن يعقوب وأبو الهول وأبو القاسم ابنا يعقوب بن عبد السلام ومنهم خليفة بن يزيد بن عمر بن يعقوب . وبعد مهلك محمد بن مسكين تولى رياستهم خليفة بن عبد الله ابن مسكين وتلاه عامر بن محمد بن مسكين واستقرت في أواخر القرن

(28) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 82، القلقشندى : نهاية الارب ص 322 .

الثامن الهجرى بين أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين الملقب بأبى صعنونه وعبد الله بن محمد بن يعقوب الملقب (بالراوى) .

وينتسب الى حكيم أيضا آل حسين ونوال ومقعد والجمعيات ولكنهم ليسوا منهم (29) .

2 - **بطون بنى على** : هم أولاد صورة من عوف بن أحمد بن على ابن حصن ثم أولاد نمى والبدرانه وأولاد أم أحمد والحضرة أو الرجلان والجمعيات والحمر والمسابهة آل حسين وحجرى وقد يزعم البعض أن حجرى ليسوا لسليم بل هم من بطون كندة صاروا معهم بالحلف فانتسبوا بنسبهم .

ورياسة بنى على في أولاد صورة وشيخهم لهذا العهد ابو الليل ابن أحمد بن سالم بن عقبة بن شبل بن صورة بن مرعى بن حسن ابن عوف وينافسهم المراعيه أولاد مرعى بن حسن بن عوف (30) .

مواطنهم في نهاية القرن الثامن الهجرى : استقرت حكيم ما بين سوسة والاجم وبنو على ما بين الاجم والمباركة من نواحي قابس (31).

4 - **ذباب** :

يتفق القلقشندى والمقريزى على أن بنى ذباب بن مالك بن بهثة ابن سليم بينما يتفق التجانى وابن خلدون على أن بنى ذباب من ربيعة بن زغب الاكبر .

ومواطنهم ، ما بين قابس وطرابلس الى برقة مجاورين لهبيب .

بطونهم ، منهم الجوارى ، المحاميد ، الصهب «بنو صابر عند القلقشندى»، بنو سليمان ويشاركهم أوطانهم بنى يزيد (32) وأشهر بطونهم أربعة :

---

(29) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 76، 82، 83، 84 .
G. Marcais : Les Arabes... P. 739.

(30) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 73، 84.

(31) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 82.

(32) التجانى : رحلته ص 85، 86، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 85، القلقشندى : نهاية الارب ص 158، 250، 292، 311، قلائد الجمان ص 127، **المقريزى** : البيان والاعراب ص 68؛ عبد الوهاب بن منصور : **قبائل المغرب** ج 1 ص 428، 429

أ ـ الصهب ، بنو صهب بن جابر بن قائد بن رافع بن ذباب ، وأخوتهم الحماديـة (الحمارنه) بنو حمدان (حمران) بن جابر ، والخرجة بطـن من آل سليمان ، أخرجهم آل سليمان من مواطنهم بمسلالة فحالفوا الحماديـة والصهب وانزلوا معهـم .

ب ـ الاصابعة ، نسبة الى رجل ذى أصبـع زائدة لم يذكـر التجانى الى أى بطـن من ذباب ينتسبون ومنهـم النوائـل ، بنـو نائـل بن عامـر بن جابـر وأخوتهم أولاد سنان بن عامـر وأحوتهم أولاد وشـاح بن عامـر وفيهم رياسة هذه البطـون من ذباب .

حـ ـ المحاميد ، من أولاد وشاح وهم بنو محمود بن طوب بن بقية ابن وشاح ومواطنهم ما بين قابس ونفوسة وما الى ذلك من الضواحـى والجبال ورياستهم في أواخر القرن الثامن الهجرى في بنى رحاب ابـن محمود لاولاد سبـاع بن يعقوب بن عطية بن رحاب (33) .

د ـ الجوارى ، من أولاد وشاح وهم بنو حميـد بن جارية ابـن وشاح ومواطنهم طرابلس وما اليها مثل تاجورا وهزاعة وزنـزور ورياستهم في أواخر القرن الثامن الهجرى في بنى مرغم بن صابر بن عسكر ابن على بن مرغـم ، سالم بن مرغم ، وعبد الله بن ديـاب بن أبـى العـز بن صابـر بـن عسكـر .

ومن أولاد وشـاح بطنان صغيران مندرجان مع الجوارى والمحاميد وهما الجوارية ، بنـو جواب بن وشاح والعمور ، بنو عمر بن وشاح هكذا زعم التجانى وفي هـلال بن عامـر بطـن يطلق عليـه العمور وهم يزعمـون أن عمور ذباب هؤلاء منهم وانما جمعهم مع ذباب الوطـن وليـس النسـب .

ومن أولاد وشاح ، بنو حريز بن تميـم بن عمر بن وشاح ، كان منهم قائد بن حريـز من فرسان العرب المشاهير وله شعر متداول بينهم في أواخـر القرن الثامن الهجرى ويقال أنـه من المحاميد (34) .

آل سليمان وآل سالـم : ولذبـاب بطون أخرى ناجعة في القفـر مواطنهم في الجانب الشرقى من مواطن الوشاحيين . منهم آل سليمان

(33) التجانى : رحلته ص 118، 134، ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 85.
(34) أنظر التجانى : رحلته ص 206، 212، 214، ابن خلدون : العبر حـ 6 ص85

ابن وهب بن رابع بن ذباب ورياستهم في ولد نصر بن زائدة بن سليمان ثم انتقلت الى هائل بن حماد بن نصر وبنيه .

ومنهم آل سالم بن وهب أخى سليمان وشعوب آل سالم هم ، الاحامد والعمائر ، العلاونة ، وأولاد مرزوق ورياستهم في أولاد معلى ابن معراق بن فليته بن قماص بن سالم وانتقلت في بداية القرن الثامن الهجرى الى غلبون بن مرزوق وفي نهايته لحميد بن سنان ابن عثمان بن غلبون .

وتنافس ذباب في أوطانها ، ناصره من بطون ناصرة بن خفاف ابن امرىء القيس بن بهثة بن سليم . وفي حالة التسليم برواية التجانى بان زغب أبو ذباب لمالك بن خفاف يصبح ذباب وناصره اخوين وان كان ابن خلدون يستبعد تسمية قوم باسم أخوانهم . وان أخذنا برواية ابن الكلبى وهى أرجح فيكون هؤلاء اختصوا باسم ناصرة دون ذباب وغيرهم من بنيه .

ومواطنهم بلاد فزان وودان (35) .

عرب العنزة (عنزة) :

ويجاورهم في شوق جهة برقة عرب العنزة وهم مختصون باستخراج الملح وتجارته يثيرون له الارض بأرجل الجمال والحمير وبالنساء - اذا ضاق كسبهم من الجمال والحمير - فيستخرجونه ويتجرون فيه مع بلاد النخيل والواحات وبلاد السودان المجاورين لهم مثل برنو .

وشيخ هؤلاء العرب ببرقة في أواخر القرن الثامن الهجرى هو أبو ذئب من بنى جعفر وله دور واضح في مساعدة الحجاج وتوفير احتياجاتهم من الاقوات والحماية اللازمة .

لبيد :

ويضيف القلقشندى الى البطون السابقة ، لبيد ، وهم بطن عظيم العدد متسع الافخاذ أوطانهم ببرقة ومن أحيائهم : البركات ، البشرة،

(35) ابن خلدون : العبر ح 6 ص 86، 87، المقريزى : البيان والاعراب ص 68—71

البلابيس ، الجواشنة ، الحدادة ، الحوتة ، الدروع ، الرواشد ، الزرازير ، السيوت ، السوالم ، الشبلة ، الشراعبه ، العواكلة ، العلاوية، الصريرات ، الموالك ، النبله ، الندوة ، النوافلة ، بنو جوشن ، بنو قطاب ، أولاد حرام ، أولاد سلام وغيرهم .

وفي 818 هـ / 1415 م استدعت الدولة المملوكية بالقاهرة بعض احيائهم وأنزلتهم بالبحيرة بدلا من العرب الذين طردتهم فأقاموا بها وعمروها (36) .

أما نسبهم فيزعم البعض أنهم من بقايا الكعوب ببرقة ونسابة الهلاليين يلحقونهم بربيعة بن عامر أخى هلال بن عامر ويزعم آخرون أنهم والكعوب من العنزة (عنزة) وأن العنزة من هيت ورياستهم لاولاد أحمد وشيخهم أبو ذئب (37) .

بنو فزاره :

هم بنو فزاره بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان

ومواطنهم ، استقروا أولا في المنطقة الممتدة من برقة الى طرابلس ويبدو أنهم اختلطوا ببنى سليم ثم انتشروا في افريقية والمغرب حتى وصلوا الى المغرب الاقصى وحالفوا قبائله من المعقل وفي نفس الوقت تمكنوا من الانتشار جنوبا في الصحراء حتى نرى طائفة منهم ببلاد ربعو وواكلة بها .

وبطونهم ، أشهر قبائلهم في أوائل القرن التاسع الهجرى المستقرة ببرقة وضواحيها ، قبيلة صبيح وهم ذو أنفار كثيرة ومن بطونهم ، أولاد محمد ، الجماعات ، المكاسر ، اللواحق (الواحس)، المساورة ، المكارنة ، المواجدة ، المواسى ، النحاسة .

ومن فزاره قبيلة المقاومة ومساكنهم البحيرة بالديار المصرية وجزء منهم ببرقة مع صبيح . ومع فزاره استقر بنو رواحة بطن من غطفان لم يتوصل ابن خلدون الى نسبهم .

(36) القلقشندى : نهاية الارب ص 120 — 410؛ قلائد الجمان ص 126.
(37) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 87، وينسبهم القلقشندى فى عنزه بن أسد ابن أبى ربيعة ويذكر أنهم حى قليل مع رياح بافريقية. أنظر نهاية الارب ص 378. قلائد الجمان ص 130، النويرى : نهاية الارب جـ 2 ص 328.

ويبدو أن بنى فزاره كانوا في حركة مستمرة واصلة بين الديار المصرية والمغرب اذ يوضح القلقشندى أن طائفة منهم كانت ببرقة ثم انتقلت الى الديار المصرية في عهده (38) .

بجانب القبائل والبطون السابق ذكرها ، هناك بطون جاورتهم وانتقلت الى المغرب برفقتهم منهم :

بنو عقبة ، وهم بنو عقبة بن محزمة بن حزام استقروا بنواحى طرابلس ومنهم بافريقية بقية (39) .

بنو قرة ، بطن من هلال بن عامر بن صعصعة ، ذكرهم ابن سعيد في عرب برقة ومنازلهم فيما بين مصر وافريقية (40) .

أولاد صورة ، بطن من العرب بلادهم مما يلى بشرى من بلاد المغرب من الجهة الغربية فيما بين أوطان آل حجر والكعوب وهم طائفة يسيرة ولم ينسبهم ابن خلدون (41) .

أولاد حجر ، بطن من العرب استقرت حول قابس وعلى الطريق الى صفاقس ، ذكرهم العمرى في مسالك الابصار ولم ينسبهم الى قبيلة ، ذكر أن فيهم عدة شيوخ منهم مرغم وذؤيب وغيرهما (42).

بنو عدوان ، هم بنو عدوان بن عمرو بن قيس ويقال أنهم من الازد وبافريقية منهم أحياء بادية (43) .

---

(38) يزعم الادريسى أن بنى فزارة من البربر المتاثرين بالعرب أذ يقول : «ومن قافز الى طليمنة الى نك هى نقبيته من البربر متعربين يقال لهم مزاته وريبانة وفزارة وهم يركبون الخيول ويعتقلون الرماح الطوال» بينما ينص ابن حزم وابن خلدون والقلقشندى والنويرى على عروبه بنى فزارة ومن غطفان مما يرجح أندماج بعضهم بالبربر مما ادى الى اختلاط الامر على الادريسى، أنظر ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ص 251، 255 — 249، 481، الادريسى : نزهة المشتاق ص 133، ابن خلدون : العبر د 2 ص 306، القلقشندى : نهاية الارب ص 116 — 161، 392، 393، قلائد الجمان ص 113، النورى : نهاية الارب ج 2 ص 342.

(39) ابن خلدون : العبر د 2 ص 257، القلقشندى : نهاية الارب ص 364.

(40) القلقشندى : نهاية الارب ص 397، المقريزى : البيان والاعراب ص 22، 28.

(41) القلقشندى : نهاية الارب ص 116.

(42) العمرى : مسالك الابصار ى ممالك الامصار د 3 ص 72، 74، القلقشندى : نهاية الارب ص 99.

(43) ابن خلدون : العبر د 2 ص 305، القلقشندى : نهاية الارب ص 354، قلائد الجمان ص 128، 129.

بنو الاشعوب ، فرقة من أولاد حسان بن عمرو الحميرى نزلت الى المغرب فعرفوا بالاشعـوب (44) .

ثانيا : القبـائل العربية بالمغرب الأوسـط

زغـبـة

اخوة رياح أبناء أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر (45).

نزلوا عند دخولهم افريقية بنواحى طرابلس وقابس وتحالفوا مع الموحدين وقاموا مع بنى بـادس الزناتيين بحماية المغرب الاوسط فاستقروا ما بين المسيلة وقبلة تلمسـان في القفـار . وبعد سيطرة بنى عبد الواد على المغـرب الاوسط وانتشارهم في مدنه وأمصاره انتقلت زغبة الى التلـول وأخضعوا أهله وفرضوا عليهـم الاتاوات فحالفتهم زناتـة .

وبطون زغبـة هم : يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة اقتسموا بلاد المغـرب الاوسـط واستقروا بـه (46) .

1 ـ بنـو يزيـد بن زغبـة :

نظرا لكثرتهم ومكانتهم الشريفة من زغبة أقطعهم الموحدون بـلاد حمـزة (47) من ضواحى بجاية مما يلى أوطان رياح والاثبج غربـا وما أن ضعفت دولة بنى عبد الواد حتى استبـد بنو يزيد ببلادهم وحصلوا جبايتهـا لانفسهـم .

بطونهم ، منهم بنـو حميان (حميدان) بن عقبة بن يزيد ، جواب، كرز ، موسى والمرابعة ومنهم حى ينتجعون بضواحى تونس في أواخـر القرن الثامن الهجرى، خشين (الخشنة) ، أولاد لاحق ، معافى . وریاستهم

---

(44) القلقشندى : نهاية الارب ص 100، 139.

(45) ابن خلدون : العبر حـ 4 ص 62، حـ 6 ص 40، القلقشندى : نهاية الارب ص 272، النويرى : نهاية الارب جـ 2 ص 337.

(46) ابـن خلدون : العبر حـ 6 ص 40، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغـرب حـ 1 ص 422.

(47) تشمل تلول حمزة والدهوس وأرض بنى حسن وتلولها. أنظـر ابن خلدون : العبـر حـ 6 ص 41.

لاولاد لاحق ثم انتقلت لاولاد معافى ثم انتهت في بيت سعد بن مالك ابن عبد القوى بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن مهدى ابن يزيد بن عيسى بن زغبة وهم يزعمون أنهم من مهدى بن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق وربما نسبهم آخرون الى سلول في بنى مرة ابن صعصعة آخى عامر بن صعصعة وفي رواية أخرى أن سلولا وبنى يزيد أخوة ويطلق عليهم جميعا أولاد فاطمة .

وبنو سعد ثلاثة بطون : بنو ماضى بن رزق بن سعد ، بنو منصور بن سعد ، بنو زغلى بن رزق بن سعد (48) .

ورياستهم في بنى زغلى كانت لزيان بن زغلى ثم لاخيه ديعل ثم لاخيهما أبى بكر ثم لابنه ساسى بن أبى بكر ثم لابنه معتوق ابن أبى بكر ثم لموسى بن عمهم أبى الفضل بن زغلى ثم لاخيه أحمد ابن أبى الفضل ثم لاخيهما على بن أبى الفضل ثم لابى الليل ابن أبى موسى بن أبى الفضل وهو رئيسهم حتى أواخر القرن الثامن الهجرى وخلفه في قومه ابنه يحيى .

وبحكم مجاورتهم لرياح فقد سلبتهم الدهوس من أوطانهم عنوة فاستنجد بنو يزيد ببنى عامر احلافهم فعاونهم في استرجاع أرضهم مقابل الف غرارة من الزرع تسمى «القرارة» .

وبعد سيطرة بنو عبد الواد على المغرب الاوسط وانتقالهم الى أمصاره وتركهم لاوطانهم بالصحراء زحفت اليها عرب المعقل وكثر فيها فسادهم مما اضطر يغمراسن مؤسس دولتهم الى نقل بنو عامر بن زغبة من جوار بنى يزيد الى صحراء تلمسان لمواجهة المعقل فأنتقل معهم بنو حميان من بطون يزيد وصاروا في عدادهم واستقرت بنو يزيد ببلاد الريف الخصبة وأوطنوا فيه (49) .

2ـ حصين بن زغبة :

كانت مواطنهم تقع غرب بنى يزيد الى جبل تيطرى ونواحى لمدية وجنوب مواطن الثعالبة ، وللثعالبة عليهم اتاوات وصدقات .

(48) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 41، 42، الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 163، أنظر عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب جـ 1 ص 423.

(49) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 41، 42، الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 163، 164.

وبعد تغلب بنو عبد الواد على بربر بنى توجين استبدوا بحصين والزموهم المغارم وعدوهم من قبائلهم الغارمة وازداد وضعهم سوءا خـلال فترة سيطرة بنى مريـن على المغرب الاوسط الى أن ضعفت دولة بنى عبد الـواد فازدادت قوة حصين واستولت على تيطرى (جبل أشير) وقاموا بدور كبير في صراع بنى عبد الـواد حول السلطـة فاضطرت الدولة الـى اقطاعهم بـلاد صنهاجـة (50) .

بطونـهم ، جندل وخراش ، ومن جندل خشعة وأولاد سعد بن خنفر ابن مبارك بن فيصل بن سنان بن سباع بن موسى بن كمـام بن علـى بن جندل ورياستهم في على وسيدهم أولاد خليفة بن سعد خلفاء لعلى ابن صالح بن ديـاب بن مبارك بن يحيى بن مهلهل بن شكـر بن عامر ابـن محمد بن خشعـة .

ومن خراش اولاد مسعود بن مظفر بن محمد الكامل بن خـراش ورياستهم في اولاد رحاب بن عيسى بن أبى بكر بن زمام بن مسعود.

وأولاد فرج بن مظفـر ورياستهم في بنى خليفة بن عثمان بن موسى ابـن فـرج .

وأولاد طريف بن معبد بن خراش ويعرفون بالمعابدة ورياستهم فى أولاد عريف . وربما انتسب اولاد مظفر بن محمد الكامل الى بنى سليم، زعموا أن جدهم جـاء منهم ونزل على حصين (51) .

3 ـ مالـك بن زغبـة :

أشهرهم بطون ثلاثة : سويد بن عامر بن مالك ، الحرث ومنهم عطاف بن زيـان بـن يعقوب بن روى بن الحارث بن مالك، الديالم من ديلـم بن حسن بن ابراهيم بن روى بن الحارث بن مالك وأولاد غريب، نجيـس .

سويـد : وبطونهم شبابة ومنهم الحساسنة «بنـو حسان» ، فلمـه «فليتـه» ، جوثه ومنهم بنـو مريح بن ثوابه ، مجاهر ومنهم بنو سليمه وغفير وشافع ومالف وبنو مقـرر وحمدان وبورجمه وبوكامل ورياسنهم في

(50) ابـن خلدون : العبر حـ 6 ص 43.
(51) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 43، الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 164.

بداية دولة بنـى عبـد الواد في اولاد عيسى بن عبد القـوى بـن حمدان وهم مهدى وعطية وطراد ثم تولى يوسف بن مهدى رياستهم وتــلاه أخـوه عمـر بـن مهـدى (52) .

كانوا أحلافا لبنى عبد الواد فأقطع يغمراسن ، يوسف بن مهـدى بـلاد البطحاء وسيرات ، عنتر بن طراد بن عيسى ما حول البطحاء حيـث كانوا يحصلون اتاواتهم بالفعل من رعاياها .

ثم تولى رياسة القوم عثمان بن عمر بن مهدى وتلاه أولاده ميمون، سعيـد ، يحيى وانقلبت في عهدهم العلاقات مع بنى عبد الواد فلجـأ عريف ابن يحيى وكذلك ميمون بن عثمان وابنه عريف الى المرينيين بالمغـرب.

وتولى أولاد سعيد الناجعة من عرب سويد ، سمعون بن سعيـد أولا ثـم تـلاه أخيه عطية بن سعيد الى أن آلت رياسة جميع عـرب سويد ومالك الى ونزمار بن عريف بن يحيى يساعده أخوته ، عيسى ، أبـو بكـر ، محمد . وحينما آثـر ونزمار الترهب والابتعاد عن الصراعات القبلية تولى رياسة سويد ، ميمون بن سعيد بن عثمان فتآمـر عليه أبـو بكر ومحمد ودسـا من أغتاله وأستبدوا برياسة سويد (53) .

كانت سويد أحلافا لبنى باديـن والجميع يخدمون بنى عبد الواد ، ولما ملك بنـو يادين تلول المغرب الاوسط وأمصاره استقر بنو توجيـن منهم بالتلول القبليـة فاتصل جوارهم لبنى مالك سواء في التل أو القفر. وفي بدايـة الدولة اليغمراسنية ثـاروا فطردهم بنو عبـد الواد مـن التلول الى القفـر المحاذى لاوطان بنى توجين فهادنوهم وصاهروهـم وصاروا لهم حلفاء ضد بنى عبد الـواد واستقر منهم نجيـس بن عامر وأخوه سويد بضواحـى وهران ففرضت عليهم المغارم وصاروا من عداد الرعايـا أهل الجبايـة .

وأشهر زعمائهم عريف بن يحيى كان مستشارا لدولة بنى عبد الواد ثـم تحول لدولة بنى مريـن ولعب دورا كبيرا في تاريـخ المغرب فـى القرن الثامـن الهجرى ثم ابنـه ونزمـار .

(52) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 45، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 164.
(53) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 45، 46.

وببداية النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى ضعفت قوة زناتة بالمغرب الاوسط فازدادت قوة العرب وتملكت زغبه سائر البلاد بالاقطاع من الدولة طوعا أو كرها (54) وطردوا زناتة الى ساحل البحر فاستولت سويد على بلاد توجين ماعدا جبل وانشريس لتوعره فتحصنت فيه لمه من توجين ، العطاف على سهول غرب مليانة ، الديالم على وزينة وقبله وانشريس ، بنو عامر على تاسالة وميلانة الى صيرور وكيدزة الجبل المطل على وهران .

واستقرت هبرة بن مجاهر بن سويد بنواحى البطحاء بالضفة اليمنى من نهر مينه ورغم نسبهم في مجاهر بن سويد فهم يزعمون انهم من قوم المقداد بن الاسود وبالتالى فهم من قضاعة ومنهم من يزعم انهم من تجيب احدى بطون كندة .

ومن بطون مالك ناجعة يعرفون بصبيح من علاج بن مالك لهم عدة وقوة ويظعنون مع سويد ويقيمون معهم (55) .

الحارث بن مالك :

أشهر بطونه الديالم والعطاف .

بطونهم ، منهم بنو زيادة بن ابراهيم بن روى بن الحارث ، الدهابقة أولاد هلال بن حسن ، بنو نوال بن حسن . وكلهم اخوة ديلم بن حسن ، العكارمة من مزروع بن صالح بن ديلم .

ورياسة العطاف لاولاد يعقوب بن نصر بن عروة بن منصور بن أبى ذئب بن حسن ابن عياض بن عطاف ثم آلت الى على بن أحمد ، ورياسه الديالم في أولاد ابراهيم بن رزق ابن رعاية من مزروع بن صالح بن ديلم لابى يحيى بن ابراهيم ثم آلت الى سعد بن العباس بن ابراهيم.

وهم أقل عددا من سويد ولها على العطاف والديالم اعتزاز ورياسة ، وهم أبعد بطون مالك ارتحالا بالقفر .

---

(54) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 46، 47.

(55) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 45، 48.
G. Marcais : Les Arabes en Berberie P. 273-275 - 314-316.

ويجاورهم ويحاذيهم بالتلول بنى غريب بن الحارث وهم أهل شاء وبقـر تأخذ الدولة منهم المغارم وقد تستخدمهم كجنود لقواتها ، ورياسة غريب في ابنـاء مزروع بن خليفـة بن خلـوف بن يوسف بن بركة ابـن مناهـب بن مكتوب بن منيع بـن مغيث بن محمد الغريب ويشاركهـم فيها أولاد يوسف بـن منيـع (56) .

4 ـ عامـر بـن زغبـة :

وطنهم : آخر مواطن زغبة بالمغرب الاوسط شرقا مع بنى يزيـد وسيطروا معهم على بـلاد حمزة للحصول على ميرتهم في الصيف بجانب اتاوتهم المتعارف عليهـا على بنى يزيد وهـى ألف غرارة وذلك لمساعدتهم ضـد رياح واسترجاع وطـن الدهـوس .

وحينما أراد يغمراسن أن يقاوم فساد عـرب المعقل نقل بنى عامر بجوار تلمسـان ليتولوا ذلك واستقروا هناك يرحلون الى قفارها فـى المشاتـى ويعودون الى التلول في المرابـع والمصايف (57) .

بطونهم ، ثلاثة : بنـو شافع بن عامـر ، بنـو حميد بن عامـر، بنـو يعقوب بن عامـر ومن بنى شافع ، بنـو شقاره ، بنـو مطرف، ومن بنـى حميـد ، بنـو عبيـد ، بنو عقيـل (العقلـة) بن عبيـد، بنـو محرز (المحارزة) بن حمـزة بن عبيـد وتولوا رياسـة حميد وبنو حجاز ابـن عبيـد (الحجز) ومنهم حجوش وهجيش ومن حجوش ، حامد ومحمد وربـاب ومن محمد ، بنـو ولاد بـن محمد (الولالـدة) بنـو عمر بن زيان ابن مسعـود بن شداد بن محمـد ، ومن حامد ، بنـى رباب المعروفيـن في القـرن الثامن الهجرى والذين خلفوا علاق من المحارزة في رياسة بنـى حميـد بن عامـر ومن ربـاب ، بنو على بن عثمان بن سلطان بن وانودين ابـن عبـد الله بن ربـاب (58) .

ومن بنى يعقوب بن معرف بن سعيد بن رباب بن حامد ، عبد الله ابن عسكر بن معرف بن يعقوب ، ويعقوب بن العباس بن ميمون ابـن عريف بن سعيد بن ربـاب ، وأولاد ابراهيم بـن يعقوب ، وهم سليمان

---

(56) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 48، 49.
(57) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 51.
(58) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 51، الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 165.

وعامـر وعمـر ، ومن عامـر، صفير وخالد وشعيب ، ومن صغير، عبد الله وملـوك والمسعـود .

وبنـو يعقوب بن عامر تولـوا رياسة عامر في أوائل الدولـة اليغمراسينية بزعامة داود بن عطاف بن هلال بن رداد بن ركيش (كريش) ابن عياد بن منيـع بن يعقوب وهو من أشهر زعمائهم بمنافسة معرف ابن سعيد بن رباب بن حامد بن هجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد .

واشتعلت الفتنة بين الحيين فأنقسم بنو عامر على أنفسهم ، بنـو يعقوب بقيادة عثمـان بن سعيد ثم ساسى بن سليم ، وبنو حميد بقيادة عامـر بن ابراهيم بن يعقـوب ثم صغير بن عامـر ثم عبد الله وأخيـه ملوك بن صغير وتمكن بنو حميد من طرد بنـى يعقوب الى المغرب حيـث حالفـوا المرينييـن (59) .

5 ـ عـروة بـن زغبـة :

بطونهم : اثنـان ، النضر بن عـروه ، حميس بن عروه وبطون حميس ثلاثة : عبيـد الله ، فرغ ومنهم بنو نائـل وهم أحلاف لاولاد محيـا من العمور المستقرين بجبل راشد ، وبنو جابـر بن فرغ، يقظان ومنهم أولاد عابـد . وعبيد الله ويقظـان أحلافا لسويد يرحلون لرحيلهم ويقيمون لاقامتهم ورياستهـم لاولاد عابـد .

أما بطون النضـر بن عروة فهم منتبذون بالقفر يرحلون في رمالـه ويصعدون الى أطراف التلول في حمايـة الديالم والعطاف وحصين وليـس لهم اقطاع لضعفهم ماعـدا جبل المستنـد ـ مما يلى وطن ريـاح ـ يسكنه قـوم من عمـرة وزناتة فـرض النضر عليهم الاتـاوة وصيروهم خولا ورعية وربما استقـر معهم من عجـز عن الرحلـة .

وهم بنو خليفـة بن النضر بن عروة ورياستهم لمحمد بن زيان بن عسكـر بن خليفـة يعاونـه سمعون بن أبى يحيى بن خليفة بن عسكر، والحماقنـة وشريعة والسحاوى وذوى زيـان وأولاد سليمـان .

---

(59) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 51 ـ 55.

والنضر أحلاف لزغبة خصوصا في حروبهم مع غيرهم ولبنى عامر في صراعهم مع سويد وربما ناصروا رياح مرات لتجاورهم مع بطون مسلم وسعيد من رياح (60) .

المعقل :

دخلوا المغرب رفقة الهلاليين في قلة ونزلوا المنطقة التى تلى ملوية ورمال تافيلالت وبقى منهم بافريقية جمع قليل اندرجوا في جملة بنى كعب بن سليم (61) .

وحيث انه يمكن القول بامتداد حدود دولة بنى عبد الواد من جبال سعيدة ووادى مينه شرقا الى وادى ملوية ومدينة وجدة غربا ، لذلك فيصبح ذوى عبيد الله من المعقل ، الثعالبة من عرب المغرب الاوسط (62) وهم ينسبون الى معقل جدهم ومنه سجير (صغير) ومحمد ، ومن سجير ولد عبيد الله وثعلب ، ومن عبيد الله ، ذوى عبيد الله البطن الكبير ، ومن ثعلب ، الثعالبة الذين بمتيجة بنواحي الجزائر (63) .

ذوى عبيد الله :

مواطنهم : هم مجاورون لبنى عامر بن زغبة ومواطنهم ما بين تلمسان ووجدة الى مصب وادى ملوية في البحر ومنبعث وادى صا من القبلة وتجوالهم في القفار ينتهى الى قصور توات وتمنطيت وربما يزيدون الى تاسايت وتوكرارين وهذه كلها مراكز تجارية (رقاب القفر على حد قول ابن خلدون) الى بلاد السودان (64) .

بطونهم : بطنان ، الخراج ، الهداج .

فالخراج من أولاد خراج بن مطرف بن عبيد الله ، رياستهم في أولاد عبد الملك بن فرج بن على بن أبى المريش بن مهايا بن عثمان ابن

(60) ابن خلدون : العبر د 6 ص 57، الميلى : تاريخ الجزائر د 2 ص 165.
(61) ابن خلدون : العبر د 6 ص 59، السلاوى : الاستقصا د 2 ص 159، محمد بن ماء العينين : الجأش الربيط ص 28.
(62) القلقشندى : صبح الاعشى د 5 ص 149، أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب ص 198.
(63) ابن خلدون : العبر د 6 ص 60، السلاوى : الاستقصا د 2 ص 161.
(64) ابن خلدون : العبرد 6 ص 61، السلاوى : الاستقصا د 2 ص 159، الميلى : تاريخ الجزائر د 2 ص 159.

خراج لاولاد عيسى بن عبدالملك ويعقوب بن عبد الملك ويغمور بن عبد الملك، واستخدم أبو الحسن المرينى يعقوب بن يغمور في خلال غـزوة تلمسان وأسند اليه مع رجال بنى يرناس أهل الجبل المطل على وجدة الاستيلاء على قصور الصحراء فعاونه ولكن ساء عرب عبيد الله انتزاع أملاكهم خصوصا وقد أساء يحيى بن العز زعيم بنى يرناس معاملتهم فاغتالوه في خبائه وقتلوا عسكر السلطان المرافقيـن له وفـروا الى الصحراء ناقضيـن طاعتهـم ٠

ورياستهم في أواخـر القرن الثامن الهجرى منقسمة بين رحـو ابن منصور بن يعقوب بن عبد الملك وبين طلحة بن يعقوب بن يغمور (65) ٠

ومن أشهر بطون خراج ، جعوان (الجعاونة) ، بنو عثمان (العثامنة)، غاسل (الغسـل) مطـرف (المطارفـة) ، ومن العثامنة ، أولاد عبد الملـك وفيهم رياسة الخراج ومعهم ناجعة من المهايا ينتسبون تـارة الى مهايا ابـن عياض وتـارة مهايـا بن مطـرف (66) ٠

أما الهداج من أولاد الهداج بن مهدى بن محمد بن عبيد الله ورياستهم في أولاد يعقوب بن هبـا بن هداج وهم بنو نكرون بن محمد بن عبـد الرحمن بن يعقوب ثم أبو يحيى الكبير بن منـاد بن عمران بن رزق الله ابن يعقوب ثم آلت الى أبى يحيى الصغير بن موسى بن يوسف ابـن حريز بن يعقوب يعاونه أبو حميدة محمد بن عيسى بن مناد بن عمران ابـن رزق الله بن يعقوب في أواخـر القرن الثامن الهجرى ٠

وهم حلفاء لبنى مريـن اقطاعاتهم منهم ومواطنهم من بلادهـم ورجوعهم الى بنى عبـد الواد في النادر ٠ وهم كثيروا التقلب في القفـار والغزو للقاصية ولاهل الرمال والملثمين (67) ٠

---

(65) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 61، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغـرب ج 1 ص 426٠

(66) ابـن خلدون : العبر ج 6 ص 61، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 159٠

(67) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 62، عبد الوهاب بن منصور : قبـائل المغـرب ج 1 ص 427٠

الثعالب :

هم من ولد ثعلب أخى عبيد الله بن سجير .

وطنهم : متيجة بجنوب الجزائر انتقلوا اليها من التلول الشرفية ثم نزلوا جبل تيطرى (أشير) فلما تغلبت بنو توجين على التلول طردوهم من تيطرى الى متيجة وحل محلهم حصين ثم استبد الثعالبة بمتيجة (68) ورياستهم كانت في أولاد سباع بن ثعلب بن على بن بكر بن سجير في زمن دولة الموحدين وارتفعت مكانة سباع حتى انهم كانوا يضعون فوق عمامته دينارا يزن عدة دنانير من السائدة حينما يفد عليهم لتكريمه ويرجع بعضهم ذلك الى سابق مساعدة الثعالبة للامام المهدى حينما مر بهم داعيا لدعوته ساعيا على قدميه فحملوه ، ثم انتقلت الرياسة الى أولاد يعقوب بن سباع ثم في عقب حنيش بن حميد بن ثابت بن محمد ابن سباع (69) .

وبعد احتلال المرينيون لتلمسان نقلوا أولاد حنيش الى المغرب ونقلوا الرياسة الى أبى الحملات بن عامر بن ثابت وبعد مهلكة ولوا عليهم أبا الحسن ابراهيم بن نصر بن حنيش ولم تزل رياستهم اليه حتى الاستيلاء المرينى الثانى لتلمسان فقام برياستهم ابنه سالم وهو أشهر زعمائهم بلا منازع لعب دورا خطيرا في الصراع البنى عبد الوادى حول السلطة لا يتناسب وقلة عصبيته من الثعالبة حتى تمكن السلطان أبو حمو من قتله وتتبع اخوانه وعشيرته بالقتل والسبى الى أن دثروا (70) .

القبائل العربية فى المغرب والمغرب الأقصى

المعقل :

انتقلوا الى المغرب رفقة الهلاليين لقلة عددهم ويقال انهم لم يبلغوا المائتين نزلوا بالمنطقة التى تلى ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زناتة في القفار وحالفوهم حتى كثر عددهم وعمروا صحارى المغرب الاقصى

(68) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 64، الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 159. عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب حـ 1 ص 424.

(69) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 64.

(70) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 64، 65.

وتغلبوا على فيافيه ومن بقى منهم بافريقية كانوا من القلة حتى اندرجوا في بنى كعب بن سليم وكانوا وزراء ومعاونيين لزعمائهم .

وازدادت جموع المعقل بعد انتقال زناتة المغرب الى الامصار والمدن فتفردت المعقل بالبيداء وملكوا قصور زناتة بالصحراء مثل قصور السوس وتوات وجودة وتامنطيت وواركلان وتاسبييت وتكورارين وكل منها يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وانهار وعيون وأكثر سكانها من زناتة (71) فرضت المعقل عليهم الاتاوات وصارت لهم جباية يعتد بقيمتها وفي نفس الوقت يعطون الصدقات للدولة المرينية في حالة قوتها وكان لهم الخيار في تعيين قيمتها ويسمونها «جمل الرحيل» .

وطوال حكم الموحدين وبنى مرين من بعدهم كانت لهم الاقطاعات الوفيرة مما أدى الى عدم تعرضهم لاطراف الدولة بالغزو وقطع الطرق على قوافل التجارة من سجلماسة الى بلاد السودان (72) .

أنسابهم : هى خفية ومجهولة والرواة تناولوها بالتحليل .

فرواة هلال يعدونهم من بطونهم ورواة المعقل يزعمون أن نسبهم في أهل البيت من جعفر بن أبى طالب . رغم أن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة .

وينسبهم ابن خلدون الى عرب اليمن لان فيهم بطنين يسمى كل منهما بالمعقل الاول في قضاعة بن مالك والثانى في بنى الحرب بن كعب.. الى مذحج الذى عده الاخباريون في بطون هلال الداخلين الى افريقية لان مواطن بنى الحرب بن كعب بشبه الجزيرة العربية قريبة من البحرين حيث كان هؤلاء العرب قبل انتقالهم الى افريقية ويؤيد ذلك ما ذكره ابن سعيد عن مذحج وقوله انهم بجهات الجبال من اليمن وبافريقية منهم فرقة وبرية ترتحل وتنزل وهو يقصد المعقل الذين هم بافريقية وهم فرقة من معقل المغرب الاقصى (73) .

---

(71) ابن خلدون : العبر د 6 ص 59، السلاوى : الاستقصا د 2 ص 159، محمد بن ماء العينين : الجاش الربيط ص 28، 29، الميلى : تاريخ الجزائر د 2 ص 158

(72) ابن خلدون : العبر د 6 ص 59، السلاوى : الاستقصا د 2 ص 159، 160، محمد ابن ماء العينين : الجاش الربيط ص 28، 29.
G. Marcais : Les Arabes... P. 365-388.

(73) ابن خلدون : العبر د 6 ص 59، 60، السلاوى : الاستقصا د 2 ص 160، 161، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب د 1 ص 414.

وينسبهم السلاوى الى بنى جعفر بن أبى طالب حيث أن بنى طالب نزلوا مع جهينة احدى بطون قضاعة بلاد الصعيد بمصر بعد طردهم من المدينة فلا يبعد أن تكون طائفة من هؤلاء الجعافرة (بنو جعفر) قد انتقلوا من أرض الصعيد ودخلوا مع بنى هلال الى بلاد المغرب (74) .

وان كان الميلى يتفق مع ابن خلدون في رأيه الا أنه يستثنى الثعالبة وينسبهم الى جعفر أخى عبد الله الكامل الذى استولى ابناؤه على متيجة في القرن الثالث الهجرى وهو لا يستبعد بقاءهم هناك بعد ذهاب ملكهم حتى نزل عليهم الثعالبة (75) .

مواطنهم : بقفار المغرب الاقصى مجاورين لبنى عامر بن زغبة المستقرين بقبلة تلمسان شرقا وينتهون الى البحر المحيط غربا وهم ثلاثة بطون ذوى عبيد الله وذوى منصور وذوى حسان .

فنرى عبيد الله منهم هم المستقرون بالمغرب الاوسط ومجاورون لبنى عامر بن زغبة ومواطنهم ما بين تلمسان الى تاوريرت .

ومواطن ذوى منصور من تاوريرت الى بلاد درعة ويفرضون سيطرتهم على ملوية كلها الى سجلماسة وعلى درعة وما يحاذيها من انتل مثل تازى وعساسا مكناسة وفاس وبلاد تادلا والمعدن .

ومواطن ذوى حسان من درعة الى البحر المحيط ويقيم شيوخهم ببلاد نول عاصمة السوس وهم يسيطرون على السوس الاقصى .

والجميع ينتجعون الرمال الى مواطن الملثمين من كدالة ومسوفة ولمتونة (76) في صحراء شنجيط أو شنقيط (موريتانيا) .

بطونهم : يوضح رواة انسابهم أن لمعقل جدهم ، سجير، محمد ومن سجير، عبيد الله ومنه ذوى عبيد الله البطن الكبير ، ثعلب ومنه الثعالبة الذين استقروا بمتيجة من نواحى الجزائر .

(74) السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 160.
(75) الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 159.
(76) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 58، 59، السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 159، محمد بن ماء العينين : الجأش الربيط ص 28، 29، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب حـ 1 ص 434.

ومن محمد جاء ، مختار ، منصور ، جلال ، سالم ، عثمان ومن مختار ، حســان ومنه ذوى حسان البطن المذكور بالسوس الاقصى ، ومن مختار كذلك شبانة ومنه الشبانات جيرانهــم .

ومن جلال وسالم وعثمان ، الرقيطات بادية لذوى حسان ينتجعون معهــم .

ومن منصور جاء حسين ، أبو الحسين ، عمران ، منبا ويطلق عليهم جميعــا ذوى منصــور (77) .

ومن البطون الملحقة بهم : بنو مسلم ، سعيد من رياح ، العمور من الاثبج ، الشظه ، من كرفة ، المهايا من عياض ، الشعراء من حصيــن ، الصباح من الاخضر (78) ومن بنى أشجع بن وريث بن غطفان لهــم عــدد وقــوة يظعنون مع عرب المعقل بضواحى سجلماسة وكذلك بنو فزارة ابــن ذبيــان بن بغيض بن وريث بن غطفــان الذين نزلوا ما بيــن برقة وطرابلــس ثم انتقلــت منهم احيــاء كثيرة الى المغــرب الاقصى واختلطوا بالمعقــل ومنهم طائفــة ببلاد ربعو وواكلــة وهما قريتــان داخلتان فــى الصحــراء (79) .

ذوى منصــــور :

هم أكثــر جمهور المعقل عددا ، اولاد منصور بن محمد ومواطنهم المغــرب الاقصى ما بيــن ملوية ودرعــة .

وبطونهم ، أربعة ، أولاد حسين ، وأولاد أبى حسين ، وهما شقيقان وأولاد عمــران (العمارنة) وأولاد منبــأ (المنبــات) وهما شقيقان أيضــا ويطلق عليهمــا الاحــلاف .

وعجز أولاد أبى الحسين عن الظعن ونزلوا قصور الصحراء ما بيــن تافيلالت الى اتيكررارين . أما أولاد حسين فهم أكثــر جمهور ذوى منصور وأعزهم جانبا ورياستهم زمــن دولة بنى مريــن في أولاد خالد بن جرمون ابن حــرار بن عرفة بن فارس بن على بن عبد الواحد بــن يحيى ثم لاخيه

(177) ابن خلدون : العبر حـ 2 ص 60، السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 161.
(78) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 59، السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 161.
(79) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 249، 255، القلقشندى : نهاية الارب ص 40، 41، 392، 393، قلائد الجمان ص 113، النويرى : نهاية الارب حـ 2 ص 342

زكريا ثم لابن عمه احمد بن رحو بن غانم ثم لاخيه يعيش ثم انتهت لابن عمه يوسف بن على بن غانم في أواخر القرن الثامن الهجرى .

وفي بداية الدولة المرينية وطوال عصر يعقوب وابنه يوسف كانوا في صراع دائم مع الدولة الى أن تتمكن المرينيون من اخضاعهم وأخذ الصدقة منهم وبعد ضعف الدولة منعوها الا في الاقل ترغمهم عليها بالقوة وكانوا ملجأ لشيوخ العرب الخارجين على الدولة والمطرودين من أمراء بنى عبد الواد من بلادهم (80) ومغارم درعة لهم وبلاد تادلا للمربع والمصيف ولميرات الاقوات ، واستولى اولاد حسين على هذا الوطن ومن فيه من قبائل بربر صناكة وغيرهم ولهم عليهم خفرات ولهم من مجابى السلطان المرينى اقطاعات .

أما الاحلاف (العمارنة والمنبات) من ذوى منصور فمواطنهم مجاورة لاولاد حسين من الشرق ومجالاتهم بتافيلالت وصحرائها وبتل ملوية وقصور وطاط وتازى وبطوية وعساسة ويحصلون منها اتاواتهم والفتنة دائمة فيما بينهم وبين اولاد حسين ولكن تجمعهم العصبية معا ضد غيرهم.

ورياسة العمارنة في أولاد مظفر بن ثابت بن مخلف بن عمران وزعيمهم خلال عصر أبى عنان المرينى طلحة بن مظفر يعاونه ابنه الزبير ثم انتقلت الرياسة الى محمد بن الزبير في أواخر القرن الثامن الهجرى . يشاركهم فيها اولاد عمارة (عثمان) بن قلان بن مخلف برياسة سليمان بن ناجى بن عمارة وهم ينتجعون القفر ويكثرون الغزو ويعترضون قوافل التجارة ويقطعون الطرق على قصور الصحراء .

ورياسة المنبات في أولاد عيد بن حسين بن يوسف بن فرج بن منبأ في محمد بن عيد ثم أخيه على يشاركهم فيها اولاد عمهم عبد الله بن عامر بن أبى البركات بن منبأ (81) .

---

(80) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 66، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب حـ 1 ص 25.

G. Marcais : Les Arabes... P. 371.

(81) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 67، 68.

G. Marcais : Les Arabes... P. 374-377.

ذوى حسـان :

ومن بنى مختار بن محمد ، ذوى حسان ، الشبانات (82) .

كانت مواطنهم بنواحى ملوية الى مصب البحر مع اخوانهم ذوى منصور وذوى عبيد الله الى أن استعان على بن بـدر والى السوس بهم في نهايـة دولة الموحدين ضـد بربر كزولة الظواعن بسهول السـوس وجباله فانتقلوا اليه واستقروا به وصارت رحلاتهم بقفرة وغلبوا كزولـة وصاروا من جملتهم وسيطروا على قصور السوس وفرضوا الاتاوات عليهم مثل تارودانت وهى تقع شمال وادى ماسة حيث الرباط المشهور للمرابطين.

وفي بداية الدولة المرينية ثاروا حتى اضطر يوسف المرينى الـى تغريمهم مبلغ كبير من المال ولعبوا دورا كبيرا في تأسيس امارة الامير أبى على بسجلماسة حتى اذا ما ضعفت الدولة استبدوا بالسوس واقتسموا جبايته وقبائله فكزولة تعسكر مع بنى حسان وبعض بطون لمطة مـع الشبانـات .

ورياسة ذوى حسان في أولاد خليل بن عمر بن عفير بن حسن ابـن موسى بن حامـد بن سعيد بن حسان بن مختار وهو أبو بكر بن سليمان ابن الحسـن بن زيـان بن الخليـل (83) .

جشـم :

هم بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان ومن أولادهم ، غزيه وعدى وعصيمة ومنهم جاء بنو جشم الذين انتقلوا الى افريقية (84) ونقلهـم الموحدون الى المغرب بعد استيلائهم على افريقية بسبب تأييدهم لبنـى غانيـة المرابطيـن .

---

(82) ابن خلدون : العبـر ـ 6 ص 69، السـلاوى : الاستقصا ـ 2 ص 161، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ـ 1 ص 424، 425.

(83) ابن خلدون : العبر ـ 6 ص 69، 70، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ـ 1 ص 424، 425.

G. Marcais : Les Arabes... P. 368-369.

(84) ابن حـزم : جمهرة أنساب العرب ص 269، 270، القلقشندى : نهاية الارب ص 214.

فيهم بطون من قرة والعاصم ومقدم والخلط ، غلب عليهم جميعا اسم جشم فعرفوا به ، أنزلهم المنصور الموحدى ومن انضم اليهم ببلاد تامسنا وما بين سلا شمالا ومراكش جنوبا بأواسط بلاد المغرب الاقصى تحيط بأوطانهم جبال درن جنوبا (85) .

وأشهر بطونهم سفيان والخلط وبنى جابر والعاصم ومقدم وكانت رياستهم في سفيان في أولاد جرمون خلال الدولة الموحدية ونتيجة لوهن ملوكها اضطروا للاستكثار من الاعتماد على جموع جشم فاستبدوا بأمر الدولة وتدخلوا في صراعات ملوكها وأكثروا الفساد مما جعلهم عامل من عوامل سقوطها (86) .

وحينما نجح المرينيون في هزيمة الموحدين وتقدموا للاستيلاء على فاس وضواحيها لم تكن بالمدينة حامية أشد منهم بأسا وأكثر مقاومة بالاشتراك مع رياح وكانت مقاومتهم للمرينيين عنيفة لدرجة أرغمتهم على خطب ودهم فأصهروا الى الخلط منهم لاستئلافهم مما أدى الى انتقال رياسة جشم من سفيان الى الخلط في بيت مهلهل طوال عهد دولة بنى مرين.

...تهم واحيائهم فهناك شك في انتمائهم جميعا الى جشم بل يمتد هذا الشك الى جشم نفسه فهل هو جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان المعهود أم غيره (87) .

سفيان :

ورياستهم في بنى جرمون منهم وكان استقرارهم باطراف بلاد تامسنا مما يلى اسفى وحينما ضغطت عليهم الخلط وملكوا بسائطها قام الحرث والكلابة من احيائهم بالرحلة الى أرض السوس وقفاره يهاجمون ضواحى بلاد جاجة من المصامدة فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس واشتهر منهم أولاد مطاوع من الحرث بأنهم رماة مهرة يعتمد عليهم وفرسان يستقدمهم السلطان للعرض في الحفلات والمناسبات (88) .

---

(85) يطلق على هذه المنطقة حاليا بلاد الحوز. أنظر السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 151.

(86) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 27، السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 153، 154.

(87) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 27.

(88) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 28، 29، السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 155، 156.
G. Marcais : Les Arabes... P. 339-342, 537-539.

الخلــط :

أو الخلة وهم في عداد جشم وان كانوا من بنى المنتفق بن عامر ابن عقيل بن كعب ، كانوا شيعة للقرامطة بالبحرين وبعد أن ضعف أمــر القرامطة استولى بنو سليم على البحريـن باسم الدعوة الشيعية ولكـن تمكن بنو تغلب من طردهم بدعــوة العباسيين فانتقل بنو سليــم وبنــو المنتفق (بنــو عوف وبنــو معاوية) المسمون بالخلط الى افريقية (89) الى أن نقلهم المنصور الموحدى الى المغرب وكانت رياستهم طوال العصــر الموحدى في بيت اولاد حميدان ثم انتقلت الى اولاد على بن أبى على فــى أواخــر الدولة الموحدية ثم آلــت الى أولاد مهلهل بن يحيى بن مقــدم فى العصر المرينى الى أن اندثرت عصبيتهم بما أصابهم من الخصب والترف فاستقروا ببــلاد تامسنــا (90) .

بنــو جابــر :

من عداد جشم وربما ينسبون الى بربر سدراته من زناتة أو لواتة ورياستهم في أولاد عامر وأولاد يعقوب بن محمد بن قيطون طوال العصــر الموحدى وقد استقروا بسفح الجبل المطل على بلاد تادلا وما اليها يجاورون بربــر صناكة ويحالفونهم وينزلون الى السهول حينما تتحسن علاقتهــم بالدولة ويأوون الى الجبل في حماية احلافهم في حالة غضبها عليهم . وطوال العصــر المرينى كانت رياساتهم في أولاد ورديغة من بطونهم في أولاد حسين بن علــى الورديغــى (91) .

العاصــم ومقــدم :

من الاثبج نزلوا تامسنا رفقة جشم وكانت لهم عزة استقروا ببسيط تامسنــا بــوادى أم الربيع ورياستهم لاولاد زيد في العصر الموحــــدى وانتقلت لاولاد أبى عياد في العصر المرينــى . وكانت للدولة عليهم عسكرة وجبايــة (92) .

(89) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 29، 30، القلشندى : نهــاية الارب ص 131، 132، 366، قلائد الجمان ص 119، 120.

(90) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 29، 30، السلاوى: الاستقصا حـ 2 ص 156، 157

(91) ابن خلدون : العبــر حـ 6 ص 30، 31.

G. Marcais : Les Arabes... P. 331-336, 531-536.

(92) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 31.

ريـــــاح :

حينما نقل المنصور الموحدى، مسعود بن سلطان بن زمام بنورديغى‌ا بن داود الملقب بالبلط لشدته وصلابته زعيم عرب رياح بافريقية ، الى المغرب فيمن نقل من القبائـل العربية ، انزل عصبيته من رياح ببلاد الهبط ما بين قصور كتامة (القصر الكبير) الى ساحل المحيط ورغم عودته بعد ذلك الى افريقية في قلة من قومه (93) الا أن رياح استقرت هناك وكانوا أحلافـا للموحدين طوال عصرهم وحينما انتقلت البلاد الى المرينيين لم تتحقـق سيطرتهم عليها الا على أجسادهم ومن بقى منهم (94) لحق بقبائـــل المغرب الاقصى وأشهرهم بنو عتبـة وبنو فادع (95) .

ونتيجة لصراع رياح مع الحفصيين بافريقية انتقل بعضهم الى بنى مريـن بالمغرب منهم اولاد محمد ، وأولاد تامـرى فقد حالفوهم وساعدوهم في مد حدودهم الى المغـرب الاوسط وافريقيـة (96) .

---

(93) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 32، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 151.
(94) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 36، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 151، 152
(95) القلقشندى : نهاية الارب ص 348، 349، قلائد الجمان ص 118، النويـرى : نهـاية الارب ج 2 ص 337.
(96) ابن خلدون : العبـر ج 6 ص 33، 36.
G. Marcais : Les Arabes... P. 337-338, 530.

الفصل الثـــانـــى
وضع القبيلة العربيـــة بالمغرب

أولا : الحياة اليومية للقبيلة العربية بالمغرب

وضـــع الرجـــل والمـــرأة :

رغم ان الرجل أبـــرز من المرأة وهو القـــوام على الاســـــرة الصغيرة قوامـــه الاميـــر أو الشيخ على الجماعة الكبيرة وهو المسئول عن عياله وهو المطالـــب بالثأر والديـــة وهو صاحب الرأى الاول والكلمة النافذة وكانت المرأة تابعة لـــه تقيـــم في كنفـــه وتحت حمايته وامرته (97) . الا ان المرأة العربية كان لها مكانة خاصة في المجتمع الاسلامى المغربى (98) .

(97) محمد عزة دروزة : عصر النبى قبل البعثة ص 129، عبد الحميـــد يونـــس : الهلاليـــه ص 82.

(98) ففى بدايه القرن الثانى الهجرى خلال ثورة الخوارج بالمغرب وبعد نجاحهم فـــى حصار حنظلة بن صفوان الكلبى بالقيروان ولمـــا راى حنظله كثـــرة محاصريه مـــن البربر قال لاصحابه : «نخنـــدق على انفسنا ونستمد أمير المؤمنين» فقـــال عمـــرو ابن عثمـــان القرشى وهو اذ ذاك شـــاب حدث السن : «اللـــه اللـــه يـــا حنظلـــه تستمد أمير المؤمنين والكرائم محصورات يمتن هزلا، بل نخرج الى عدونا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين» نخرج حنظله بجيوشـــه لملاقاة عدوه والتقوا بالقرن وركبت النســـاء العربيات ظهور بيوت القيروان يحرضن الجنود على القتال والثبات حتى هزموا عدوهـــم وفى موقعـــة الاصنـــام خرج نســـاء القيروان وعقدن الالوية وأخذن معهـــن السلاح وعزمنـــا على القتـــال واستبسلن للمـــوت مع الرجال وحلفنا لازواجهن : لئن انهـــزم أحد منكـــم البنـــا موليـــا عن العـــدو لنقتلنه فهش الناس للقتال وخرج بعضهن بانمـــاء وراء المقـــاتلين، أنظر الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 116، 117، 120. وحينمـــا عزم ابراهيـــم بـــن الاغلب على الاشتراك فى الصراع حـــول السلطة بافريقية وأراد الاستعانة بأموال التجار لتجهيز القوات المطلوبـــة فتدخلـــت أمهات أولاده من العرب ـــ خوفا عليه ـــ من وراء ظهره وأوعزوا الى التجار بالامتناع عن مســـاعدته. أنظر : الرقيق القيروانى تاريخ افريقيـــة والمغـــرب ص 216، وفى زمـــن الدولـــة الاغلبية عندمـــا قام أحد قوادها باخماد ثورة جزيرة شريك وسبى سبع عشرة امرأة قرشية عربيـــة ثار قاضى افريقية لهم وأرسل فى طلب معونة الصوفيـــة المرابطين بالبوادى لنشر الاسلام فاجتمع اليه نحو ألف رجل عادوا بهم الى بيـــت القاضى. أنظر محمد البهلى النيال : الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامى ص 143.

وفي القرن السادس الهجرى تطورت هذه المكانة فرغم تبعيتها للرجل فقد كانت بـرزة سافرة غير منعزلة تشارك في الشئون العامة للقبيلـة فحينما سانـد عـرب الـزاب ثـورة الاشـل في 589 هـ / 1193 م على الموحدين واتمكن عاملهم من القبض على ابنائهـم وطلب في مقابل الافراج عنهم تسليم زعيم الثورة قالت العرب : «ما نسلم جارنا ولا نغدر دخيلنا ولو أتـى القتل على جميعنا ومضوا لسبيلهم فقام نساء العرب المذكورين من أمهات الاولاد المسجونين وقالوا لابـاء ابنائهم وعشائرهم أيقتل أبناؤنا برجل منافق ذى حيـل سارق تبـا لما رأيتموه وبئـس ما فعلتمـوه وطردوا آباءهم من بيوتهم فاختلفت القبائل على الاشل واراد الفرار» فقبضوا عليـه وأسلموه وأطلقوا سراح أبنائهم (99) .

واذا دققنا النظر في هذه الجماعات الاعرابية لتبينا مدى ما يربطها من تقاليـد رغم ما يـدور بينها من صراعات ولوجدنا روح الجماعة تسيطر على تصرفاتهم فعندما هزم الرشيد الموحدى شيوخ عرب الخلط ومثـل بقبائلهم في 634 هـ / 1236 م وامتلات أيـدى الاجناد والناس من اموالهم وسيقت النساء والذرية الى مراكش حيث امتلأت بهم الاسواق مـن كـل عذراء ما تجاوزت قط حدرها وتساوت الحرة العربية والامة في العبودية سعى اعداؤهم من عرب سفيان وبنى جابر عند الخليفة لوقف هذه المهزلة ونقلوهم الى دار الاشراف حيث قام عرب سفيان وبنو جابر بستر بنات الخلط والعطف عليهم والاحسان اليهـم (100) .

وكانت لها وظائف جماعية أخرى تقوم بها كالاستنفار الى القتـال والحث عليه وتقريع المتخلف عنه أو الهارب منه (101) والتوفيق بيـن القبائل وبعضها لمواجهة خطر طارىء فحينما ثار عرب أولاد أبى الليل على أبى الحسن المرينى خلال غزوة افريقية «ركب قتيبه بن حمزة اليهم (عرب أولاد مهلهل أعدائه) ومعه أمه ونسـاء اولادها فتطارحوا عليهم ورغبـوا اليهم في الاجتماع معهم على الخروج على السلطان ومنابذته فكـان أولاد مهلهل اليها مسرعين فارتحلوا معهم واتوافت أحياء سليم من بنى كعب وبنى حكيم فتزامروا وتصافوا وأهدروا الدمـاء بينهم وتبايعوا على المـوت وصاروا نفسا واحـدا على تبايـن اغراضهم وفساد ذات بينهم» (102).

(99) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 154 — 157.
(100) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 397 — 398.
(101) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 13.
(102) السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 159.

وتطورت مكانة المرأة العربية اعتبارا من أواخر الفترة التى نتداولها بالدراسة في المغرب الاقصى حتى وصفها المؤرخ بأنها «سيدة جميع ما يتعلق بالبيت أثاثا ومتاعا ونحو ذلك والرجل بمثابة الضيف فلها أن تفعل في البيت ما شاءت من غير اعتراض عليها ولا مراقبة» .

ويضيف بأنه «يستحسن عندهم» عرب المعقل «أظهار محبتهن والرغبة فيهن على سنن العرب الاولى من بنى عذرة وأمثالهم» .

وكذلك في حالة وفود ضيوف في غيبة الرجل فلهن ان يفعلن لهم من الاحسان ما يقوم به الرجل لو كان حاضرا ويضربن مثلا بذلك «أن كان الاسد يقتل فاللبوءة تقتل» والرجل يفتخر اذا قامت زوجته بدوره في اكرام ضيوفه أثناء غيابه (103) .

الزواج :

جرت العادة أن يقوم الذكر دون الانثى باختيار شريكة حياته من قبيلته او عشيرته أو حيه ورغم ذلك فكثيرا ما حدث زواج سياسى تأليفا للقلوب المتباعدة وتسكينا للخواطر الثائرة واقرارا للسلم بين المتخاصمين (104) كارتباط بنى مزنى ولاة بسكرة والزاب ببنى يملول ولاة توزر بصلة النسب (105) وأصهار يوسف بن منصور الى يعقوب ابن زعيم الرواودة على بن أحمد - الثائر على بنى مزنى لاستئثارهم بجباية الزاب دونه - في أخته وعقده له عليها فانحاز اليه ضد ابيه مما اضطر الاخير الى المهادنة والاتفاق (106) .

الحلف :

وكما أن الفرد لا يستطيع أن يحيا منفردا عن القبيلة كذلك القبيلة نفسها قد لا تقوى على مواجهة أعدائها فلابد ان تنطوى تحت لواء حلف أكبر يضم القبائل ذات الاصل الواحد والتى تدعى الانتساب الى جد مشترك وقد تضطر القبائل الى ذلك وفقا لظروف اقتصادية أو

(103) أنظر محمد بن ماء العينين : الجأش الربيط ص 37، 38.
(104) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 84.
(105) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 412.
(106) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 409.

حربية (107) وهو عبارة عن ميثاق يتعاهدون فيه أن يكونوا صفا واحدا متساندا ينفرون الى القتال معا ويحتملون الديات معا ويأخذون بثارات بعضهم بعضا (108) ومن أمثلة ذلك تحالف عرب الاثبج وزغبة ورياح وبنوقرة لمقاومة استيلاء الموحدين على افريقية في 547 هـ / 1152 م متناسيين ما بينهم من ثارات (109) وتحالف أحياء سليم بافريقية ضد أبى الحسن المرينى واهدارهم الدماء فيما بينهم وتبايعهم على الموت رغم اختلاف اهدافهم (110) وتحالف شيوخ القبائل العربية بالمغرب في 763 هـ / 1361 م من العاصم والخلط وسفيان وبنو جابر والحارث فيما بينهم ضد استبداد الوزير عمر بن عبد الله ويصور ابن الخطيب تحالفهم بقوله :

«وشاع عنهم معاقدة بقبر الولى القطب المقصود التربة أبى العباس السبتى (111). ولقد حدث انهم احتفروا أفحوصا (حفرة) واستدعوا لجاما يجعلونه في أعناقهم عند القسم سجية جاهلية ... وغمس العرب أيديهم في الدم» (112) ولكى يكسب العرب هذا الحلف قوة كانوا يصبغونه بصبغة دينية ليجعلوا له صفة مقدسة كأن يعقدوا الحلف عند قبر أحد الشيوخ المشهور لهم بالكرامات ـ كما كان يعقد عرب الجاهلية احلافهم عند الكعبة ـ أو يغمسوا أيديهم في الدم أو الطيب ثم يتصافحوا بعد ذلك دليلا على التمسك بالحلف (113) أو يوقدوا نارا ويدعون بالحرمان من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد (114) .

(107) G. Marcais : Les arabes P. 26
حسن أحمد محمود : قيام دوله المرابطين ص 26.

(108) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 86.

(109) ابن خلدون : العبر حـ 6 صـ 20، الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 257، 258.

(110) السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 159.

(111) هو أحمد بن جعفر السبتى الخزرجى ولد بسبتة 521هـ/1129م ونزل مراكش وتوفى بها 601هـ/1204م وكان من أقطاب الصوفية وعاصر أبى يعقوب الموحدى . أنظر ابن خلدون : المقدمة ص 116، محمد البهلى النيال : الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامى ص 207.

(112) أنظر ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص 305، 323.

(113) عبد المنعم ماجد : الدولة العربية حـ 1 ص 102، 103، ابن الخطيب : نفاضة الجراب تعليق (4) ص 323.

(114) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 1 ص 409.

وكذلك هناك أحلاف صغيرة تقوم بين حيين أو قبيلتين بحكم الجوار هدفها تحقيق الامن والسلام لكل منهما لا يخاف معه اغارة مغير ولا ضباع كبير من الاشياء ولا صغير كتحالف عرب المحاميد والجوارى (115) .

وبلغ من أهمية الحلف وقدسيته في حياة العرب القبلية أن أصبح في بعض الحالات علم على القبيلة المتمسكة به حتى يختلط الامر على البعض فيطلقون اسم الحلف على الجد المشترك لهذه القبيلة كما حدث في حلف ابى قحافة بين عرب النضر بن عروة وبنى عامر بن زغبة اد يزعم البعض انتساب عرب النضر الى أبى قحافة بينما يقول شيوخهم انه ليس بأب لهم وانما هو اسم واد كان به حلفهم قديما (116) .

الجـــوار :

وتبدو روح القبيلة وترابطها واضحة جلية فيما عرف بالجوار فقد كان من العرف المتبع أن يطلب امرؤ الى آخر في غير قبيلته لسبب من الاسباب أن يجيره أى يحميه ويدفع عنه ما هو متعرض له من الحيف أو يقوم معه لتأييده ونصره وتعترف القبائل لبعضها بهذا الجوار ولم يكن من اليسير على المجير أيا كانت مكانته من الصدارة أو الامارة في قبيلته ان يأخذ على نفسه مسئولية الجوار الا اذا أنسى الكفاية في ذاته وفي الجماعة التى ينتسب اليها أو يقوم عليها (117) .

ويعطينا ابن الخطيب صورة تكاد أن تكون اسطورية عن تقدير عرب تامسنا بالمغرب للجوار فيروى أن طائرا عششت أفراخه بجوار رئيس لاحدى قبائل عرب تامسنا فداسته ناقة ترعى وقتلت الافراخ فثارت نخوته لانهم في جواره وتقاتلت القبائل وكثرت الضحايا وبددت الاموال في سبيل الاخذ بثأر من قتل من الافراخ (118) .

وفترات التاريخ الموحدى والمرينى مليئة بأمثلة للجوار وقدسيته فقد آثر عرب افريقية قتل ابناءهم على تسليم جارهم والغدر به ولو أتى القتل على جميعهم (119) وحينما استرد الموحدون بجاية من أيدى بنى

(115) التجانى . رحلته ص 179.
(116) ابن خلدون : العبر ح 6 ص 57.
(117) محمد عزة دروزة : عصر النبى وبيئته قبل البعثة ص 174، عبد الحميد يونس الهلالية ص 86، 87.
(118) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص 89.
(119) ابن عذارى : البيان المغرب ح 4 ص 156.

غانية وخشى بعض سكانهـا من انتقـام الموحدين لجأوا الى احيـاء العرب المجاورة لبجاية فأجاروهم (120) وكذلك أجار عرب الزواودة بافريقية المغضوب عليهم من الدولة الحفصية أو الهاربين خوفـا من بطش حكامها واللاجئيـن طلبـا للحماية مما جعلها في صراع دائـم مع الدولة (121) .

وحينما استولى أبو عنان الرينى على تلمسان فر صغير بن عامـر زعيم عرب بنى عامـر من زغبة الى الصحراء ولجأ الى أولاد حسين مـن ذوى منصور من عرب المعقل واستجار بهم فأجاروه وحينما أغضب ذلك أبو عنان وأثاره أجمعوا على نقض طاعته وأقاموا مع صغير بالصحـراء بعيدا عن متناول يـد الدولة وسلطتها مفضلين التجوال في القفـار علـى تسليمـه الى السلطان (122). وليس معنى هذا ان الجوار كان دائمـا مقدسا عنـد القبائل العربية بافريقية والمغرب فكثيرا ما اسلمت القبائل من سبق وأجارته – أن لم يسارع بالهروب بنفسه خوف تخلى العرب عنه – سواء كان ذلك يرجع لضغط الدولة على هذه القبائل وتهديدها أو رشوتهـا بالمـال والاقطاعـات (123) .

اللغـة والشعـر والغنـاء :

لسان القبائل العربية بالمغرب مضرى حافظوا عليه ببداوتهم فـى المفردات والتراكيب ووجوه البلاغة وأساليب الخطابة قال ابن خلدون: (124)

«وفيهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم والشاعر المغلق على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسـان المدون الا حركات الاعراب في أواخر الكلم فقط» .

وأضاف العبدرى الى ذلك في رحلته – وهو من أهل القرن التاسع – أن عـرب برقة لم يزالوا يعربون اكثر اقوالهم ويتحدثون مما يعد عنـد

(120) ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 94.
(121) أنظر ابن خلدون : العبر ج 6 ص 285، 288.
(122) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 66.
(123) أنظر ابـن عذارى : البيـان المغرب ج 4 ص 154 – 157، ابن الخطيب: نفـاضـة الجراب ص 229، 262، 263، ابن خلدون : العبر ج 7 ص 259، 260، الزركشى : تاريخ الدولتين ص 136، 137، السلاوى : الاستقصـا ج 2 ص 119، 133، 134.
(124) ابن خلدون : المقدمة ص 556، 557، الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 155

العلماء غريبا وذكر ما سمعه من أقوالهم المعربة والفاظهم الغريبة وعلل ذلك بعدم اختلاطهم بالناس وقال هم أفصح من عرب الحجار وغيرهم (125).

أما بالنسبة للغناء عند العرب فيوضح المؤرخ حسن حسنى عبد الوهاب أن الوافدين الاولين من العرب كانوا اما من الجنود والموظفين أو من التجار ممن لا عناية لهم بالموسيقى ولا يملكون أية خبرة بأوضاعها ولكن كانوا لا محالة يتغنون بأشعارهم على طريقة الحداء تلك الطريقة التى استقلت بها قبائل جزيرة العرب وكانت منبثة في سائر انحائها وهى الحان كانوا يتسلون بها في أشعارهم وفي مسايرة أبلهم وقطع المفاوز والبرارى ... وصاروا يرجعون الاصوات بأبيات من شعر الجاهلين أو المخضرمين ويدلل على ذلك بما أورده المؤلف التونسى أحمد بن يوسف التيفاشى الافريقى في كتابه «متعة الاسماع في علم السماع» في القرن السابع الهجرى من أبيات كان يترنم العرب بها (126).

أما بالنسبة للقبائل العربية التى انتقلت واستقرت بالمغرب - أهل المدر - فأشعارهم موروثة عن أعراب الحجاز منذ أحقاب وأجيال خلت وقد تمسكوا بالمحافظة على سلامتها ويبدو أن بربر افريقية اقتبسوا منهم طرائق الغناء والانشاد ومن عادتهم انهم اذا صاغوا قصيدة من أى نوع كان فانهم يستنكفون من الانتساب الى قول الشعر ويتحاشون من الانشاد بأنفسهم وينشده لهم بعض عبيدهم ذو الحناجر الشجية فى محافل الاعراس ومواكب الافراح مصحوبين بعازفى الشبابات ودقاقى الطبول ويزعم المؤرخ حسن حسنى عبد الوهاب أن هذا من التقاليد العربية في الجاهلية والعصر المخضرم في الاسلام (127).

وبجانب ذلك يسمر العرب بنوع غريب من العزف الرمزى يعرف عندهم بطرق الصيد ويشبهه البعض بالسنفونيات في العصر الحديث وكانوا يستخدمونه عند صيدهم للاسود (128).

---

(125) عن الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 155، 156.

(126) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ص 173.

(127) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 248، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 64، حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات ص 3 - 254.

(128) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية ص 254.

وكثيرا ما كانت تتحول الوقائع المادية بين القبائل العربية وغيرهم من الجماعات المعادية لهم الى ما يسمى في عرفنا الحديث «بالحرب الباردة» وينهض بها غالبا القادرون على التفنن في القول (129) .

فحينما تنافس كل من بنى غانية والمماليك الغز حول الاستحواز على محالفة العرب لتأييدهم لجأ بنو غانية الى الشعر داعين العرب لنصرتهم لما يربطهم وأياهم من صلات الرحم ويعيرونهم بانقيادهم الى العبيد من المماليك (130) وفي الوقت الذى كان فيه ادريس المأمون الموحدى يرحب بتأييد عرب الخلط له في قصيدة طويلة كان منافسه على السلطة يحيى بن الناصر يندد بهم ويتعرض لاصلهم بقصيدة مضادة (131) ولما نجح المستنصر الحفصى في هزيمة عرب رياح وقتل شيوخهم ندد بهم وهجاهم شعراء دولته معرضا بهم (132) وبعد نجاح غزو يعقوب المرينى للاندلس وبلاء قبائل المغرب العربية فيه بلاء حسنا مدحهم الشعراء منوهين بفضلهم واستبسالهم وجهادهم (133) .

الـــزى :

اذا انتقلنا الى الزى فاننا نجد أن الاعراب جميعا كانوا سواسية في لبس المخيط وربما القوا رداء على ظهورهم وألتفوا بازار (134) وهم يتفاوتون في ذلك بتفاوت المراتب الاجتماعية لا بتفاوت العشائر والقبائل وكانت العمائم لبس الرأس المألوف عندهم (135) ويستخلص مما رواه القلقشندى عن زى العرب في العصر الموحدى أن الاشياخ والعامة كانوا على زى واحد لا يمتاز بعضهم على بعض «الا بشىء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو صغر العمائم وضيق القماش (136) كما أنهم يلتثمون تحت أذقانهم بأطراف عمائمهم متأثرين في ذلك بزناتة (137) .

(129) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 90، 91.

(130) أنظر ثانيا : دور العرب فى صراع الموحدين مع بنى غانية والمماليك الغز من الرسالة .

(131) أنظر ثالثا : ثورات العرب على الموحدين من الرسالة.

(132) أنظر رابعا : دور العرب فى تشجيع الثورات على الحفصيين من الرسالة.

(133) أنظر ثالثا دور العرب فى مقاومة المسيحيين بالاندلس من الرسالة.

(134) الالوسى : بلوغ الارب حـ 3 ص 406، عبد الحميد يونس : الهلالية ص 97.

(135) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 97.

(136) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 142، 143، عبد الحميد يونس : الهلالية ص 97.

(137) الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 155.

يضاف الى ذلك ما يصفه ابن صاحب الصلاة (138) للملابس المهداة الى العرب في المناسبات الخاصة سواء عند قدومهم للمبايعة أو التهنئة أو للاشتراك في الحرب المقدسة بالاندلس فينعم «عليهم بالكسى التامة من العمائم والغفائر (139) والبرانس والاكسية بأن حصل لكل فارس غفارة وعمامة وكساء وقبطية (140) وشقة (141)» .

وفي موضع آخر يقول : «وكسا جميعهم بالقباطى (جمع قبطية) والقمص والغفائر والعمائم» .

وفي موضع ثالث يقول : «ثم أعطى الكسوات للموحدين والاشياخ من كل قبيلة ولطلبة الحضر والعرب بأن أعطى كل واحد ستة أثواب : عمامة وغفارة ، قبطية مبطنة ، ومقطعين مهدويين وكساء» .

ويتضح من النصوص السابقة أن زى العامة من العرب بالمغرب كان القبطية والقمص والغفائر والعمائم بينما زى الفرسان منهم يزيد الكساء والشقة بدلا من القمص حتى اذا كان صاحب الزى من شيوخ العرب وأمرائهم تكون من ست قطع فاخرة . عمامة وغفارة ، قبطية مبطنة ومقطعين مهدويين وكساء» .

أما زى العرب في زمن الدولة المرينية فيتكون من عمائم طوال قليلة العرض من كتان يعمل فوقها احرامات يلفونها على اكتافهم ويتقلدون السيوف تقليدا بدويا ويتشبه بهم في ذلك أرباب الوظائف وشيوخ وحاشية السلطان ويلبسون الخفاف في أرجلهم (الانمقة) ويشدون المهاميز فوقها ويتخذون المناطق وهى (الحوائص) ويعبرون عنها بالمضمات من فضة أو ذهب ويرجح ان المهاميز والمناطق مقصورة على شيوخ العرب فقط وهم يشدونها في يوم الحرب أو يوم التمييز وهو يوم عرضهم على السلطان (142) .

---

(138) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 291، 437، 450.

(139) الغفائر جمع غفارة : كساء يلبس فوق آخر. لوالغفارة : زود من الدرع يلبسه المحارب تحت التلنسوة.

(140) قبطية : هى الثوب الابيض الرقيق من الكتان.

(141) شقة هى عبارة عما شق من الثياب على شكل مستطيل.

(142) القلقشندى : صبح الاعشى ﺣ 5 ص 203، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار افريقية ص 160.

ويبدو أنه كان للعرب زى خاص بالمناسبات اذ يذكر الانصارى (143) : أن «أبو العباس أحمد بن هيب .. بعد توبته وكان من فرسان العرب وشجعانها ودفع مرة واحدة لانكسار العرب وحده وذلك انه كان في ذلك اليوم عليه ثياب بيض لكونه يدخل على زوجته في الليلة المقبلة».

ويتضح من النص أن زى العرب عند الزواج كان من اللون الابيض.

التنقل ورحلة الشتاء والصيف :

نتيجة لان وسائل الانتاج الزراعى والصناعى كانت محدودة ببلاد المغرب فقد أمعنت القبائل العربية في طلب النقلة والارتحال وساعدها على ذلك انتشار استخدام الابل والخيول لذلك لا نندهش اذا وجدنا بعض القبائل في العصر الذى نتصدى له بالدراسة تتوغل في نقلتها حتى تدرك نهر السنغال (144) .

وفي هذا المجتمع الذى يشتد التناحر فيه بين السكان وتكثر الهجرات وتثور الفتن وتنتشر الاغارات لا يتعلق السكان بالارض على الصورة التى نجدها في البيئات السهلية ولا يدافع الناس عن وطن معين ينزلون فيه بقدر ما يدافعون عن الاسرة والعشيرة والقبيلة فأصبحت القبيلة محور الحياة في المجتمع (145) .

ويسود بلاد المغرب خصوصا هضابه الفسيحة ظاهرة اجتماعية اقتصادية مما نعنى بها ظاهرة البداوة (146) ذلك أن سكان هذه المناطق من القبائل العربية والبربرية لا يستطيعون الاعتماد على موارد الاقليم النازلين فيه فيضطرون الى النقلة والترحال انتجاعا للكلا وطلبا للعيش الميسور الذى يتوفر في جهات أخرى أوفر ثراء فاذا أقبل الصيف اشتد الجفاف في الجهات الهضبية أو شبه الصحراوية وجف العشب وقل الماء فلا يجد السكان مفرا من شد الرحال صوب الشمال حيث يتوفر

---

(143) الانصارى : معالم الايمان حـ 4 ص 211.

(144) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 24، 25.

(145) ابن خلدون : المقدمة ص 41، 121، G. Marcais : Les Arabes P. 42.

(146) G. Marcais : Les Arabes P. 39.

حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 24 .

المطـر ويطيب المرعى وتتيسر الحياة (147) فاذا جاء الخريف وأوشكت الامطـار أن تنـدى بطاح الهضاب بالمطر المنبت للكلا عادت جمـــوع المهاجرين مرة أخرى الى ديارهــا لقضاء فصل الشتاء (148) ويقضــى السكان هكذا حياتهم بين رحلتى الشتاء والصيف .

هذه ظاهـرة تحدث في كل بيئة مشابهة خصوصا في شبه الجزيرة العربية مصدر القبائل العربية المهاجرة الى بلاد المغرب .

وبعد نقل يغمراسن عرب بنى عامر بن زغبة الى ضواحى تلمسان ، ليكونوا حاجزا بين عرب المعقل والعودة لوطنها استقروا ولكنهم اضطـروا للتقلب في قفـار صحارى تلمسان جنوبا في المشاتى ، واللجوء الى التلول في المرابـع والمصايف بسبب انعامهم (149) ورغم سيطرة عرب أولاد حسين من ذوى منصـور من المعقل على صحراء درعة لانها تقع في مجالاتهم الا أنهـم أضطروا الى الارتحال الى شمال بـلاد المغرب عن طريق بلاد تادلا للمربع والمصيف لابلهم والتزود بالاقوات لجموعهم (150) ، وكذلك تعود عرب عبيـد الله من المعقل القيام برحلة الشتاء بناجعتهم الى قصور توات وبلد تمنطيت بالصحراء وربما شاركهم في بعض الاوقات عرب بنى عامر ابن زغبـة الذين يكتفون من التوغل في الصحراء عند تيكرارين لا يزيدون، وبلغت رحلتهم هذه من الشهرة حتى تعود التجار الوافدون من الامصـار والتلول أن يرافقوهم الى مشاتيهم، ثم يزيدون الي بلاد السودان (151).

وهذه الحركة المستمرة شمالا وجنوبا صوب الخضرة والعشب أكسيد حياة الابـل والمواشى كثيرا ما كانت وراء سلب قبيلة لاخرى مراعيهـــا وأرضها ، فعرب مرداس من سليم يختصون بالتغلب على ضواحى قسنطينة خلال فتـرة مرابع الكعوب وصعودهم الى التلول ، فاذا ما انحدروا الى مشاتيهم بالقفـر أضطرت احياء مرداس الى الفـرار امامهم الى القفـر البعيـد (152) .

(147) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ﺣ 2 ص 263، 264، ابن خلدون : العبـر ﺣ 6 ص 66. G. Marcais : Les Arabes P. 42. ، حسن أحمد محمود : قيام دولـة المرابطين ص 24.
(148) البكرى : المغرب ص 145، حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 24.
(149) ابـن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 51.
(150) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 66.
(151) ابن خلدون : العبر ﺣ 7 ص 57.
(152) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 74.

مساكـن العـــرب :

لقد مر استقرار العرب بالمغرب بمرحلتين اساسيتين :

الاولى : من بداية سنوات الغزو وتأسيس المدن الاسلاميـــة والدويلات، العربية الاسلامية ببـلاد المغرب وحتى أواسط القرن الخامـس الهجـرى .

والثانية : من أواسط القرن الخامس الهجرى وانتقال القبائـــل العربية من هلال وسليم ومعقل الى بلاد المغرب وانتقالها وامتزاجها مع العناصر المستقرة من بربر وبقايا الـروم وحتى الفترة التى نتناولها.

وان كانت المرحلة الاولى تمتاز بأن المستقرين من العرب بالبلاد انما كانـوا غزاه مجاهدين على ظهور خيولهم ، يقضون الوطر من فتح الامصار والاقطار ثـم يعود أغلبهم الى وطنهم ، ومن بقى منهم يستوطنون الامصار ويسكنون القصـور ، فان المرحلة الثانية لتتميز بأن المستقرين كانوا مـن بـدو العرب ، انتقلوا باحيائهم وحللهم وخيامهم وجاوروا أهل البلاد من البربر الذين يسكن جمهورهم المداشـر وكهوف الجبال لانعدام وجـــود الخيام ببلاد المغـرب الا في القليل النـادر (153) .

وكانت خيام العرب من الوبـر والصوف يسهل هدمها عند سفرهم لغزواتهـم وحروبهم بظعونهم وسائر حللهم وأحيائهم من الاهل والولـد.

وبعد استقرار العرب ببلاد المغرب وتأثرهم بحضارة أمصاره وانتقال بعض زعمائهم من سكنى الخيـام الى سكنى القصور ، واستبـــدال فرسانهم الجمال بالخيول ، اتخذوا للسكنى في اسفارهم ثياب الكتان ، بضعون منها بيوتـا مختلفة الاشكال متعددة الالوان من القوراء والمستطيلة والمربعة، وهم يتفننون في تزيينها، ويديـر الامـراء وقـواد العساكـر السياجات من الكتـان على الفساطيط والغازات ، وهو ما يسمى بلسـان البربر في المغرب أفـراك ، وهو مقصور على السلطان وجيشه دون غيـره بالمغـرب (154) .

(153) السلاوى : الاستقصـا حـ 2 ص 145.

(154) ابـن خلدون : المقدمة ص 267، 268.

طعامهم :

كان من الطبيعى ان تهتم القبائل العربية بانعامها ، فهى لا تستطيع أن تستغنى عنها في جميع التصاريف ، ولم يبالغ المؤرخ عندما قال : انهم كانوا بمثابة الطفيلين على انعامهم (155) .

ورغم أن العرب عملت للحصول على الحبوب والادم من التلول الا أن ذلك لم يصادفه النجاح بصفة مستمرة ، وبالتالى فقد اعتمدوا بصفة أساسية على أنعامهم ، يحصلون منها على الالبان واللحوم خصوصا أهل القفار منهم ، وهذا ما أفاد أبدانهم كقول ابن خلدون (156) :

«وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والادم من أهل القفار أحسن حالا في جسومهم وأخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش ، فألوانهم أصفى وابدانهم أنقى ، وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد عن الانحراف، واذهانهم أثقف في المعارف والادراكات» .

وكثيرا ما سمحت القبائل العربية لنفسها بشىء من الترفيه خلال استعراض الخليفة الموحدى لهم بعد وفودهم من افريقية للاشتراك فى العمليات الحربية بالاندلس واحتفاله بهم فيتهالكون على شراب الرب المزوج بالماء يشربون ويطربون (157) .

شيخ القبيلة ومساعدوه :

ويتولى الرئيس (السيد ، الملك ، الامير ، الشيخ) قيادة التشكيل القبلى وقد يقاسمه في الرياسة أخوه أو ذو قرابة له بناء على انتخاب من مجلس القبيلة (الجماعة) مراعاة لثروته أو لصفاته الحربية (158) وكان من حق سلطان الدولة الذى تتحالف معه القبيلة اقرار هذا الاختيار

(155) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 88، 89.

(156) ابن خلدون المقدمة ص 87.

(157) الرب : الخمير من عصير العنب وقد كان شربه معهودا أول الامر بالمغرب لشدة برودة الجبال لكن الموحدين لم يلبثوا ان انتبهوا الى ان مفعوله لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام فأصدروا الاوامر بمنعه وهكذا نبعد ان كان الرب يقدم فى الاحتفالات الرسمية وبعد أن كان يباع بمكان خاص بمدينة مراكش (باب الرب) حرم فى سائر أطراف المملكة فى 580هـ8 أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 55، 174، 433، مجهول : الاستبصار 211.

(158) ابن خلدون : العبر ﺟ 6 ص 48، 49، ويسلر : الحضارة العربية ص 9.

أو تغييره حسب ما يتراءى له، يحكمه في ذلك مدى اخلاص الزعيم وتفانيه في خدمته، وان كانت حريته هذه تتقيد في حالة قوة القبيلة (159) .

وفي النهاية كانت الصفات الحربية هى التى تضمن للرئيس الاستمرار في حكم القبيلة وتوجيهها ، والتفات قلوب شبابها حوله مفتونين بفروسيته وقوته ، مستعدين للتضحية بأرواحهم في سبيله ، ويعطينا ابن عذارى صورة حية تمثل أبعاد هذه الرياسة ومدى الاخلاص لها في القبيلة العربية بالمغرب عند وصفه اغتيال الرشيد الموحدى لمسعود الخلطى ومقاومته فيقول (160) :

«ودخل وحده (مسعود الخلطى) .. فلما كان متوسطا بالمكان (مقر السلطان) بصر بجملة من الجنانين العبيد وغيرهم وأحس بالشر ، فألقى الملا المذكورون ايديهم فيه ، وانخرط ابن عبد الرحيم - رضيع والد السلطان - في سيفه والعربى (مسعود) في أيدى الناس وبيده سكين في ذراعه ، فراعه ما رأى ، ورأى الموت فانتفض من أيديهم كما ينتفض القعاب ، وأفلت من أيديهم وجذب العربى سكينه وقصد الباب .. وانضم اليه اعوانه وهم يقاتلونهم من كل مكان ، فلما عاين العرب مالا قبل لهم به وأيقنوا بالهلاك ، توسطوا شيخهم وصاروا يموتون دونه واحدا واحدا وكان هو آخرهم قتلا» .

وهذا لم يمنع القبيلة من تغيير زعيمها وشيخها اذا ما أساء التصرف وعرض مصلحتها للخطر ، فحينما تأرجحت طاعة منصور بن حمزة شيخ عرب أبى الليل من سليم لسلطان تونس بين الاقبال والنفرة لاهداف شخصية، لم تقنع قبيلته اغتالته عشيرته واقامة محله من تثق فيه (161).

ولقد كانت القبائل التى استقرت في الامصار وتغلبت على المدن تتشبه بنظام الدولة في ترتيب وظائفها ، مثل بنو جامع بقابس الذين سيطروا على المدينة زهاء تسعين عاما وكان آخر وزرائهم يعرف بسلام ابن فرحان بذل نفسه يوم طردهم من المدينة ، ومما رواه القلقشندى عن عرب بنى فزاره حينما قال أن «منهم من شعوب بنى سليم يستظهرون

---

(159) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 470.
(160) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 335.
(161) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 79.

بهم في مواقف الحرب ويقيمونهم لانفسهم مقام الوزراء للملـوك» فـانـنـا نستخلص من ذلك أن بالقبيلة وظيفة الوزير وقد يختار من قبيلة أخرى لها مكانتها (162).

ويبدو أن لكل رئيس قبيلة وكيل يمثله ، فابن عذارى يقـول (163) أنه كان لمسعود الخلطى زعيم عرب الخلط بالمغـرب «وكيل يسمى موسـى الكافر ، وكان من الفجور بحيث لا يجارى ، وكانت له استطالة بلسانه على خدام أمير المؤمنين ورجاله وصبيانه ، لا ينهاه دين ولا فضل».

ويؤيد الانصارى (164) ذلك بأنه كان للشيخ عمر بن حمزة الليلى وكيل يدعـى حداد الرواحى .. قد أذى الشيخ عبد الرحمن بن يحيـى الطرخـانى».

ومن النصين السابقين يتضح أنه كان لكل رئيس قبيلة وكيـلا يمثله ، ولكن يبـدو أن وظيفته كانت تتعلق بجبايـة الاقطاعات الممنوحة للقبيلـة من الدولة ، أو ما تمكنـت القبيلة من وضع يدها عليه ، وأن اختيارهم كان بعيـدا عن التوفيـق .

كما أن للقبيلة كاتبها فقد كان «كاتب مسعود الخلطى ذو جهل وعتـو وزيـادة في الفسـاد» (165) .

أما عن مفتى أو فريـض القبيلـة فيحدثنا التجانى في رحلتـه (166) عن وظيفتـه بقولـه :

«وبعده بنينا بيتا في أرض رجل منهم مطمر (مظهر) ، وهو فريـض للعـرب المحاميد فالفريض عندهم كناية عن المفتى الذى يرجعون الـى احكامه ، وقد تأملت في كثيـر مما يحكم به وهم هناك يبنون بيتـا، فوجدته لا يرجع فيه الى شيء من حكم الشـرع ، وانما سمى هذا مطمرا نسبـة الى حكم السياسة والتسديد بينهم ، ولهذا الرجل قوة خطابية على طريقتهم وقدرة على اظهار أقيسة وضـرب أمثلة ، يفعل بها فـى نفوسهـم كثيـرا» .

(162) التجانى : رحلته ص 100، القلقشندى : صبح الاعشى جـ 1 ص 344، 345.
(163) أنظر ابن عذارى : البيـان المغرب جـ 4 ص 328.
(164) الانصـارى : معالم الايمان جـ 4 ص 173.
(165) ابن عذارى : البيـان المغرب جـ 4 ص 328.
(166) التجانى : رحلته ص 189.

فلكل قبيلة مفتى او فريض ، يستفتى في المشاكل بين الافراد وبعضهم ، وتتقبل أحكامه لما له من قدرة خطابية ، وكذا في المشاكل الدينية وان كان يفتقد الالمام بالشرع والدين .

أما عن كاهن القبيلة فيصفه ابن خلدون (167) :

«ارفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذى فيه السجع والموازنة لتشتغل به الحواس ، ويقوى بعض الشىء على ذلك الاتصال الناقص فيهجس من قبله عن تلك الحركة، والذي يشيعها من ذلك الاجنبى ما يقذفه على لسانه ، فربما صدق ووافق الحق وربما كذب .. ولا يكون موثوقا به ، وربما يفزع الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه، وتمويها على السائلين، وأصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان» .

وقد قابل التجانى أحدهم في رحلته مع وفود عرب المحاميد ووصفه بقوله (168) :

«رجل أسود اللون اسمه ابراهيم بن مطرف ويكنى أبو زرارة ذكروا انه كان كاهنا من العرب ، وادعوا صدقه فيما يتكهنه ، وحكوا عنه في ذلك عجائب ، فسألته عن ذلك فأقر به ، وادعى أن له رئيا من الجن يأتيه فيخبره بما يكون في أشعار يخاطبه بها» .

العادات والمعتقدات :

وتأثر العرب بمعتقدات الجاهلية في عاداتهم رغم مرور القرون العديدة وبعد المسافة ما بين المنبع بشبه الجزيرة والمصب حيث الاستقرار ببلاد المغرب .

فقد اعتقدوا في شجر العشر ، وهو شجر ناعم النبات شديد الخضرة يضرب الى السواد ، ينبت صعدا ، وله اوراق عظيمة ونور مشرق حسن المنظر لاستجلاب المطر اذا احتبس بضروب من السحر والشعوذة ، اذ يعمدون الى ربط بعض أغصان شجر العشر او السلع في أذناب

(167) ابن خلدون : المقدمة ص 100، 101.
(168) التجانى : رحلته ص 197.

وعراقيب البقر ، ثم يصعدون بها في الجبل الوعر ، ويشعلون فيها النار ، ويزعمون أن ذلك من أسباب نزول المطر (169) .

وكذلك في التأثير السحرى لنجم سهيل (170) ، وكانوا يزعمون أن سهيلا والضب كانا رجلين فرضا العشور على الناس والاتاوات على تجار البر والبحر ، فمسخهما الله عقوبة لهما وجعل احدهما نجما في السماء والآخر حيوانا على الارض ، ويعقب التجانى على ذلك بقوله (171) :

«انما الغريب من امر سهيل ، وهو صحيح مشاهد ان الابل ساعة طلوعه تستديره فلا تزال مولية بوجوهها عنه ما دام طالعا ، وان كانت حين طلوعه مستقبلة لجهته استدارت من الحين فولته ادبارها، وهذا أمر شائع مستفيض لم أر من أهل الابل الا مقرا به مصدقا له .. وهم يزعمون ان طلوعه سبب موت الابل ووقوع الوباء فيها فلاجل ذلك تكرهه وتستديره .. وسألت اعراب زماننا (أوائل القرن الثامن الهجرى) عن هذا الذى يذكر من تأثيره في الابل فقالوا لا نعلم له تأثيرا فيها ، الا أن طلوعه عندنا أمان للابل المغشوشة من الموت فما لم يمت بالغش قبل طلوعه لا يموت بعده» .

ومن المحتمل أن تكون كراهية الابل لسهيل تعود الى قيام العرب بفصل الحوار (172) من أمهاتها ، حتى تغنى بذلك ساجعهم بقوله : اذا طلع سهيل برد الليل وخيف السيل وامتنع القيل وكان لام الحوار الويل (173) .

---

(169) التيجانى : رحلته ص 311، 314، التلقشندى : نهاية الارب فى معرفة انساب العرب ص 462.

(170) سهيل نجم كبير ساطع وسهيل هو الاسم الذى أطلقه العرب على عدة نجوم فى نصف الكرة الجنوبى ويستعا به فى الاستدلال على جهة الجنوب هو المعروف عند أهل المغرب باسم Canopus وقد أطلق المسلمون اسم سهيل على مدينة أندلسية على الساحل الشرقى الاسبانى المطل على البحر المتوسط بجوار مربله لانه من هناك كان يرى هذا النجم فسميت باسمه فى العصر الوسيط. وكتب سنان بن ثابت بن قرة ابو سعيد الفلكى والطبيب العربى رسالة عنه لشهرته. أنظر التجانى : رحلته ص 62، مادة سهيل Suhail فى دائرة المعارف الاسلامية كتبها Schoy راجع خوان برنيت : هل هناك أصل عربى اسبانى لفن الخرائط الملاحية، ترجمة احمد مختار العبادى فى العدد الاول من مجلة معهد الدراسات الاسلامية 1953.

(171) التجانى : رحلته ص 62، 63.

(172) ولد الناقة قبل أن يفصل عنها. أنظر المنجد ص 155.

(173) التجانى : رحلته ص 64.

وكما تأثرت القبائل العربية بالمغرب بمعتقدات الجاهلية وعاداتها الذميمة فقد تأثرت كذلك بصفاتها الحميدة مثل الكرم والشجاعة .

ومن أشهر كرماء عرب افريقية شهوان بن عيسى بن عامر بن جابر ابن قائد بن رافع بن رباب ، كان رئيسا في قومه بعيد الصيت مشهور الكرم، لم يذكر في وقته صنوة ، حتى مدحته العرب بقولها :

حمى الارض شهوان بن عيسى بن عامر وعرض الفتى ان ضيع المجد تالف

وبعد موته دفن بين قصر صيبار وبئر طشانة بالقرب من قرية تاجورة (174) ، فصار القبر اسما علما لهذه البقعة .

وكان العرب في القرن الثامن الهجرى اذا نزلوا هناك ولم يكن لهم زاد ، قاموا على قبره فنادوا : ياشهوان اكرم اضيافك ايمانا منهم بكراماته واعتقادا فيه ، فيذكرون أنهم لم يناموا قط دون عشاء أما بصيد سهل يقع لهم أو بغذاء يتاح لهم لم يكن في الحسبان ، وهذه الصورة مشابهة لما يتناوله المؤرخون عن حاتم الطائى بالجزيرة العربية (175) .

وكان على بن أحمد زعيم عرب رياح بنواحى قسنطينة والمسيلة والزاب في غاية الكرم بعث اليه سلطان افريقية ثلاثين حملا من البز الرفيع والتحف السمينة فوهبها لثلاثة من المستعطين (176) .

ثقافتهم :

جاء الاسلام بقانونه السماوى وهو القرآن الكريم ، فنظم المعاملات بين المسلمين كما شرع لهم العبادات ووجههم نحو الخير وعرفهم الصلة بين العبد وربه (177) .

والفضل الاكبر في انتشار القراءة والكتابة وتأسيس دور العلم فى البلاد الاسلامية كان مرجعه القرآن ، وقد صدق المؤرخ (178) اذ يقول كان القرآن «البراءة الاولى للتربية عند العرب» .

واختلفت الاقطار في تعليم القرآن للولدان فيقول ابن خلدون (179) :

(174) قريـة بجوار طرابلس.
(175) التجانى : رحلته ص 310، 311.
(176) القلقشندى : قلائد الجمان ص 118.
(177) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ 1 ص 217، 218.
(178) خليل طوطح : التربية عند العرب ص 8.
(179) ابن خلدون : المقدمة ص 538.

«فأهل المغرب مذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، فهم لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان يحذق فيه أو ينقطع دونه ، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، وأما أهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث» .

ومن المرجح ان القبائل العربية المستقرة بافريقية والمغرب تأثرت بطريقة التعليم السائدة في الدولة المستقرة بأرضها ونهج زعمائها ـ على الاقل ـ في تعليم أولادهم ، لحاجة القبيلة المستمرة الى الرديف لرئيسها والوزير والوكيل والكاتب والمفتى لمساعدة زعيمها على الحكم ويعزز هذا الرأى اسناد عرب بنى على للشيخ أبى محمد عبد الكريم بن اسماعيل الارنبى بالقيروان تعليم عشرة من أبنائهم يقرأ عليهم القرآن (179م) .

ويبدو أن هؤلاء الطلبة كانوا من مختلف بطون القبيلة اذ اننا نلاحظ مرور القبيلة على القيروان لزيارة اولادهم مما أخاف اهل المدينة نظرا لقرب طياب الزرع ، فطلبوا من الشيخ المذكور أبعاد العرب فخرج الطلبة لمقابلة ذويهم خارج المدينة وانتفعوا بما عندهم من زاد ، وعادوا للمدينة واجتاز بنو على تحت سورها وما ذكر أحد أنه أخذت له سنبلة (180) .

ويرجحه تاريخ حياة تعليم الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله ابن عياش العبيدلى، أصله من العرب وجاء الى القيروان كبيرا فتعلم العلم والقرآن وقرأ على الشيخ الرماح، وكان فقيها صالحا ناسكا ورعا مهابا، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ـ وبلغت درجة علمه ان اعتقد الناس فيه، وتتوب البوادى على يديه، ويحيط المريدون بزاويته (181).

وكذلك ظهور شعراء أصلهم من عرب بنى هلال بدويين مثل أبو

(179م) الانصارى : معالم الايمان حـ 4 ص 181، 182.

(180) الانصارى : معالم الايمان حـ 4 ص 182.

(181) الانصارى : معالم الايمان حـ 4 ص 121.

(182) ومن قصيدة كتب بها الى قومه :

يار جار طرفى غير هاجع ... والدمع من عينى هامع

ولقد أرقت مسامرا ... نجما بدا فى الشرق طالع

متذكرا بصروف دهر ... أصبحت فينا قواطع

العماد الاصفهانى الكاتب : خريدة القصر وجريدة العصر ص 139، 140.

ساكن عامر بن محمد بن عسكر الهلالى (182) . وابنه أبو عمران ساكن بن عامر الهلالى (183) .

وشعراء من عرب ذباب من سليم مثل فائد بن حريز من فرسان العرب المشاهير بافريقية، وله شعر متداول بينهم حتى القرن الثامن الهجرى يتسامرون بانشاده حتى وصفه ابن خلدون بأنه كان «فكاهة المجالس» (184) .

وبجانب الادلة السابقة فيكفى أن نشير الى الشيخ ونزمار بن عريف من أولاد عريف من عرب سويد الذي أتاح الفرصة للمؤرخ الكبير ابن خلدون لكتابة مقدمته الخالدة وتاريخه ، حيث انه استضافه وأهله اربعة سنوات بقلعة ابن سلامة التى اقطعته الدولة المرينية اياها

ويروى أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافرى قاضى قضاة كورة اشبيلية (468 ـ 543 هـ) ، ما حدث لاسرته ، خلال رحلتهم الى المشرق ، ففى افريقية ، اضطرب البحر وأرتفعت الاموج ، وأشرفوا على الغرق والهلاك ولكنهم تمكنوا من النجاة الى الساحل ثم يذكر : «وانتهينا بعد نطب طويل الى بيوت بنى كعب بن سليم فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا ، وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا ، وأكرم مثوانا ، وكسانا بأمر حقير ضعيف ، وفن من العلم طريف ، وشرحه أنا لما وقفنا على بابه الفيناه يدير اعواد الشاه (الشطرنج) ... فدنوت منه ... وسمح لى بيادقته اذ كنت من الصغر لا يسمح فيه للاغمار ، ووقفت بازائهم ، انظر الى تصرفهم من ورائهم ، ... ، فقلت للبيادقة : الامير اعلم من صاحبه ، فلمحونى شزرا ، وعظمت في اعينهم بعد ان كنت نزرا ، وتقدم الى الامير من نقل اليه الكلام، فاستدنانى فدنوت منه ، وسألنى : هل لى بما هم فيه بصر ؟ فقلت : لى فيه بعض نظر ، سيبدو لك ويظهر ، حرك تلك القطعة ففعل

(183) ومن شعره الرقيق :

اذا مر من أهوى أغض له طرفى	**وأخفى الذى بى من سقام ومن ضعف**
وأكتم عن سرى هواه صيانة	**ولو كان فى كتمانه أبدا حتفى**
مخافة أن يشكو فؤادى تحرقى	**الى مقلتى يوما فتبدى الذى أخفى**

العماد الاصفهانى الكاتب : خريدة القصر وجريدة العصر ص 139.

(184) أنظر ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 85.

وعارضه صاحبه ، فأمرته ان يحرك أخرى ، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى ، حتى هزمهم الامير ، وانقطع التدبير» .

ثم يروى ابو بكر انه خلال ذلك ترنم ابن عم الامير منشدا :

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه

وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى

فقال : لعن الله أبا الطيب ، أو يشك الرب ؟ فقلت له في الحال : ليس كما ظن صاحبك أيها الامير ، انما اراد بالرب ههنا الصاحب ، يقول : الذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال ، وبلوغ الغرض من الآمال ، على ريب ، فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله.

وأخذنا نضيف الى ذلك من الاغراض ، في طرفى الابرام والانتقاض، ما حرك منهم الى جهتى راعى الانتهاض ، وأقبلوا يتعجبون منى ويسألوننى كم سنى ، ويستكشفوننى عنى ، فبصرت لهم حديثى .. وأعلمت الامير بأن أبى معى فاستدعاه ، وقمنا الثلاثة الى مثواه ، فخلع علينا خلعه ، وأسبل علينا أدمعه ، وجاء كل خوان، بأفنان الالوان.

ومن النصوص السابقة يتضح الى أى مدى كانت ثقافة القبائل العربية بافريقية فالرياضة المفضلة لبعض زعمائهم كانت لعبة الشطرنج وهى رياضة ذهنية عالية المستوى كما نرى انهم يتناشدون الشعر لافضل شعراء العرب ويتناقشون حوله ، ويرفعون من مكانة العلم وأهله .

فأبى بكر بعد مبالغته ووصف ما نالهم من اكرام الزعيم العربى يقول : «فانظر الى هذا العلم الذى هو الى الجهل أقرب ، مع تلك الصبابة اليسيرة من الادب ، كيف أنقذا من العطب ؟» (185) .

---

(185) ابن خلدون : رحلته ص 228.
المقرى : نفح الطيب (احسان) جـ 2 ص 31 — 32 . أزهار الرياض جـ 3 ص 89 — 91

ثانيا : نزعات التصوف والاصلاح بين القبائل العربية

الى جانب المظهر الدنيوى الصاخب بالحروب والمنازعات والسلب والنهب الذى اتسمت به حياة القبائل العربية في المغرب ولا سيما بعد سقوط دولة الموحدين ، كان هناك مظهر آخر في حياة تلك القبائل وهو مظهر دينى اخلاقى تجلت صورته بوضوح في حياة بعض رؤسائها وأفرادها الذين كرسوا حياتهم على عمل الخير ونشر العلم والدين واغاثة الملهوف والمحتاج ومساعدة التجار والمسافرين ضد قطاع الطرق ، واقامة الزوايا والروابط والمساجد في مختلف أنحاء المغرب .

وهذه الحركة الصوفية الاصلاحية ربما جاءت في الاصل نتيجة لتلك النهضة الفلسفية التى ظهرت في المغرب والاندلس على أيدى خلفاء الموحدين الذين ناصروا العلوم الفلسفية واشتغل بعضهم بها مثل الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558 ـ 580 هـ) الذى كان يذكر ما قاله ارسطو وافلاطون وجميع الفلاسفة ويعرف ردود فلاسفة الاسلام عليهم . وقد برز في بلاطه عدد من كبار العلماء والفلاسفة الذين اثر انتاجهم فى التفكير الاسلامى والاوربى أمثال ابن طفيل وابن رشد . كذلك ظهر من الصوفية على عهد الموحدين أقطاب طار صيتهم في الآفاق أمثال : أبى مدين شعيب الاندلسى دفين تلمسان (ت 591 هـ) ومحيى الدين بن عربى الاندلسى دفين دمشق (ت 638 هـ) وابى الحسن الشاذلى (نسبة الى شاذلة قرية بتونس قيل انها مرناق) (توفى بالحجاز سنة 655 هـ) وعبد الحق ابن سبعين الذى سكن بجاية ثم رحل الى المشرق وجاور بمكة (ت 669 هـ)

وكان لهؤلاء الصوفية وغيرهم اتباع ومريدون ولكنهم لم يتمكنوا من التغلب على العامة أيام قوة نفوذ الدولة الموحدية . فلما سقطت الدولة وتفككت الى دويلات ضعيفة متنازعة علت كلمة الصوفية ولعبوا ادوارهم

مع العامة وتعددت مذاهبهم وفرقهم واختلط الامر بين المصلحين المخلصين وبين المارقين المضللين ، ومن ثم كان ظهور أمر الصوفية السنيين الذين عملوا على احياء السنة وتغيير المنكر وتأمين السبل ونشر العلم والدين ولقد استجابت بعض القبائل العربية لهذه النزعة الصوفية السنية واعتنق مبادئها بعض رؤسائها وأفرادها (186)٠ ومن أمثلة ذلك عرب بنى حكيم الذين ظهر منهم العابد الزاهد الشيخ أبو محمد عبد الجليل الحكيمى الذى استقر بجوار قرية زنزور ، وأهل هذه الجهة يعظمونه كثيرا ، وتوفى في 685 هـ / 1286 م بعد حياة فريدة وصلت الى مائة وعشرين سنة ومنهم أيضا أبو رحمة غيث بن قاسم الحكيمى ، وكان من شجعاء العرب فتاب على يدى الشيخ جميل الحبيبى ، وادى ما عليه من المظالم ومكن نفسه من القصاص» (187) ٠ ويروى أنه كان قد قطع يد رجل أثناء ضلاله فمشى اليه وحده وعليه مرقعه ، وسأل عنه فحضر فقال له أنا غيث ابن قاسم الذى قطعت يدك وجئتك لتقتص منى ففرح بذلك الرجل وجماعته وأوقدوا النار ٠ وأحضروا القطران لقطع يده ، وهو مستسلم لهم ما تحركت له شعرة ، ولا تغير لون وجهه ، وحينما لاحظوا هدوء نفسه عفوا عنه (188) ، وبنى دارا خارج القيروان وسكنها بأهله وبنى المسجد المعروف بمسجد الشيخ ابن عبد الرحمن الحبلى وبنى الناس من مريديه بجواره يمينا وشمالا حتى كثر الخلق بربضه محتمين بجواره وتوفى في 684 هـ / 1285 م واستمرت ذريته في الاستقرار بربضه وأقطعتهم الدولة من الارض للزراعة مالا يقدروا على تعميره دون معاونة مريدي الشيخ (189)

ومن عرب العمور أبو عيسى وهو الذى أنشأ زاوية اولاد سهيل ، وهى رابطة حصينة يحف بها شجر كثير من التين والرمان والخوخ وغير

(186) التجانى : رحلته ص 132، 212، 219، الانصارى : معالم الايمان حـ 4 ص 106، 118٠

(187) الانصارى : معالم الايمان حـ 4 ص 34٠

(188) الانصارى : معالم الايمان حـ 4 ص 35٠

(189) الانصارى : معالم حـ 4 ص 36 — 38٠

ذلك، ولها أرض متسعة تعرف بالسابرية (190) ، واشتهر أبو عيسى بالصلاح والاعتناء باكرام من يرد عليه وتوفى في 670 هـ / 1271 م ، وخلفه في اقامة رسم هذه الزاوية أبناؤه وهم ذوو علم صالحين سكنوا تلك الزاوية ، وعرب الدبابيون يقدرون لهم حق رباطهم وحق مشاركتهم في النسب، وحينما زار التجانى هذه الزاوية في أوائل القرن الثامن الهجرى رأى بمكتبتها كتبا كثيرة (191) .

وقد كان لابى عيسى مريدين وتلاميذ أشهرهم أحمدى من مرابطى العرب ، ابتنى مسجدا بموضع يعرف بسوانى خلف الله بالقرب من قابس ، وبجانب دوره الدينى عمل على فلاحة واستصلاح الاراضى المجاورة لزاويته (192) .

ويضيف ابن خلدون اليهم «عامر بن أبى يحيى بن يحيى ، شيخ أولاد يحيى بن سعيد بن بسيط بن شكر ، له فيهم ذكر وشهرة وكان ينتحل العبادة ، وحج ولقى بمصر شيخ الصوفية لعصره يوسف الكورانى ، وأخذ عنه ورجع الى قومه وعاهدهم على طريقته ونحلته» (193) .

ويلاحظ أن هذه النزعات الصوفية الاصلاحية لم تلبث ان أخذت تزداد انتشارا بمرور الوقت بين القبائل العربية ، فبعد ان كانت في بداية الامر قاصرة على بعض أفراد القبيلة وأهليهم ومريديهم ، اذا بها في القرن الثامن الهجرى تشمل رئيس القبيلة ومعه قبيلته التى تعاهده على اتباع طريقته ونحلته .

ومن عرب بنى عامر بن جابر ، عبد الله بن دياب بن أبى العز ابن صابر بن عسكر ابن حميد بن جارية ، كان شديد القسوة مشهورا هو وبنوه بربط البربر وتعذيبهم بالنار لاستخراج أموالهم ، أنشأ زاوية أولاد سنان بن عامر وكانت متسعة عديدة المبانى كثيرة الرجال والمريدين وهم أخوة وشاح ونائل ، وبجوار زاويتهم كان سوق العرب ومجمعهم حيث يباع مجتلبهم ومسوقهم (194) .

(190) من السابرى وهو التمر الطيب. أنظر المنجد ص 325، التجانى : رحلته ص 212.

(191) التجانى : رحلته ص 213.

(192) التجانى : رحلته ص 132 .

(193) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 25، 26.

(194) التجانى : رحلته ص 213.

ومنهم أبو السرور ميمون بن زيد الكرفاح الوايلى من عرب بنى وائل ، وكان مشهورا بالشجاعة والفروسية ولعب دورا كبيرا في حروب المستنصر الحفصى ، ولما تاب تتلمذ على أبى رحمة غيث بن قاسم الحكيمى ، وازدادت شهرته وعم صيته الآفاق (195) .

ومن عرب رياح ، الشيخ أبو عبد الله محمد بن شبل من زعماء عرب رياح كان عمه خنفر من الشيوخ الكبار لرياح ، كانوا ينزلون ببلد الحضرميين من عماله القيروان ، وكان سيفا لعمه على أعدائه ، وتاب وتوفى في 749 هـ / 1348 م (196) .

وفي أوائل القرن الثامن ظهر من رحمان من مسلم احدى شعوب رياح رجل يدعى سعادة ، كانت أمه من الصالحات مشهورة بالعبادة والورع ، فنشأ على الزهد ، وارتحل الى المغرب وتتلمذ على أبى اسحق التسولى شيخ الصالحين والفقهاء يومئذ ، فأخذ عنه وتفقه عليه ، ثم رجع الى وطن رياح وقومه بفقه صحيح وورع وافر ، وأقام بطولقه من بلاد الزاب ، وأنذر عشيرته وبث بينهم دعوته فأجابه خلق كثير بالزاب وريغ وكثير من البلدان فلقبهم بالسنية (197).

ومن مشاهير مريديه ومعاهديه على التزام طريقته من زعماء عرب الزواودة أبو يحيى بن أحمد شيخ بنى محرز ، عطية بن سليمان ابن سباع شيخ أولاد سباع ، عيسى بن يحيى بن ادريس شيخ اولاد ادريس وأولاد عساكر ، حسن بن سلامة شيخ اولاد طلحة ، ومن زعماء عرب زغبة ، هجرس بن على من أولاد يزيد ، ورجالات من العطاف فى كثير من أتباعهم (198) .

وبعد نجاح سعادة ومريديه في اقامة السنة وتغيير المنكر والقضاء على قطاع الطرق بالبوادى ودعوة من بها من القبائل العربية الى اتباع تعاليم الاسلام ، انتقلوا الى الامصار وولاتها ، فدعى سعادة أمير الزاب وبسكرة منصور بن فضل بن مزنى الى اعفاء رعيته من المغارم والضرائب تخفيفا عليهم من ناحية وتنفيذا لتعاليم الدين من ناحية اخرى ، ولكن

(195) الانصارى : معالم الايمان جـ 4 ص 106.
(196) الانصارى : معالم الايمان جـ 4 ص 118.
(197) ابن خلدون : المقدمة ص 329، العبر جـ 6 ص 38، الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 280.
(198) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 38، الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 289.

ابن مزنى رفض تنفيذ هذه المطالب، وعد سعادة ثائرا عليه، وحينما هم باغتيــاله حماه أعوانه من العـرب مما اضطر ابن مزنى لطلب المعونــة العسكرية من الامير الحفصى ببجاية ، فأمده بالعساكر اللازمة ، واستألف رؤســاء عـرب الزواودة في ذلك الوقـت على بن أحمد بن عمر بن محمد زعيم أولاد محمـد ، سليمان بن على بن سبـاع زعيم عرب أولاد يحيى وعاهدوه على مدافعه سعادة وأصحابه المرابطين ، وأوعز لاهل طولقه بالقبض على سعــادة ، ولكنه انسحب منها وابتنــى لنفسه وأعوانه زاوية بانحائهــا تحصــن فيهــا (199) .

وفي 703 هـ / 1303 م هاجم سعادة بسكرة عاصمة الزاب محاصرا ابن مزنى بها ، قاطعا نخيلها ومدمرا لانحائها ، وحينما امتنعت عليــه انسحب ليعاود حصارها في 704 هـ / 1304 م ، ولكنه لا ينجـــح في اقتحامها وفي 705 هـ / 1305 م جمع سعــادة ما بقى معه من المرابطيــن المتخلفين عن الناجعة – بعد هجرة مناصريه من القبائل العربية الـــى مشاتيها – وهاجم مليلى وحاصرها ، ففاجأته جيوش ابن مزنى وعساكره السلطانيــة ومحالفيه من عرب أولاد حرب من الزواودة ، وأوقعوا بـــه هزيمة منكرة ، قتل فيها ومعظم أنصاره من زعماء العرب (200) .

بلغت الهزيمة العرب بمشاتيهم ، فأسرعوا الى الزاب لينشـــروا الخراب في نواحيــه ويقطعوا نخيله ويقبضوا على عمال ابن مزنى بالقرى والمدن محرقين اياهم ، واستمرت هذه المواجهة بينهم وبين ابن مزنـــى طوال ثمــان سنوات الى أن حشـــد كل منهم مالديه من عتــاد ورجـــال وتقابلوا في 713 هـ / 1313 م فتمكن المرابطون من احراز النصر ، وقتـــل على بن منصـــور بن فضل بن مزنى ، وأســـر على بن أحمـــد زعيـــــم الزواودة (201) .

ازدادت مكانة السنية بعد هذا الانتصار ، ولكن بعد موت أبى يحيى ابن أحمـــد زعيم اولاد محرز وعيسى بن يحيى زعيم اولاد ادريس وعساكر – ويبدو أنهما كانا على دين وفقه – فاننا نجد السنية تتشاور بعد موتهما فيمن يقيمونه بينهم للفتيا والاحكام والعبادات فاستقر رأيهم على اختيار الفقيه أبى عبد الله محمد بن الازرق من فقهــاء مقــره فأنتقلت رئاسة

(199) ابن خلدون : العبر ﺟ 6 ص 38، الميلى : تاريخ الجزائر ﺟ 2 ص 290.
(200) ابن خلدون : العبر ﺟ 6 ص 38، 39، الميلى : تاريخ الجزائر ﺟ 2 ص 290
(201) ابن خلدون : ﺟ 6 ص 39، الميلى : ﺟ 2 ص 290.

السنيــة من عرب أولاد محــرز الى عرب أولاد طلحــة لنــزول الفقيـــه عليهم واقامتــه بينهــم (202).

ويبدو أن قوة السنية ازدادت وأصبحت، لها وزن في التأثير لتوجيه أحداث الزاب ، اذ اننا نرى حرص ملوك بنى عبد الــواد على الاحتفاظ بصــلات طيبة معهم ، فهم يبعثون اليهم بالجوائز خصوصا عند مهاجمتهم لاوطــان الحفصيين بافريقية ، وفي نفس الوقت حددوا مرتبــا سنويــا معلومــا لفقيهــم ابــن الازرق (203) .

ونتيجة لانقسام ريــاح حول تأييد السنية ومقاومتها وموت حسن ابن سلامة زعيم أولاد طلحة وأغراء يوسف بن مزنى لابن الازرق بالقدوم لبسكره وتولى قضائها ، انقرض أمــر السنية من رياح ، الى أن توفــى ابن الازرق وأراد الشيخ على بن أحمــد أحياء دعوتها - بعد تحالفه مع ابــن مزنى على مقاومتها - في 740 هـ / 1339 م ، ولكن ابن مزنــى تمكن من استرضائــه ومهادنته الــى أن توفــى .

وبقى من عقب سعادة في زاويته بنون وحفدة يرعاهم بنو مزنى ، وتعرف لهم اعراب الفلاة من ريــاح حق حمايتهم للمسافرين واجارتهــم المستضعفيــن (204) .

ورغم وصف ابن خلدون (205) لهؤلاء السنية من رياح بقوله :

«وبقى هؤلاء الزواودة ينزع بعضهم أحيانا الى اقامة هذه الدعــوة، فيأخذون بها أنفسهم غير متصفين من الدين والتعمق في انورع بما يناسبها ويقضى حقها ، بل يجعلونها ذريعة لاخذ الزكوات من الرعايا ، ويتظاهرون بتغييــر المنكــر» .

الا أن وجودها طوال أربعين سنة لهو دليــل على صدق القائمين بها وانها بذرة ، ان لم تنقصها التربة المناسبة فقد كانت ظروفها غيــر مواتيــة .

---

(202) ابــن خلدون : جـ 6 ص 39، الميلى : جـ 2 ص 290.
(203) ابــن خلدون : جـ 6 ص 39، الميلى : جـ 2 ص 290.
(204) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 39، الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 290.
(205) انظر ابــن خلدون : العبر جـ 6 ص 39، 40.

وصدق الميلى (206) في قوله :

«وهكذا حاولت اصلاح المجتمع رياح فذهبت مساعيها لاختلافها ادراج الرياح وكفى سعادة أنه ادى الواجب وفاز بالشهادة» .

وفي أواخر القرن الثامن الهجرى ظهر من رياح في صفاقص الشيخ ابراهيم بن فضل بن سباع من الزواودة الشهير بسيدى عقارب، وهو من أعراب البوادى أولاد صوله ، تاب وأخذ الطريق عن الشيخ سيد على العبدلى نزيل القيروان (207) .

ومن عرب سليم ظهر قاسم بن مرة بن أحمد في القرن السابع الهجرى ، وهو من كعب نشأ بينهم منتحلا للعبادة ، وتتلمذ على الشيخ أبى يوسف الدهانى (208) ، فأخذ عنه ولزمه ثم عاد الى قومه ملتزما طريقة شيخه في الورع والاخذ بالسنة ، وعرض نفسه على عشيرته من اولاد أحمد ليبايعوه ، وأن يقاتلوا معه لنشر دعوته فأشار عليه أولاد أبى الليل وكانوا من مريديه بأن يتجه بدعوته الى سائر قبائل سليم دون قومه ، حتى لا يقاوموه ويفسدوا دعوته (209) .

فألتف حوله الكثير من عرب البادية الذين التزموا طريقته والمرابطة معه ، وأطلق عليهم «الجنادرة» وبدأ بالدعوة الى اصلاح السابلة بالقيروان وبلاد الساحل ، فتتبع قطاع الطرق بالقتل، وهاجم مشاهيرهم في حصونهم واستباح دماءهم وأموالهم حتى خضع له عرب آل حصن وفرض السلام على طرق افريقية والقيروان . وبلاد الجريد ، فذاع ذكره وحقد عليه بنو مهلهل من قومه – ويبدو ان حقدهم هذا لمنافستهم أولاد أبى الليل – وسعوا فيه عند سلطان تونس ، زاعمين أن دعوته فرقت الجماعة الواحدة ، وتعمل ضد الدولة ، وأنهم أجمعوا على قتله ، فأغضى لهم السلطان فدعوه في بعض أيامهم الى المشاورة في شئونهم على عادة العرب ، واغتاله أحدهم (210) .

(206) الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 290.

(207) محمد البهلى النيال : الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامى ص 314.

(208) ولد بالبادية بقرية تسمى المسروقين وتتلمذ على أبى مدين بمدينة بجاية سنة 570 هـ. وأخذ عليه كثيرا من آداب التصوف وسلوك الطريق واستقر بالقيروان ولد فى 550 هـ. وتوفى سنة 621 هـ. أنظر محمد البهلى النيال : الحقيقة التاريخية ص 223

(209) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 81.

(210) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 81. والجنادرة كلمة فارسية تنى حرس الأمير.

تولى ابنه رافع الدعوة من بعـده ، ولكنه قتل في 706 هـ / 1306 م على يـد بعض رجالات آل حصـن .

استمر بنو أبى الليـل على الطلب بثـأر قاسم بن مرة (مرا) الى أن تولى رياستهم حمزة بن عمر بن أبى الليـل يشاركه اخوه مولاهم فتمكنا من القضاء على جميع زعماء أولاد مهلهل خلال اجتماعهم في سيدى حمـزة غدرا ولم يفلت من هذه المذبحة سوى طالب بن مهلهل لتخلفه عـن هذا الاجتماع ، ومنذ ذلك الحين ازدادت الفتنة بين الحيين وانقسمت بينهم باقـى أحيـاء سليـم (211) .

وفي القرن التاسع الهجرى ظهر الشيخ أحمد بن مخلوف ، وهو من أعـراب بنى هلال نشأ ببلد الشابة في 803 هـ / 1400 م . بالقرب من صفاقص ، ومنها انتقل الى مدينة تونس لطلب العلم ثم انتقل الـــى القيروان بعد سنوات، وأقام بجامع الدواز وكان فقيرا يتجرد ظاهرا وباطنا، ثم صار اماما في هذا الجامع ثم مؤدبا وتوفي في 887هـ./1482م. .

وبعده توارث أبناؤه وأحفاده المشيخة المعروفة «بالطريقة الشابية» فتولى بعده ابنه الشيخ محمد الكبير ، وتوفى بعد توليه الطريقة بثـلاث سنوات ـ 890هـ./1485م. ثم تلاه أخوه الشيخ سيدي عرفة المعروف بقبة ضريحه خارج سـور مدينـة القيروان (212) .

ويبدو أن الشابية كمذهب صوفى انتشرت في أنحاء بلاد افريقيـة والمغرب ، وشاركوا في ايقاظ الحركة الفكرية الدينية والصوفية بما الفـوه من كتب عن طريقتهم مثل كتاب «الفتح المنير في التعريف بالطريقة الشابية وما يربى بها الفقير» (213) . وما كتب في الـرد على طريقتهم مـــن معارضيهم ، حيث الف عمر بن محمد الكمـاد المعروف بالوزان القسنطينى كتابـا في الـرد على الطريقـة الشابيـة (214) .

وقد حاول الشابيون ـ بعد انتشار طريقتهم وازدياد اتباعهـم ـ تأسيس دولة متشبهين بالمرابطين والموحدين على أنقاض دولة الحفصيين

(211) ابن خلدون : العبر ح 6 ص 81.
(212) محمد البهلى النيال : الحقيقة التاريخية ص 281، 283.
(213) محمد البهلى النيال : الحقيقة التاريخية ص 281.
(214) محمد البلهى النيال : الحقيقة التاريخية ص 285، 286.

بتونس ، مستغلين الاضطرابات المتفشية بافريقية نتيجة للغزو الاسبانى والتدخل التركى ولكنهم فشلـوا (215) .

ثالثا : دورهم في ركب الحجيـج الـى مصـر :

اهتم المرينيون بركب حجاج المغرب حيث أنه كان همزة الوصل فى الصلات بين الدولة المرينية والدولة المملوكية بمصر ، ويعطينا ابن أبى زرع صورة هـذا الاهتمـام .

فبعد ذكره لوصول وفد الحجاج ورسل الملك الناصر محمـد ابـن قلاوون الى يوسف بن يعقوب المرينى أثناء حصاره تلمسان يقول (216).

«فأمر صلحاء المغرب بالمشى الى الحجاز ، وبعث معهم مصحفا مكللا بالجوهر والياقوت أهداه الى الكعبة ، وبعث أموالا كثيرة برسم التفريق على أهل مكـة والمدينة ، وبعث الى الملك الناصر أربعمائة جواد مـن عتاق الخيل بجهازاتها».

ويضيف ابن خلدون والسلاوى أنه نظرا لاهمية الركب وتجهيزه فقد «بعث معهم حامية من زناتة تناهـز خمسمائة فارس من الابطال ، وعقـد على ولايتهم لابى زيـد الغفـارى» (217) .

ويبدو أن شيوخ القبائل العربية بالمغرب كثيـرا ما صاحبت الركب سواء كان ذلك بغرض الحج أو لمصاحبة احدى أميرات الدولة المرينية ، خصوصا زوجات الخلفاء العربيات ، فقد صاحب الركب الشيخ عريف ابن يحيى امير عرب سويـد وعطية بن مهلهل بن يحيى زعيم عـرب الخلـط حينما أرادت زوجة السلطان عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الحج (218).

---

(215) انظر نهاية الدولة الحفصية ودور العرب فيه بالرسالة .
(216) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 268، الانصارى : معالم الايمـان حـ 4 ص 63.
(217) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 226، 227، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 83
(218) ابـن خلدون : العبر حـ 7 ص 265، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 127.

ويعطينا أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه «المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن» بيان مفصل للمبالغ التي تصرف على الركب فيقول (219) :

بعد استعراض هدية أبي الحسن للملك الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر من الاحجار الكريمة والثياب وآلات الركوب والعدد .

«وما وجه به معهم برسم الصدقة والحبس للحرة مريم (أم أخته ام ولد ابيه) ثلاثة آلاف وستمائة دينار من الذهب وكسى وبغلات . ولابى زيان عريف بن يحيى الف دينار من الذهب وكسوة ، وللقاضى أبى اسحاق ابراهيم بن أبى يحيى ثلاثمائة دينار من الذهب وكسوة ، ولعثمان بن سليمان من اولاد حمامة مائة وخمسون دينار ذهبا وكسوة. ولاولاد مهلهل ابن عطية ثلاثمائة دينار من الذهب وهما اثنان . ولعبد الرحمن ابن القاضى المليلى خمسون دينارا ذهبا وكسوة . وللمزواد عبد الله بن قاسم اربعمائة دينار من الذهب وكسوة . ولابن جميلة خمسون دينارا ذهبا وكسوة . ولقائد الركب حسون بن عمران اربعمائة دينار ذهبا وكسوة . ولابى عبد الله محمد بن يوسف ابن سيد الناس مائة دينار ذهبا وكسوة . وليوسف بن عبلة المدعو بيشو ستون دينارا ذهبا . ولا أذكر ما دفعه لشيخ الركب ، وهو أحمد بن يوسف بن أبى محمد بن صالح نفع الله بهم. ولسائر الحجاج خمسمائة وخمسة وتسعون دينارا ذهبا ، وبرسم العطاء للعرب في الطرقات ثلاثة آلاف دينار من الذهب ومن الكسى مائتان وللنسوة اللائى سافرن مع الحرة ستمائة وسبعون دينارا ذهبا ، ولسليمان بن أبى بكر العسكرى مائة وخمسون ، وبرسم الصدقة وشراء الاملاك ستة عشر الف دينار من الذهب وخمسمائة دينار من الفضة» .

(219) أنرظ محمد بن مرزوق : المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا ابى الحسن ص 453 — 454 — السلاوى الاستقصا حـ 3 ص 128، المقرى : نفح الطيب حـ 6 ص 138.

ويتضح من النص السابق أن عدد الحجاج كان من الكثرة مما استوجب معه تعيين قاضى وقائد وشيخ للركب هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يوضح لنا العطاء المحدد للعرب ان الركب رغم كثرته وحاميته من زناتة كان طوال الطريق في الحماية الفعلية لمن صاحبه من القبائل العربية والمستقرة على جانبى الطريق عبر بلاد المغرب يضاف الى ذلك أن تواجد زعماء من العرب بالركب لابد وأن يستتبعه مرافقة فرسان قبائلهم ورجال عصباتهم لحمايتهم بصفة شخصية.

ويبدو أن حجاج المغرب الاوسط وافريقية كانوا ينتظرون ركب حجاج المغرب لينضموا اليه ، وبالتالى كان يتجمع بالركب سنويا نخبة من فرسان عرب المغرب وكذا المغرب الاوسط ثم افريقية، وهذا يفسر لنا وصول الركب سالما الى مصر رغم مروره بمناطق استقرار القبائل العربية ببلاد المغرب ، وما يحمله من هدايا وأموال يسيل لها لعاب قطاع الطريق والمفسدين منهم ، بل وكان الركب في كثير من الاحيان ينعم بكرم وحماية هذه القبائل (220) .

في الوقت الذى نعم فيه ركب الحجاج بالحماية نتيجة لما سبق ايضاحه ، نجد أن السفارات ما بين المغرب ومصر والتى يقوم بها المصريون لم تحظ بمثل هذا الامان ، فعندما أعاد بنو مرين سفارة الملك الناصر بمصر بهدية قيمة الى بلادهم اعترضتهم العرب في الطريق بوطن بنى حسن من بلاد بجاية وانتهبوهم وخلصوا الى مصر بالكاد بأرواحهم (221) ، ويبدو أن الذين نهبوهم من عرب حصين بتوجيه من أبى حمو صاحب تلمسان ، لانهم حينما مروا عليه حذرهم من «غوائل الاعراب فكان جوابهم انهم في حماية ملك المغرب يحسبون ان امره نافذ في (صحراء المغرب الاوسط)» (222) .

---

(220) أنظر التجانى : رحلته ص 179، 211 – 220.
(221) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 227، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص84.
(222) ابـن خلدون : العبر حـ 7 ص 227، 228.

ونتيجة لذلك فلم يعاود المماليك بعدها «الى المغرب سفرا ولا لفتوا اليه وجها ، وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئا» (223) .

وبينما نلاحظ أن السفارات التى يرأسها أمراء العرب من المغرب لا تلاقى نفس المصير فحينما كان الشيخ يوسف بن على بن غانم أمير عرب أولاد حسين من المعقل يحج في 793 هـ / 1391 م ، اتصل بالملك الظاهر برقوق ـ بمعاونه المؤرخ ابن خلدون الذى استقر بالقاهرة بعد انتقاله اليها من المغرب ـ فحمله هدية الى السلطان أبى العباس أحمد المستنصر المرينى بلغ من عظيم قيمتها أنه جلس لعرضها والمباهاة بها ، وأصدر تعليماته لتجهيز مقابلها من فخير الجياد والبضائع والثياب لارسالها رفقة يوسف بن على (224) .

رابعا : دورهم في تعريب المغرب ونشر الثقافة العربية ببلاد السودان

انتشر العرب خلال الغزوات المتتابعة والتى تميزت بظاهرة المد والجزر في خلال القرن الاول الهجرى ، وأثرت هذه الغزوات في بلاد المغرب ، وبعد انتقال ادارة بلاد المغرب المفتوحة الى الادارة الاموية ، ظهرت خلافات القبائل العربية والعصبية القبلية وبداية استقرارها في خلال القرن الثانى الهجري، ثم ظهرت الولايات العربية المستقلة في القرن الثالث الهجرى ، ففى اقصى المغرب ظهر الادارسة العلويون في فاس ، والمغرب الاقصى ، وفي الريف ظهر بنو صالح الحميريون ، وفي افريقية ظهر بنو الاغلب وشيعتهم من بنى تميم ، وفي النصف الاول من القرن الرابع الهجرى ورث الفاطميون بالمغرب هذه الممالك المستقلة ومناصريهم من بنى حمدون الجذاميين بالمسيلة والزاب الى أن آلت الامور في منتصف القرن الخامس الهجرى الى القبائل العربية من هلال وسليم والمعقل (225) .

نجحت هذه القبائل في نشر اللغة العربية والاسلام في جميع أنحاء المغرب ، لاتفاق أساليب حياتهم وتجانسها مع الحياة البربرية في السهول

(223) ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 227، السلاوى : الاستقصا حـ 3 ص 84.
(224) ابن خلدون : العبر حـ7 ص 148، السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 140.
(225) أنظر الباب الاول من الرسالة .

والجبال ، فقد كان العرب والبربر شعوبا بدوية رعوية أو شبه رعوية ، تمتطي ظهور الابل والخيل ، مما سهل امتزاج العنصرين حيث تكون جنس خليط واستعرب البربر ، وتوغلت اللغة العربية بين البدو من البرابرة بعد أن كانت قليلة الانتشار بينهم ، وساعد على ذلك نقل يعقوب المنصور بعض هذه القبائل الى المغرب وأنزلهم ببلاد تامسنا (226) .

كان عبد المؤمن أول من عمل على جلب العرب من افريقية ، وقد اقتفى أثره ولده أبو يعقوب يوسف وحذى حذوهم يعقوب المنصور ولد يوسف وحفيد عبد المؤمن ، فقد أدخل العرب للمغرب ولكن يقال أنه ندم على ذلك ، ويناقش محقق ابن صاحب الصلاة نقل العرب الى المغرب بقوله : «ومن المهم أن نعرف أن هناك فرقا بين تصرف عبد المؤمن وولده من جهة وتصرف الحفيد من جهة أخرى فالاولان كان جلبهما للعرب تقربا وتألفا بينما كان عمل الثالث بدافع ارادة تغريبهم وعقابهم بسبب تأييدهم لبني غانية (227) .

فاذا علمنا أن هذه المنطقة ـ تامسنا ـ كانت مسرحا لقيام دولة برغواطة الخارجة عن الاسلام ، زمنا طويلا الى أن قضت عليها دولة المرابطين في 499 هـ / 1057 م (228) ، فمن المرجح ان بقايا أشياعها استمروا على ديانتهم هذه ، فقد ذكر ابن الخطيب أنه في خلال القرن الثامن الهجرى ما زالت بقاياهم موجودة بقوله «وقبيلهم اليوم قبيل ضعيف لعب سيف اللثمين فيهم ثم سيف المهدى بعده» ، ونقل يعقوب المنصور للعرب من افريقية الى هذه المنطقة كان سلاحا ذو حدين ، أحدهما يتفق مع العقاب والثانى قد يكون هدفه نشر الاسلام في هذه البلاد الخارجة .

بجانب نجاح قبائل المعقل في الاستيلاء على شرق الريف في القرن السابع الهجرى فقد مكنهم ذلك من لعب دور اجتماعى وجنسى بين قبائله البربرية ، وتمكنت اللغة العربية من غزو المغرب الاقصى حتى قال الفرد بل في كتابه حول البربر وديانتهم «ان رجال البربر أصبحوا اليوم كلهم

(226) عبد العزيز بنعبد الله : معطيات الحضارة المغربية حـ 1 ص 60.

(227) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 173، 209، ابن أبى زرع : القرطاس ص 164. السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 150 — 151.

(228) مجهول : الاستبصار ص 197.

(229) ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص 187، عن عبد العزيز بنعبد الله: معطيات الحضارة المغربية حـ 1 ص 60.

يتقنــون اللغة العربية في الجبال الاطلسية لاسيما منها الناحية الشرقية» (229) . بل وتعدى التأثير لهذه القبائل اللهجات الدارجة للقبائل البربرية حتى قيل ان اللغــة الدارجة المغربية تعتبر أفصح اللهجات العربية (230).

ورغم انه منذ القــرن الخامس الهجرى الى القرن العاشر قد تداولت بــلاد المغرب ست دول كبرى : بنو حمــاد ، المرابطـــون ، الموحـــدون ، الحفصيون ، بنو مرين وبنو زيــان وسمى عصرهم بالعصر البربرى . فقد علق الميلى على ذلك بقوله : «وقد شــاء الله أن يكون للعرب وجود جنسي في عصر البربــر السياسى ، كما كان للبــربر وجود جنسى في عصر العرب السياسى غير أن بين الموجودين فرقــا فان العــرب مؤثرون في البربر في العصر العربى سياسيــا ودينيا وفي العصر البربرى اجتماعيا واقتصاديــا وسياسيــا أيضــا» (231) .

ويضاف الى عامل طبيعة القبائل العربية واتفاقها مع اخوانهم البربر، طبيعة الارض التى انتشر فيها الاسلام ، وتسربت اليها جموع البدو مــن القبائل العربية ، فقد كانت هذه البلاد تحيط بالصحراء الكبرى شمالا فى المنطقــة الممتدة من حدود مصر الغربية حتى المحيــط الاطلسى ، وجنوبا في النطــاق الرعوى الذى يحيط بهــذه الصحراء من الجنوب من مصب نهــر السنغــال حتى السودان (232) .

ويلاحظ أن القبائل العربية قد تسربت الى غربى القارة الافريقية عن طريقين هما الاول : الطريق الساحلى عبر حوض السنغال وهو الطريق الذى سبــق أن سلكــه المرابطــون .

والثانى : طريق التجارة الذى يبدأ من افريقية الشمالية متجهــا صوب الجنوب عبر واحات الصحراء الى المدن الكبرى في السودان (233).

فقد سيطر عرب ذوى حسان على الطريق الاول بعد أن غزوا قبيلــة كزولة ، وتمكن الشبانات منهم من فرض ارادتهم على زكرز ولخس من

(230) أنظر مقــالة ابراهيم بركات : الدارجة المغربية أفصح اللهجات العربية — مجلة اللســان العربى العدد الرابع سنة 1966 ص 33.
(231) الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 168.
(232) حسن ابراهيم حسن : انتشــار الاسلام فى القارة الافريقية ص 9، 10.
(233) عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية ص 50، حســن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ص 11.

قبيلة لمطة ، وصيروهم تابعين لهم وفرضوا الضرائب عليهم ، واستوطنوا أوطان السوس مثل تارودانت ونول الى مصب وادى ماسة والى زوايا أولاد بنى النعمان الى الساقية الحمراء ، وهى منتهى مجالات عرب المعقل في مشايتهم ، وفي نفس الوقت استوطن أولاد حسين من ذوى منصور وادى درعة في المنطقة الممتدة من نول الى ودان، وأصبحت القبائل العربية من المعقل تنتجع الرمال الى مواطن الملثمين من لمتونة ومسوفة وكدالة (جدالة) الى نهر السنغال (234) .

وهكذا كانت مدن اوليل وادرار واودغشت من مجالاتهم ، خصوصا وأنها الابواب المباشرة على تجارة السودان الغنية (235) .

وبعد استيلاء أبو الحسن المرينى على المغرب الاوسط في 737 هـ / 1337 م وشاع ذكره في البلاد المجاورة أرسل اليه السلطان منسا موسى بن أبى بكر أعظم ملوك السودان (مالى) هدية ليدعم صلته به ، وعندما أراد أبو الحسن أن يعيد الوفد بهديته الى صاحب مالى وضعهم تحت حماية عرب الفلاة أولاد جرار من المعقل برياسة أميرهم على ابن غانم ، فصحبوهم في القفر حتى أوصلوهم الى مملكة مالى ، وعادوا الى المغرب (236) . وحينما وصلت هدية السلطان منساطة من ملوكهم في 762 هـ / 1360 م ردا على هدية السلطان أبى الحسن ، استقبلها أبو سالم (متولى حكم المغرب في هذا الوقت) وأكرم وفدهم ولكنه قتل قبل عودتهم الى بلادهم مما اضطرهم الى العودة، فلحقوا بذوى حسان عرب السوس من بنى معقل حتى يتمكنوا من الوصول الى بلادهم (237) .

ويبدو أن ملوك السودان اشتركوا في الصراع الدائر بين القبائل العربية حول الاستبداد بقصور الصحراء وفرض السيطرة عليها (238) .

وسيطرت مختلف القبائل العربية بالمغرب على الطريق الثانى الخاص بواحات الصحراء ، ففى الجزء الاول منه سيطر الزواودة من رياح على

(234) ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 58، 67 — 70، 274.
(235) أنظر البكرى : المغرب ص 167، القلقشندى : صبح الاعشى جـ 5 ص 172، محمد عبد الهادى شعيرة : المرابطون ص 22.
(236) محمد بن مرزوق : المسند الصحيح ص 452، 454. ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 201، جـ 7 ص 226، السلاوى : الاستقصا جـ 3 ص 151، 152.
(237) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 310، 311، السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 120
(238) أنظر ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 200، 201.

مجالات الزاب وريغ وواركلا وما وراءها من القفار، واشترك معهم بنو عامر بن زغبة لقطعهم العرق الرملى ونزولهم قليعة ، أما بالنسبة للجزء الثانى منه فقد ورث عرب المعقل قصور زناتة بالصحراء بعد ان طردوها الى الساحل وفرضوا عليها الاتاوات ، وهذه القصور مثل توات وجودة وتمنطيت وتيكورارين (239) ، وكل واحد من هذه القصور وطن منفرد، يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار ، وهذه القصور يصفها ابن خلدون بأنها : «رقاب القفر الى بلد السودان» (240) .

لذلك فقد كانت لامارة بسكرة العربية مواصلات تجارية مع أهالى السودان وما حولها من الاوطان (241) ، ويبدو ان العلاقات تعدت المرحلة التجارية الى غيرها من العلاقات الثقافية والسياسية ، اذ يصف هذه العلاقات ابن خلدون عند تناوله لملكة الكانم بقوله (242) : «وهم خلق عظيم والاسلام غالب عليهم .. ولهم التغلب على بلاد الصحراء الى فزان وكانت لهم مهادنة مع الدولة الحفصية» .

والاسلام قديم في السودان الغربى والاوسط ، ولم يكن المرابطون الذين قاموا بنشر الدعوة الاسلامية في القرن الخامس الهجرى هم الذين ادخلوا الاسلام في تلك البلاد لاول مرة بل ان حركتهم ادت الى ازدياد عدد الداخلين في الاسلام .

فالصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الازمنة السحيقة بين بلاد السودان وبلاد البحر المتوسط ، وقد كثرت هجرة المسلمين بعد ظهور الاسلام من العرب والبربر الى بلاد السودان منذ الفتح الاسلامى لمصر وشمال افريقية ، ولقد احتكر التجار المسلمون الاتصال ببلاد السودان لاسباب دينية وتجارية، واستقرت اعداد كبيرة منهم في تلك البلاد (243) .

وهناك أكثر من دليل على قدم الاسلام في بلاد السودان ، فقد ذكر البكرى أن بنى أمية أرسلوا جيشا اسلاميا لفتح بلاد السودان في صدر

(239) كانت مركزا تجاريا هاما تنزله القوافل التى تأتى من السودان الى المغرب والتى تذهب من المغرب الى السودان. أنظر يحيى بن خلدون : بغية الرواد حـ 2 ص 261، ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 59، 61، رحلته ص 217.

(240) أنظر ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 33، 57، 59، 61.

(241) الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 292.

(242) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 199.

(243) ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص 41، دولة مالى الاسلامية ص 48، 168.

الاسلام ، واستقرت ذرية هذا الجيش في بلاد غانة ، وعبارة البكرى (244) : «وببلاد غانة قوم يسمون بالهنيهين من ذرية الجيش الذى كان بنوامية انفذوه الى غانة في صدر الاسلام وهم على دين أهل غانة الا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض الالوان حسان الوجوه» .

ومجرد ملاحظة نمو القسم الاسلامى في عاصمة غانة ووجود اثنى عشر مسجدا لهو دليل واضح على ازدياد عدد العرب المهاجرين ، وتمتعهم باحترام واضح من قبل الملوك الوثنيين ، وأكثر من هذا أقام الملك الوثنى مسجدا في الحى الوثنى من العاصمة وهو «الغابة» ، لكى يؤدى فيه المسلمون الوافدون عليه شعائر دينهم (245) .

فقد وصف البكرى مدينة أودغست واحتلال المرابطين لها وسببهم نساء أهلها من العرب بقوله (246) : «بلد قايم العمارة .. كان منزل ملك السودان المسمى بغانة ، قبل أن تدخل العرب غانة .. ، وكان يسكن هذه المدينة زناتة مع العرب، وكانوا متباغضين متدابرين ، وكانت لهم أموال عظيمة ورقيق كثير ، كان للرجل منهم ألف خادم وأكثر ، فاستباح المرابطون حريمها ، وجعلوا جميع ما أصابوا فيها فيئا ، وقتل فيها عبد الله بن ياسين رجلا من العرب المولدين من أهل القيروان معلوما بالورع والصلاح وتلاوة القرآن وحج البيت .. ، وانما نقموا (المرابطون) عليهم (العرب) انهم كانوا تحت طاعة صاحب غانة وحكمه» .

ويبدو أن انتشار العرب في باقى مدن غانة كان بصفتهم تجارا ، فقد كان لهم جالية في بلدة سامة وغياروا من غانة (247) .

---

(244) البكرى : المغرب ص 179، ويضيف مؤلف الاستبصار بأنهم قد يسمون بالهسس وهم يزعمون أنهم من ذرية الحسين، الاستبصار ص 222، ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة ص 43.

(245) البكرى : المغرب ص 75، ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة ص 45.

(246) لبكرى : المغرب ص 168.

(247) البكرى : المغرب ص 178، مجهول : الاستبصار ص 221.

وكذلك يزعم اهل الكانم أنه يعيش بينهم قوم من بنى أمية صاروا الى بلادهم عند محنتهم بالعباسيين ، وهم على زى العرب وأحوالهم (248) وقد أسلم أهلها بعد 500 هـ / 1106 م (249) .

وفي عصر الموحدين تسرب الهلاليون الى الصحراء حيث نمت اللغة العربية وازدهرت ، وبعد ذلك بقرون تبعتهم قبائل بنى سليم في هذه الاقاليم ، ومن هذه القبائل الطرود ، ومن بنى هلال أولاد سيدى الشيخ وأولاد جرير .

وفي المغرب الاقصى نجحت قبائل بنى حسان من المعقل في الاستقرار جنوب الساقية الحمراء ، حيث يعرفون الآن بالقبائل الموريطانية (250).

ومن المرجح أن ذلك قد ساعد على نشر الاسلام في بلاد السودان الغربى والاوسط حتى قال ابن خلدون (251) : «ومثل أهل مالى وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال أنهم دانوا به في المائة السابعة» وازدهرت الحضارة العربية بين دولة فيما بين القرن السادس الهجرى والحادى عشر (252) .

ونهضت في القرن التاسع الهجرى دعوة انبثقت من منطقة الساقية الحمراء ، وغيرت تماما من موقف البربر من الاسلام ، وكانت تهدف هذه الحركة الى تأليف مجموعات من القبائل تعتمد على التنظيم الدينى ، مما جعلها تعتبر نفسها طبقة ارستقراطية تعويضا عن فقدانها الحرية السياسية ، وأكثر من ذلك نادت هذه القبائل بتجنب استخدام الاسلحة وأعترف بهم كفروع من القبائل العربية (253) .

على أنه كانت هناك قبيلة عربية واحدة كان لها أثر عظيم فى اسلام الزنوج ، في منطقة جنوب الصحراء ومنطقة النيجر الوسطى، وتلك هى قبيلة كونتا التى هاجرت في القرن التاسع الهجرى من مواطنها في توات T wat الى أطراف تمبكتو ، ومع مرور الزمن

(248) البكرى : المغرب ص 11، عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية ص 175.
(249) مجهول : الاستبصار ص 146.
(250) عبد العزيز بنعبد الله : معطيات الحضارة المغربية جـ 1 ص 22، 23.
(251) ابن خلدون : المقدمة ص 83.
(252) عبد الرحمن زكى : حركة الاصلاح الدينى فى غربى افريقية ص 139.
(253) عبد الرحمن زكى : حركة الاصلاح الدينى فى غربى افريقية ص 141.

انصهرت هذه القبيلة العربية الاصل وأصبحت قبيلة مغربية تدين اليهـا الطريقة القادرية بانتشارها في غرب افريقيـا (254) .

وهذا يفسر لنا انتساب ملوك بلاد السودان الى العرب وادعائهم أنهم من نسلهم، فملك البرنو يزعم أنه من ذرية سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، وفي روايـة اخرى أنه من قريش وقد أدعى الهادى العثمانى ملك بـلاد الكانم وأول من بـث الاسلام بها انه من نسل عثمان بن عفان ، وادعـى خلفاؤه أنهم من العلويين أو اليزنيين واعتنقوا المذهب الشافعى ، أما ملك مالى (التكرور) فيدعى أنه من نسـل عبد الله بن الحسـن ابن على ابـن أبى طالـب وتأثـر أهلها بالقبائـل العربية ، فلباسهم عمائـم بحنك مثل المغرب ، ويركبون بالسروج غالبا كأنهم من العرب ويجلبون الخيول العـراب من دول الشمال الافريقى ويتغالون في أثمانها (255).

وكانت اللغة العربية هى لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد ، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة في التبادل التجارى والمكاتبات، واحتلت هذه اللغة في بـلاد السودان الغربى والاوسط المكانه التى احتلتها اللغـة اللاتينية في أوربـا في العصور الوسطى ، بل زادت عليها اذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة الدين والثقافة حتى في العهد الاستعمارى، بل وشهـد بعـض المستكشفين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة بـأن المام سكـان غـرب افريقيا باللغة العربيـة يفـوق المـام اوربا باللغـة اللاتينيـة في العصـر الوسيـط (256) .

ولقد قامت على انقـاض بلاد السودان الغربى دولة شنجيـط أو موريتانيـا ، وهى همزة الوصل بين بـلاد السودان وشمال افريقيـة وسكانها خليط من العرب والبربر والزنـوج ، ولكن الدماء العربية تغلـب

---

(254) العمرى : مسالك الممالك مخطوط حـ 2 ق 3ص 491، أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص 277، حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ص 43، عبد الرحمن زكى : حركة الاصلاح ص 141، تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية ص 52.

(255) الادريسى : نزهة المشتاق ص 6، القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 281، 287، 599، حـ 8 ص 7، 9، 10، ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية

(256) ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص 82، دولة مالى الاسلامية ص49، عبدالرحمن زكى : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافرقيا الغربية ص74، 123 ص 153، 154.

عليهم حتى أنهم يسمون بالبيض أو البيضان وألوانهم فاتحة ، واللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة ، وتضم دولة موريتانيا معظم الجزء الشمالى الغربى من امبراطورية غانة القديمة بما فيها المدن الهامة : كومى صالح وولاته ونيمة وأودغست وغيرها (257) .

(257) محمد بن ماء العينين الادريسى : الجأش الربيط ص 11.
أحمد مختار العبادى : الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ص 48.
ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة ص 88.

الفصـــل الثـــالث

دور القبائل العربية فى النواحى الادارية والعسكرية

أولا : دورهم في النواحــي الاداريــة :

بعد أن تمكنت القبائل العربية من هزيمة قبائل صنهاجة وزناتة بافريقيــة استولت على السهول ، ورغم عدم تأسيسهم لملك ببلاد المغرب الا أنهم نجحوا في اقامة بعض الجمهوريات والامارات العربية الصغيــرة المستقلة في بعض مدن افريقية والــزاب وبــلاد الجريد .

مثل بنو جامــع من رياح بمدينة قابس ، وبنو الورد من لخم ببنزرت تحت حماية قبــائل مقدم من الاثبج، ودهمان من ريــاح، وبنو عــلال وغنوس بطبرقة ، وبنــو خليفة اللخميون برقطون ، ومع انتشار نفــوذ الموحدين من المغرب الاقصى الى افريقية قضى على هذه الامارات المستقلة ومن بقى منهــا دخل في طاعتهم .

وأشهر هذه الامارات بافريقية امارة بنى جامع من دهمان من بنى على احــدى بطــون رياح ، نجحوا في جعل قابس حاضرة صغيرة منظمة

(258) ، يقصدها الشعراء لمدح امرائها ورجال حاشيتهم في المناسبات والاعياد (259) .

وكذلك مدح أبو الفضل بن الفقيه عبد الله بن نزار الهوارى الامير محمد بن رشيد الهلالى أخا مدافع شاكرا كرمه ، وقد انتقل الى خدمة الموحدين بعد سيطرتهم على افريقية (260) .

ويبدو أن بعض أمراء بنى جامع انتقلوا من قابس الى دمشق في بداية الدولة الموحدية ، وكانوا دائبى الحنين الى امارتهم وقومهم، ومنهم أبو ساكن عامر بن محمد بن عسكر الهلالى الذى كتب لقومه بافريقية قصيدة يذكر بها كيف قامت امارة بنى جامع وازدهرت منها (261) :

ولقد ملكنا قابسا ... بالمشرفيات القواطع
تسعين عاما لم يكن ... خلق لنا فيها منازع
كم من عزيز كان يا ... تى نحونا بالرغم خاضع
كم قاصد أو طالب ... لنوالنا يأتيه طامع
واذا شهدنا مجمعا ... يوما الينا بالاصابع
فى كل يوم عروبة ... تدعو لنا زمر الجوامع
عبثت بنا أيدى الزما ... ن واحدثت فينا البدائع

---

(258) انظر هجرة القبائل الهلالية الى المغرب بالباب الاول من الرسالة.

(259) فقد مدح ابن فرحان القابس جليس ووزير أميرها مدافع يهنئه بشهر رمضان بقصيدة منها :

وكم كتمت الهوى جهدى فنم به ... دمعى وما زال دمع العين نماما
دى حططت رحالى فى ذرى ملك ... غمر المواهب للقصاد بساما
هنىء مدافع ان الله خوله ... عزا ينال به كل الذى راما
قم فاتح الارض فالاملاك كلهم ... سواك أضحوا عن العلياء نواما

وكذلك يحيى بن التيفاشى القفصى جذبته قابس بثقلها الحضارى والاجتماعى فسكن بها ومدح مدافع بقوله :

كأن محياه (المدافع) قد بدا ... بغرته فى النقع يسطو بها قهرا
ولولاك ما اوحشت أهلى والحمى ... ولا أصبحت يوما يدى منهم صفرا
فلى مهجة تهفو بقابس لوعة ... وقلب اذا فارقتها يألف الضرا

وكذلك مدح السكدلى من أهل قفصة مدافع يهنئه بعيد النحر من قصيدته يصف قابس:

منازل ساداتى ومغنى احبتى ... وموضع أطرابى وخير مواضعى
لقد ملكت روحى كما ملك العلا ... وحاز الندى جود المليك (المدافع)

أنظر العماد الاصفهانى الكاتب : خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب ﺣ 1 ص 123 — 125، 127، 129.

(260) العماد الاصفهانى : خريدة القصر ص 125، 126.

(261) العماد الاصفهانى : خريدة القصر، شعراء المغرب ﺣ 1 ص 137 — 140.

وفي نفس الوقت نجح بنو فادع من على من هلال في الاستيلاء على سوسة وتكوين امارة مستقلة وأشهر امرائهم جبارة بن كامل ابن سرحان بن أبى العينين الفادعى العلوى الهلالى ، مدحه الشعراء منهم الشيخ أبو الحسين بن الصبان المهدوى (262) والتراب السوسى ، وقد أولعت القبائل العربية بافريقية بانشاء وترديد قصيدته في مدح جبارة (263) طوال القرون التالية ، رغم أن عدد أبيات القصيدة بلغت مائة وسبعة وثلاثين بيتا (264) . ويدل هذا على مكانة بنى فادع وتأثيرهم في حضارة سوسة من ناحية وما في القصيدة من انعكاس لضمير القبيلة العربية من ناحية أخرى ، مما أدى الى ولع العرب بترديدها طوال هذه الفترة .

وبعد انتقال مقاليد حكم افريقية للدولة الحفصية ظهرت بعض الامارات العربية مثل بنو مزنى ببسكرة والزاب وامارات بلاد الجريد ، بنو يملول بتوزر ، بنو العابد بقفصة ، بنو الخلف بنفطة ولقد أفلحت هذه الامارات بالاحتفاظ باستقلالها الذاتى بفضل موقعها المنعزل من ناحية ، وبفضل القبائل العربية التى ناصرتها من ناحية أخرى ، معترفة صوريا بسلطان الدولة الحفصية تصانعها وتدفع عنها غضبها بدفع الجبايات (265) .

وأهم هذه الامارات ، امارة بنو مزنى من الاثبج ببسكرة والزاب.

وبعد نجاح منصور بن فضل بن على في تثبيت امارته ببسكرة ، وتنظيم ادارتها ، وتوفير جبايتها للسلطان ، اضافت الدولة الى امارته

(262) من شعره فى مدح جبارة :

أعدوا الجمال ليوم الرحيل ... فزدت اشتياقا وزادت جمالا
وبين السجوف هلالية ... تحل النقاب فتبدى الهلالا
من البدويات تهوى البروق ... اذا هبت الريح عنها شمالا
بحيث «جبارة» مستمطر ... يجود على معتفيه نوالا
فتى للعشيرة عزلها ... غدا لجميع البرايا ثمالا
اذا ما العشيرة فى حادث ... شكت مرضا طب منها اعتلالا

أنظر العماد الاصفهانى الكاتب : خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب حـ 1 ص 137، 138.

(263) العماد الاصفهانى الكاتب : خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب حـ 1 ض 130، التجانى : رحلته ص 43.

(264) التجانى : رحلته ص 44 — 52.

(265) أنظر الامارات العربية بالدولة الحفصية الباب الثانى الفصل الثانى من الرسالة.

جبل اوراس وقـرى ريغة وبلد واركلى وقرى الحضنة (مقره وتقـــاوس والمسيلـــة) ، كذلك تمكن منصور أيضا من مصانعة القبائل المستقـــرة بنواحيهـا والحصول على خراجها فكافأته الدولة باضافة بلاد التل (أرض سدويكـش وعيـاض) الى امارته كذلك (266) .

ازدادت ثروة امراء بنى مزنى ، وشابهت ثروة الملوك ، مما أثـار حسد بطانـة الامراء الحفصيين ببجاية ، وعملوا على تأليب الامراء عليهم، فأخلص بنـو مزنى في تومير الجباية للامراء واتحاف البطانة بالهدايا، وتدعيم صلتهم بأهل السلطة من الدولة ، حتى تمكن عبد الواحد بن منصور من مصاهرة محمد بن أبى الحسن بن سيد الناس صاحب بجاية فـى ابنتـه (267) .

وكان لاحتفاظ امـراء بنى مزنى باستقلال امارتهم الدافـع الاول لوصول مرسوم السلطان بالتقليد والخلع على العادة اليهم ، مقابل اقامة رسـم الدعـاء له على منابـر بـلادهم (268) .

وفي أثنـاء الغزو المرينى لافريقية نجح بنـو مزنى في معاونـــة المرينيين ، حتى ارتفعت منزلتهم بالدولة المرينية ، فخلط أبو عنان ، يوسف بن منصـور بأوليـائه من العرب ونظمه في طبقات وزرائه ، وأقره على بـلاده (269) .

وقد عاشت هذه الامارة قرابة قرن ونصف ، ولم يعرف الزاب الى اليوم هنـاء ورغادة عيش في عصر كعصرها ، لما كان عليه بنو مزنى من حسن التدبيـر والادارة (270) ، حتى مدحهم ابن الخطيب في رسالة منه الـى ابـن خلدون بقولـه (271) :

---

(266) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 407.
(267) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 408، 409 الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 293
(268) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 409.
(269) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 410، 411،
(270) الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 295.
(271) عن الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 295.

من أنكـر غيثـا منشـوءه   في الارض وليس بمخلفهـا
فبنـان بنـى مزنـى مـزن   تنهـل بلطـف مصرفهـا
مـزن مذحـل ببسكـرة   يومـا نطقـت بمصحفهـا
شكـرت حتـى بعبـارتهـا   وبمعنـاهـا وبأحرفهـا
ضحكت بأبى العباس من الا   يـام ثنـايـا زخرفهـا
وتنكـرت الدنيـا حتـى   عرفـت سنـه بمعرفهـا

أما بالنسبة لامراء الجريد فقد قلدوا الملوك في الشارة والحجاب ، واتخاذ الآلـه والبيت المعمور للصلاة ، واقتعاد الاريكة ، ومجالس السمر والمجون ، وادارة الكأس ومنادمه الندمان والجلاس ، مما ساعد على سرعة انهيـار اماراتهـم (272) .

وقد أسندت الدولة الحفصية الى بعض أمرائها وظائفها الاداريـة الهامـة ، فقد أسندت الى أحمد بن محمد من عرب بنى يملول أصحاب تـوزر ـ جبايـة ديوان البحر بتونس ، فعين العمال بمرفأ السفن لجباية الاعشـار من تجار دار الحرب ، ونجح في وظيفته فأضافت الدولة اليـه جبايـة سائر أعمال تونس ، فأثـرى واحتجن المال ووزع الهدايا من كل ما هو طريف من جلب تجار الـروم من بضائعهم . قاطعا لالسنة السعاية فيـه (273) .

وقد تمكن بعض شيـوخ العرب نتيجة لتدعيم صلتهم بوزراء الدولة الحفصيـة من الاستفـادة جاها وثـروة ، فان الصلة الوثيقة بين بنى كعب وشيـخ الموحدين أبى سعيد العود الرطب في عهد السلطان المستنصر، جعلت السلطان يقطع زعيمهم أربعة قـرى بنواحى سفاقص بافريقيـة والجريد له ولاولاده من بعـده (274) .

ولقد أسندت الدولة وظائف القضا والفتيـا الى العلماء من نسل العرب الافريقيين ، بتأييد من فقهاء تونس ، خصوصا في المدن المسيطر على نواحيها القبائل العربية مثل سوسة والحامة وتبرسق ، وفي حالـة توافر من ينتمى الى هذه القبائل وله قسط من الديـن والعلم تسند اليه الوظيفـة ، فقد تولى أبو سعيد خلف الله بـن اسماعيل الحكيمى من عرب

(272) ابن خلدون : العبر ح 6 ص 416.
(273) ابن خلدون : العبر 6 ص 413.
(274) ابن خلدون : العبر ح 6 ص 75.

بني حكيم قضاء تبرســق بعد أبي عبد الله القلال القرشي بمعرمة استاذه الشيــخ ابن عبــد الســلام (275) .

ونظرا لاعتماد الموحدين ومن بعدهم المرينيين على العرب في جيوشهم فقــد أصبح زعماؤهم من أهل المشورة ، ويقول ابن عذارى (276) ان أبا يعقــوب يوسف الموحدى عند خروجه للحرب أمر «باجماع شيوخ الموحدين وشيوخ العرب والقواد ، فحضر الجميع وخرج اليهم ابنه السيد أبــو يوسف يعقوب المنصور وقال لجميع من حضر ان أمير المؤمنين يقول لكم ويستشيركم في هذه الحركة اما لافريقية واما للاندلــس ، فقالوا بلسان واحد ليــس املنــا الا في غزو الكفار بجزيــرة الاندلس» .

فاذا ما أضفنا ما أورده القلقشندى (277) عن أرباب الوظائف ومنهم الطبقــة الثالثة من أرباب السيوف «أهل المشورة» وهم ثلاثة من أشياخ الموحديــن يجلسون بمجلسه للرأى والمشورة ، عرفنا الى أى مدى بلغــت مكانة العــرب بين أربــاب الوظائف ، ويعزز هذا الرأى موقف حبابــه الرومية أم الرشيد وزوجة المأمون الموحدى ، واخفائها خبر وفاته الا عــن القواد الــروم وشيوخ الخلط وبعض القرابة والخاصة ، حتى تمكنت من اجماع الناس على بيعة ابنها عبد الواحد الرشيد بيعة عامة (278) .

يضاف الى ذلك تقربهم الى مجلس السلطان ومنادمته في خلوته ، بــل والتجرأ عليه والاســاءة اليه فيقول السلاوى (279) : «ونزع جرمون ابــن عيسى السفيانى شيخ عــرب سفيان في 638 هـ / 1240 م عــن الرشيد الموحدى الى محمد بن عبد الحق المرينى حيــاء مما وقــع له مــع الرشيد ، وذلك أنه نادتــه ذات ليلة حتى سكر ، فقــام يرقص طربا ثــم حمل عليــه وهو سكران ، وعربد وأساء الادب ، ثم أفــاق فنــدم وفر الى محمد بن عبــد الحــق» .

وبعد ازدياد سلطة عرب الخلط واقامتهم يحيى بن الناصر منافسا للرشيد الموحدى ، استولوا على مراكش واستبدوا به ، «حتى انه كان اذا جلــس في القبــة المعروفة لجلوس العلماء ما بقى أحد من العرب الا وهــو

(275) أنظر الانصارى : معالم الايمان جـ 4 ص 104، 105، 146، 147، 242.
(276) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 57.
(277) القلقشندى : صبح الاعشى جـ 5 ص 139.
(278) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 306.
(279) السلاوى : الاستقصا جـ 2 ص 155.

يقتحم عليه فيها بغير اذن ، وما كان جلوس عامتهم مدة اقامته بالقبة الا بمقربة منه في الرحبة الكبرى»، وحينما اضطر للحصول على مال للصرف على شئون قصره لجأ اليهم ، فأصبح العرب يصرفون على القصر وشئونه المختلفة تاركين يد السلطان خالية من المال لا حول له ولا قوة (280) .

وازدادت مكانة العرب في أواخر الدولة الموحدية لضعفها حتى اضطر الخلفاء الموحدون الى اختيار وزراء لهم من العرب ، فبعد نجاح أبى حفص المرتضى الموحدى من الاستيلاء على الحكم ، «قدم يعقوب بن كانون على عرب بني جابر ، واقر له ببلاده على بغيته ومراده ، بجانب رياسته على عرب سفيان واتخذ أبو حفص المرتضى وزراء له من أمراء العرب» (281) .

ولعب بنو مهلهل من عرب الخلط دورا نشطا في الادارة والحكم في الدول المرينية من ناحية أخرى حيث كانوا اخوالا لامراء الدولة ، ومنهم أبو عطية مهلهل بن يحيى صاحب الدور المشهور في غزوات الاندلس ، وصهر السلطان يعقوب بن عبد الحق (282) ، وأشهرهم مبارك بن ابراهيم ابن عطية بن مهلهل الخلطى ، الذى مدحه لسان الدين بن الخطيب منوها بفضل اسرته ومكانتها بقوله (283) :

ورث الجلالة عن أبيه وجده ... فكأنهم ما غاب منهم هالك
نجياده للامليين مراكب ... وخيامه للقاصدين أرائك
يا فارس العرب الذى من بيته ... حرم لها حج به ومناسك
أنت الذى استأثرت فيك بغبطتى ... وسواك فيه مآخذ ومتارك

كذلك لعب عرب سويد دورا بارزا في نظام الحكم والادارة بدولتى بنى عبد الواد وبنى مرين ، ففى عهد يغمراسن كان مهدى بن عيسى رئيسا لسويد ثم ابنه يوسف وتلاه أخوه عمر بن مهدى ، وتقرب يغمراسن

(280) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 364 — 366.
(281) ابن عذارى : البيان المغرب ج 4 ص 470.
(282) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 274، ابن الاحمر : روضة النسرين ص 23 السلاوى : الاستقصا ج 3 ص 103.
(283) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص 363، 365، المقرى : نفح الطيب ج 9 ص 104 وما بعدها، السلاوى : الاستقصا ج 4 ص 13 وما بعدها.

اليه وربما استخلفه على تلمسان ومملكتها الشرقية عند خروجه للحرب (284) .

وبعد توليه أبى تاشفين بن موسى بن عثمان بن يغمراسن الحكم، اتخذ عريف بن يحيى وزيرا لما بينه وبين عريف وأخيه من صداقة قبل توليه الحكم ، ولكن نتيجة لسماح عريف لنفسه ببعض الامتيازات الملوكية المقصورة على أبى تاشفين ، وتحريض هلال مولى ابى تاشفين عليه حلت الجفوة بينهما، ويبدو انها بلغت من الاتساع حدا اضطر عريف للجوء الى الدولة المرينية (285) .

وكان عريف بن يحيى من أعظم رؤساء سويد وكذلك ابنه ونزمار ، مما دفع أبو الحسن المرينى لاتخاذه خليلا ووزيرا مشيرا وسفيرا بينه وبين ملوك مصر وتونس وغرناطة ، ورفع مقامه على كل عربى في ممالكه (286) حتى أطلق ابن خلدون عليه «شيخ المجالس الملوكية» (287)

بجانب ذلك قام عريف برسم السياسة الخارجية للمرينيين تجاه دولة بنى عبد الواد، وكانت عدائيه بسبب اختلاف عريف مع ملوكها، وعمل ابناؤه ونزمار ومحمد وأبو بكر وعيسى على تنفيذ هذه السياسة من بعده ، وكان ونزمار أكبرهم وأهمهم ، عقد له ابو الحسن على قبيلة مالك، وجعل له رئاسة البدو بجميع ممالكه، وأخذ الصدقات والضرائب منهم، فعكف على بابه كبراء العرب وشيوخهم وبعد تولى أبى عنان الحكم، حذا حذو أبيه وأقطع ونزمار قلعة تاوغزوت والسرسو وكثيرا من بلاد توجين ، وبعد وفاة أبيه عريف أجلسه أبو عنان مجلس أبيه الى أن سادت الاضطرابات بالمغربين الاوسط والاقصى بعد وفاة أبى عنان ،

(284) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 45، الميلى : تاريخ الجزائر ﺣ 2 ص 300.
(285) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 46.
(286) وحينما نقل ابن الاحمر بنى عثمان بن أبى العلاء من أمراء الدولة المرينية الى الحفصيين بافريقية لمساعدتهم فى منافسة أبى الحسن المرينى نكاية فيه، أوفد ابو الحسن رسوله عريف بن يحيى أمير زغبة للقضاء على هذه الفتنة، وبالفعل تمكن عريف من اقناع الحفصيين بتسليمه الامراء المرينيين، وبعد وفاة زوجة أبى الحسن فاطمة ابنة أبى بكر الحفصى ورغبته فى الاستعاضة عنها باحدى اخوتها للابقاء على الصلات الودية مع الحفصيين، كان على رأس سفارته هذه وليه عريف بن يحيى، أنظر ابن خلدون العبر ﺣ 7 ص 264، 267، السلاوى : الاستقصا ﺣ 3 ص 153، الميلى : تاريخ الجزائر ﺣ 2 ص 301.
(287) ونقل عنه ابن خلدون بعض أخبار دولة بنى عبد الواد. أنظر العبر ﺣ 7 ص 97، 98.

فنبذ ونزمار مجلس السلطان ، وتخلى عن وظائفه السلطانية ، وآثر الترهب وانتقل الى قصر مراده الذى أقامه على وادى ملوية ، ورغم ذلك أنبعته حيث اقام ملوك مرين وأمراؤهم وغيرهم من رؤساء الاقطار وشيوخ العرب بالمغرب ، مستشرين اياه صادرين عن رأيه ، مما دفع ابو حمو العبد الوادى من مهاجمته في 785 هـ / 1383 م في قصر مراده لاعتياله ، وبالتالى القضاء على تأثيره الواضح على استمرار سياسة أبيه العدائية تجاه دولة بنى عبد الواد ، وحينما لم ينجح في القضاء عليه اكتفى بتخريب قصوره بمرادة ، وكان انتقام ونزمار سريعا فقد قامت عصبيته من سويد ومحالفيهم من عرب المغرب بمهاجمة تلمسان وتدمير قصور ملوكها بمعاونة بنى مرين (288) .

بالاضافة الى ذلك قصده العلماء لقضاء حاجتهم لدى الدولة ، فعندما اراد ابن خلدون أن يسافر الى الاندلس واستدعى الامر تصريح من السلطان وسط ونزمار للحصول عليه (289) ، وخلال مأساة ابن الخطيب بالمغرب ، ومكاتبته ابن خلدون لأنقاذه ، لم يجد ابن خلدون أمامه منقذا غير ونزمار يوسطه ، ورغم فشله في انقاذ حياة ابن الخطيب الا انه لا يخفى المغزى من توسيطه (290) .

وبعد سيطرة رياح على منطقتى الهضاب والصحراء بنواحى قسنطينة والجزائر اعتزوا على الدولة الحفصية ، وكان يعقوب بن على من أعظم أمرائهم وكثيرا ما يصلح بين أمراء الحفصيين أو بين الامراء والرعايا ، والجميع يقبلون حكمه فيما بينهم ، ويخضعون لرأيه في معاملة رعاياهم (291) .

أما عن دور العرب في المجالس الملوكية فقد كانت لهم الصدارة فيه ، فسلطان مملكة تونس كان من عادته «ان يخرج باكر كل يوم الى موضع يعرف بالمدرسة ويبعث خادما صغيرا يستدعى وزير الجند من موضعه المعين له ... فيجلس بين يدى السلطان ، ويسأله السلطان

(288) الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 301.
(289) ابن خلدون : رحلته ص 225.
(290) أحمد مختار العبادى : مقاله عن ابن خلدون وابن الخطيب، مهرجان ابن خلدون (1962م) ص 63.
(291) الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 285، 286.

عما يتعلق بأمور الجند والحروب ، ثم يأمره باستدعاء من يريده من أشياخ الجند أو العرب أو من له تعلق بوزير الجند» (292).

بينما عادة سلطان بنى مرين «أن يجلس في بكرة كل يوم ويدخل عليه الاشياخ الكبار ، فيسلموا عليه ، فيمد لهم السماط ، ثرائد في جفان حولها طوافير : وهي المخافى فيها أطعمة ملونة منوعة .. فيأكلون ثم يتفرقون الى اماكنهم أما أخريات النهار فالغالب أن يركب بعد العصر في عسكره ، ويذهب الى نهر هناك ، ثم يخرج الى مكان فسيح من الصحراء .. وتتطارد الخيل قدامه ، وتتطاحن الفرسان .. وتمثل الحرب لديه .. ثم يعود في موكبه الى قصره وتتفرق العساكر (293)

والغالب أن شيوخ العرب كانوا من ضمن الاشياخ الكبار الداخلين عليه ، خصوصا وان بنى مرين اعتمدوا على فرسان العرب في الاستعراضات العسكرية (294) ، وقول القلقشندى (295) عن سفر السلطان «لا يسايره الا بعض كبار الاشياخ من بنى مرين أو بعض عظماء العرب» .

وحصل العرب على نفس هذا التقدير في دولة بنى عبد الواد ، فحينما يصف يحيى بن خلدون دخوله على سلطانه أبى حمو الثانى «وأتينا قصر الخلافة المنيف وقد جلس امير المسلمين في رحبة داره الكبرى بمنزل شرفه ، تحف به الاسرة الاعلون من قومه ، وعرب معقلية وعامرين وأعيان الطبقات من أهل حضرته» (296) ، ولم يدع السلطان مناسبة تمر كبيرة كانت أم صغيرة الا ودعى اليها اعوانه من العرب (297) .

ثانيا : دورهم في النواحى العسكرية :

أدت حياة القبيلة العربية بالمغرب الى تغلب روح الجماعة وتشابه الخصائص العقلية والنفسية لافرادها ، فهم يتوجسون ، أبدا يختصمون مع الطبيعة لا يحلون في موضع حتى يلفظهم الى موضع آخر ، وتختصم

(292) العمرى : مسالك الابصار ص 24 — 26، القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 143، 144، أحمد مختار العبادى : دراسات ص 192.
(293) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 205.
(294) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 28، 29.
(295) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 208.
(296) يحيى بن خلدون : بغية الرواد حـ 2 ص 132.
(297) يحيى بن خلدون : بغية الرواد حـ 2 ص 223.

وحداتهم بعضها مع بعض استثارة لكوامن العصبيات القديمة من ناحية ، واختلافا على الرياسة أو الغنية من ناحية أخرى (298) .

ففى خلال فتنة قامت بين عرب بنى عامر بن زغبة في احيائهم ، خرجت فيها فرسانهم للمواجهة والمنافسة، اضطرت زعيمهم صغير بن عامر للخروج لتسكين فتنتهم ، فاعترضه سنان رمح على غير قصد فقتله ، فتولى الرياسة من بعده أخوه خالد يعاونه عبد الله ابن أخيه صغير، وهدأت الفتنة ولنا أن نتساءل عما اذا كانت هذه الفتنة اختلقت لاغتيال زعيم القبيلة ليحل محله أخوه أم كانت قضاء وقدرا (299).

وخلال عبور القبائل العربية المرافقة لقوات الموحدين لغزو الاندلس في 566 / 1170 م تزاحم العرب في خلال عبورهم ، يسابق كل منهما الآخر فقتل واحد منهم آخر ، وهددت الفتنة انتظام الحملة مما اضطر الخليفة لترضيتهم (300) .

ويختصمون مع غيرهم من الجماعات التى يلمون بها ، او يمرون عليها لا يستأنسون الا بذواتهم ، وكأن من سواهم عدو لهم ، عليهم أن يبدأوه بالشر قبل أو يبداهم (301) .«حتى نطر صعلوك من فتاكهم المشاهير ، وقد خامرته اريحية الى البحر ، فامتطى جواده وأخذ سلاحه وقصد البحر فدفع عليه ، وقال له ان كانت لك يا بحر طاقة فبارزنى» (302) وفي خلال احتفال الخليفة الموحدى بقدومهم للاشتراك في غزو الاندلس ، حدث نزاع وصدام بين صبيان الموحدين الذين يمسكون دوابهم خارج البحيرة وبين اتباع العرب ، فسرعان ما تحزب الجهال من الاعراب بالاحزاب ، ووقعت الفتنة بين الفريقين . ولولا خروج شيوخ الموحدين والعرب للقضاء على الفتنة ، وتحمل الخليفة الديات لمن قتل ، لما خرجت الحملة الى الاندلس في ميعادها (303) .

(298) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 88.

(299) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 53، 54.

(300) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 442، 143، ويظهر تنافس هذه القبائل وتصارعها فى سيره بنى هلال حتى فى التسابق بين نساءهم فى المرور خلال رحيلهم. أنظر صراع جازية وعليا حول التسابق فى المرور. أنظر عمر أبو النصر : تغريبة بنى هلال ورحيلهم الى بلاد المغرب ص 106، 107.

(301) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 88.

(302) ابن عذارى : البيان المغرب حـ 4 ص 329.

(303) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 433، 434.

وطريقة قتالهم بالمغرب هى الكر والفر كعادتهم في حروب الجاهلية ، وقد يتخذون وراءهم في القتال مصافا ثابتا يلجأون اليه في الكر والفر ، وقد يكون هذا المصاف من الجمادات أو الحيوانات العجم ، ويتخذونها ملجأ للخيالة ، يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون أدوم للحرب ، واقرب الى الغلب ، والاكثر بداوة ورحاله منهم يصفون لذلك ابلهم والظهر الذى يحمل ظعائنهم ، فيكون فئة لهم ويسمونها «المجبوذة» (304) . ويصف ابن عذارى مقاومة عرب افريقيه من سليم ورياح لغزو الناصر الموحدى لمدينه المهديه في 601 هـ / 1204 م فيقول (305) «ووافقتهم غويهم على الارتحال بقضهم وقضيضهم وخفهم وكراعهم الى موضع يكون قتالهم وحربهم بين حريمهم ، ليكون دفاعهم احمى عن الحريم لا يولون عنهم وجروا في ذلك على سنن الجاهلية الجهلاء ، وعلى ما كانت عليه حرب داحس والغبراء ، فوصل الخائبون احوار مابس على هذا الالتزام ، وجاؤوا بخفهم واثقالهم والنفيس من اثاثهم واموالهم، وعقلوا الابل وقارها ، واوقفوا الظعائن بكراعهم بازائها ، وجعلوها كالتمتيل يقاتلون دونها وكالحصون يلجؤون اليها» .

وفي العادة خلال حروبهم يتغنى امام الموكب بالشعر شاعر القبيله، فيطربهم ويحرضهم على القتال بذكره ماضى القبيله الحربى وايامها المظفرة وابطالها المشهورين ، فيسارعون الى مجال القتال ، ولقد تاثرت بذلك القبائل الزناتية ببلاد المغرب وحذت حذو القبائل العربية (306).

ورغم أن ابن خلدون (307) قد قال : «دولة الموحدين ومن بعدهم زناتة قصروا الاله من الطبول والبنود على السلطان ، وحظروها على من سواه من عماله .. ويأذنون للولاة والعمال والقواد في اتخاد راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطبل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك» فقد روى ابن القويع (308) عن شعار سلطان تونس «أن له علما أبيض يسمى العلم المنصور يحمل معه في المواكب .. وأن الاعلام التى تحمل معه في المواكب سبعة .. وأن ذلك غير اعلام القبائل التى

(304) لانها مجذوبة الى الجيش ومشدودة اليه. أنظر تعليق (1) بابن خلدون : مقدمته ص 243، ص 271، 273.

(305) ابن عذارى : البيان المغرب حـ 4 ص 207، 208.

(306) ابن خلدون : المقدمة ص 258.

(307) ابن خلدون : المقدمة ص 259، 260.

(308) عن القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 142، 143.

تسير معه ، فلكل قبيلة علم تمتاز به بما عليه من الكتابة ، والكتابة مثل لا اله الا الله أو الملك لله وما أشبه ذلك» .

وفي خطاب السلطان المريني عبد الله تشفين بن أبى الحسن المريني المؤرخ في 768 هـ يذكر أن جيوشه كانوا ثابتين في المصاف متميزين بشعائر الالوية المختلفة ألوانها باختلاف الجموع والقبائل (309) .

ومن النصوص السابقة يتضح لنا أنه سمح للقبائل العربية باتخاذ الرايات والطبول ، ولو أنه اقتصر في الدولة الموحدية والمرينية على راية صغيرة وطبل صغير أيام الحرب فقط ، الا أنه في الدولة الحفصية كانت للقبائل اعلام تمتاز بها ، ويبدو أنها كانت من الكتان بيضاء اللون رغم نص الدكتور عبد الحميد يونس على عدم وجود ما يفيد لون هذه الآلوية والاعلام ، ويرجح هذا الرأى ما يقال عن احتفاظ بنى كعب من سليم براية جدهم التى حارب بها في ظل جيوش النبى (صلعم) في شبه الجزيرة العربية (310) .

واحتفلت الجماعات العربية بأسلحتها لما تتصف به من النزعة الحربية ، ولكن هذه الاسلحة كانت من النوع الخفيف الذى يتلاءم مع طبيعة حياتهم المتنقلة أبدا ، والمعتمدة على امتطاء صهوات الخيول وظهور الابل .

وأظهر هذه الاسلحة «السيف» في الدفاع عن الذات والمبارزة والقتال عن قرب (311) ، ولقد عرف عرب المغرب من أنواعه : السيف المستقيم الشائع استخدامه في العالم الاسلامى الى حوالى القرن السابع الهجرى تقريبا، ثم بدأ يحل محله استعمال السيف المقوس ذى النصل الواحد (312).

---

(309) خلال صراعه مع الامير عبد الحليم حول الاستبداد بالسلطة، أنظر لسان الدين ابن الخطيب : نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب ص 317.

(310) أنظر ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 73.

(311) الالوسى : بلوغ الارب جـ 3 ص 354 — 357، عبد الحميد يونس : الهلالية ص 90.

(312) وقد تأثرت القبائل العربية بأسلحة جيرانهم من البربر مثل «طاكوبة» وهو سيف قبائل البربر فى شمال افريقية، مستقيم الفصل ذو حد واحد، وليست له واقية للقبضة . و «فليسة» وهو السيف الوطنى الذى تستعمله بعض قبائل المغرب، وهو مستقيم النصل له حد واحد — ويتسع عرض النصل عند منتصفه ثم يقل عرضه وينتهى بطرف مدبب جدا، عبد الرحمن زكى : السلاح فى الاسلام ص 33، 39، 43.

واشتهر عرب المغرب باستخدام السيف ، وانتقاء المتقن الصنع منه، حتى نسب السيف القاطع اليهم وأصبحت عبارة «السيوف القضب المشارف المجربة عند العرب» تدل على أشهر سيوف بلاد المغرب (313) .

والرمح للكر والاغارة والرمى عن بعد (314) ، وهو من أهم أسلحة العرب، وقد أجادوا استخدامها على ظهور الجياد، ولرأس الرمح عندهم عدة أشكال وأختلف طول قناة الرمح ، وكان يطلق على الرماح القصيرة : مربوعات وقد عم استعمالها بين عرب افريقية حتى القرن الثامن الهجرى، وأطلق على الرماح الطويلة : الطوال ، وبعض الرماح العربية كان طولها عشرة أذرع .

وكانت أسنة الرماح عند العرب تختلف شكلا بين المشعب والعريض والرفيع والمستوى والمحوج وغير ذلك (315) .

وكذلك القوس والسهم وهو من أقدم اسلحة القتال عند العرب ، ولهم شهرة ذائعة في استخدامه حتى نسب الى النبى (صلعم) قوله : «كل لهو المؤمن في ثلاث تأديبه فرسه ورميه عن كبد قوسه وملاعبته امرأته»، وكان من القسى نوعان : عند العرب قوس يد وقوس قدم وكانت تصنع من خشب النبع (316) .

وقد استخدم المرينيون في جيوشهم رماة القس العربية والناشبة (317) وأشهرهم بالمغرب أولاد مطاوع من الحرث من عرب سفيان (318).

يضاف الى هذه الاسلحة الجنبية والخنجر ، الجنبية هى المدية التى كانت تستعمل في شبه الجزيرة العربية، وسميت كذلك لانها تثبت في حزام وتوضع في الجنب ولها أشكال متنوعة ، وانتقل استعمالها الى بلاد المغرب وغيرها ، ولنصل الجنبية حدان . والخنجر أو الصلت وهو السكين

---

(313) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 274، 437.

(314) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 53 — 54، الالوسى : بلوغ الارب حـ 3 ص 354 — 357، عبد الحميد يونس : الهلالية ص 90.

(315) عبد الرحمن زكى : السلاح فى الاسلام ص 21، 28.

(316) عبد الرحمن زكى : السلاح فى الاسلام ص 47، 48.

(317) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص 339.

(318) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 28، 29.

الكبيـر استعمـل في معظم البلدان الاسلامية ، منها بلاد المغرب ، ولـه مقبـض في الغالـب من القـرن أو العـاج (319) .

ويبدو أن العرب بالمغرب استخدموا المنجنيق في قتالهم في بعض الظروف الخاصة ، ففى خلال ثورة عرب الخلط على الرشيد الموحدى هاجموا العاصمة مراكش ، «وكان الرجال من العرب يقفون على القنطرة التـى تعرف بتـوف المطرح ويرمون حجارة على برج باب الشريعة .. وتنتهـى حجارتهم الى فنـدق السكر هنالـك» (320) .

ويضاف الى ما سبق من الاسلحة ما كانت تسلح به الدولة القبائل العربية المتحالفة معها والمشتركة في جيوشها لمحاربة مسيحى الاندلس مثل الدروع (321) والبيض (322) والدرق اللمطية والقس الخطية (323) .

أما عن تكوين الجيش الموحدى ومكانة العـرب فيه فيتفق العمرى مع ما أورده القلقشنـدى :

«أما الجند فمن الموحدين والاندلسيين وقبائل بها من المضافة اليهم، ومن قبائل العرب ومن هاجر اليهم من العرب القدماء الذين هاجروا في مدة بنـى عبد المؤمـن والمماليك الترك المبتاعة من الديـار المصرية ومـن الفرنـج وغيرهم» (324) .

والجند عندهم على سبع طبقات : الاشياخ الكبار من الموحدين ، والاشيـاخ الصغار منهم ، الوقافون ، عامة الجند ، الجند من قبائـل العرب ، الصبيـان ، الجند من الفرنـج (325) . وعدة العسكر من هـذه الطبقات – ما عـدا العـرب – لا تبلـغ عشرة آلاف فارس ، وانما العدد الجـم الذى يعتمـد عليه الجيـش ففى الطبقـة الخامسة من القبائـل العربية بالمغـرب أهل البادية ، تستدعيهم الدولة في الوقت المناسب مقابل

(319) عبد الرحمن زكى : السلاح فى الاسلام ص 19، 23.
(320) ابـن عذارى : البيان المغرب حـ 4 ص 360.
(321) الدرع ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس فى الحرب وتؤلف الدرع الكاملة (المركب) من : الجوشن وهو الذى يقـى الصـدر والبيضـة أو الخـوذة وهى الاجزاء التى تقى الرأس؛ انظر عبد الرحمن زكى : السلاح فى الاسلام ص 26، 27.
(322) ابن صـاحب الصلاة : المن بالامامة ص 437.
(323) ابن عذارى : البيـان المغرب حـ 4 ص 62.
(324) العمرى : وصف افريقية ص 18، 24، القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 137
(325) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 138.

الاقطاعـات الكثيـرة (326) وقد تبلـغ عدة فرسان العرب والمشاة منهم مائـة وثلاثيـن الفـا (327) .

وبجانب ذلك فقد كان هناك وجود للقبائل العربية في الجيـش النظامى للدولة حيث كان لعرب بنى سعد فرقة تعسكر مع جند السلطان بنواحـى باجـة (328) ، وبعد ان تغلب بنو عوف من سليم على ضواحى افريقيـة اصطنعهم سلطان تونـس واثبتهم في ديوان العطاء (323) ، واستخدم بنو عبد الواد في جيوشهم عـرب بنى غريب من بطون الحرث من زغبة المستقريـن في جنوب مليانة بالمغـرب الاوسط (330) .

أما عن مرتبات الجند من العرب فيقول ابن القويع (331) . «والجند الغرباء يتميزون في الاعطيات على الموحدين وللعرب أهل البادية اقطاعات كثيـرة» .

ويضيف الى ذلك ابن صاحب الصلاة (332) ما يصرف لهم مـن الذهب والدراهم «البركة» فيقول : «لكل فارس عشرون دينارا ولاعيـان الموحديـن وأشياخهم لكـل واحد مائة دينار ولاشياخ العرب لكل واحـد مائة دينـار ولساير عسكر العرب عشرون دينارا لكل فارس» .

وفي موضع آخـر من كتابه «المن بالامامة» يفصل ما سبق اجماله مع بعض الاختلاف فيقـول (333) : «فخـرج للفارس الكامل منهـم (الموحـدون) عشرة دنانير ولغير الكامـل ثمانية دنانير وللراجل الكامـل خمسة دنانير ولغير الكامل ثلاثة دنانير ، وأمـر للعرب ببركتهم فخرج للفارس الكامـل منهم خمسة وعشرون دينـارا ولغير الكامل خمسة عشر دينارا وللراجل سبعة دنانير وخرج لاشياخ العرب لكل شيخ منهم خمسون دينـارا ولكـل رئيس منهم على قبيلـة مائتـا دينـار» .

---

(326) العمرى : وصف افريقية ص 10، 21، القلقشندى : صبح الاعشى جـ 5 ص 138

(327) ابن عذارى : البيـان المغرب جـ 4 ص 60 ويذكر الجيلالى أنه فى أيام الحرب يجتمع بالدولة الموحدية من عدد الجند 480,000 جندى ويتزايد أحيانا الى المليون من العرب والبربر والافرنج والمماليك. أنظر تاريخ الجزائر العـام جـ 1 ص 362.

(328) القلقشندى : صبح الاعشى جـ 1 ص 340.

(329) ابـن خلدون : العبر جـ 6 ص 74.

(330) ابـن خلدون : العبر جـ 6 ص 48.

(331) عن القلقشندى : صبح الاعشى جـ 5 ص 141.

(332) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 292.

(333) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 437.

ومما سبق يتضح أنه بينما كان مرتب الجندى الموحدى (الفارس والراجل) يتراوح ما بين ثلاثة الى عشرين دينارا في أحسن الحالات . فقد منح مثيله العربى ما بين خمسة الى خمسة وعشرين ، وكذلك في الوقت الذى حدد لشيوخ الموحدين مائة دينار فقد تراوحت مرتبات شيوخ العرب ما بين خمسين الى مائتين بسبب طبيعة التقسيم للقبيلة العربية وتعدد الشيوخ .

وبجانب ذلك فقد قامت الدولة بتوزيع السلاح والعدد والخيول والكسوات والاخبية على محالفيها والمجندين بجيوشها من العرب (334).

وكان من عادة الدولة كلما ظهرت مناسبة تستدعى الاستعانة بالقبائل العربية أن يخاطبونهم بالقصائد الشعرية تحرضهم على الجهاد، وتصفهم بالشهامة والزعامة ، وتشيد بأواصر «القربى» التى تجمعهم في قيس عيلان (335) .

ثم يخرج الخليفة بنفسه لاستقبالهم بظاهر المدينة في يوم مشهود ، وعند تمييز الجند يقدمهم على غيرهم من القبائل ، فقد كان من عادة الموحدين دائما في حركاتهم أن يخصص الخليفة يوما أو اياما يقوم فيها باستعراض سائر القبائل المتقدمة للغزو سواء من العرب أو من الموحدين ، ويخصون هذه العملية باسم «التمييز» ، تتقدم قبيلة هرغة من البربر ثم غيرها ، ويتقدم من القبائل العربية بنو زغبة لانها من أولى القبائل التى حالفت الامام المهدى الهرغى وأيدته ، وبالتالى فقد كانت تتقدم القبائل العربية في التشريفات الموحدية ثم الهلاليون والرياحيون والجشميون .

ويقول ابن صاحب الصلاة (336) :

«فابتدأوا بالدخول عليه (الخليفة) على ترتيب توحيدهم أولا فى قبائلهم وعشائرهم ، فكان الذى ابتدأ اول يوم قبيلة زغبة لتقدمهم فى

(334) ابن عذارى : البيان المغرب ﺟ 4 ص 56، 60، 61.

(335) ابن صاحب الصلاه : المن بالامامة ص 412، 415، ابن عذارى : البيان المغرب ﺟ 4 ص 39.

(336) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 435، ويصف ابن عذارى التمييز بقوله : وكانت قسمة السلاح والخيل .. نحضر الموحدون والعرب والمتجندون فقسمها على قدر طبقاتهم وأمر لطلبه الحضر بأربعة وعشرين فرسا وأعطى خباء لكل عشرة فرسان . أنظر البيان المغرب ﺟ 4 ص 55، 56.

التوحيد وامروا أن يدخلوا في كل يوم بعدد معلوم من القبيل المأمور له ، فتمادى تمييزهم على هذا التراتيب الغريب مدة خمسة عشر يوما ، وسيدنا الامام جالس في مجلسه مع أشياخ الموحدين وأشياخ طلبة الحضر وأشياخ العرب» .

وحينما قارن الخليفة بين الزمام المقدم بمعرفة شيوخهم والعدد الذى تم تمييزه في مجلسه وجد زيادة كبيرة في التمييز الآخر ، ويوضح ابن صاحب الصلاة أسباب هذا الاختلاف فيقول (337) .

«فلقد رأيتهم في أيام التمييز المذكور ينزل الخارج من الدار المعظمة من تمييزه من فرسه، ويركبه آخر من الرجالة لهم ويدخل عليه ويغير بعد ثيابه وآلته وكان العربى اذا دخل يأخذ عمامة صاحبه فيبدأ بتعميمها وهى في رأس الخارج فلا يزال يعتمها في رأسه وهى تنحل من رأس صاحبه حتى تتم بأعجل الاستعجال بمرأى يضحك الحاضرين ، وكذلك في اعارة الثياب وآلات الركوب يجرد بعضهم بعضا على مرأى من الناس لا يهابون أحدا ولا آمرا» .

ويبدو أن الدافع في خداع العرب للدولة سواء كان في عددهم المقدم للمساهمة في الحملة أو في نوعية المحاربين من فرسان أو رجاله ومدى تجهيزهم يرجع الى تطلعهم الى الاستزادة من مرتبات القبيلة واعطياتها من الدولة .

ومن المرجح أن وحدات الجيش نظمت على أساس قبلى ، فكانت كل وحدة منها عبارة عن قبيلة من القبائل ، ويؤيد ذلك طريقة التمييز بديوان العسكرية الذى كان يلجأ اليه عند العمليات العسكرية ، وما أورده ابن عذارى بقوله (338) «فميزهم قبيلا قبيلا» ووصفه لحملة أبى زكرياء ليغمراسن بتلمسان بقوله : «وكانت محلات العرب مقسمة كل أمير محلته وجماعته وجملته يرحلون قوما قوما ويوما بعد يوم» .

أما بالنسبة للجيش المرينى فان جريدته المثبتة في ديوانه لا تزيد على أربعين الف فارس غير حفظة المدن والسواحل ، الا أنه يمكن للدولة اذا ما أرادت الاستعداد للحرب ان تجمع جموعا كثيرة (339) من القبائل

(337) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 435.
(338) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 4 ص 55، 426.
(339) القلقشندى : صبح الاعشى جـ 5 ص 209.

العربية بالمغـرب ، مثل بنو حسان والعاصم وبنو جابر والخلوط (الخلط) وريـــاح وسويد والشبانـــات وبنو عامر وبنو سالم وغيرهم (340) ، اذ بلغ عسكر السلطان أبى الحسن المرينى عنـد غزوة تلمسان مائة وأربعين ألفـا (341) . وأسندوا الى زعمـاء عرب جشم وصبيح قيادة جيوشهم للقضاء على الثورات الداخلية بالدولـة (342) .

أما بالنسبة لمرتباتهم فقد قسم المرينيون جندهم من العرب الى أشيـاخ كبار وأشياخ صغار يليهم عامة الجند من الاندلسيين وغيرهـم والعلوج من الفرنـج ، ويبدو أن مرتبات شيوخهم تساوت مع مرتبـات شيوخ بنى مرين ان لم تكن أزيد ، وكانت تقدر للاشياخ الكبار : لكـل واحد منهم عشـرون مثقال (343) من الذهب يأخذها من قبائل وقـرى وضياع وقلاع ، ويحصل له من القمح والشعير والحبوب من تلك البلاد نحو عشرين ألف وسق (344) ولكل واحد مع الاقطاع الاحسان في رأس كل سنة وهو حصان بسرجه ولجامه وسيف ورمح محليان وسبنية (345) ، وربما زيد الاكابر على ذلك وربما نقص من هو دون هذه الرتبة .

وللاشياخ الصغار من الاقطاع والاحسان نصف ما للاشياخ الكبار مع الحصان المسرج الملجم والسيف والرمح والكسوة (346) .

ومن عدا الاشياخ من الجند على طبقات : فالمقربون الى السلطان يكون لكل واحد منهم ستون مثقالا من الذهب في كل شهر ، ومن دون ذلك يكـون له في الشهـر ثلاثون مثقالا الى أن يتنـاهى الى أقل الطبقات، وهى ستة مثاقيل في كل شهر وليس لاحد منهم بلد ولا زرع (347) .

---

(340) العمرى : مسالك الابصار ى ممالك الامصار حـ 2 ق3 ورقة 531.

(341) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 209.

(342) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 270، 273، ابـن خلدون : العبر حـ 7 ص 218، 219، 235، 236، 241.

(343) المثقال وحده وزن للنقود منذ وضع لم يحتلف فيه جاهلية واسلام وزنة المثقال الواحد ستة آلاف حبة من الخردل البرى المعندل وكل سبعة مثاقيل تساوى زنـة عشرة دراهم، أنظر انستاس مارى الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ص 29 ومابعدها.

(344) الوسق : حمل البعير. أنظر مختار الصحاح.

(345) هى بقجة قماش فيها ثوب مذهب سكندرى ويعبرون عن هذا الثـوب بالزردخاناه وثوبان من الكتان عمل افريقية واحرام وشاش طوله ثمانون ذراعا وقصبتان من ملف وهى الجـوخ.

(346) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 204.

(347) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 204، 205.

واذا لاحظنا ان سلطة العرب ازدادت في العصر المرينى عنها في العصر الموحدى لتزوج معظم امرائها من النساء العربيات واستخدامهم لاخوالهم في الحجابة والكتابة (348) ولزعمائهم في قيادة الجيوش للقضاء على الثورات الداخلية بالدولة ومرافقهم لسلاطين الدولة في حالة ركوبهم للسفر (349) لا نستبعد أن شيوخ العرب وقبائلهم حصلوا على نصيب الاسد من هذه المقررات والمرتبات .

---

(348) ابن الاحمر : روضة النسرين ص 16، 28.
(349) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 270، 273.
ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 218، 219، 235، 236، 241.
القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 208.

الفصـــل الـــرابـــع

أثر القبـــائل العربية فى الحياة الاقتصادية المغربية

أولا : تنمية الثــروة الحيوانيـــة :

كان من الطبيعى ان تهتم القبائل العربية في المغرب بأنعامها ، فهى لا تستطيع ان تستغنى عنها في جميع التصاريف ، كما انهم نجحوا في التدخل الصناعى في توليده وتكثيره والاهتمام بالانواع الاصيلة منه ، وارتباطهم بهـذا الحيوان هو الذى رسم لهم الانتجاع الموسمى للكلا ، وقد طبقوا على حيواناتهم ما الفوه في مجتمعهم من العصبية الابويـــة وأفادوا من القواعد البيولوجية في الاحتفاظ بسلامة أنسابه وبخاصة فيما يتصل بالابـل والخيل (350) ، والثانية أهم عنـد القبائل العربية من الاولى لانهم كانـوا يدافعون بها عن غيرها مما يملكون ويحمون بها حريمهم وأعانتهم على الاغارة والنجاة ، وتصحبهم حيثما يكونون حتى أصبحت هذه العلاقة الحيوية بين الفرسان والخيل يضرب بها المثل في التعاطف والتآلـف (351) .

وصلة القبائل العربية التى انتقلت الى بلاد المغرب بالخيـــــول العربية الاصيلة قديمة وان تميزت سليم بالتبريز في هذا المضمار فمن أشهر خيولهم «الاحزم» ، «الازور» يليهم هلال بن عامر وأشهر خيولهم «الاعوج»، «ذوى العقـال» (352) .

---

(350) عبد الحميد يونس : الهلالية ص 88، 98.

(351) على بـن عبد الرحمن : حلية الفرســـان وشعار الشجعان ص 43، عبد الحميد يـونـس : الهلاليـــة ص 89.

(352) على بن عبد الرحمن : حلية الفرسان وشعار الشجعان ص 152، عبد الحميد يونس : الهلالايـــة ص 89.

وبجانب دور هذه القبائل ، كان لعرب الفتح تأثير لاشك فيه على تربية الخيول ببلاد المغرب (353) .

ففى بداية الدولة الموحدية اعتمدت في تجهيز جيوشها من الخيول على افريقية ، فعبد المؤمن الموحدى أمر «باستجلاب الخيل له من جميع طاعاته بالعدوة وافريقية» ، أما ابنه يوسف فقد أمدته افريقية في 566هـ/1170 م بأربعة آلاف فرس وتلمسان بألف فرس يصفها ابن صاحب الصلاة بأنها من الخيل العراب العتاق الاحساب المدربة عند الاعراب» (354) ، وفي عهد المنصور الموحدى امدته تلمسان في 580 هـ / 1184 م بثمانمائة فرس معونة لاهل الاندلس كانوا برفقة من انضاف اليه من عرب زغبة (355).

واهتم الموحدون بالحفاظ على هذه الخيول الاصيلة فأمروا المكلفين بها أثناء نقلها من افريقية وتلمسان الى المغرب والاندلس من العرب «أن يأخذوا أنفسهم ومن معهم (من الخيول) بالرفق في المشى واللحاق والمحافظة على الخيل العتاق» (356) .

وكان أهم ما يغنمه الموحدون من العرب الثائرين والخارجين على الدولة الخيول ، فيقول ابن عذارى (357) أن الرشيد الموحدى «قام بعد انتصاره على عرب المعقل مؤيدى منافسه يحيى بتوزيع خيل عرب المعقل على الموحدين بعد الاستيلاء عليها» .

ونظرا لاستقرار القبائل العربية في بداية انتقالها الى المغرب في المنطقة الممتدة من برقة وحتى المغرب الاوسط ، ازدهرت تربية الخيول في

(353) خصوصا وقد اعتمدوا عليها فى فتوحاتهم فى هذه البلاد المترامية الاطراف، ففى اواخر القرن الرابع الهجرى كانت هدية المعز بن زيرى الى قرطبة خمسين فرسا الحقها بتسعمائة بعد عودة ابنه المرتهن بقرطبة، ويقال انه جمع كل فرس كان عنده وبعث به الى قرطبة .. ولم تصل من المغرب الى الاندلس هدية أعظم منها.

وأهمية النص السابق ترجع الى عاملين : الاول ما سبق ايضاحه عن دور عرب الفتح فى تربية الخيول خاصة فى أفريقية، والثانى عدد الخيول المرحلة الى الاندلس ومقارنتها بما سيتم انتاجه فى نفس المنطقة فى خلال عصرى الموحدين والحفصيين، يحدد ابن عذارى عدد الخيل بسبعمائة فرس : أنظر البيان المغرب ح 1 ص 363، 364، بينما يحددها ابن أبى زرع بتسعمائة فرس، أنظر السلاوى: الاستقصا ح 1 ص 201.

(354) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 215، 418.

(355) ابن عذارى : البيان المغرب ح 4 ص 77.

(356) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 418.

(357) ابن عذارى : البيان المغرب ح 4 ص 381.

منطقة افريقية حيث انتشرت بها الخيل العراب المسابقة لحيل برقة (358) حتى منطقة تلمسان (359) ، وعندما انتقلت قبائل رياح والخلط وسفيان والاثبج الى المغرب ، واستقرت رياح ببلاد الهبط والقبائل الباقية ببلاد تامسنا وتادلا ، وكذلك زحف عرب المعقل الى المغرب الاقصى وانتشروا في بواديه وأوديته فقد نقلوا معهم الخبرة العربية بتربية الخيول ، فتأثرت بعض القبائل الزناتية بهم ، وأخذوا عنهم تربية الخيول وتحسين انسابها حتى اشتهرت الخيول الفازازية نسبة الى بلاد فازازوهم بطن من زناتة وبلادهم تقع في منطقة تادلا (360) ، وكذلك قبائل جبل راشد من زناتة حيث كان لهم نتاج مشهور من الخيول (361)، وينسب الى بنى حميد من قبائل غمارة البربرية نتاج معروف من الخيول العربية الاصل تعرف بالخيول الحميدية (362) .

ويبدو أن عرب ذباب المستقرين في المنطقة الممتدة من برقة الى قابس ـ كانوا مختصين بتجارة الخيول ونقلها من بلاد المغرب الى الدولة المملوكية بالقاهرة ، حيث يقول ابن سعيد (363) أن مجالات ذباب من حد قابس الى برقة .. ولهم غرام بحمل الخيل الى الاسكندرية ، وتجد منهم الحجاج معونة في تلك الطريق الشاقة» .

ونتيجة لازدهار تربية الخيول ببلاد المغرب أصبحت الخيول النوع المفضل في الهدايا المملوكية ، وبعد أن كانت أعطيات الدولة وجوائزها أكثرها من الابل أخذا بمذاهب العرب وبداوتهم أصبحت الخيول بمراكبها (364) ، فقد كانت هدايا الدولة المرينية الى الدولة المملوكية بمصر ـ عند مرور ركب الحج المغربى بها في طريقه الى الارض المقدسة ـ الخيول التى أفاض المؤرخون في ذكر عددها ، ووصف محاسنها وانسابها الاصيلة، فقد أهدى أبو الحسن المرينى الملك الناصر بالقاهرة ثلاثمائة

---

(358) العمرى : الممالك والممالك مخطوط حـ 2 ق 3 ص 513، وصف افريقية ص 5، القلقشندى صبح الاعشى حـ 5 ص 113.

(359) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 151.

(360) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ق 3 ص 168.

(361) ابن سعيد المغربى : بسط الارض فى الطول والعرض ص 79.

(362) أنظر البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 108.

(363) ابن سعيد المغربى : بسط الارض فى الطول والعرض ص 79، 80.

(364) ابن خلدون : المقدمة ص 174.

وخمسة وثلاثون «ما بين ذكور واناث» من الخيل العتاق العراب المسومة المعلمة نـزال الابطال ذوات صدور مبقـورة» (365) .

وحرص ملوك مصر على الاستزادة من خيول بلاد المغرب لما تمتاز به من الشدة والصبر على المتاعب والسرعة الفائقة ، فقد كلف الملك الظاهر برقوق ابـن خلدون بعد استقراره بالقاهرة بالكتابة الى سلطان تونس في ذلك ، فبعث اليـه خمسة جياد رائعة ، انتقاها من مراكبه (366) ، ويبدو أن الهديـة لم تحـوز رضاء برقوق لقلة عدد الخيل ، اذ نـراه يكلـف يوسف بن على زعيم أولاد حسين من عرب المعقل اثنـاء عودته من الحج – بعد أن زوده بالهدايا لسلطان المغرب – أن ينتقى له الاصيل من الخيول العربية ويرسلها اليه – وفي الوقت الذي استجاب فيه السلطـان أبـو العباس أحمد بن أبى سالم المرينى لطلب الملك الظاهر . استبطأ الظاهـر وصول الخيل فأرسل مملوكه قطلوبغا المكلف بتربية الخيول الى المغـرب لشراء ما يشاء ، فوصل فـاس وتقابل مع هدية السلطان المشتملة على خمسة وثلاثين من عتـاق الخيل وعاد بهم ، وفي خلال الطريق أضاف أبو زيـان سلطان تلمسـان اليهم ثلاثين من الجياد ، وكذلك سلطان تونـس أهدى الركب ثلاثين فرسـا ، فأصبحت جملة جياد بلاد المغرب خمسة وتسعين فرسا، يبـدو أن اختيارهم تم للتهجين والتوليد بالديار المصرية (367) ، حيـث انها كانت مختلفة الاصول العربية ومتعددة الالـوان وأصيلـة الانسـاب (368) .

وفي الوقت نفسه كانت هدايا الخيول العربية مرغوبة في بـلاد الاندلس ، ومن رسالة لابن الخطيب عن سلطانه (ابن الاحمر) الى سلطان تونـس يشكره على هديته من الخيـول – نـراه يذكر بها أسماء خيـول العرب في الجاهليـة والاسـلام وأشهرها ثم يعقب على خيول الهديـة بقوله (369) «فكم بين الشاهد والغائب ، الفروض والرغائب ، وفـرق بين الاثر والعيان، غنى عن البيان وشتان الصريح والمشتبه» .

(365) محمد بن مرزوق : المسند الصحيح ص 453 ويحددهم ابن خلدون بأربعمائة فرس أنظر رحلته ص 337، القلقشندى : صبح الاعشى حـ 7 ص 392، 393، المقـرى : نفح الطيب حـ 6 ص 138.

(366) ابـن خلدون : رحلته ص 339.

(367) ابـن خلدون : رحلته ص 340 – 345.

(368) القلقشندى : صبح الاعشى حـ 7 ص 383 وما بعدها.

(369) عن ابـن خلدون : رحلته ص 155.

ويبدو أن الدول البربرية ببلاد المغرب اعتمدت في ترويد جيوشها بالخيول العربية ـ بجانب ما تنتاجه مراعيها ـ على انتاج الامارات العربية المستقلة بافريقية (370) وكانت مراعيها تحت رعاية واشراف القبائل العربية بها .

فقد اعتمدت دولة بنى عبد الواد على عبد الله بن كندوز (371) في ادارة مراعيها وانتجاع ابلها ورواحلها ، ورغم انتمائه الى زناتة الا أنه عين للاشراف على ما أسند اليه لحسان بن أبى سعيد الرعاء الاكبر ، وكبير بنى صبيح من عرب سويد وأخيه موسى بن أبى سعيد (372)، وكانت صبيح ناجعة من ظواعن سويد ، لهم عدة وقوة وهم يظعنون مع سويد ويقيمون مقامهم ، ومن المرجح أنهم المكلفون برعاية انعامهم (373).

وحينما ساءت علاقة عبد الله بن كندوز ببنى عبد الواد لجأ الى السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى ومعه معاونيه حسان وأخيه موسى فأسند اليهم السلطان انتجاع ابله ورواحله وسائر ظهره ، وأنزلهم بجهات مراكش وأقطعهم البلاد الكافية لاداء وظيفتهم في القيام برعاية ابله بين احيائهم ، فأسند عبد الله بن كندوز رعايتها الى حسان واخيه موسى فأقاموا يتقلبون في تلك البلاد ويتعهدون نجعتها الى أرض السوس، وبعد أن كانت ماشية السلطان يعقوب متفرقة في سائر المغرب (374) . جمعاها في منطقة واحدة ، وازدادت علاقة حسان بالسلطان لقربه منه واتصاله به واطلاعه باستمرار على احوال ماشيته فارتفع قدره ونشأ بنوه في ظل الدولة وعزها، وأسندت الولايات اليهم وانفردوا بخطة الشاوية (375) .

(370) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 411.

(371) هل هناك علاقة بين عبد الله بن كندوز كمتولى لرعاية الابل واطلاق لفظ كندوز على نوع من اللحم القوى مع ملاحظة أن كلمة كيناز اللحم القوية الكثيرة الصلبة فمن المحتمل أن يكون هو المنسوب الى اللحم. أنظر المنجد.

(372) ابن خلدون : العبر ﺣ 7 ص 345، 346، السلاوى : الاستقصا ﺣ 2 ص 135

(373) ابن خلدون : العبر ﺣ 6 ص 48، مع ملاحظة أن الفرسان العرب يتأنفون من ادارة المراعى وحمايتها. أنظر عمر أبو النصر تغريبة بنى هلال ورحيلهم الى بلاد المغرب ص 118.

(374) اذ كان للمرينيين مراعى بجوار فاس حيث عيون الماء العديدة التى تزود مدينة فاس بالمياه العذبة ويبدو أن هذه العيون نسبت الى الانعام التى ترعى بجوارها مثل عين الخيل وعين البغل وعين بوطويل بنواحى الصاغة . أنظر لسان الدين بن الخطيب : نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب تعليق (6) ص 308.

(375) الشاوية جمع شاوى أى راعى الغنم أنظر مختار الصحاح، ابن خلدون : العبر ﺣ 7 ص 345، 346، السلاوى : الاستقصا ﺣ 2 ص 135، 136.

واستمرت ولايتهـا متوارثة فيهم بصفة خاصة حتى أواخر الدولة المرينية ، وكان لحسان من الاولاد على ويعقوب وطلحة وغيرهم ولعبوا دورا هاما في الصراع حول السلطة في البيت المرينى في أواخر الدولة المرينية ، ومن حسان هـذا تفرعت شعوبهم ببلاد المغرب (376) . ونتيجة لذلـك اطلق لفظ الشاوية الذى كـان مقصورا على عربها من بنى صبيح على جميع سكان تامسنا من عرب وبربر ، وأصبح لسان جميع السكان اللغـة العربيـة (377) .

وكذلك اطلق على أهم أنواع الغنم الموجودة بالمغرب لفظ «المرينى» نسبة الى الدولة المرينية ، ومن المغرب نقل الى الخارج باسم Mérinas وصوفه أجـود صـوف (378) .

ويذكر البكرى (379) أنه بجوار مدينة سجلماسة حصن يعـرف بيرارة «عامر آهل به سوق وجامع وله جدول مـاء، وهو بلد يحسن فيه الغنم ، ويقال أن أصول أغنامهم من قيس .. وصوفها من أجود الاصواف ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مثقالا» .

ويضيف مؤلف الاستبصار (380) ـ حينما يتناول مدينة وجدة ـ بأن مراعيها أحسن المراعى وأصلحها للماشية ، ويذكر انه يوجد في النساه من شياهم مائتى اوقيـة شحما ، ويصنعون من صوفها اكسية ليس لها نظير في الجودة مثل العبيدى ، ويساوى الكساء الجيد منها خمسين دينارا وأزيد ، وحيث أن هذه المنطقة كانت مجالا لاستقرار عرب عبيد الله من المعقـل (381) فليس من المستبعد أن تنسب هذه الاكسية اليهم لقيامهم على هذه المراعـى وتربية المواشى بهـا .

ومن النصين السابقين يتضح لنا دور عرب قيس في انتخاب الاغنام، وكذا عرب عبيد الله في تربيتها حتى حازت الشهرة ، ويبدو أن شهرة

(376) أنظر ثورات العرب ودورهم فى الصراع حول السلطة فى الدولة المرينية الفصل الثالث من الباب الثانى، ابن خلدون : العبر حـ 7 ص 346، السلاوى : الاستقصا حـ 2 ص 136.

(377) السلاوى الاستقصـا حـ 2 ص 136. Leo Africanus : Description II P. 9.

(378) محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ص 20.

(379) البكرى : المغرب فى ذكر آفريقية والمغرب ص 147.

(380) مجهـول : الاستبصـار ص 177.

(381) ابـن خلدون : العبر حـ 6 ص 61.

الاغنام المرينية تعـود في الحقيقة الى خبرة القبائل العربية واصالـه المواشى التى نقلوهـا الى المغـرب .

واذا ما استعرضنا ايـراد الدولة المرينية من خراج اصحاب المراعى والماشيـة كما أورده العمرى (382) في المسالك والممالك ، دون مراعـى الدولة ـ وذلك في النصف الاول من القـرن الثامن الهجرى في عهد السلطان أبـى سعيـد ـ وجدنـاه كالبيـان الآتـى :

فـاس 150ر000 مثقـال ، مـراكـش 150ر000 مثقال ، سبتـة 50ر000 مثقـال اسفـى 25ر000 مثقـال ، اغمـات 25ر000 مثقـال ، آنفـا 40ر000 مثقـال ، آزمـور 20ر000 مثقـال ، طنجـة 30ر000 مثقال بـادس 10ر000 مثقـال ، مكناسـة 60ر000 مثقـال ، سجلماسة ودرعة 150ر000 مثقال، تازي 30ر000 مثقال عصاصة ومليلة والمزمة 30ر000 مثقـال .

ومن هنا ندرك الى أى مدى ساهم العرب في تنمية ميزانية الدولة ، وفي تنمية الثروة الحيوانية ببلاد المغرب ، حيث ان الكثير من المـدن السابقـة اما أوطان استقر بها العرب ، أو كانت ضواحيها ومراعيها موضـع استغلالهم وسيطرتهم .

ثانيـا : دورهـم في الزراعـة والفلاحـة :

وبجانب دور العرب في تنمية الثروة الحيوانية ببلاد المغرب زاول من استقر منهم الزراعة والفلاحة ، واذا استعرضنا على سبيل المثال لا الحصر بعض هذه القبائل التى اضطرت للاستقرار لسبب أو لآخر علـى طول امتداد بـلاد المغـرب من برقة شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، وحاولنا أن نـدرس المناطق التى استقرت بها هذه القبائل ، حتى يظهر لنا الى أى مـدى ساهم العرب في الزراعة والفلاحة بهذه البـلاد ، لوجدنا أن المنطقة الممتدة من برقة الى طرابلس والتى استقر بها عرب هبيـب من سليم اقليـم طويـل ، ورغم تخريب العرب لمدنه وقضائهـم على ممالكه الا أنهم سيطروا عليه ويبـدو أنهم نجحوا في القـرن الثامـن الهجرى في اعـادة تعميـره ، حيث ينص ابن خلـدون (383) على أنـه

(382) العمرى : المسالك والممالك مخطوط هـ 2 ق 3 ص 541.
(383) ابـن خلدون : العبـر هـ 6 ص 72.

في «خدمتهم بربر ويهود يحترفون الفلاحة والتجارة» وليس من السهل أن تستمر احدى هذه الحرف الا في وجود الاستقرار والحماية والامان للقائمين بها .

واستقر عرب ذباب في طرابلس وما حولها من القرى مثل تاجورة وهزاعة وزنزور وغيرها وزحفت بعض ذباب وناصرة جنوبا ، واستقروا ببلاد فزان وودان (384) ، ويعطينا التجانى صورة لاحدى قرى طرابلس وهى تاجورة ، اتمثل لنا الى حد ما الحالة الاقتصادية التى كانت عليها المنطقة ، ودور العرب فيما وصلت اليه بقوله (385) :

«وهى قرية كبيرة عامرة وبها قصر متسع ، يشتمل على دور كثيرة، وفي وسط هذا القصر حصن أقدم بناء منه يقال ان حميد بن جاريه أبا الجوارى ابتناه وشارك العمل فيه بنفسه ، ليحض أهل الموضع على اتمامه ، وهو الذى عمر هذه القرية ، ونقل أهلها اليها من أرض هنالك تعرف بأرض عبد رب ، وكان ابتداء عمارتها في عام 550 هـ / 1155 م، وهم يدعون أنهم من العرب وينتسبون الى تميم ، ويذكرون أنهم سكنوا الارض المعروفة بأرض عبد رب من حين الفتح الاسلامى ثم نقلهم منها حميد بن جارية الى هذه القرية ، وبتاجورة السفرجل الذى لا يوجد فى بقاع الارض مثله ، وليس يقرب منه الا السفرجل الموجود بنفزاوة» .

ويوضح النص كيفية استقرار العرب وتحولهم الى البناء ، اذ نرى زعيم الجوارى يشترك في العمل بنفسه حتى يحذو حذوه أفراد قبيلته، ويتعاون مع العرب ، أهل الفتح الاوائل والقبائل المهاجرة للاستقرار والاشتغال بالزراعة ، حتى تشتهر قريتهم بنوع خاص من السفرجل.

---

(384) مجاورين لمن بودان من العرب السهميون والحضرميون وقد استقلت كل قبيلة منهم بمدينة مستقلة فمدينة السهميين تسمى دلباك ومدينة الحضرميين تسمى يوصى وبينهما تنازع وتنافس كثيرا ما أدى الى الحرب بينهما وقد تمكنوا من اقامة حضارة متواضعة بهذه المدن بفضل فقهائهم وشعرائهم وأكثر معيشتهم من التمر ولهم زرع يسير يسقونه بالنضج. أنظر البكرى : المغرب ص 11، وقد يكونوا اندفاعهم الى بلاد فزان لما تمتاز به من معدن الفضة المتوفر بجبل جرجيس. أنظر الادريسى : نزهة المشتاق ص 35، أنظر : ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 85، 86.

(385) التجانى : رحلته ص 307، 308.

أما بلاد الجريد وهى آخر بلاد افريقية على طرف الصحراء ، حيث امارات العرب المستقلة فيصفها مؤلف الاستبصار (386) بقوله : «وانما سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها ، وهى مدن كثيرة ، وأقطار واسعة، وعمائر متصلة ، كثيرة الخصب والتمر والزيتون والفواكه وجميع الخيرات، وفيها المياه السائحة والانهار والعيون الكثيرة» .

ويطلق ابن خلدون بلاد الجريد وبلاد قسطيلية على شىء واحد فيقول (387) : «ثم بلاد الجريد قبلة تونس وهى نفطة وتورر وقفصة وبلاد نفزاوة ، وتسمى كلها بلاد قسطيلية ، مستبحرة العمران ، مستحكمة الحضارة مشتملة على النخل» .

ويتوسع الحسن بن محمد الوزان كثيرا في مدلول اسم الجريد ، فيجعل حد هذه البلاد بسكرة من ناحية وشواطىء البحر المتوسط عند جربة من ناحية أخرى (388) .

ولقد اشتهرت مدينة قابس والتى تعد أيضا من بلاد الجريد بكثرة الثمار خصوصا الموز وشجر التوت ، ويصنع بها الحرير ، وهو أطيب وأدق حرير بافريقية ، وهى مدينة بحرية صحراوية حتى يقال انه ما اجتمع في مائدة رجل ثلاثة أشياء متضادة المواضع الا في مائدة من يسكن قابس ، يجتمع فيها الحوت الطرى ولحم الغزال الطرى والرطب الجنى، فهى حاضره هذا الاقليم وقطبه وروحه وقلبه ومركز دائرته» (389).

وتشتهر مدينة قفصة بنوع من التمر يسمى الكسبا «ليس مثله في بلد ، وهو أكثر تمرهم ، وهم يجعلونه في أزيار ، فاذا أخرجوه منها بقى في قعر الزير عسل الذ من عسل النحل وأعطر» (390) وكذلك الفستق «ولا يكون الفستق ببلاد المغرب الا في قفصه ، وبها من الفواكه أنواع كثيرة، واليها ينسب جلد الاروى المتخذ منه النعال الشديدة الليونة» (391).

(386) وهى تشمل مدينة قابس، حامة مطماطة، قفصة، وبلاد قسطيلية (توزر، نفطة، تقيوس، الحامة (بنو بهلول)، بلاد نفزاوة) أنظر الاستبصار ص 150 وما بعدها.

(387) أنظر ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 412 وما بعدها.

(388) Leo l'Africanus : Descr'ption de l'Afrique III, P. 296.

(389) أنظر البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 17، الادريسى : نزهة المشتاق ص 106، الاستبصار ص 112.

(390) مجهول : الاستبصار ص 152.

(391) عن القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 107.

أما توزر قاعدة بلاد الجريد ذات البساتين والنخيل والزيتـــون ، يزرع بها الكتان والحناء (392) ، يصفها التجانـــى في القرن الثامـــن الهجرى بقوله بأنه (393) (ليس ببلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياها ، وكثير من أهلها يسكنون بغابتها ، ولا مناسبة «بين مبانى الغابة ومبانى داخل البلد ، فان مبانـــى الغابة أضخم وأحسن ، وبداخل البلد جامعـــان للخطب وحمام واحد ومتفرجهم بموضع يعرفونه بباب المنشر، وهو من أحسن المتفرجات ... ويجتمع به القصارون ، فينشرون هناك من الثياب الملونة والامتعة الموشية مايعمة على كبره ، فيخيل للناظر انه روض تفتحت أزهاره ، وليس بتوزر أحســن من هذا الموصع ، وهـــو خارج عن غابتهـــا» .

ويتضـــح من النــــص انتشـــار صناعة الثيـــاب وصباغتها بالمدينة.

وبعد نقل الموحدين لمعظم عــرب الاثبـــج من افريقية الى المغـــرب عجزت بقايا قبائلهم عن الظعن ، فاستقروا ـ خصوصا الضحاك ولطيـــف منهم ـ ببـــلاد الـــزاب في مدن الدوسن وعرسد او تهـــودا ونقموة وبـــادس كرعايـــا للدولة ، يدينـــون بالطاعة لبنـــى مزنـــى ، وينعمون بحمايتهم ، تربطهم بهـــم صلـــة النسب في عـــرب لطيـــف (394) .

وتقع بـــلاد الزاب على طرف الصحراء أســـوة ببلاد الجريد ، وهـــى مثلهـــا في حر هوائهـــا وكثرة نخيلها (395) ، وسكانها من العـــرب فيما قبل الهجـــرة الهلالية «أخلاط من قريـــش والعرب الجند» ، استقروا فـــى طبنـــة مدينة الـــزاب العظمى (396) ، بجانب من بهـــا من العجم ، ويذكر البكـــرى ان فئاتهـــا دائمة التصارع ، والحرب لا تهدأ فيما بينهم ، ويعتمد من بهـــا من العـــرب على عرب مدينة تهـــوذا (تهودة) (معظمهم من قريش) وعرب مدينة سطيف ، ويعتمد المولدون على سكان بسكرة (397) .

(392) عن القلقشندى : صبح الاعشى حـ 5 ص 106.

(393) التجانى : رحلته ص 157، 158.

(394) ابـــن خلدون : العبر حـ 6 ص 22 ـــ 24.

(395) مجهول . الاستبصـــار ص 171.

(396) اليعقوبى : وصف افريقية ص 11 ويقال أن الذى بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلبى. أنظر البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص 50.

(397) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 50، 72.

ومدينة طولقة وهى ثلاث مدن كلها عليها أسوار طوب وخنادق ـ احدهما يسكنها المولدون والثانية اليمنيون والثالثة القيسيون (398).

وبسكرة قاعدة بلاد الزاب مدينة كبيرة ، وحواليها حصون كثيرة وقرى عامرة ، ولها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون ، وأكثر تمرها المعروف بالكسبا ، وآخر يعرف باللياري وهو أبيض أملس ، وبلغ من طيبه وحسنه أن عبيد الله الشيعي كان يأمر عماله بعدم بيعه وارساله اليه (399) ، ولتوسطها بين الصحراء والتل جمعت بين عدة خصائص فبجانب النخيل والزيتون تقوم تربية الابل والبقر ، وتحسن بها تربية المواشي وفلاحة الحبوب والثمار ، حتى اغتنى أهلها وأمراؤها، وقال عنها العياشي في رحلته : «وبسكرة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توفر اسباب العمران فيها» (400) .

وأطلق ابن خلدون اسم الزاب على مائة قرية كل منها تسمى الزاب، ويفرق بينهما فيقال زاب طولقة وزاب بسكرة وهكذا ، وذكر الحسن بن محمد الوزان حدود الزاب على نحو ما ذكرها ابن خلدون ، وهو يذكر فيها خمسا وعشرين مدينة علاوة على عدد كبير من القرى (401) .

ويبدو أن بلاد الجريد والزاب رغم تعدد انتاجها من الثمار وانتشار الصناعة في بعض مدنها الا أنها اعتمدت بصفة رئيسية على زراعة النخيل وتصنيعه، حيث أنها كانت تمثل عصب الحياة في اقتصادها ، اذ يلاحظ من تاريخ هذه المنطقة ـ سواء من حيث علاقة هذه الامارات العربية بالدولة من ناحية ، أو علاقتها ببعضها وبالقبائل العربية المستقرة فى انحائها من ناحية اخرى ، وما يستتبعه ذلك من تصارعها ، وقيام الحروب فيما بينها ـ ان أقسى ما يلحقه عدو بها أن يقوم بقطع نخيلها ، ويشبه ابن خلدون هذا العمل وتأثيره في سكان بلاد الجريد أو الزاب من العرب بعبارة بليغة هى : فكأنما يقطع بذلك أمعاءهم، (402).

---

(398) البكرى . المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 72.
(399) انظر البكرى : المغرب ص 52، 53. الادريسى : نزهة المشتاق ص 93، مجهول : الاستبصار ص 173.
(400) عن الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 292.
(401) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 405 وما بعدها.
Leo l'Africanus : Description III, P. 250.
(402) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 38، 39، 417.

وبعد أن استقرت رياح في منطقتى الهضاب والصحراء من عمالـه قسنطينة الى زاغر من عمالة الجزائر عنوا بالفلاحة وتربية المواشى ، فأثروا وكثروا واعتزوا على الدولة الحفصية ، وكان يعقوب بن على من أعظم أمراء رياح ممن سبقه منهم أو لحقه لولوعه بالفلاحة والعمران ، اختط قرية فرفار قرب طولقة ، ونزل عليه بها ابن خلدون في وفادته على سلطان تونس في 780 هـ / 1378 م ، وله املاك بطولقة ونقاوس والصحراء والتل وله رغبة في السلم (403) .

واستقر الثعالبة من ذوى حسان من المعقل ببسيط متيجة في جنوب الجزائر ، بعد أن قتل زعيمهم سالم بيد أبى حمو من ملوك بنى عبد الواد ، وتتبعه لاخوانه وعشيرته وقبيلته بالقتل والسبى والنهب الى أن دثروا وانتشروا في المنطقة بدون عصبية (404) .

وبعد طرد بنى عبد الواد لزغبة من التلول والارياف الى القفر المحاذى لاوطان بنى توجين ، صاروا لهم حلفاء بالمهادنة والمصاهرة ضد بنى عبد الواد ، ونزل واستقر من عجز منهم (زغبة) ببسائط البطحاء، ونزل محيش بن عمارة وأخوه سويد بضواحى وهران ، ففرضت عليهم الاتاوات والمغارم وصاروا في عداد الرعايا أهل الجباية ، واستقرت طائفة من عكرمة بن يزيد من زغبة ، عجزت عن الظعن بجبل كريكرة قبله السرسو (405) .

وكذلك الخلط الذين استقروا ببلاد تادلا أندمجوا وتلاشت عصبيتهم في القرن الثامن الهجرى بما اصابهم من الخصب والترف بوادى أبى الرجراج خلال قرنين من الزمان ، فركنوا الى العز والدعة «فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف» على حد قول ابن خلدون (406) .

وهذه القبائل التى دثرت واضطرت ان تندمج بمن جاورهم من السكان ، لاشك انهم لعبوا دورا في الحياة الاقتصادية بتلك المناطق سواء عن طريق احترافهم للفلاحة أو التجارة أو الرعى ، ونأخذ مثلا لذلك سكان جبل درن المطل على مراكش ، ويقال انه أكبر جبال الدنيا .. وفيه

(403) الميلى : تاريخ الجزائر حـ 2 ص 285، 287.
(404) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 64، 65.
(405) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 46.
(406) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 30.

قبائل كثيرة من المصامدة يقال انهم من العرب ، قد دخلوا تلك البلاد وسكنوا تلك الشعاب في ... غزوة الاشراف ، فكان البربر يطلبون العرب، فتوغلوا في تلك الجبال وتناسلوا ، حتى نسب مؤلف الاستبصار في القرن السادس الهجرى الجبل اليهم بقوله : «فهم أهلها على الحقيقة لانهم أحيوها» (407) .

واستقر عرب ذوى حسان ببلاد السوس الاقصى، ونزل شيوخهم ببلاد نول (408) ، وقد تمكن على بن بدر وهو من أعيان البلاط في دولة الموحدين من اقامة مملكة صغيرة مستقلة في السوس على اكتاف ذوى حسان من عرب المعقل ورثتها أسرته من بعده حيث أنهم حمدوا مواطن السوس لعدم المزاحم من الظواعن فيها فاستوطنوها وغلبوا على القصور التى بتلك المواطن في سوس ونول مثل تارودانت حتى آلت اليهم في القرن الثامن الهجرى (409) .

ويشيد الجغرافيون العرب في العصور الوسطى بجودة محصولات السوس ، فيتحدث الادريسى عن الحبوب التى تزرع كالقمح والشعير والارز ، وعن وفرة فاكهته على اختلاف انواعها . كالبندق والتين والعنب والسفرجل والرمان والليمون والخوخ والتفاح وبخاصة نوع من قصب السكر لا نظير له ، وكان يصنع بالسوس كذلك نسيج اشتهر امره بين الناس (410) .

ثالثا : دورهم في التجارة الداخلية والخارجية :

يضاف الى نشاط العرب السابق سيطرتهم على طرق التجارة بين افريقية والمغرب وبلاد السودان ، حيث كانت تسلك طريقين : الاول من بلاد افريقية الشمالية متجها صوب الجنوب عبر واحات الصحراء الى المدن الكبرى في السودان .

---

(407) مجهول : الاستبصار ص 210.

(408) ويقال أن الذى جلب الساقية الى مدينة السوس عبد الرحمن بن مروان، وانه عمر وادى السوس الى وادى ماسة، أنظر البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 161. أنظر ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 58.

(409) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 69، 70، يبدو أنه ادعى الانتساب الى عرب الفتح للتقرب لاحلافه من العرب.

(410) الادريسى : نزهة المشتاق ص 61 وما بعدها.

والثانى من المغرب الاقصى الى بلاد السودان عبر حوض السنغال وله فرعين (411) .

ورغم ما ذكره Terrasse عن هجرة الطريق الاول بسبب العواطف الرملية التى بدأت تجتاحه ـ فخاف التجار على انفسهم ، وعدلوا عن سلوك هذا الطريق ، فازدادت أهمية الطريق الثانى (412) الا أن الادريسى يذكر في منتصف القرن السادس الهجرى أن مدينة زالة وزويلة ومنيج وودان وصرت وزويلة ابن خطاب مراكز تجارية مع بلاد السودان ، والعرب تجول في ارضها ، وتضر بأهلها ، وهى ملك للقبائل العربية من ناصرة وعميرة (413) وكذلك ابن خلدون يذكر انه حتى القرن الثامن الهجرى كان وطن بنى واركلا ـ ويقع في جنوب امارة بسكرة العربية وعلى بعد ثمان مراحل ـ باب لولوج السفر من الزاب الى المفازة الصحراوية المفضية الى بلاد السودان ، يسكنها التجار الداخلون لها بالبضائع وعلى نفس الطريق يقع بلد تكرت ، قاعدة «وطن الملثمين ، وركاب الحجاج من السودان» وتربط تكرت وبسكرة «صلات قوية ويبدو أنهم اتبادلوا السفارات، خصوصا في أيام يوسف بن مزنى بسبب المصالح التجارية المشتركة بينهم، فقد اجتاز هذا الطريق في خلال عام واحد من تجار المشرق الى بلد مالى ما اشتمل ركبهم على اثنى عشر الف راحلة (414) ولقد سيطرت القبائل العربية على هذا الطريق (415) .

أما بالنسبة للطريق الثانى عبر المغرب الاقصى فهو فرعين : الاول يبدأ من تارودانت الى نول ثم الى اوليل ، وهو يمر عبر موريتانيا ، وقد اهمل هذا الفرع اول الامر نتيجة لاغارة عرب بادية السوس على سابلته ، وتحول التجار الى الفرع الثانى الممتد من سجلماسة ثم درعة الى اودغشت ثم النيجر ، والمار عبر قصور الصحراء مثل تمنطيت

---

(411) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ص 11، محمد عبد الهادى شعيرة : المرابطون ص 16 ومابعدها، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 87.

(412) عن حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 87.

(413) الادريسى : نزهة المشتاق ص 133.

(414) ابن خلدون : العبر ﺣ 7 ص 51، 52.

(415) أنظر دور العرب فى نشر الثقافة العربية ببلاد السودان وطرق تسربهم اليه بالرسالة .

وتيكرارين ، وهى كثيرة تقارب المائة ، وكلها ممشاة للعرب ، ومختصة بعبيد الله من المعقل ، وربما شاركهم بنو عامر بن زغبة خلال ناجعتهم حتى تيكرارين ، واما عبيد الله فيزيدون الى قصور توات وبلد تمنطيت، ترافقهم قوافل التجار من الامصار والتلول للاستظلال بحمايتهم حتى تمنطيت ، ثم ينتقلون الى بلاد السودان (416) ، ويبدو أنهم اعتمدوا على حماية بعض فرسان عبيد الله في الجزء الاخير من الطريق نظرا لطوله من ناحية وكبر حجم قوافلهم من ناحية أخرى .

وأصبحت مدن تارودانت ونول وسجلماسة ودرعة على طرف الصحراء من الشمال ، وأودغست على طرف الصحراء من الجنوب ، من أهم مدن المغرب وأوفرها مالا (417) ، فقصدها التجار من كافة الآفاق ، كما أن طريق المحيط الاطلسى زادت أهميته ، وبدأت القوافل تسلكه ، وهو يمر بديار جدالة ولمتونة ، فكانت النتيجة ان تحكمت قبائل ذوى حسان في هذا الطريق الحيوى ، واحتكرت التجارة بين المغرب والسودان ، وكان هذا الاحتكار اول الامر من نصيب زناتة التى استطاعت بعد أن حالفت العرب ان تضع يدها على هذه التجارة الرابحة ، ولكن الملثمين نازعوها هذا الامر ، وانتزعوا هذه الموارد الضخمة من أيدى الزناتيين ، بل وناضلوا مملكة غانة وغيرها من الممالك الزنجية دفاعا عن هذه الثروة الضخمة ، ووضعوا ايديهم على مدينة أودغست ، كما أن قبيلة لمطة بسطت نفوذها على المنطقة الممتدة من جبال درن حتى وادى نون (نول) ، وأنشأت مدينة نول لمطة التى أصبحت في الواقع من أهم المراكز التجارية في غرب افريقية (418) ، ثم تمكن عرب ذوى حسان أخيرا اعتبارا من القرن السابع الهجرى من السيطرة على هذا الطريق بعد سيطرتهم على السوس واقتسامهم جبايته ورعاياه من قبائل المصامدة وصنهاجة ،

(416) ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 56، 57.

(417) فقد اشتهرت تارودانت بقصب السكر ومعاصره ودرعة بالحناء وشجر التاكوت وبه يدبغ الجلد الغدامسى أما أودغست فتشتهر بالبساتين الكثيرة والنخيل والماشية وأهلها اخلاط من جميع الامصار وقد استوطنوها لكثرة خيرها. أنظر البكرى المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ص 161، 162، 163، 168، مجهول : الاستبصار ص 206، 212، 215، محمد عبد الهادى شعيرة : المرابطون ص 16 وما بعدها.

(418) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 88.

وتمكن ظواعن ذوى حسان من فرض العسكرة على البربر معهم ، مكزولة مع بنى حسان وزكرز ولحس من لمطة مع الشبانات (419) .

وكان الملح من أهم السلع المتبادلة بين السودان ومعظم بلاد المغرب ، ففى المغرب الاقصى كان الملح يحمل من سجلماسة وديار لمتونة وجدالة حيث مجالات عرب المعقل ، ففى جنوب السوس يتوفر معدن الملح ، تحفر عنه الارض كما تحفر عن سائر المعادن على بعد قامتين أو اكثر من وجه الارض ، فيقطع كما تقطع الحجارة (420) .

وفي المغرب الادنى كان معاش عرب ذباب من سليم الذين استقروا في منطقة طرابلس وما حولها من تجارة الملح ، يستخرجونه بطريقة غريبة يصفها ابن خلدون بقوله : «يثيرون له الارض بالعوامل من الجمال والحمير وبالنساء اذا ضاق كسبهم من العوامل» ويرحلون به الى بلاد السودان المجاورين لهم مثل مملكة برنو (421) .

وكذلك يقوم عرب الجوارى من سليم أيضا باستخراج الملح والاتجار فيه شمالا مع الدول المسيحية ، فيقول التجانى : «ثم انتقلنا الى قصر صالح ، وهنالك السبخة المفضل ملحها على جميع السباخ ، ومنها عقار اكثر بلاد النصرانية ، جئناها وبها اذ ذاك ماء يسير ، واهل ذلك الموضع يذكرون انهم اذا رفعوا ما على وجهها من الملح ووصلوا الى تراب الارض احتفروا فيه قليلا فوجدوا طبقة من الملح أخرى ، ثم يحتفرون فيجدون طبقة أخرى وكذلك الى سبع طباق ، وهم يجهدون الى الطبقة السابعة لان النصارى يتغالون في شرائه منهم ، ويذكرون ان له عندهم منافع طيبة متعددة» (422) .

ويبدو أن العرب احتكروا تجارة الملح سواء مع بلاد السودان أو الدول المسيحية ، خصوصا اذا ما علمنا ان قوافل التجار تدخل بلاد السودان بالملح والنحاس والودع ، وتعود محملة بالصمغ والصدف والخرز والتبر (423) لولوع العرب بالذهب اذ ان كثيرا من اسماء

(419) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 69، 70.

(420) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 171، مجهول الاستبصار ص 200 — 202، 214، ياقوت : معجم البلدان حـ 3 ص 45.

(421) ابن خلدون : العبر حـ 6 ص 87.

(422) التجانى : رحلته ص 206.

(423) أنظر العمرى : المسالك والممالك — مخطوط — حـ 2 ق 3 ص 554، القلقشندى: صبح الاعشى حـ 5 ص 286، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 88.

المواضـــع التى يتألف منها مواطن القبائــل العربية بموطنها القديم فــى شبــه الجزيــرة العربية ، والتى انتقلت الى المغــرب كانت مركبة يدخلها لفــظ معــدن اشـــارة الى وفــرة المناجــم فيها ، وبخاصة مناجم الذهــب والفضــة والعقيــق وغيرهما (424) .

وبجانب توفر هذه المعادن في المناطق النى انتقلت اليها واستقرت بها بعض هذه القبائل، فان المنطقة الممتدة من برقة الى طرابلس وجد بها معدن الكبرت بالقرب من حصن طليمثة (425) (اوطليمثــا) ، وهى ميناء تحمــل المراكب منه تجارته الى غيــره من البــلاد (426) .

وببــلاد فــزان حيث المراعــى التى تتنافــس عليها العرب والبربر يوجــد معــدن الحديد الجيــد (427) وكذلك يوجد بها معدن الفضة في جبل جرجيــس (428) .

ويبدو أن ذلك كان من اسباب اندفاع عرب ذباب وناصرة الى هذه البــلاد للاستقــرار فيهــا (429) .

واستولى العرب على مدينة مجانة ، وتشتهر بالمعادن الكثيـــــرة خصوصا معدن الفضة حتى سميت (بمجانة المعــادن) ، كانت للواتة من البربر ، ثم استولــت عليها العرب وطردوا اهلها من لواتة ، فأقامــوا بضواحيها ، وللمدينة قلعة تعرف بقلعة بشر مبنية بالحجر ، فيها ثلاثمائة وستــون جبــا ، استولى عليها العرب لحماية المدينة (430) .

وكذلك تغلب الهلاليون على طرق القوافل ، فلا يجتازها غيرهم الا بخفــارة أحدهم ، فوقفت حركة البربر التجارية من هذه الناحية ، ولكن الهلالييــن قاموا بهــا خير قيام، ووسعوا نطاق التجارة بين التــــل والصحــراء (431) .

(424) انظر ابــن الخطيب : أعمال الاعلام ق 3 ص 169، عبد الحميد يــونــس : الهلاليــة فى التاريخ والادب الشعبى ص 17.

(425) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص 242.

(426) ابــن سعيد المغربى : بسط الارض فى الطول والعرض ص 80، أبو الفداء : ذكر بلاد المغرب ــ من كتاب تقويم البلدان ــ ص 142.

(427) ابن سعيد المغربى : بسط الارض فى الطول والعرض ص 61.

(428) الادريسى : نزهــة المشتاق ص 356 .

(429) ابــن خلدون : العبر جـ 6 ص 85، 86.

(430) البكرى : المغرب ص 145، الادريسى : نزهة المشتاق ص 99، 100.

(431) الميلى : تاريخ الجزائر جـ 2 ص 154.

فسيطروا على التجارة الداخلية بالبلاد ، واحتكروا تموين مدينة مرسى الخرز بما تحتاجه من الاغذية ، مقابل ما تنتجه من صيد المرجان الذى كان يصدر الى جميع الجهات ، وآلت اليهم تجارة مدينة بونة وما تحققه من أرباح ، وامدوا مدينة تونس بما تحتاجه من الحبوب والعسل والسمن ، وشاركوا تجار مدينة قسنطينة فيما يتجرون ، حتى عمرت اسواقها وأغتنى تجارها (432) .

وبجانب سيطرة القبائل العربية بالمغرب على التجارة مع السودان والتجارة الداخلية ببلاد المغرب ، سيطروا كذلك على العلاقات التجارية مع الديار المصرية ، وفرضوا طاعتهم على الطريق التجارى من الاسكندرية الى طرابلس (433) ، وأقاموا فرق من الفرسان للقضاء على ما يهدد أمن هذا الطريق (434) .

وكانت برقة المحطة التجارية الاولى فيما بين مصر والمغرب ، يحمل العرب منها الى مصر الاغنام ، حتى قال البكرى ان «أكثر ذبائح مصر منها» ، وكذلك العسل الذى اشتهر بانتاجه قوم من عرب لخم ، والقطران يستخرجونه من نبات العرعر والصوف (435) .

وازدهرت بها مصانع لدباغة الجلود البقرية والنمور الواصلة اليها من اوجلة (436) .

بقيت مسألة كثرت الكتابة حولها ، وهى تعصب ابن خلدون ضد القبائل العربية التى انتقلت الى المغرب ، ونسبتهم الى التوحش والهمجية، واشتراك بعض مؤرخى المغرب في العصور الوسطى في اتهامهم بتبديد وتخريب بلاد المغرب بعد ان كانت جنة لغاباتها وحقولها المزدهرة ومدنها وقراها الحافلة بالسكان (437) .

---

(432) الادريسى : نزهة المشتاق ص 94، 111، 116، 117.
(433) الادريسى : نزهة المشتاق ص 122.
(434) البكرى : المغرب ص 9.
(435) البكرى : المغرب ص 5، الادريسى : نزهة المشتاق ص 131، 138.
(436) الادريسى : نزهة المشتاق ص 131.
(437) أنظر الادريسى : نزهة المشتاق ص 93، 103، 109، 121، وما بعدها، الاستبصار ص 154، 161، ابن بطوطة : تحفة الانظار فى غرائب الابصار جـ 1 ص 6، 8، التجانى : رحلته ص 59، 68، 237.

ويلخص ابن خلدون افكار من قبلة من المؤرخين في دور العـــرب التخريبي بالمغرب بقوله : وافريقية والمغـرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة ، وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين ، قد لحق بها وعـادت بسائطه خرابا كلها ما بين السودان والبحر الرومى كلـه عمرانـا تشهد بذلك آثـار العمران فيه من المعالم وتماثيل البنـاء وشواهد القـرى والمـدر» (438) .

ويعزو الميلى ما لحـق المغرب من اضرار الى صنهاجة التى لم تحسن سياسة هؤلاء العرب ، وقد بالغ كتاب العربية في تقدير تلك الاضرار ، ثم حملوا الهلاليـين مسؤوليتها ذلك لانهم كتبوا لـدول بربريه ، ولم يكـن للهلاليين حكومة تهتم بدعايـة سياسية لهـم (439) .

واتخذ الكتاب المستشرقون من مبالغات مؤرخى الاسلام في العصور الوسطى مبـررا لمهاجمة العـرب بالمغرب وأطراء البربر بعد ما كانـــوا يصفونهم باشنع التهم في خلالى العصرين الرومانى والبيزنطى ، حتـى وصف كاريت انتقال العرب الى المغـرب في عهد الفاتحين الاول كالاعصار يقتلع الاشجار ، ويهدم المنازل ، وفي عهد الهلاليين كالحريق الهائل يبتلع الاشجار والمساكن ، ويتركها رمادا تذروه الرياح ، وانتهى الى ان ما ابقاه الاعصار قضـى عليه الحريق (440) .

وينصف المؤرخ جرمان عياش عرب القبائل الهلالية والسليمية بقوله:

«ان بعض المؤرخين المعتمدين على ما كتبه ابن خلدون عن عرب بنى هلال وبنى سليم اسرفوا في تعليل تسلسل الاحداث ، وتطور الاحـــوال في المغرب بفســاد العرب المستمر منذ القرن الخامس الهجرى وحتى القرن الحالى ، فليس من المعقول ان تتسبب بعض القبائل القليلة العدد فـــى انحطاط قطر عظيم مثل افريقية والمغرب وانحلاله وتخريبه لمدة عشـــرة قرون متصلة ، وليست القبائل هى السبب الاساسى لما حدث ، ان دور العرب مرتبط ونتيجة للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التـــى كانت سائدة قبل مجيئهم وفي أثناء تواجدهم» (441) .

---

(438) ابـن خلدون : المقدمة ص 150 .
(439) الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 153 .
(440) الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 153 .
(441) أنظر جرمان عياش : مهرجان ابن خلدون ص 50 .

ويضاف الى ذلك ان هؤلاء العرب زاولوا ببلاد المغرب ما اتاحته لهم طبيعتها وارضها ، فمن استقر منهم كان معاشه في الزراعة والفلاحة ، وسكنوا المدن والقرى والجبال ، ومن كان معاشه في السائحة مثل الغنم والبقر فهم ظعن لارتياد المراعى والمياه ، واطلق عليهم الشاوية ، أما من كان معاشه في الابل فهم أكثر ظعنا وأبعد في القفر ، لان الابل لا تعتمد في حياتها على التلول ونباتها وشجرها فقط بل قوام حياتها مراعى الشجر بالقفر ، وورود مياهه الملحة ، والتقلب في فصل الشتاء في نواحيه فرارا من اذى البرد الى دفء هوائه ، وطلبا للتوالد في رماله حيث الدفء فاضطروا الى ابعاد النجعة ، وأوغلوا في القفار ، فكانوا أشد الناس توحشا ، وينزلون من اهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه .. وفي معناهم ظعون البربر وزناتة بالمغرب (442) .

وهكذا نرى أن التوحش لم يكن مقصورا على هذه القبائل فقط ، فقد شاركتهم فيه البربر ، ونتيجة لتلك الحياة التى فرضت على هذه القبائل اتهموا بصفات لم تكن مقصورة عليهم ، ولاشك ان انتقال هذه القبائل وعملية استقرارها وما نتج عن ذلك من تفاعل (حروب ومصادمات) اظهر دورها المفسد لاقتصاديات بلاد المغرب، ولكن يقابل ذلك مما سبق من هذه الصفحات دورهم الايجابى في حياة المغرب الثقافية والدينية والاقتصادية كالعملة لها وجهان (443) .

(442) ابن خلدون : المقدمة ص 121.

(443) أنظر الدراسات المتنوعة عن دور العرب فى المغرب ونظرية ابن خلدون عنهم فى المؤلف الضخم عن مهرجان ابن خلدون، مقالة محمد الفاسى ابن خلدون والسياسة نشرته مجلة التربية الوطنية عدد 2 — 3 — سنة 1959 ص 11 وما بعدها.

خاتمة

نستخلص من هذا البحث الى نتائجه المستمدة من محصوله اجمالا أن انتقال القبائل العربية الى بلاد المغرب خلال العصر الاسلامى مر بثلاث مراحل متميزة :

المرحلة الاولى : تبدأ مع الفتح العربى للمغرب حيث انتقلت القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية الى أرض المغرب لاول مرة وكانت معظم هذه القبائل من عرب اليمن والحجاز وتبعتها الامدادات الوافدة صحبة كل أمير جديد مما أدى الى اقامة مدن عربية كانت بمثابة مراكز تجمع لهذه القبائل في المغرب .

أما المرحلة الثانية : فتبدأ اعتبارا من القرن الثانى الهجرى بسبب ثورات البربر ببلاد المغرب من جهة ومنازعات العصبية القبلية في الدولة الاموية بالشرق من جهة أخرى اذ عمد الخليفة هشام بن عبد الملك الاموى (105 ـ 125 هـ) الى نقل كثير من القبائل القيسية المستقرة بالشام الى المغرب بهدف الاستقرار . وكان تصريحه المشهور : «لا تركت حصنا بربريا الا وجعلت الى جانبه خيمة قيس أو تميمى» بمثابة اعلان عن بدء تعديل التكوين العربى لبلاد المغرب لهدفين :

الاول : الحد من سيطرة القبائل اليمنية التى ما زالت تمثل الغالبية من عرب بلاد المغرب ولاسيما وقد ثبت لدى ولاة بنى أمية أنهم على استعداد لاثارة الفتن ضد الدولة .

والثانى : تحقيق توازن في القوى بين العناصر العربية سواء أكانت يمنية أو قيسية وبين أهالى البلاد من البربر مما يخفف من أخطار قيام البربر بثورات تهدد النفوذ العربى في بلاد المغرب .

ونتيجة لكثرة العناصر العربية ان نشأت الدويلات العربية المستقلة بالمغرب في القرن الثالث الهجرى والتى قامت بتأسيس مدن عربيه جديدة كما كانت مراكز جذب قوية للقبائل العربية سواء من خارج بلاد المغرب أو من داخلها للعمل بخدمة هذه الدول مما ساعد على نشر الحضارة الاسلامية في المناطق التى خضعت لنفوذها كدولة بنى صالح الحميريين بمدينة نكور بالريف الغربى في 143 هـ / 760 م والادارسة بالمغرب الاقصى في 172 هـ / 788 م والاغالبة بافريقية في 184 هـ / 800 م واعتبارا من القرن الرابع الهجرى خلفت الدولة الفاطمية الشيعية هذه الدويلات العربية في حكم بلاد المغرب واعتمد الفاطميون على أسر عربية حليفة تؤازرهم فأسندوا الى بنى حمدون ادارة المسيلة والزاب والى الكلبيين حكم جزيرة صقلية وعملوا على تشكيل بلاطهم من الوزراء والكتاب والقضاة من العناصر العربية وغيرها .

أما المرحلة الثالثة : وهى التى تعرف بالهجرة الهلالية في منتصف القرن الخامس الهجرى فقد حركتها الدولة الفاطمية بعد انتقالها الى مصر وهذه المرحلة من أهم المراحل الثلاث حيث أن الفتوحات العربية الاولى نجحت في نشر الدين الاسلامى واللغة العربية وتكوين الدويلات العربية المستقلة في القرن الثالث الهجرى ببلاد المغرب فأتت الهجرات الهلالية لتعريف القبائل البربرية وتعديل التكوين الجنسى والعنصرى لسكان المغرب ونتج عن امتزاج العرب والبربر أجيال أقوى شكيمة وأشد مراسا من أجدادهم كما ساهموا في نشاط الدول المغربية الاسلامية التى قامت بعد ذلك في بلاد المغرب مثل دولة المرابطين التى شملت المغربين الاقصى والاوسط والصحراء وامتد نفوذها الى الاندلس واستمر نحو قرن حتى منتصف القرن السادس الهجرى وتلاهم الموحدون الذين وحدوا المغرب كله مع الاندلس في دولة واحدة مدة قرن من الزمان ثم انهارت دولتهم وقامت على انقاضها ثلاث دول مستقلة وهى الدولة الحفصية بتونس وبنى عبد الواد بتلمسان والدولة المرينية بفاس .

وبينما اصطنعت قبائل البربر بعد اسلامها انسابا عربية حتى تتساوى مع القبائل العربية وتشارك في الحياة السياسية الجديدة خلال الاربعة قرون الاولى للهجرة ، عمدت بعد ذلك بعض الدول المغربية ذات الاصل الابربرى أن تنشىء لنفسها خلافة خاصة تستند الى الاسس الشرعية اللازمة كالنسب النبوى أو الاصل العربى لهذا قال الموحدون

بانتماء خلفائهم الى الرسول عن طريق الادارسة واتخذوا اللون الاخضر شعارا لهم كى يظهروا ميلهم الى الدعوة العلوية بينما زعم الحفصيون أنهم من سلالة الخليفة أبى حفص عمر بن الخطاب ولقد حرصوا على الاعتزاز بهذا الاصل واظهاره في كل مناسبة ونجد ذلك واضحا في أقوال كتاب وشعراء هذه الدول . بل لقد حرص ملوك وأمراء بنى مرين على مصاهرة القبائل العربية المقيمة في المغرب فتزوجوا النساء العربيات واستخدموا في الحجابة والكتابة رجال من العرب . ولعل هذه السياسة العربية التى انتهجتها هذه الدولة المرينية كانت وازعا ضروريا لاكتساب الشرعية الكافية في مواجهة جيرانها وأعدائها من الموحدين والحفصيين وبنى عبد الواد الذين ادعوا لانفسهم هذا الاصل العربى والنسب النبوى كما اتخذوا أحلافا من القبائل العربية .

كذلك نلاحظ أن القبائل العربية لعبت دورا أساسيا في صراع الموحدين مع بنى غانية (بقايا دولة المرابطين) والمماليك الغز الذين انتقلوا من مصر الى افريقية اذ قام العرب بمحالفة بنى غانية ومناصرتهم حتى بدا أن دولة المرابطين سوف تبعث من جديد في افريقية بمعاونة القبائل العربية الا أن الموحدين قضوا على هذا التحالف وتتبعوا بنى غانية بالقتل والتشريد كما نقلوا القبائل العربية التى عاونتهم الى المغرب الاقصى حيث استقرت رياح ببلاد الهبط وجشم ببلاد تامسنا واستخدموا المماليك الغز في جيوشهم . ولا شك أن هذه الاضطرابات التى لعبت فيها القبائل العربية دورا واضحا أدت الى تعيين أبى حفص واليا دائما على افريقية مما ساعد على قيام الدولة الحفصية المستقلة بعد ذلك .

هذا ، وقد ساهمت القبائل العربية بدور ايجابى في السياسة الجهادية للدول المغربية ببلاد الاندلس فما أن استنجدت الاندلس ببلاد المغرب لمقاومة الغزو المسيحى بقيادة مملكة قشتالة حتى لبت هذه القبائل النداء للدفاع عن الاندلس وقد أشاد المؤرخون ببلاء الفرسان العرب فى موقعة اقليش في 501 هـ / 1108 م في العصر المرابطى ، وفي موقعة الارك في سنة 591 هـ/ 1195 م في العصر الموحدى وحتى حينما نجح القشتاليون في الانتقام لهزيمة الارك وتمكنوا من دحر الموحدين في موقعة العقاب 609 هـ / 1212 م كانت القوات العربية آخر من ترك ميدان المعركة وقام بعض فرسانها بمعاونة الخليفة الناصر على الفرار .

وفي عصر الدولة المرينية ازدادت مشاركة القبائل العربية في الاعمال الجهادية بالاندلس اذ لم يقف دور هذه القبائل عند اشتراكهم فى الجيوش المرينية بل كانت جموعهم تشكل الجانب الاكبر من الامدادات التى وصلت من المغرب الى الاندلس ، ولم يقتصر دورهم في العمليات الحربية على تنفيذ ما يصدر اليهم من أوامر عسكرية بل شارك شيوخها كمستشارين في المجلس الحربى للسلطان المرينى لابداء الرأى حول الخطط العسكرية وأفضل الطرق لملاقاة العدو . وفي خلال هذه العمليات العسكرية، أسند الى القبائل العربية حماية الممتلكات المرينية بالاندلس والدفاع عنها.

ونتيجة لقيام ثلاث دول متنازعة على أنقاض دولة الموحدين ، اضطرت كل دولة الى الاعتماد على بعض هذه القبائل المستقرة ببلادها اعتمادا يكاد يكون تاما بحيث صار من الصعب على ملوك هذه الدول الحفاظ على بلادهم في حالة تخلى هذه القبائل عنهم، فاعتمدت الدولة الحفصية على قبائل رياح ثم على قبائل بنى سليم وكرفة من عرب الاثبج بعد تمرد رياح عليهم . كذلك حالف بنو عبد الواد قبائل زغبة التى استقرت بالمغرب الاوسط وعرب ذوى عبيد الله وذوى منصور (المنبات وأولاد حسين والعمارنة) من المعقل . أما الدولة المرينية فقد اعتمدت على القبائل العربية المستقرة ببلادها بقيادة عرب سويد لاستعادة أملاك الدولة الموحدية سواء في المغرب الاوسط أو في افريقية خصوصا خلال عصرى السلطان أبى الحسن المرينى وابنه أبى عنان في الفترة من 731 هـ / 1331 م الى 759 هـ / 1358 م حيث اتصل ملك المرينيين ما بين برقة الى السوس الاقصى .

وعلى الرغم من ذلك لم تكن جميع القبائل العربية التى استقرت ببلاد المغرب تعطى الود خالصا للدول النظامية التى استقرت بأرضها فما أن تضطرب الاحوال السياسية للدولة حتى نرى بعضهم ثائرين أو مؤيدين للحركات الخارجية عليها ويلاحظ أن هذه القبائل بجانب ذلك منحوا تأييدهم ومساعدتهم لمن انتسب من الثوار الى ذرية على بن أبى طالب لما لهم من مكانة في نفوس سكان المغرب مما ساعد على انقسام هذه الدول بين أمرائها ثم سقوطها . اذ أن تقسيم افريقية بين عرب رياح وسليم أدى الى انقسام الدولة الحفصية في 684 هـ / 1285 م الى قسمين : قسم شرقى عاصمته تونس ينعم بمحالفة عرب سليم المستقرين في المنطقة الممتدة من قابس الى بونة ونفطة غربا وقسم

غربى عاصمته بجاية يحظى بمحالفة عرب رياح المستقرين بالجانب الغربى بضواحى قسنطينة وبجاية وأدى الصراع بينهما الى ثورات العرب المتعددة وقيام الاسر العربية القوية بتأسيس امارات تنعم بالحكم الذاتى بفضل موقعها المنعزل واعترفت بالاسم لا بالفعل بسلطان الدولة الحفصية فكانت هذه الامارات بمثابة جمهوريات صغيرة تحكمها مجالس من الاعيان العرب أو يلى أمرها أسر عربية من ذوى النفوذ العريض . ولقد حاربت هذه الامارات العربية الحفصيين طوال القرن الثامن الهجرى تعاونها القبائل العربية المستقرة حولها . كذلك عادت قبائل الثعالبة وبعض عرب ذوى عبيد الله من المعقل وحصين وسويد من زغبة دولة بنى عبد الواد بسبب ما كان لبعضهم من وضع مميز مع الموحدين حرموا منه بانهيار دولتهم . وفي المغرب الاقصى استغلت القبائل العربية ضعف قبضة الدولة المرينية على أطرافها واستقلت بأوطانها ببلاد الهبط وتامسنا وتادلة والسوس .

ونتيجة لانتشار القبائل العربية بالمغرب وتعدد مواطن استقرارها في جميع أنحاء البلاد امتزجت بقبائل البربر وصاهرتها مما أدى الى تطور مفاهيم القبيلة العربية بالمغرب فيما يختص بالعلاقة التى تربط الرجل بالمرأة والزواج والحلف والجوار والشعر والغناء والزى ورحلة الشتاء والصيف ومساكنهم وطعامهم واختيارهم لشيخ القبيلة ومساعديه من وزراء ووكلاء وكتاب وغيرهم وتأثرهم فيما يختص المعتقدات والعادات وتأثر ثقافتهم بطريقة التعليم في المغرب لحاجة القبيلة المستمرة الى الرئيس والوزير والوكيل والكاتب والمفتى لمساعدة زعيمها في حكم القبيلة متأثرة في ذلك بما شاع في الجاهلية بشبه الجزيرة العربية وبطريقة حياة القبيلة البربرية ببلاد المغرب وبما اضافه الاسلام من قيم تربوية جديدة .

فالى جانب المظهر الدنيوى الصاخب للقبيلة العربية ببلاد المغرب كان هناك مظهر آخر في حياة تلك القبائل وهو مظهر دينى أخلاقى تجلت صورته بوضوح في حياة بعض رؤسائها وأفرادها الذين كرسوا حياتهم على عمل الخير ونشر العلم والدين واقامة الزوايا والروابط والمساجد فى مختلف أنحاء المغرب ويلاحظ أن هذه النزعات الصوفية الاصلاحية لم تلبث أن أخذت تزداد انتشارا بمرور الوقت بين القبائل العربية فبعد أن كانت في بداية الامر قاصرة على بعض أفراد القبيلة وأهليهم ومريديهم اذ بها

في القرن الثامن الهجرى تشمل رئيس القبيلة ومعه قبيلته التى تعاهده على اتباع طريقته ونحلته .

وتظهر هذه النزعات الصوفية الاصلاحية في اهتمام العرب بركب الحجيج من المغرب الى مصر اذ رافقه كثير من زعماء القبائل العربية سواء لقضاء فريضة الحج أو لمصاحبة احدى أميرات الدولة خصوصا زوجات الخلفاء العربيات أو القيام بحماية الركب على طول امتداد بلاد المغرب لمروره في مناطق استقرار القبائل العربية وكثيرا ما انضم الى الركب من يريد من زعماء هذه القبائل على طول الطريق . كذلك تظهر هذه النزعات الاصلاحية في قيام هذه القبائل بالمساهمة في تعريب المغرب ونشر الثقافة العربية ببلاد السودان لسيطرتها على طرق التجارة من شمال افريقية والمغرب الى الجنوب .

ولقد شاركت هذه القبائل في النواحى الادارية والعسكرية ببلاد المغرب اذ أنشأت امارات قوية في عصرى الموحدين والحفصيين وبنى مرين ، ومدح الشعراء والكتاب أمراءها الذين نجحوا في ادارتها فأضافت الدولة اليهم مزيدا من الاقطاعات لاداراتها واضطرت لاقرارهم على ما بأيديهم بمرسوم صادر من السلطان بالتقليد والخلع كما أسندت الدولة الحفصية الى بعض أمراء العرب وظائفها الادارية الهامة مثل جباية ديوان البحر بتونس وجباية سائر أعمال تونس كما أسندت وظائف القضا والفتيا الى العلماء من هذه القبائل خصوصا في المدن التى تسيطر القبائل العربية على نواحيها . وازدادت مكانة شيوخ القبائل العربية خلال سيطرة المرينيين على جميع بلاد المغرب حتى عين أبو عنان المرينى ، يوسف بن منصور والى بسكرة والزاب في طبقات وزرائه ، تصدروا المجالس السلطانية وأصبحوا ضمن أهل المشورة للسلطان ، وأنضم بعضهم الى مجلس منادمته في خلوته كما اختار السلطان منهم بعض وزرائه وسفرائه الى جيرانه من الملوك .

أما عن دورهم في النواحى العسكرية فنظرا لحبهم للقتال اهتمت القبائل العربية بأسلحتها من النوع الخفيف الذى يتلاءم مع حياة الترحال التى يعيشونها وأهمها السيف والرمح والقوس والسهم والجنبية والخنجر وأحسنوا استخدامها حتى شكلت الدولة المرينية منهم فرقة من رماة القس العربية تستعين بها في حروبها بجانب الاسلحة الثقيلة

التى اضطرت القبائل الى استخدامها في ظروف خاصة مثل المنجنيق خلال حصارهم لعدوهم والدروع البيض والدرق اللمطية والقس الخطية خلال حروبهم المقدسة بالاندلس .

واعتمدت هذه القبائل في حروبها على الكر والفر ويتغنى امامهم شاعر القبيلة يحرضهم على القتال وتاثرت القبائل البربرية بهم وحذت حذوهم في المغرب كما اتخذوا الرايات والطبول التى اقتصرت فى الدولة الموحدية والمرينية على راية صغيرة وطبل صغير أيام الحرب فقط وزادت في الدولة الحفصية الى اعلام من الكتان البيض تمتاز بها كل قبيلة .

أما عن مكانتهم في الجيوش المغربية فالى جانب وجودهم فى الجيش النظامى للدولة الموحدية واثباتهم في ديوان العطاء فقد كان يعتمد على القبائل العربية بافريقية عند نشوب الحرب فتستدعيهم الدولة في الوقت المناسب ويخرج الخليفة بنفسه لتفقد قواتهم في احتفال مهيب يعرف بالتمييز وكانوا يتميزون في الاعطيات والمرتبات ـ فرسانا ورجالة ـ على الموحدين وغيرهم من الجند . وازدادت هذه المكانة في الجيش المرينى لتزوج معظم أمراء الدولة المرينية من النساء العربيات واستخدامهم لاخوالهم من العرب في الحجابة والكتابة ولزعمائهم في قيادة الجيوش للقضاء على الثورات الداخلية بالدولة ولا نستبعد حصولهم على نصيب الاسد من المقررات والمرتبات المخصصة للجند .

ولقد أثرت هذه القبائل في الحياة الاقتصادية المغربية تأثيرا ملحوظا اذ نقلوا الى المغرب خبرتهم الطويلة في تنمية الثروة الحيوانية والتدخل الصناعى في توليد الانعام وتكثيره وانتخاب الانواع الاصيلة منه حتى اشتهرت المنطقة الممتدة من برقة وحتى تلمسان بتربية الخيول «العتاق» الاحساب المدربة عند الاعراب . وتأثرت بعض القبائل الزناتية بخبرة القبائل العربية في هذا المضمار فأخذوا عنهم تربية الخيول وتحسين انسابها فظهرت الخيول الفازازية في منطقة تادلا والخيول الحميدية في قبائل غمارة مما أدى الى ازدهار تربية الخيول ببلاد المغرب وأصبحت الخيول العربية الهدية الملوكية المفضلة بين ملوك بلاد المغرب والاندلس ومصر وحلت محل الهدايا من الابل . كما أسندت اليهم كل من دولة بنى عبد الواد والدولة المرينية ادارة مراعيهم وتربية أنعامهم فقام

عرب بنـى صبيـح من سويد بادارتها والانفـراد بها حتى أصبحـت متوارثـة فيهم حتى آخر الدولة المرينية وأكبر دليل على نجاحهم في ادارة هذه المراعى وتربية الانعام اطلاق لفظ «المرينى» على أجود أنواع الغنم.

كذلك ساهموا في الزراعة والفلاحة ونجحوا في القرن الثامن الهجرى فـى اعادة تعمير المنطقة الممتدة من برقة الى طرابلس وزراعتها حتـى تشتهر قراها بأنواع خاصة من المحاصيل كسفرجل قرية تاجورة بوطـن عرب الجوارى وكذلك اشتهار امارات الجريد والزاب العربية بتعدد انتاجها من الثمار وانتشار الصناعة في بعض مدنها واعتمادها بصفة رئيسية على زراعـة النخيـل وتصنيعه . كما ساهم من اندمج من هذه القبائل فـى الحياة الاقتصادية بالبـلاد .

ولقد سيطرت القبائل العربية على طرق التجارة الداخلية فلا يجتازها غيرهم الا بخفارة أحدهم ووسعوا نطاق هذه التجارة بين التل والصحراء واحتكروا تموين بعض المدن الافريقية مقابل توزيعهم لمنتجاتهم مثال ذلك توزيـع المرجـان المستخرج من مرسى الخرز كما سيطروا على التجارة الخارجية خصوصا مع بلاد السودان ومصر فاحتكروا استخراج الملح سواء في افريقية أو المغـرب وأمدوا به بلاد السودان وصدروا لمصر الخيـول والاغنـام كما اشتهروا بتصدير نوع من الملح يستعمل كنوع من العقاقير الى الممالـك المسيحيـة .

هذه بعض الصفحات المشرقة المضيئة بما ساهمت به القبائـل العربية من جليـل الاعمال ببلاد المغرب ، وهى أعمال ايجابية تجب الكثير من الجوانب السلبيـة التى نسبت اليهـا .

ثبت باسماء المراجع

اولا : المصـادر العربية القديمـة والمخطوطـات :

- **ابن الآبـار** : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658 هـ/1260 م).
  - المقتضب من كتـاب تحفة القادم نشر ابراهيـم الابيـارى (القاهـرة 1957) .
  - الحلة السيراء : جزءان نشر حسين مؤنس (القاهرة 1963) .

- **ابـن الاثيـر** : أبو الحسن على بن محمد بن أبى الكـرم الجـزرى (ت. 630 هـ / 1232 م) .
  - أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهـرة 1280 هـ) .
  - الكامـل في التاريـخ (القاهـرة 1303 هـ) .

- **الادريسى** : أبو عبد الله محمد الشريف السبتى (ت حوالى 548 هـ / 1154 م) .
  - المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس عن نزهة المشتاق فـى اختـراق الآفـاق . نشره وترجمة الى الفرنسية دوزى ودى خويه . ليـدن 1866 م .

- **ابـن الاحمـر** : أبو الوليد بن الاحمر (ت 810 هـ / 1407 م) .
  - روضة النسرين في دولة بنى مرين . نشر عبد الوهاب بن منصور (الربـاط 1962) .

- **البكـــرى** : عبد الله بن عبد العزيز المرسى (ت 487 هـ / 1094 م).
- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب نشر دى سلان (الجزائر 1911)

- **البـلاذرى** : أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادى (ت 279 هـ/892 م).
- فتـوح البلدان (القاهـرة 1932 م) .

- **أبو بكـر** الصنهاجـى المكنى بالبيـذق (ق 6 هـ / 12 م) .
- أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين . نشر ليفـــى برونفســال (باريـس 1928 م) .

- **التجانــى** : أبو محمد عبد الله بن محمد . (ت حوالى 717 هـ/1317 م)
- رحلة التيجانى. نشر حسن حسنى عبد الوهاب (تونس 1958م)

- **الجـزنـائــى** : أبـو الحسـن علــى .
- كتاب زهرة الاسى في بناء مدينة فاس. نشره الفرد بل (الجزائر 1923 م) .

- **ابــن حــزم** : أبو محمد على بن أحمد الاندلسى (ت 456 هـ/1064 م).
- جمهرة أنساب العرب. نشر عبد السلام محمد هارون (القاهـرة 1962 م) .

- **ابن حوقـل** : أبو القاسم محمد بن على البغدادى النصيبى (ت 380 هـ/ 990 م) .
- صورة الارض (ليـدن 1938 م) .

- **ابن الخطيب** : لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (ت 776 هـ/ 1374 م) .
- أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام - **الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية** نشـره أحمد مختار العبـــادى وابراهيم الكتانى (الدار البيضاء 1964 م)
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب نشره أحمد مختار العبـادى (القاهـرة 1967 م) .

- **ابن خلكان** : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681 هـ/ 1282 م) .
- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان . نشر محيى الدين عبد الحميد . (القاهرة 1950 م) .

- **ابن خلدون** : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1405 م).
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر (بولاق 1284 م) .
- مقدمة ابن خلدون . نشر المكتبة التجارية . القاهرة .
- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا نشر محمد بن تاويت الطنجى - (القاهره 1951 م) .

- **ابن خلدون** : أبو زكريا يحيى (ت 780 هـ / 1378 م)
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بنى عبد الواد - نشره وترجمه الى الفرنسية الفرد بل (الجزائر 1903 م) .

- **الدباغ** : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصارى .
- معالم الايمان في معرفة اهل القيروان - أربعة أجزاء (تونس 1320 هـ) .

- **ابن أبى دينار** : محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى (ت 1698 م).
- المؤنس في أخبار افريقية وتونس - طبعة 1286 هـ .

- **الرقيق القيروانى** (من مؤرخى القرن الخامس الهجرى) .
- تاريخ افريقية والمغرب - نشر المنجى الكعبى (تونس 1968 م).

- **ابن أبى زرع**
- الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - نشر تور بزغ مع ترجمة لاتينية (أبسالا 1842 م).

- **الزركشى** : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللؤلؤى (من مؤرخى القرن التاسع الهجرى) .
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية - (تونس 1289 هـ) .

ـ **ابن سعيد** : نور الدين أبو الحسن على (ت 685 هـ / 1274 م)

ـ كتاب بسط الارض في الطول والعرض ـ نشر خوان برنيت (تطوان 1958 م) .

ـ **السلاوى** : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت 1315 هـ/1897 م)

ـ الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى نشر في 4 أجزاء بالقاهرة 1894 م ، 9 أجزاء ، الدار البيضاء 54 ـ 1956 م.

ـ **ابن الشماع** : أبو العباس أحمد

ـ الادلة البينة النورانية ـ نشر عثمان الكعاك (تونس 1936 م).

ـ **أبو شامة** : عبد الرحمن بن اسماعيل شهاب الدين الدمشقى (ت 665 هـ / 1268 م) .

ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية جزءان (القاهرة 1278 م) .

ـ **الاصطخرى** : أبو اسحق ابراهيم بن محمد (كان حيا في النصف الاولى من القرن الرابع الهجرى) .

ـ المسالك والممالك ـ نشر محمد جابر عبد العال (القاهرة 1961 م).

ـ **ابن صاحب** الصلاة : عبد الملك (كان حيا في 594 هـ / 1198 م).

ـ المن بالامامة على المستضعفين ... نشر عبد الهادى التازى (بيروت 1964 م).

ـ **ابن عبد الحكم** : أبو القاسم عبد الرحمن (ت 276 هـ / 889 م) .

ـ فتوح مصر والمغرب ـ نشر عبد المنعم عامر ـ (القاهرة 1961 م).

ـ **ابن عذارى المراكشى** : أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا 712 هـ / 1312 م) .

ـ البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، حـ ا ، حـ 2 بيروت 1950م حـ 4 خاص بالموحدين وبداية بنى مرين نشر أويثى ميرندا ومحمد بن تاويت التطوانى وابراهيم الكتانى بالرباط 1963 م.

ثانيا : المراجع العربية الحديثة :

- **الالوسى (محمود شكرى)**
- بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، 3 اجزاء (القاهرة 1924)
- **ابراهيم بركات** : الدارجة المغربية افصح اللهجات العربية ، مجلة اللسان العربى الرباط 1966 م
- **أحمد الزواوى** (الطاهر) : تاريخ الفتح العربى في ليبيا (القاهرة 1954م)
- **جمال الدين** الشيال : تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى .
- **جوزيف نسيم** : العدوان الصليبى على مصر .
- **حسن ابراهيم حسن** : تاريخ الاسلامى السياسى الجزء الاول .
- انتشار الاسلام في القارة الافريقية (القاهرة 1964 م) .
- **حسن أحمد محمود** : قيام دولة المرابطين (القاهرة 1957) الدولة الزيرية
- **الدولة الزيرية .**
- **حسن حسنى عبد الوهاب** : خلاصة تاريخ تونس (تونس 1373 هـ) .
، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية .
- **حسين مؤنس** : فتح العرب للمغرب (القاهرة 1947 م)
، فجر الاندلس (القاهرة 1959 م) .
، الثغر الاعلى الاندلسى في عصر المرابطين مجلة كلية الآداب القاهرة 1949
- **خوان برنيت** : هل هناك أصل عرب اسبانى لفن الخرائط الملاحية ؟ معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد 1953 ـ العدد الاول ، ترجمة احمد مختار العبادى .
- **دوزى (رينهرت)** : ملوك الطوائف ترجمة كامل الكيلانى .
، تاريخ مسلمى أسبانيا حـ 1 ترجمة حسن حبشى (القاهرة 1963 م).
- **سعد زغلول** : العلاقة بين صلاح الدين وأبو يوسف يعقوب (مجلة كلية الآداب بالاسكندرية 1953) .

- **المقريـزى** : تقى الديّن أبو العباس أحمد بن على (ت 845 هـ/1441 م).
- اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا حـ 1 نشر جمال الدين الشيـال (القاهرة 1948 م) ، حـ 2 ، 3 نشر محمد حلمى أحمد (القاهـرة 1971 ، 1973) .

- البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب نشر عبد المجيد عابدين مع دراسة في تاريخ العروبة في وادى النيل (القاهرة 1961)

- **موسى بن يوسف** : أبو حمو بن زيان العبد الوادى .
- واسطة السلوك في سياسة الملوك - (تونس 1279 هـ) .

- **مؤلف مجهـول**
- مفاخر البربر نشر ليفى بروفنسال (الرباط 1934 م) .

- **مؤلـف مجهـول**
- تغريبة بنى هلال ورحيلهم الى بلاد المغرب نشرها وأعادهـا بأسلوبه عمـر أبو النصـر (بيروت 1971 م) .

- **مؤلـف مجهـول**
- كتاب الاستبصار في عجائب الامصار نشر وترجمه الى الفرنسية سعد زغلول عبد الحميد (الاسكندرية 1958 م) .

- **النويـرى** : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ / 1332 م).
- نهاية الارب في فنون الادب 18 جزء نشر دار الكتب (القاهـرة 1954 م) .

- **ياقـوت الحموى** (ت 626 هـ / 1229 م) .
- معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكان - ثمانية أجزاء (القاهرة 1233 هـ) .

- **اليعقوبى** : أحمد بن أبى يعقوب (ت القرن الرابع الهجرى) .
- صفة المغرب نقلا عن كتاب البلدان - (ليـون 1860 م) .

- **ابن الكردبــوس** : أبو مروان عبد الملك التوزرى (عاش في أواخر القرن السادس الهجــرى) .
  - تاريخ الاندلس ووصفه لابن الشباط ، نشــر أحمد مختـــــار العبــادى (مدريــد 1971 م) .

- **الكنــدى** : أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350 هـ / 961 م) .
  - الولاة والقضاة طبعة روفن جست (بيروت 1908 م) .

- **المالكى** : أبو عبد الله بن أبى عبد الله المالكى (ق. الخامس الهجرى)
  - كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير أخبارهم وفضائلهم ، نشر حسين مؤنــــــس (القاهــرة 1951 م) .

- **المراكشى** : محى الدين أبى محمد عبد الواحد بن على التميمــــى - (ت 620 هـ / 1224 م) .
  - المعجب في تلخيص أخبار المغرب (القاهــرة 1906 م) .

- **مجهــــول** .
  - أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم - نشر لافونيتى الكنترا (مدريــد 1867 م) .

- **ابن مرزوق** : الخطيب أبو عبد الله محمد العجيسى التمسانى (ت 781 هـ)
  - المسند الصحيح الحسن في مآثــر مولانا أبى الحسن . نشر ليفى بروفنسال نخبــا منه في مجلة هسبريسى 1925 ، مخطوط بالجامعة العربية برقم 1319 أسكوريـــال .
  - المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن ، نشر وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا الجزائر 1981.

- **المقــرى** : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمــد التلمسانــى (ت 1042 هـ / 1631 م) .
  - نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميــد حـ 2 (القاهرة 1302 هـ) .

- **أبـو العـرب تميـــم**
- طبقات علماء افريقية ـ نشر ابن شنب (الجزائر 1915 م) .

- **على بن عبد الرحمن بن هذيــل**
- حلية الفرسان وشعار الشجعان ـ نشر محمد عبد الغنى حسن. (القاهـرة 1949 م) .

- **العماد الاصفهاني الكاتب** : أبو عبد الله عماد الدين محمد الاصفهانــى (ت 597 هـ / 1200 م) .

خريدة القصر وجريدة العصر، قسم خاص بشعراء المغرب ، نشر محمد المرزوقــى ومحمد العروسى المطوى والجيلالى بن الحــاج يحيى . (تونــس 1966 م) .

- **العمرى** : شهاب الدين بن فضل الله ـ (ت 742 هـ / 1341 م) .
- مسالك الابصار في ممالك الامصار ، حـ 3 مخطوط بالجامعة العربية تحت رقم 15 ، حـ 2 ق 3 مخطوط بدار الكتب ، الجزء الخاص بوصف افريقية والاندلس نشر حسن حسنى عبد الوهاب بتونس

- **ابن القطان** : أبو الحسن على بن محمد الكتامى الفاسى (ت 628 هـ / 1230 م) .
- نظم الجمان في أخبار الزمان ، نشر محمود مكى (الرباط 1964 م)

- **القلقشندى** : أحمد بن على (ت 821 هـ / 1418 م)
- نهاية الارب في معرفة أنساب العــرب نشر ابراهيــم الابيارى (القاهــرة 1959 م) .
- قلائد الجمان في التعريــف بقبائــل عرب الزمان نشر ابراهيــم الابيــارى ـ (القاهــرة 1963 م) .
- صبح الاعشى في صناعة الانشــا حـ 5 (القاهــرة 1963 م) .

- **ابن القنفــذ** : أبو العباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيـــب ـ (ت 810 هـ / 1406 م) .
- الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ـ نشر محمد الشاذلى وعبد المجيــد التركــى (تونــس 1968 م) .

- فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الشعبية (مجلة الاسكندرية 1963) .
- تاريخ المغرب العربى (الاسكندرية 1964 م) .
- **طرخان (ابراهيم على طرخان)** : امبراطورية غانة الاسلامية (القاهرة 1970) .
- امبراطورية مالى الاسلامية (القاهرة 1973 م) .
- **العبادى (أحمد مختار العبادى)** : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس (معهد الدراسات الاسلامية مدريد 1957) .
- الصقالبة في أسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية (مدريد 1953).
- الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب الاسكندرية 1967 م .
- الموحدون والوحدة الاسلامية ، مجلة التربية الوطنية بالمملكة المغربية 1962 م .
- دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية 1968 م.
- في التاريخ العباسى والاندلسى ، بيروت 1971 م .
- قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام .
- **عبد السلام بن** سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، تطوان 1950 م.
- **عبد العزيز سالم (السيد)** : المغرب الكبير (العصر الاسلامى دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية) ـ القاهرة 1966 م.
- **عبد العزيز بنعبد الله** : معطيات الحضارة المغربية (المغرب 1957 م).
- **عبد الله خورشيد البرى** : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الاولى للهجرة القاهرة (1967 م) .
- **عبد الله كنون** : النبوغ المغربى في الادب العربى ، تطوان 1957 هـ.
- **عبد الرحمن الجيلالى** : تاريخ الجزائر العام 1955 م.
- **عبد الرحمن زكى** : حركة الاصلاح الدينى في غربى افريقيا (مدريد 65/ 1966 م) .

- السلاح في الاسـلام القاهـرة 1951 م.
- تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية القاهرة 1961م
- **عبد الوهـاب بن منصور** : قبائل المغرب حـ 1 الرباط 1968 م
- **ليفي بروفنسال** : الاسلام في المغرب والاندلس ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الديـن حلمـى القاهـرة 1968 م .
- **محمد البهلى النيـال** : الحقيقة التاريخية للتصوف السلامى (تونـس 1965 م) .
- **محمد جمال الدين سرور** : مصر في عصر الدولة الفاطمية 1960 .
- **محمد عبد الهادى شعيرة** : المرابطون وتاريخهم السياسى (القاهـرة 1969 م) .
- **محمد العبـدى الكانونى** : أسفى وما اليـه .
- **محمد الفاسـى** : التعريف بالمغرب معهد الدراسات العربية ، الجامعـة العربيـة 1961 .
- نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى الادبية. مجلـة البينـة ديسمبـر 1962 .
- **محمد بن ماء العينين الادريسى الشنجيطى** : الجاش الربيط في النضال عن مغربية شنجيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط، القاهرة 1957 م.
- **محمد المنونى** : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين .
- من حديث الركب المغربى تطوان 1953.
- **الميلـى (مبارك بن محمد الهلالى)** : تاريخ الجزائر في القديم والحديث.
- **مهرجان ابن خلدون** (أعمال) منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية القاهـرة 1966 م .
- **مهرجان ابن خلدون** بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط مايو 1962م
- **يونـس (عبـد الحميـد)**
- الهلالية في التاريخ والادب الشعبى (القاهرة 1956 م) .

ثالثا ـ المصادر الاوروبية :

— Alfred Bel :

— Les Benou Ghanya, Paris 1903.

— Aguado Bleye, (Pedro) :

— Manual de la Historia de Espana. 2 tomas Madrid (1944 - 1954.

— Aziz Suryal Atiya :

— The Crusade in the later Middle ages, London (1938).

— Brunschvig :

— La Berbérie Orientale sous les Hafsidés, 2 tomes, (Paris 1940 - 1947).

— Creswell (K.H.C) :

— The Muslim Architecture of Egypt, 2 vol, Oxford (1952).

— Dozy (R) :

— Recherches sur l'histoire et la litterature de l'Espagne, 2 tomes, 3 éd. (Amsterdam, 1965).

— Encyclopaedia of Islam.

— Georges. Marçais :

— Les Arabes en Berbérie du XIE au XIVE Siècle (Paris 1913).

— Gimenez Soler «Andres» :

— La Corona de Aragon y Granada, Boletin de la réal acadmia de buenas letras de Barcelona (1905 - 1908).

— Huici Miranda «Ambriosa» :

— La campana de Alarcos, revista del Instituto Egipcio de Madrid Vol II, 1954.

— Henri Terrasse :

— Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat Français, Casablanca, 1949.

— Joinville, John :

— Histoire de saint louis (éd. wailly) Paris 1871.

— O, Leary :

— A short History of the Fatimid Khalifate.

— Lêon l'Africain :

— Description de l'Afrique, tr, J. Temporel, (éd. Scheffer) 3 Vol, Paris 1896.

— Simonet :

— Descripcion del Reino de Granada bajo ladominacion de los Naseritas (Madrid 1860).

— Steven Runciman :

— A History of the Gcusades.

— Willia of Saint-Pathus :

— Nie de Saint Louis (ed. selaborde).

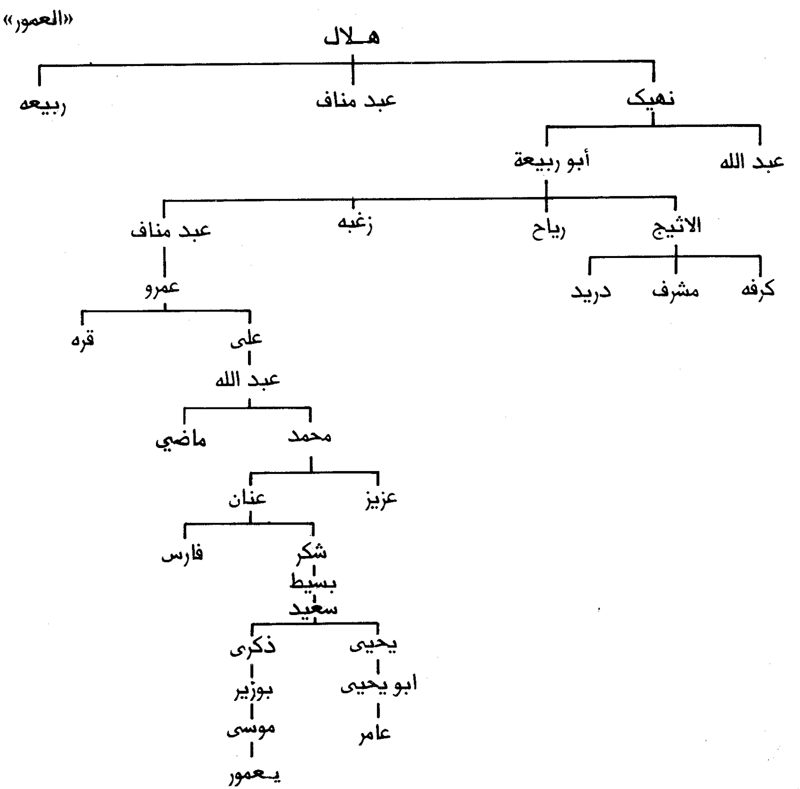

شكل (1) عن ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، عبد الحميد يونس : الهلالية في الادب والتاريخ

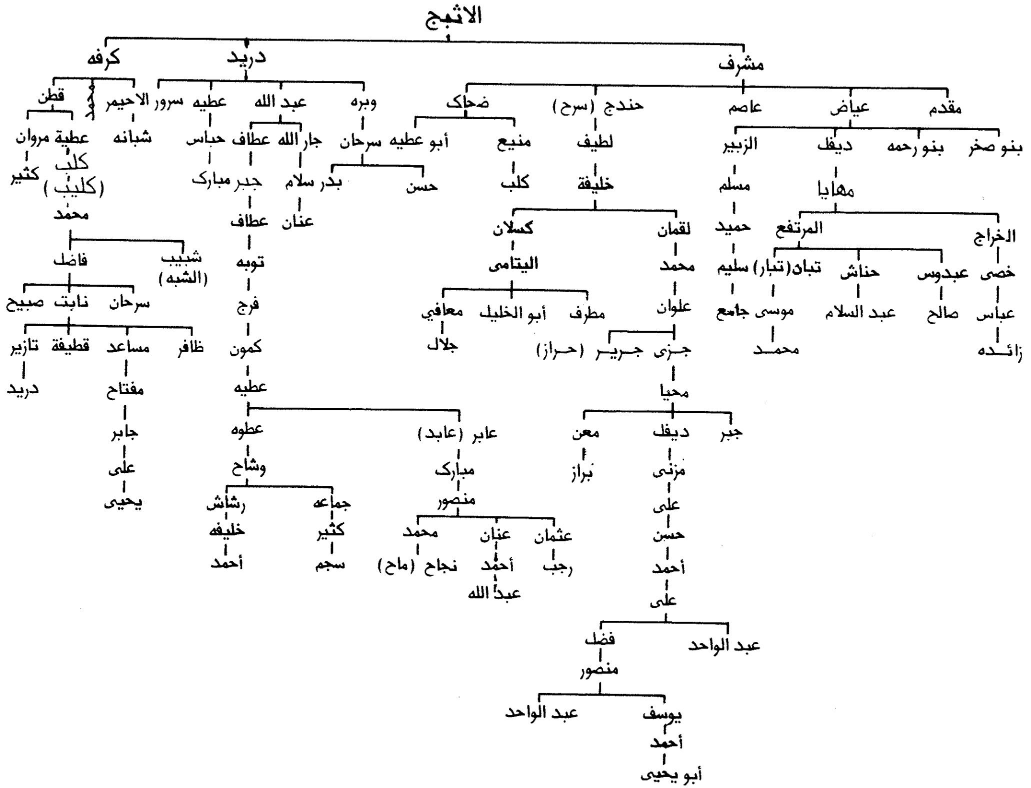

شكل (2) عن ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر

Georges Marçais : les Arabes en Berbérie XIe Au XIVe Siécle.

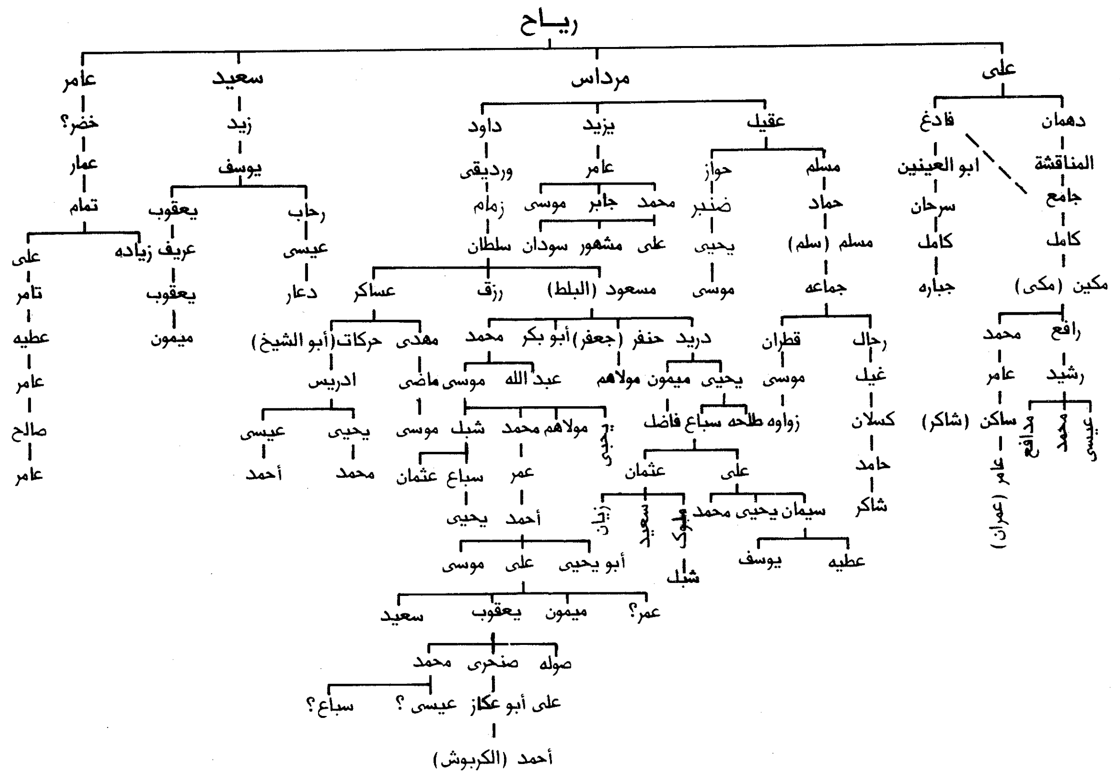

شكل (3) عن التجاني : رحلته، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، الزركشي : تاريخ الدولتين

Georges Marçais : les Arabes en Berbérie XI[e] Au XIV[e] Siécle.

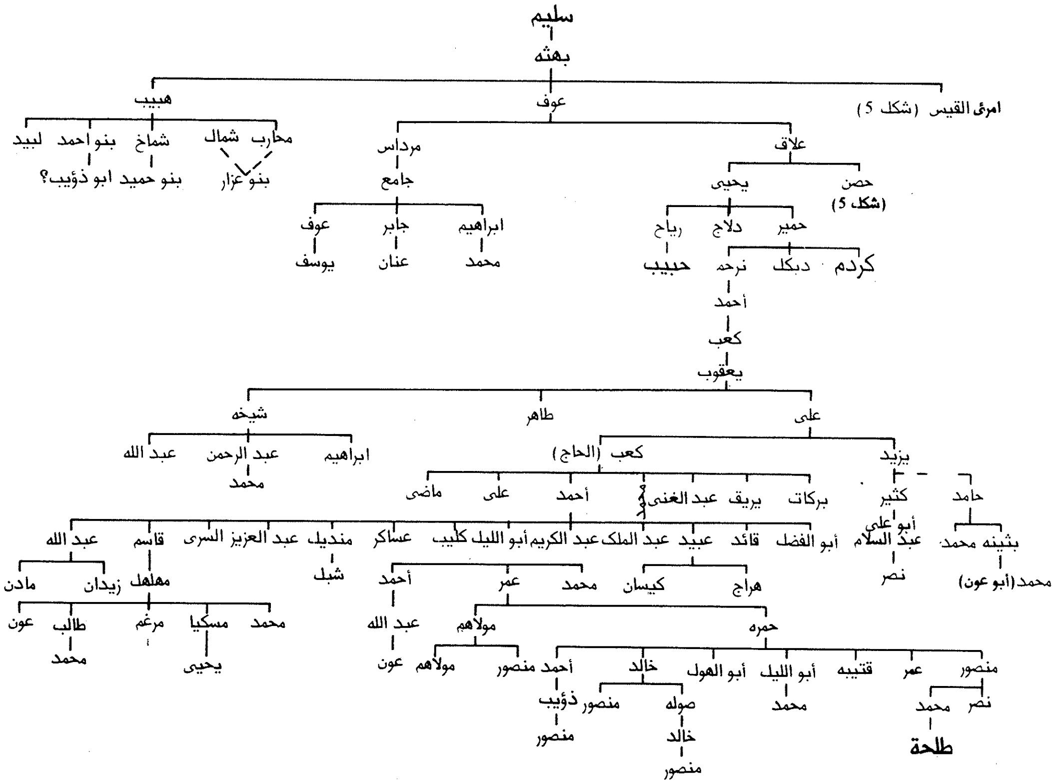

شكل (4) عن التجاني : رحلته، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر..
Georges Marçais : les Arabes en Berbérie XIe Au XIVe Siécle.

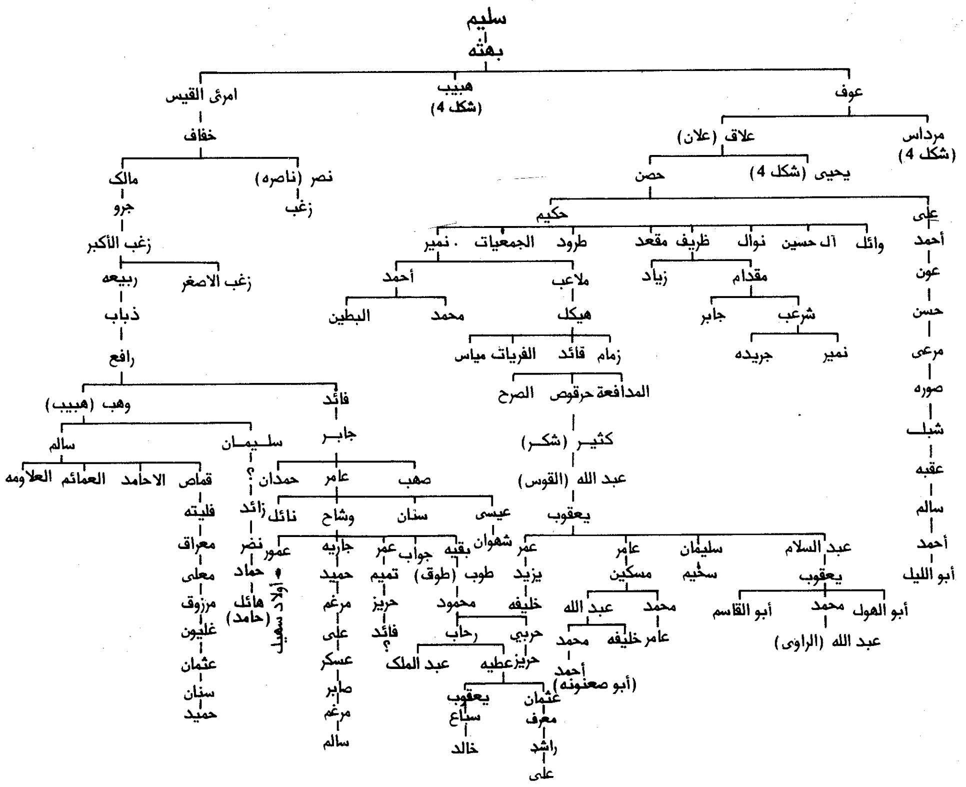

شكل (5) عن التـجاني : رحلته عن ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر

Georges Marçais : les Arabes en Berbérie XIe Au XIVe Siécle.

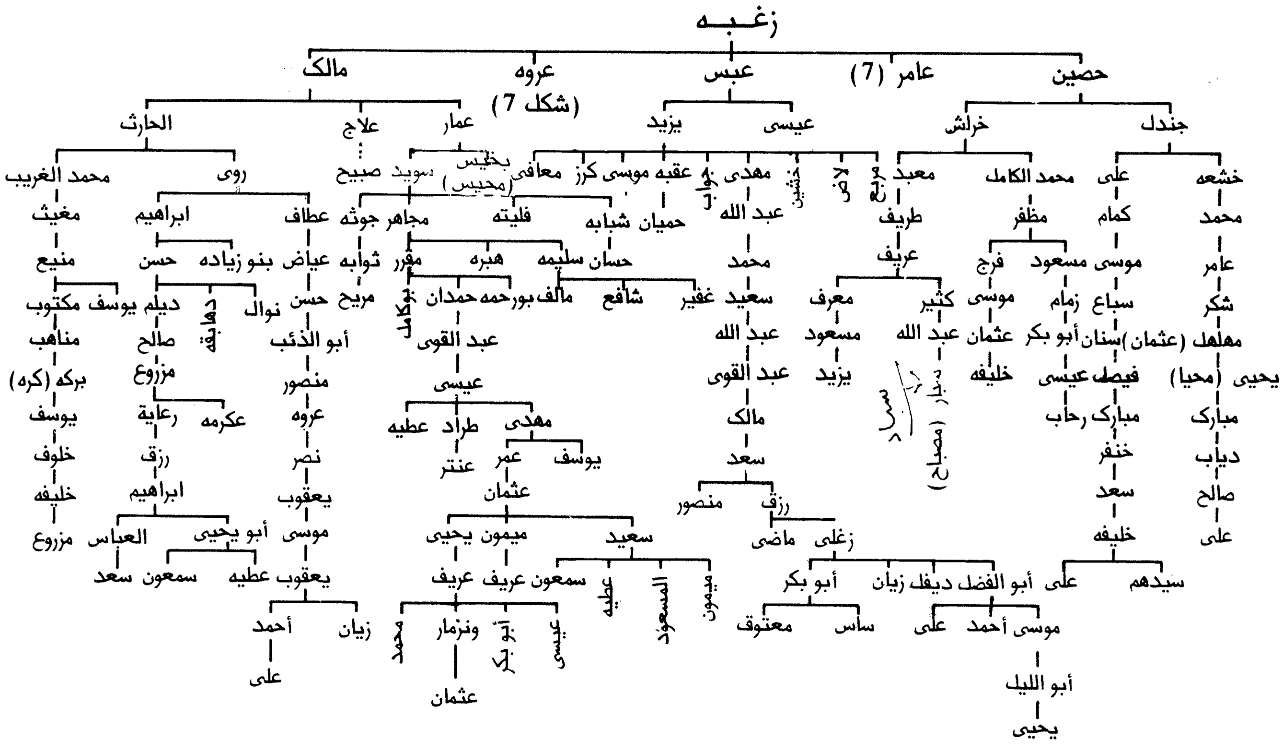

شكل (6) عن ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر .

Georges Marçais : les Arabes en Berbérie XIe Au XIVe Siécle.

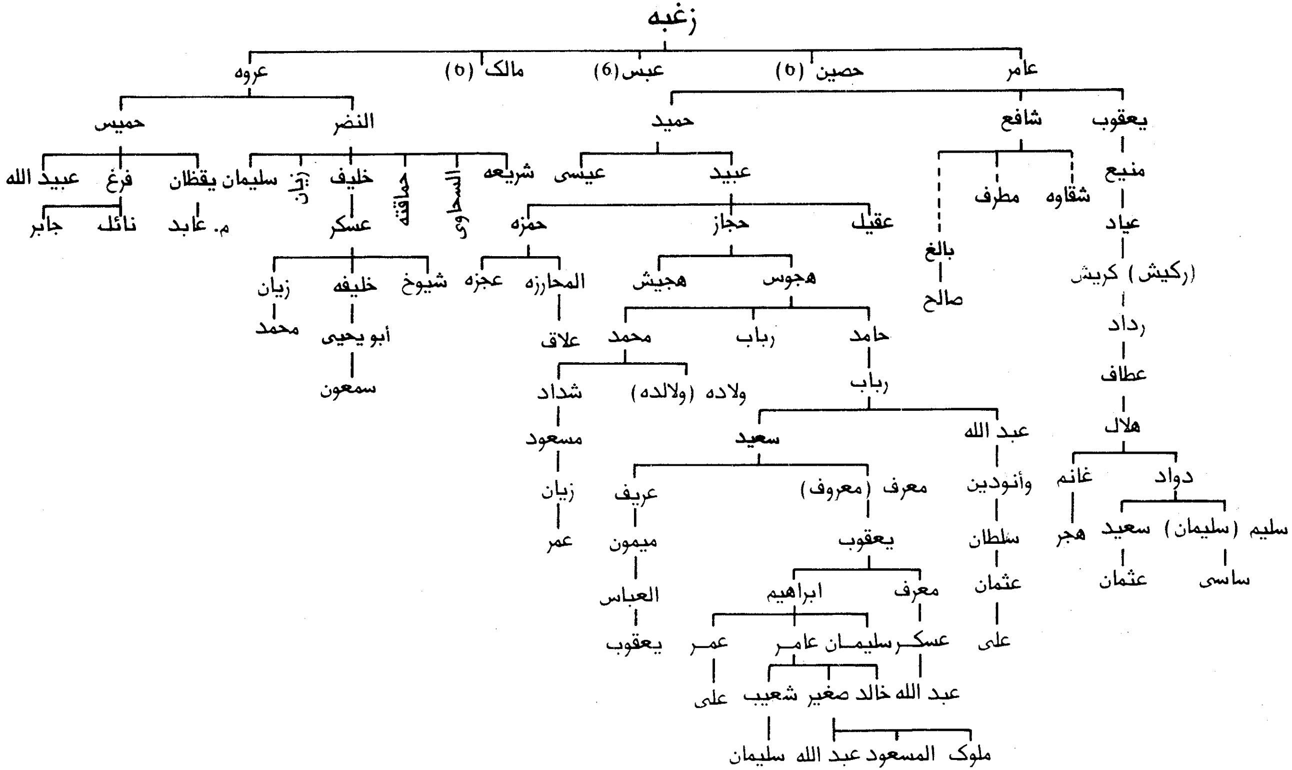

شكل (7) عن ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر

Georges Marçais : les Arabes en Berbérie XI[e] Au XIV[e] Siécle.

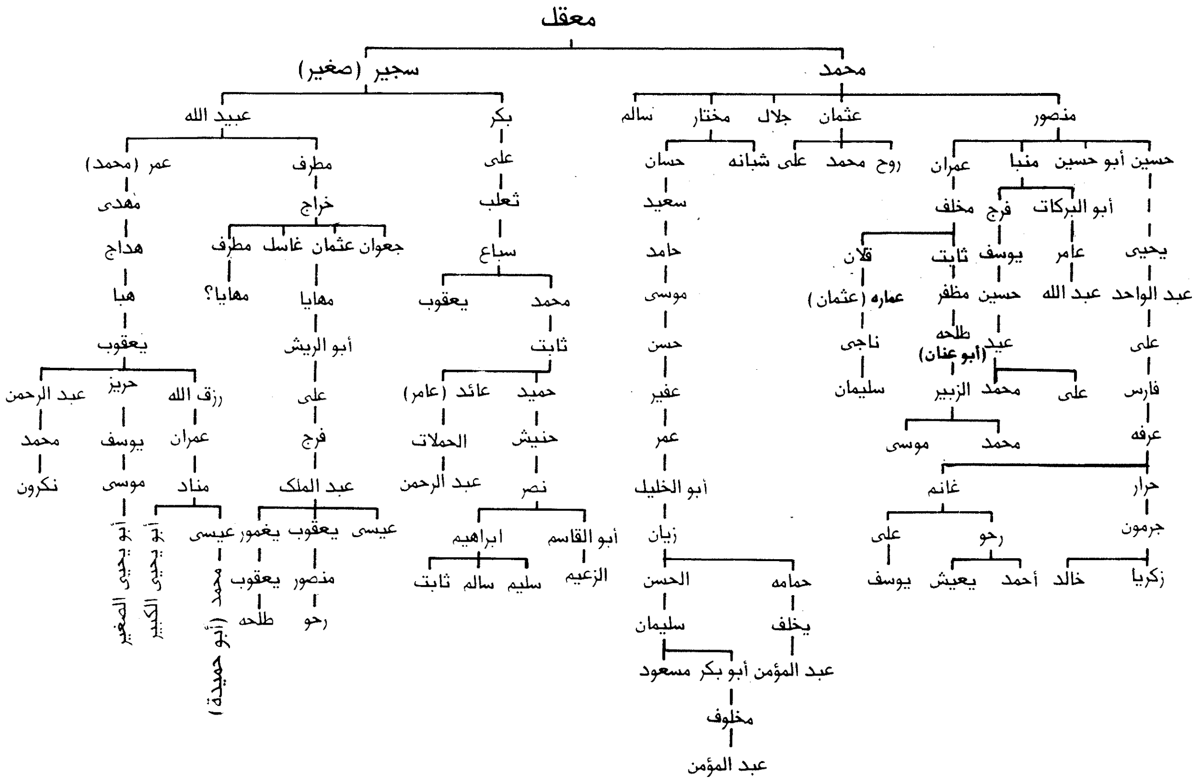

شكل (8) عن ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر .

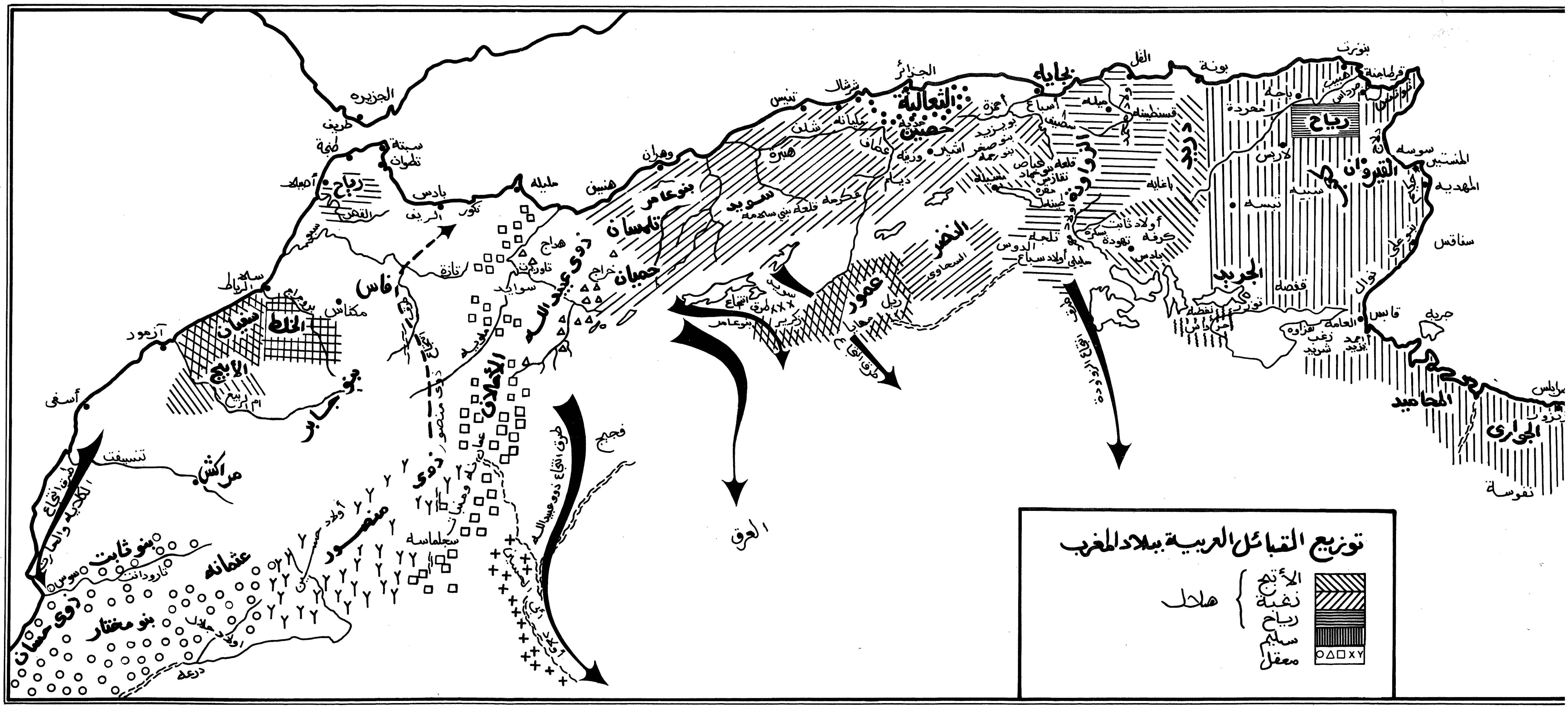

توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب
الأثبج
زغبة
رياح
سليم
معقل
هلال
الجزيرة
طريف
طنجة
سبتة
تطوان
أصيلا
رياح
بادس
نكور
الريف
مليلة
هنين
وهران
تنس
شرشال
الجزائر
بجاية
القل
بونة
بنزرت
قرطاجنة
باجة
رياح
سوسة
المنستير
المهدية
القيروان
تبسة
سفاقس
قفصة
الجريد
قابس
جربة
المحاميد
الجوارى
نفوسة
العرق
فجيج
سجلماسة
درعة
سوس
تارودانت
بنو ثابت
عثمانة
بنو مختار
ذوي حسان
تنسيفت
مراكش
أسفى
آزمور
سلا
الرباط
مكناس
فاس
تازة
الخلط
سفيان
الأثبج
بنو جابر
تلمسان
ذوي عبيد الله
حميان
بنو عامر
سويد
الثعالبة
حصين
قسنطينة
الأربس
مسيلة
النضر
عمور
ذوي منصور

الفهارس

1 – فهرس الاعلام
2 – فهرس القبائل والجماعات
3 – فهرس الأماكن

1 — فهـرس الاعــلام

(أ)

ابراهيــم بن أحمــد : 48

ابراهيم بن فضل بن سباع : 358

ابراهيم بن قراتكين : 77، 78

ابراهيم بن الاغلب : 45، 47

أبراهيم بن مطرف (أبو زرارة): 246

ابن أبى دينــار : 21

ابن أبى زرع (أبو العباس أحمد) : 16، 170

ابن الأثير : 67

ابن الاحمر : 175، 192، 296

أحمد بن أبى الليل : 121

أحمد بن بكر عبد الرحمن بن أبى سهل : 52

أحمد بن رحو بن غانم : 153

أحمد بن عمر بن العابد : 142

أحمد بن محمد : 142

أحمد بن محمد بن يملول: 139، 277

أحمد بن محمد الصبيحى : 192

أحمد بن مخلوف (الشابى الهلالى): 259

أحمد بن مرزوق بن أبى عمــارة المسيلى : 126، 127، 135

أحمد بن يوسف : 138، 139،

أحمد بن يوسف بن أبى محمد ابن صالح : 261

أحمد بن يوسف النيفاشى الافريقى: 237

أحمــدى : 254

ادريس الثانى : 42، 43

ادريس بن عبد الحق بــن محيــو (المرينى) : 162، 164.

ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن ابن على بن أبى طالب: 42

ادريس المأمون بن المنصور الموحدي: 101، 238

الادريسى (أبــو عبد الله محمــد) : 11، 15، 61، 305، 306.

أرسطو : 252

أبو اسحق ابراهيم الاول : 127

أبو اسحق ابراهيم الثانى : 131

أبو اسحق التسولى : 255

أبو اسحق الحفصــى : 120، 121، 130.

أبو اسحق الموحدي : 90
اسحق بن محمد بن غانية : 74
اسماعيل بن قيطون 111، 112
الاشل : 98، 232
الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمى : 41
الفرد بل : 17، 264
أفلاطون : 252
ألفونسو الثامن الملقب بالصغير : 92، 93
الفونسو الثانى : 89
ألفونسو أنريكث : 85
الاكور بن حمام اللخمى : 33

(ب)

بالنثيا : 83
بدرو الاول : 178
بدرو الرابع : 177
برنشفك : 20
بشر بن أرطأة : 32، 33
أبو البقاء خالد : 136
أبو بكر بن أحمد : 140، 141
أبو بكر الحفصى : 128، 129
أبو بكر بن عريف (السويدي) : 154، 280
أبو بكر بن موسى الكومى : 120، 121
أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافري : 250، 251
أبو بكر المرينى : 109، 110
البكري : 13، 267، 268، 298، 302، 310
بلج بن بشر القشيري : 39، 40
البيذق : 16
ابن بيزون : 60

(ت)

أبو تاشفين بن موسى بن عثمان ابن يغمراسن : 159، 160، 280
ابن تافراكين : 181
التبانى (أبو محمد عبد الله ابن محمد) : 14، 15، 77، 245، 246، 254، 300، 302، 308
التراب السوسى : 275
تقى الدين بن شاهنشاه : 77
توران شاه بن أيوب : 77

(ث)

أبو ثابت عامر (المرينى) : 188
أبو ثابت (العبد الوادي) : 183، 184

(ج)

جابر بن يوسف : 91
جبارة : 82

جبارة بن كامل بن سرحان بن أبى المعينين الفادعى العلوي الهلالى : 275
جبلة بن عمرو الانصاري : 33
جرمـان عياش : 311
جرمون بن رياح : 91، 92
جرمون بن عيسى السفيانى : 103، 106، 278
جعفر بن على بن حمدون : 53
جميل الحبيبى : 253
ابن جميلة : 261
جوانفيل : 119
جوهر الصقلـى : 56

(ح)

الحارث بن الحكم : 31
الحاكم بأمر الله الفاطمى : 54
الحكم الثانى المستنصر الامـوي : 44، 54
حبابة (الرومية) : 103، 104، 278
حباس بن الرومية : 70، 87
حباس بن مشيعر : 69
حباسة بن يوسف : 51
أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل ابن الاحمر : 177، 178
حداد الرواحى : 245
حداد بن مولاهم : 124
حركات بن حسون : 192
حسان بن أبى سعيد : 297، 298
حسان بن النعمان : 36، 37
أبو الحسن بن أبى حفص : 81
الحسن بن أبى عبد الله محمـد الخامس : 132
الحسن بن الربرتير : 79
حسن بن زيـد : 107
حسن بن سالمة : 136
حسن بن سلامة : 255، 257
الحسن بن على بن أبـى الحسيـن الكلبى : 55
الحسن بن على الورديغى : 190
حسن بن عمـر : 17، 152، 190
الحسن بن محمد بن أبى خنزيـر الكتامـى : 55
الحسن بن محمد الوزان : 301، 303
الحسن بن هرون الغسانى : 51
الحسن بن يحي بن حسـون الصبيحى : 191
أبو الحسن بن يعلو : 110
حسن حسنى عبد الوهاب : 237
أبو الحسن الشاذلى : 252
أبو الحسن عبد الله بن مـالـك الخزرجي : 42.
أبو الحسن على السعيد أنظر السعيد الموحـدي
أبو الحسـن على بن عبد الله ابـن عياش العبيدلى : 249

أبو الحسن (على بن عثمان) المريني:
129، 130، 138، 150، 158، 163، 176، 180، 182، 186، 187، 189، 190، 232، 234، 261، 266، 280، 295.
أبو الحسن على بن يوسف المريني: 175
حسون بن على الصبيحى : 190، 191
حسون بن عمران : 261
أبو الحسين بن الصبان المهدوي : 275.
أبو الحسين حازم : 125
أبو حفص : 85، 86، 87
أبو حفص ابراهيم الشهيد : 129
أبو حفص عمر الاول الحفصى : 126
أبو حفص عمر الثانى الحفصى:127
أبو حفص عمر بن الخطاب : 116
أبو حفص عمر بن يحي الموحدي : 76، 96، 115، 129
أبو حفص الموحدي : 78
حماد بن خليفة : 60
حمديس بن عبد الرحمن الكندي :47
حمزة بن عمر بن أبى الليل : 128، 129، 259
أبو حمو الثانى : 18
أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن ابن يحي بن يغمراسن بن
زيـان : 145، 147، 150، 155، 157، 262، 281، 304
حميد بن جارية : 300
حنش الصنعانى : 33
حنظلة بن صفوان : 40
ابن حيـان : 12

(خ)

خالد بن أبى اسحـق ابراهيـم الحفصى : 131
خالد بن ثابت الثقفى : 33
خالد بن حمزة بن عمر : 130، 180
خالد بن حميد الزناتى : 38
خالد بن عامر : 153، 154، 155، 157، 283
خايمـى الثانى : 169، 170
ابو حزر يخلف بن حزر الاوربى : 91
ابن الخطيب : 17، 234، 235، 276، 279، 281، 296
ابن خلدون (ابو زكريا يحى) : 17، 18، 146، 282
ابن خلدون (عبد الرحمن) : 6، 11، 15، 19، 20، 21، 23، 61، 62، 120، 134، 138، 156، 160، 173، 183، 236، 246، 248، 250، 263، 267، 276، 280، 281، 284، 296، 299، 301، 303، 304، 306، 311

ابن خلكـان : 56
أبو خليل بن كسلان : 69
خنفـر : 255
خير الدين بربروسة : 122

(د)

داود بن هلال بن عطاف : 125
أبو دبوس الموحدي : 96، 111 ، 112، 166، 167
دريد بن تازير (تازين) : 124
ديفل بن ميمون : 70، 87
أبو دينار سليمان بن على بن أحمد: 183، 190

(ذ)

أبو ذر الغفـاري : 32
أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى : 32

(ر)

رافع بن قاسم بن مرة بن أحمد : 259
رافع بن مكى بن كامل بن جـامـع الهلالى : 59
أبو الربيع سليمان (المرينى) : 188
أبو الربيع الموحدي : 79
الرجراجى أنظر محمد بـن الكريـم
أبو رحمة غيث بن قاسم الحكيمى 253، 255.
ابـن رشـد : 252
الرشيد الموحدي : 14، 104، 106، 107، 232، 244، 278، 287، 294
الرشيد الهلالى : 59
رقيـة : 163
الشيخ الرماح : 249
ابـن الرنك (الريق): 85
روجـار الاول : 45
روجار النورماندي : 55، 70
روح بن حاتم بن قبيصة : 41
رويفع بن ثابت : 32
رينيه باسيه : 16

(ز)

ابن الزحامس : 70، 87
ابو زرارة انظر ابراهيم بن مطرف:
الزركشى (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) 21
زرين بن رحو بن منصور : 154
أبو زعاية الشابى انظـر على ابن عبد الصمد بن محمـد بن أبـى الطيب.
أبو زكريا بن عبد الواحد الحفصى: 115
أبو زكريا الموحدي والى بجـاية : 88، 98
أبو زكريا يحى الاول (الحفصى) : 115، 136
أبو زكرياء يحى بن زيان الوطاسى : 192

الامير أبو زكريا يحى الثائر : 126
أبو زمعة البلوي : 32
زهير بن قيس البلوي : 35، 36
زيادة الله بن ابراهيم : 47
زيادة الله الثالث : 48
ابن زيان : 70، 87
أبو زيان : 150، 153، 154، 159
أبو زيان بن أبى حمو : 159، 296
زيان بن على بن عبد الصمد ابن محمد بن أبى الطيب الشابى : 133
زيان بن يعقوب : 154
زيانة : 162
أبوزيان يوسف بن قيطون الجابري: 172، 173
أبو زيد بن أحمد : 140
أبو زيد بن زكريا الموحدي : 108
أبو زيد الغفاري : 260
أبو زيد الفاسى (الغزابلى) 173

(س)

أبو ساكن عامر بن محمد بن عسكر الهلالى : 250، 274
أبو سالم ابراهيم المرينى : 17، 152، 177، 181، 190، 266
سالم بن ابراهيم (الثعالبى) : 155
304
سانشو الرابع : 169، 170، 175
سانشو هنريك : 91
السايب بن عامر بن هشام : 32
سباع بن يحى : 124
ست العرب : 163
أبو سرحان مسعود بن سلطان : 89
أبو السرور ميمون بن زيد الكرفاح الوايلى : 255
سعادة : 136، 137، 255، 256، 258
سعد بن أبى عبادة الانصاري : 167
سعد بن العباس : 154
سعيد بن ادريس بن صالح : 49
سعيد بن خلف : 171
سعيد بن على 117
أبو سعيد خلف الله بن اسماعيل الحكيمى : 277
أبو سعيد عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المرينى : 162، 186، 188، 189
أبو سعيد العود الرطب : 277
ابن سعيد المغربى : 295
السعيد الموحدي : 107، 108، 109، 164، 165.
أبو سعيد يخلف بن الحسين الموحدي : 86، 88.
سلام بن فرحان : 244
السلاوي : 80، 173، 176، 278
سليمان بن أبى بكر العسكري : 261

سليمان بن عبد الله بن يوسف المريني : 162
سليمان بن على بن سباع : 138، 256
سليمان بن يسار : 33
سوط النساء : 162
سيد على العبدلي : 258
سيدي عرفة (ابن أحمد بن مخلوف الشابي) : 259.
سيف بن ذي يزن : 270

(ش)

شارل دي أنجو : 118، 119
شبل بن موسى بن محمد : 124
شانجه : 104
شعبان : 80
شعيب بن وقاريط الهسكوري : 104
شهوان بن عيسى (بن عامر ابن جابر بن قائد بن رافع بن رباب): 15، 248.

(ص)

ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ابن أحمد) : 12، 16، 86، 89، 239، 288، 289، 290، 294
صالح بن عبد الحليم الغرناطي : 15
صالح بن منصور الحميري : 49
ابن الصحراوية : 73
أبو صعنونة أحمد بن محمد ابن عبد الله بن مسكين : 131
صغير بن عامر : 151، 180، 236، 283
صلاح الدين الايوبي : 99
صولة بن خالد بن حمزة : 131

(ض)

أبو ضربة محمد الثالث الحفصي : 128

(ط)

طالب بن مهلهل : 129، 259
ابن طالوت القرشي : 52
ابن طفيل : 252
طلحة بن حسان (بن أبي سعيد) : 298
طلحة بن على البطوي : 186

(ظ)

ظافر مولى المستنصر بالله الحفصي: 124
الظاهر برقوق : 263، 296

(ع)

عائشة : 163، 188
ابن عائشة : 73
عاصم بن عمر : 31
عامر بن ابراهيم بن يعقوب : 162
عامر بن أبي يحي بن يحي : 254
عامر بن عبد الله بن يوسف المريني: 185

عامر بن محمد بن سعيد القيسى : 43
عامر بن محمد الهنتاتى : 190
عامر الزعيم العربى : 92
العباس : 155
أبو العباس (الحفصى) 128، 141، 142
أبو العباس أحمد بن أبى سالم المرينى : 191، 192، 263، 296
أبو العباس أحمد الاول (الحفصى): 8، 117، 131، 138.
أبو العباس أحمد بن هيب : 240
عباس بن عطية : 91
أبو العباس السبتى : 234
عبد الله بن أبى بكر : 31
أبوعبد الله بن أبى شرف الحسينى: 45
أبو عبد الله بن أبى ابراهيم : 87
أبو عبد الله بن أبى تميم الحميري: 125
عبد الله بن انس : 32
عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب : 270.
عبد الله بن جرمون : 111
عبد الله بنذياب بن أبى العز ابن صابر بن عسكر بن حميد ابن جارية : 254
عبد الله بن الزبير : 31، 33
عبد الله بن زيد بن الخطاب : 31
عبد الله بن سعد بن أبى سرح: 31، 32
عبد الله بن شيفر : 154
عبد الله بن صغير : 155، 283
عبد الله بن طلحة : 31
عبد الله بن عباس : 31
عبد الله بن عبد الحق المرينى : 162
عبد الله بن عمر بن الخطاب : 31، 33
عبد الله بن عبد المؤمن : 69، 70
عبد الله بن عمرو بن العاص : 31، 33
عبد الله بن على : 142، 143
عبد الله بن قاسم : 261
عبد الله بن كندوز : 297
عبد الله بن محمد : 140
أبو عبد الله بن مرزوق : 261
عبد الله بن مسلم : 148، 178
أبو عبد الله بن واجاج : 73
عبد الله بن وانودين : 69
عبد الله بن ياسين : 268
عبد الله تاشفين بن أبى الحسن المرينى : 285
أبو عبد الله الشيعى : 50، 51
أبو عبد الله محمد بن أحمد الحفصى: 132

أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسنى : 147
أبو عبد الله محمد بن الازرق : 256، 257
أبو عبد الله محمد بن تومرت المهدي: 67، 96، 115، 289
أبو عبد الله محمد بن شبل : 255
أبو عبد الله محمد بن على الادريسى الجوطى : 193
أبو عبد الله محمد الخامس الحفصى: 132
أبو عبد الله محمد المستنصر بالله (الحفصى) : 115
أبو عبد الله محمد بن المنصور الموحدي أنظر الناصر لدين الموحدي
أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن سيد الناس : 261
عبد الحق بن أبى سعيد بن أبى العباس : 192
عبد الحق بن تافراكين : 127
عبد الحق بن محيو (المرينى): 162، 163، 164، 178.
عبد الحق بن سبعين : 252
عبد الحليم بن أبى على عمر المرينى: 187، 188
عبد الحميد يونس : 295
عبد الرحمن بن الاحور بن عبد يغوث : 32
عبد الرحمن بن أبى الحسن المرينى: 150، 151
عبد الرحمان بن أبى يفلوسن ابن أبى على المرينى : 191
عبد الرحمن بن عبد الحق (المرينى): 162
أبو عبد الرحمن بن عمرو الحاجب: 136
عبد الرحمن بن القاضى المليلى:261
عبد الرحمن بن يحى الطرخانى : 245
عبد الرحمن بن يعقوب بن جرمون: 111
ابن عبد الرحمن الحبلى : 253
ابن عبد الرحيم : 244
عبد الرحيم بن عبد الرحمن : 99
عبد الصمد بن محمد بن أبى الطيب الشابى : 133.
عبد العزيز بن أبى الحسن المرينى: 191
عبد العزيز بن محمد الهنتاتى : 183
عبد المؤمن بن أبى على عمر المرينى: 187، 188.
عبد المؤمن بن على الموحدي : 67، 68، 70، 71، 84، 85، 96، 97، 115، 264، 294
عبد المجيد التركى : 20
عبد المطلب بن السايب بن وداعة : 31

عبد الملك بن عياش القرطبى : 72
عبد الملك بن مروان : 36
عبد الواحد بن على بن مزنى : 117
135.
عبد الواحد بن على التميمى المراكشى : 13، 74، 85
عبد الواحد بن منصور : 137، 276
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن : 101
عبد الوهاب بن منصور : 18
العبدرى (الرحالة) : 236
عبيد الله المهدي : 51، 303
عثمان بن أبى دبوس : 121، 122، 128
عثمان بن أبى العلاء بن عبد الحق المرينى : 188
عثمان بن عبد الحق (المرينى): 164
عثمان بن عفان : 31، 32، 33، 270
عثمان الموحدي : 87
عثمان بن الناصر : 137
عثمان بن سليمان : 261
عثمان بن ونزمار (السويدي) : 151
عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى : 162، 260
ابن عذارى : 14، 15، 16، 54، 244، 245، 278، 284، 290
ابن العربى : 12
أبو عرفة : 79، 87
عرفة بن أبى الطيب الشابى : 133
عريف بن يحى (السويدي) : 151، 160، 180، 182، 183، 250 ، 261، 280،
العزيز بالله الفاطمى : 44، 54، 57
ام العز : 162
عطية بن سليمان بن سباع : 125، 126، 136، 255
عطية بن مهلهل بن يحى الخلطى : 260، 261.
أبو عطية بن يعقوب المرينى : 175
أبو عطية مهلهل بن يحى الخلطى: 162، 189، 279.
ابن عطوش : 167
عقبة بن نافع الفهري : 32، 34، 35، 49
علوش بن كانون : 112، 167
علي بن أبى طالب : 8، 33، 96، 161
على بن أبى على الخلطى : 111، 167
على بن أحمد : 136، 137، 138، 248، 257.
على بن أحمد بن عمر بن محمد 256
ابن علان : 156
على بن اسحاق بن محمد بن غانية: 74.
على بن بدر : 110، 305
على بن حسان بن أبى سعيد : 298

علی بن حمدون بن سماك ابن مسعود بن منصور (ابن الاندلسی) : 52، 53
علی بن زیان الونكاسی : 110، 165.
علی بن عبد الصمد بن محمد بن ابی الطیب الشابی : 133
علی بن غانیة : 13
علی بن غانم : 266
علی بن محرز بن زیاد : 85
علی بن المعز الطویل (الناصر لدین النبی) : 97.
علی بن منصور بن فضل بن مزنی: 256
علی بن یحیی الصنهاجي : 59
علی بن یوسف : 63، 64.
أبو علی بن یومور : 79
علی بن هلال : 107
أبو علی عمر بن عثمان المرینی : 186، 187، 189.
أبو علی منصور بن عبد الواحد (المرینی) : 171، 172
أبو علی الموحدي : 97
العلجة : 120
عماد الدین : 81
عمر بن حمزة اللیلی : 130، 163، 182، 245.
عمر بن حفص الازدي : 41
عمر بن العاص : 33، 34
عمر بن عبد الله بن الزبیر : 17، 33
عمر بن عبد الله : 187، 188، 190، 234.
عمر بن علی : 169
عمر بن علی القرشی : 35
عمر بن محمد الكمار (الوزان القسنطینی) : 259
عمر بن مهدي (السویدي) : 147، 159، 279
عمر بن وقاریط الهسكوري : 105، 106
عمران بن موسی الكومی : 121
أبو عمران ساكن بن عامر الهلالی: 250
أبو عمران الموحدي والی تلمسان : 88
العمري (شهاب الدین بن فضل الله) 22، 299.
العمري : 287.
أبو عمرو عثمان الحفصی : 132
عمیر بن مصعب الازدی : 42
عمیر بن أبی حمو : 159
عنتر بن طراد بن عیسی : 159
عنتر بن ونزمار : 183
أبو عنان المرینی : 130، 138، 151، 159 ، 163، 177، 178، 180 ، 182 ، 183، 184، 187، 190 ، 236، 276، 280.

عياد بن أبى عياد العاصمى : 171، 172، 173، 175.
العيـاشـى : 303
أبو عيسى : 253، 254
عيسى بن عريف بن يحى السويدي: 280
عيسى بن على : 111، 166
عيسى بن مقرب بن طراد بن الورد: اللخمـى : 71
عيسى بن يحى بن أدريس : 255، 256

(غ)

غـزالـة : 163
غزي الصنهاجى : 76
غنصـالـة : 105

(ف)

فائد بن حريز : 250
ابن فاطمة : 73
فاطمة الزهراء : 50
أبو فارس بن أبى أسحق (الحفصى) 121، 122
أبو فارس عبد العزيز بن أحمـد (الحفصى) : 117، 131، 139.
أبو فارس عبد العزيز الملزوزي :173
الفتح بن محمد : 82
ابن الفرس أنظر عبد الرحيم بـن عبد الرحمن فرقسيل الفرنجـى أنظر مرقسيل .
فرناندو ملك ليون : 85
أبو الفضل بن أبى الحسن المرينى: 163، 177، 178، 182، 191.
الفضل بن أبـى يحى الحفصـى : 130، 182،
فضل بن على بن أحمد بن الحسن ابن على بن مزنى : 135
فضل بن على بن مزنى : 117
أبو الفضل بن الفقيه عبد الله بن نزار الهواري : 274.
الفضل بن الواثق الحفصى : 126
ألفونسو الحادي عشر : 177
ألفونسو الرابع ملك البرتغال : 177
ألفونسو العاشر (الحكيم) : 168، 169.

(ق)

قاد بن عامر (الاخوان) : 107
القائد بن معرف : 70، 87.
القائم بأمر الله الفاطمى : 51.
قاسم بن مرة بن أحمد : 258
أبو القاسم بن عم المستنصر بالله الحفصى : 124
قبيصة بن روح بن حاتم بن قبيصة 41.
قتيبـة بن حمزة : 232
قراقوش الارمنـى : 73، 77، 81، 83
أبو قطران : 70، 97.

قطلوبغا : 296
القلقشندي (أبو العباس أحمد ابن علي) : 22، 23، 238، 278، 282، 287.
ابن القنفذ (أبو العباس أحمد ابن حسين بن علي بن الخطيب) : 20
ابن القويع : 284، 288

(ك)

كاريت : 62
كانون بن جرمون السفياني : 104، 107، 108، 109، 165
كريب بن ابرهة بن الصباح : 33
كسيلة البربري : 35
كلثوم بن عياض القشيري : 39

(ل)

ابن اللمط : 82
لويس التاسع : 8، 118، 119، 120
أبو الليل بن أحمد : 127
أبو الليل بن حمزة : 128، 130

(م)

المأمون الموحدي : 102، 103، 104، 105، 278.
أبو مالك بن أبي الحسن المريني : 150.
أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب المريني : 185
مبارك بن ابراهيم بن عطية ابن مهلهل الخلطي : 279
مبارك بن عطيه الخلطي : 190، 191
محرز بن زياد : 70
ابو محمد بن ابى اسحق بن جامع: 89
محمد بن ابى شنب : 21
ابو محمد بن أبى حفص : 83
محمد بن ابى الليل : 128
محمد بن أبى الحسن بن سيد الناس حاجب بجاية : 137، 276
محمد بن أبى الطيب الشابى : 133
محمد بن أبى زكريا (يحى بن زيان الوطاسى) : 193
محمد بن ابى عنان المرينى : 163
محمد بن ادريس الثانى : 43
محمد بن الاشعث بن عقبة الخزاعى: 41
محمد بن أحمد : 140، 142
محمد الكبير (بن أحمد بن مخلوف الشابى) : 259.
محمد بن ثابت : 122
محمد بن حازم العلوي : 162
محمد بن الحكيم : 137
محمد بن رشيد الهلالى : 274.
محمد بن زيان : 155
محمد بن عبد الله بن العاضد (الفاطمى) : 99

محمد بن عبد الحق المرينى : 278
محمد بن عبد الكريم الرجراجـى : 93، 99،
محمد بن عبد السلام : 83
محمد بن عبد المؤمن بن على الكومى: 70
محمد بن عمر التيفاشى : 72
محمد بن عريف (السويدي) : 152، 154، 155، 280
محمد بن غانية : 73
محمد بن كانون : 111
محمد بن مسعود البلطى : 83، 99
محمد بن منغفاد : 91
محمد بن مسكين : 129
أبو محمد بن وانودين : 108
محمد بن هود الماسى : 96
محمد بن يعقوب بن على الرياحى : 153
أبو محمد بن يونس : 110
محمد الثانى ملك غرنـاطة : 168، 169
أبو محمد عبد الجليـل الحكيمـى : 253
أبو محمد عبد الكريم بن اسماعيل الارنبى : 249
أبو محمد عبد الله بن تافراجين : 130
أبو محمد عبـد الله بـن يعقــوب المنصور (العادل) : 101
أبو محمد عبد البر بـن فرسان : 75
محمد الشاذلى : 20
أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدى : 75
أبو محمد عبد الحق القاضى : 103
محمد قاضور : 21
محمد القطرانى : 111
أبو محمد عبـد الواحـد بن أبـى حفص : 83، 88، 115.
محمود بن طوق بن بقية : 81
محى الدين بن عربى الاندلسى: 252
محيش بن عمارة : 304
محيو بن أبى بكر بن حمامة المرينى 91.
مدافع بن رشيد الهلالى : 274
مدافع بن علال : 71
أبو مدين بن عربى الاندلسى : 252
ابن مرديلش : 85
مرغم بن جابر بن عسكر : 121
مرغم بن صابر بن عسكر : 126
مروان بن الحكم : 31
مرقسيل الفرنجى : 104
مزنة بن دنفل بن محيا بن جزى ابن علوان بن محمد بن محمد بن لقمان ابن خليفة بن لطيف : 133

المرتضى أبو حفص عمر (الموحدي) 109، 110، 111 112، 165، 166 167، 279.
المستنصر بالله الفاطمي : 57
المستنصر بالله الموحدي (أبو يعقوب يوسف الثاني) : 100، 101.
المستنصر بالله الحفصي : 118، 119 120، 125، 135 ، 238، 255 ، 277.
مسعود بن جرمون : 111
مسعود بن زيـــان : 77
مسعود بن حميدان الخلطـــي : 14، 104، 105، 244، 245.
مسعود بن صغير : 156
مسعود بن كانون السيفاني : 112، 162.
المسعودي : 13
ابن مسلم : 110
مسلمة بن مخلد : 35
المسور بن مخرمة بن نوفل : 32
معاوية بن حديج : 32، 33، 34
معاوية بن سفيان : 33، 34
المعتمد بن عباد : 63، 169
أبو معرف بن عبد الحق المرينـــي : 164
المعز بن بـــاديس : 58
المعاز بن مطاع (ابن مطاعن) : 129
المعز لديـــن الله الفاطمي : 53، 56، 57.
ابـــن مكـــي : 122
ملوك بن صغير : 155
المنصور بن أبي عامر : 54
المنصور بن حمزة : 131، 244
منصور بن فضل بن علي : 135، 136، 137، 255، 256، 275، 276
المنصور بن الناثم : 52
المنصور الفاطمي : 55
المنصور الموحـــدي : 72، 733، 76، 78، 80، 90، 91، 92، 93، 99، 147، 173، 264، 278.
المنتصر بن أبي حمو : 159
منديل بن عبد الرحمن المغراوي : 91
منديل بن يحى الصغير : 154
منســـا موسى : 266
منســـا طه : 266
موسى بن أبي العافية : 44
موسى بن أبي الفضل : 150، 151
موسى بن أبي سعيد : 297
موسى بن أبي عنان المريني : 191
موسى بن زيان الونكاسي : 110، 165،
موسى بن نصير : 37
موسى بن يحى الرياحي المرداسي : 69

أبو موسى عمران الموحدي : 103
موسى الكـافر : 245
أبو موسى الموحدي : 97
مولاهم بن عمر بن أبى الليل: 128
259
أبو المهاجر دينار : 35
مهلهل بن يحى الخلطى : 171، 173
ابن المهدى : 52
المهدى انظر أبو عبد الله محمد ابن
تومرت مهدي بن عيسى بن عبد
القوي السويدي : 159، 279
المهدي الفاطمى : 53
ميـرانـدا : 93
ميسـرة المطغري : 38
ميمون بن زياد الصخري : 59

(ن)

الناصر بن أبى الحسن المرينـى :
182، 183
الناصر لدين الله الموحدي : 81، 82
93 ، 94، 95، 96، 98، 100 ،
115، 284.
النـاصر محمد بن قـلاوون : 260،
261، 262، 295.
نـزار بن الزميلى : 76
النويري (شهاب الدين أحمد) : 22

(و)

وشاح بن هلال : 107
الوليد بن عبد الملك الاموي : 49
أبو الوليد اسمـاعيـل بن الاحمـر
النصري : 18، 19،
ونزمار بن عريف بن يحى السويدي:
151، 152، 153، 154، 155 ،
182، 183، 184، 191، 192، 250
280، 281.

(هـ)

الهادي العثمانى : 270
ابن هانىء الاندلسى : 53
هجرس بن على : 255
هراج بن عبيد بن أحمد بن كعب :
127، 128
هشام بن عبد الملك : 38، 39، 40
هلال بن حميدان بن مقدم (الخلطى)
101، 103.
أبو هلال عياد بن محمد الهنتاتى :
124
هلال مولى أبى تاشفيـن : 160،
280
ابن هـود : 106، 107
ابن هيـدور : 151

(ي)

اليازوري الوزير الفاطمى : 58.
ابن ياوجى : 107
أبو يحى بن أبى بكر (الحفصى) 117
أبو يحى بن أبى حفص : 91، 92،
أبو يحى بن أحمد : 255، 256،
يحى بن أحمد : 140

أبو يحى بن ادريس : 136
يحى بن حازم العلوي : 162
يحى بن الحكم : 33
يحى بن عبد العزيز : 69
أبو يحى بن عبد الحق المرينــى : 164، 165،
يحى بن على بن حمدون : 53، 54،
يحى بن غانية : 74، 75، 81
يحى بن محمد بن أحمد بن يملول : 141
يحى بن محمد بن على بن عبــد الجليل ابن العابد : 141، 142،
يحى بن الناصر الموحدي : 102، 103، 105 ، 106، 107، 238 ، 278، 294،
يحى بن هلال بن حميدان (الخلط): 105
أبو يحى المرينى الزناتى : 108
أبو يحى بن زكريــا بن أحمــــد اللحيانى : 128
يزيد بن حــاتــم : 41
يزيد بن معاوية : 35
أبو يزيد الخارجى : 53
يصلاش بن المعز : 69
يعقوب بن ادريس : 137
يعقوب بن جرمــون : 104، 110، 165،
يعقوب بن حسان بن أبى سعيد : 298،
يعقوب بن عبد الحق المرينى : 166، 167، 168، 169، 170، 171، 173، 175 ، 179 ، 185، 238، 279، 297
يعقوب بن على بن أحمــد : 117، 143، 233، 281، 304.
يعقوب بن كانون : 109
يعقوب بن محمد بن قيطون : 110
يعقوب المرينى : 9
اليعقوبى : 46
أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي : 12، 14، 72، 85، 87، 88، 89، 97، 252، 264، 278، 294،
يعلى بن المنتصر : 97
يغمراسن : 147، 150، 158، 159، 168، 179، 241، 279،
يغمور بن عبد الله : 155
أبو يوسف بن أبى حفص : 78
يوسف بن تاشفين (المرابطى) : 63، 169،
يوسف بن عبلة (بيشو) : 261
يوسف بن على بن غانم (زعيم عرب حسين) : 192، 263، 296
يوسف بن مزنى : 306
يوسف بن منصــور : 137، 138، 233، 257، 276.
يوسف بن مهدى (السويدي) : 159، 279.

يوسف بن يعقوب بن عبد الحـــق المريني : 170، 172، 175، 176، 185، 260.
يوسف بلكين بن زيري بـن منـاد الصنهاجي : 53، 54
أبو يوسف الدهان : 258
يوسف الكوراني : 254
يوسف المستنصر الموحـدي أنظـر المستنصر بالله الموحدي :
أبو يوسف يعقـوب بن يوســـف الموحدي أنظر المنصور الموحدي .

2 ـ فهـرس القبــائل والجماعات

(أ)
بنو ابي الليل : 117، 130، 131 ، 132، 140، 142، 181، 182، 232 258.
الاتــراك : 100
الانبـــج : 15، 16، 60، 69، 86 ، 116 ، 133، 135، 139، 168 ، 171، 179، 184 ، 193، 197 ، 201، 234، 273، 275 ، 295 ، 302.
بنو الاحمر أنظر بنو نصر
الاحلاف : 148، 187، 188، 192،
الادارسة : 16، 18، 44، 45، 48، 49، 50، 67، 100، 147، 263.
أهــل الذمــة : 15
الازد : 32، 42، 46، 51، 57،
الاسبان : 122، 164
بنو أسد : 31
بنو أسلم : 32
أوربة (قبيلة) : 35
الاوس : 33
بنو أمية (الامويون) : 40، 44، 67، 267، 269 .
الاغالبة : 44، 45، 48، 49، 263.
الاغزاز : 92
الاصابعة : 208، 209
أولاد جرار : 266
أولاد جرير : 269
أولاد حر : 135
أولاد حرب : 256
أولاد حسين : 148، 187، 188، 192 241، 263، 296.
أولاد ادريس : 255، 256
أولاد أحمد : 258
أولاد سباع : 255،
أولاد سنان : 15،
أولاد سهيل : 15
أولاد سيدي الشيخ : 269
أولاد صولة : 258.
أولاد طلحة : 255، 257
أولاد عساكر : 255، 256
أولاد محرز : 255، 256، 257
أولاد يحى : 256
أولاد يزيد : 255
بنو اولو : 125

(ب)

بنو بادس : 148
البرتغاليون : 72، 84، 178،
برغواطة : 37.
بلـى : 36، 46، 141.
البيزنطيون : 55

(ت)

بنو تجيب : 46، 51
بنو تميم : 17، 31، 37، 38، 48، 51، 263، 300.
بنو توجين : 91، 116، 160، 304
تنـوخ : 139
تينملل : 86

(ث)

الثعالبة : 9، 68، 156، 157، 159، 183، 222

(ج)

بنو جابر : 17، 107، 108، 109، 110 ، 111، 112، 165 ، 166، 167 ، 168، 179، 184، 229 ، 232، 234، 279، 291.
بنو جامع : 59، 117، 244، 373، 274،
جـدالة : 307، 308
جذام : 46، 51، 52
جرواه : 49
جزولة : 100، 107، 308،
جشم : 8، 16، 69، 71، 80، 85، 101، 102، 107 ، 109، 112 ، 116، 163 ، 166، 168، 173 ، 183 ، 184، 227، 228، 229 ، 291.
الجنويون : 122
الجواري : 15 ، 81، 121، 122 ، 208، 209، 235، 300، 308 .
بنو جهينة : 32، 36، 46.

(ح)

بنو الحارث بن مالك بن زغبة : 17 217، 218، 234.
بنو حبيب : 40، 41.
بنو حرب : 137
بنو الحرث : 155، 183، 286، 288
بنو حسن بن فاطم : 147
بنو حسن : 262
بنو حسين : 153، 236
بنو حصن بن علاق : 207
آل الحصن : 258، 259
بنو حصين : 9، 126، 154، 156، 157، 182، 183، 262
بنو حصين بن زغبة : 156، 157، 158، 159، 179، 214، 215 ،
الحفصيون : 7، 8، 108، 109، 112 116، 117، 118، 123، 125 ، 128 ، 130، 133، 137، 138 ، 139، 140، 142، 143 ، 163 ، 179، 180، 181، 275، 277.

بنو الحكيم : 76، 129، 131، 232
253، 278
بنو حماد بن خليفة : 71
بنو حماد الصنهاجيين : 62
بنو حمدون الجذاميين : 52، 54 ،
76، 98، 263
بنـو حمـزة : 163.
بنو حميـان : 150
بنو حميد : 49، 162، 163، 180،
295،
بنو حميد بن جارية : 81

(خ)

بنو خراج : 155
بنو خراسان : 70
الخرسانيون : 46
الخزرج : 33، 167.
بنو خطاب : 77.
الخلط : ٥، 14، 16، 17، 101، 102
103، 104، 105 ، 106، 107 ،
108، 109، 165، 167، 168 ،
171، 172، 179، 185 ، 229 ،
232، 234، 238 ، 278 ، 279،
287، 291، 295، 304.
بنو الخلف : 142، 143، 275،
بنو خليفة اللخميين : 273 .
بنو خنيفر : 137.
الخوارج : 17، 40، 41، 50.

(د)

دبـاب أنظر ذباب
دريد : 197، 198، 199،
دكالة : 96، 101، 106.
دلاج : 126
بنو دمرة : 32
دوبه الاغالبة : 17
الدولة الحفصية : 8
الدولة الفاطمية : 7، 17،
دهمـان : 59، 60، 273.
الديالم : 152، 156، 159، 160،
180، 182، 183.
بنـو ديـاب : 180
بنـو الديل : 32

(ذ)

ذباب (الذبابيون) : 12، 75، 77،
81، 83، 126، 127، 128، 208
210، 250، 254 ، 295، 300 ،
308، 309.
ذوي حسان : 13، 110، 168، 179،
185، 227، 265، 266 ، 269 ،
291، 304، 305، 307، 308.
ذوي عبيد الله : 9، 147، 148، 156
157، 158، 179، 185، 187 ،
220، 221، 241، 298، 307
ذوي منصـور : 148، 185، 186،
225، 226، 236، 241

(ر)

ربيعـة : 51
رجراجة : 96، 106
رحمان : 255
بنو رمان : 134، 135
بنو الرند : 78، 97.

الروم : 140، 277
رياح : 8، 15، 16، 57، 59، 60، 69، 70، 71، 76، 77، 81، 83، 85، 86، 89، 97، 98، 99، 116، 117 ، 123، 124، 125، 126 ، 136، 139، 148 ، 150، 154 ، 155، 163، 164 ، 168 ، 179، 183، 184 ، 185 ، 202، 204، 230، 234، 238، 255، 257 ، 258، 266، 272 ، 281، 284 ، 289، 291، 295، 304.

(ز)

زغب : 75، 141، 204، 205،
زغبـة : 8، 9، 17، 57، 69، 73، 85، 86، 145، 147، 149، 152، 154، 162، 179 ، 213، 220 ، 234، 255، 288، 289 ، 294 ، 304.
زكـرز : 265، 308.
زنـاتـة : 9، 16، 17، 64، 67، 70، 92، 94، 110، 133، 145، 147، 148، 150، 152 ، 161 ، 163، 189، 238، 260 ، 262 ، 267، 268 ، 273، 295، 297، 307، 312.
زواغـة : 49.
زواوة : 149
الزواودة : 83، 116، 117، 123 ، 124، 126، 134، 136 ، 154 ، 183 ، 190، 236، 255، 256 ، 257، 258، 266.

بنو زهرة : 32
بنو زيـان : 76
الزيريون : 58، 62، 64، 69.

(س)

بنو سالم : 75، 291
بنو سباع : 138
بنو سدويكش : 136
بنو سعـد : 288
بنو سعيـد : 203
بنو سفيان : 8، 14، 17، 101 ، 103 ، 104، 107 ، 108، 109، 111 ، 165، 167 ، 168 ، 172، 179 ، 184، 228، 232، 234 ، 286، 285
بنو سليم : 8، 15، 32، 57، 58، 61، 62، 63، 67، 76، 78، 81، 83، 97، 117، 122، 123، 124 126، 128، 129، 130 ، 132 ، 140، 141 ، 181، 204، 213 ، 232، 234، 241، 242 ، 258 ، 259، 263، 269، 284 ، 288 ، 293، 299، 308، 311.
أهل السنة : 136،
السودان (أهل) : 46، 100
بنو سويد : 9، 32، 123، 147 ، 151، 152، 153، 155 ، 156 ، 159، 160، 179، 184، 215 ، 216، 217، 250 ، 281، 291 ، 297.
بنو سهم : 31

(ش)

الشابيون : 123، 133

الشاوية : 10، 192، 193.

الشبانات : 168، 179، 265، 291 ، 308.

الشرفـاء : 45.

بنو الشريد : 141

الشيعة : 17، 50.

(ص ـ ظ)

بنو صالح الحمـيريين : 17، 42 ، 49، 50، 263.

صبيـح : 16، 190، 191، 291، 297، 298.

الصدف : 42، 47، 51

الصقالبة : 46، 50.

الصليبيون : 120

بربر صنـاكـة : 190، 191

صنهاجة : 17، 49، 53، 59، 69 ، 94، 106، 149، 273،

الصهب : 208، 208

الصياقلة : 45

بنو الضحاك بن مشرف بن أثبج : 200، 302.

الطرود : 269

(ع)

بنو العابد : 141، 142، 275،

بنو العاصـم : 17 ، 107، 116 ، 168، 171 ، 172 ، 173، 175، 177، 179، 185 ، 187، 229 ، 234، 291.

العباسيون : 40، 46، 50، 74، 78

بنو عبد الحـق : 9، 163

بنو عبد المؤمن : 13

بنو عبد الواد : 7، 8، 17، 18، 19 91، 109، 112، 123، 126، 129 137 ، 145، 146، 147، 148 ، 153، 163، 168، 179، 182 ، 183 ، 281، 288، 297،

بنو عامـر : 8، 18، 146، 147 ، 148، 150، 151، 152، 154 ، 156، 159 ، 163 ، 179، 180 ، 183، 204 ، 218، 219 ، 235، 241، 267، 282، 283 ، 291 ، 307.

بنو عامر بن جابر : 254

بنو عامر بن لؤى : 32

العثمانيون : 115، 122، 123

بنو عدي : 31، 71

العدنانية : 57.

بنو عذرة : 233.

العرب البلديون : 46

بنو عرفة بن زغبة : 179، 219 ، 220.

بنو عريف : 250

بنو العزفى : 168، 172

بنو عساكر : 136

بنو عسكر : 164

بنو عسكر بن معرف : 154

العطاف : 152، 156، 160، 182 ، 183، 255

بنو علال : 60، 273

العلويون : 14، 40، 98، 147،
بنو على : 59، 70، 204، 249
بنو على الشرفاء الحسينيون : 162
بنو عماد بن نصر الله الكلاعى : 71
العمارنة : 148
بنو عمر بن ابراهيم : 154
بنو عمر بن ادريس : 44
عمراوة : 123
العمور : 155، 201، 253
عميرة : 306
العنزة (عنزة) : 210
عوف : 75، 116، 117، 204، 205
208، 288.
عيـاض : 134، 136، 197، 199،
200.
بنو عيسى بن عبد القوي : 159.

(غ)

بنو غانية : 8، 14، 15، 54، 75،
78، 79، 80، 82، 83، 148،
238، 264.
بنو غريب : 288.
الاغزاز : 70
غسـان : 36، 51، 143.
بنو غفـار : 32.
بنو غمارة : 17، 37، 49، 91، 94،
295.
بنو غنث : 32.
بنو غنوش : 60، 273.

(ف)

بنو فادع : 275
الفاطميون : 7، 28، 44، 48، 50،
51، 52، 55، 99، 100.
بنو فتاتة العربى : 71
الفرس : 51
الفرنسيون : 119
بنو فزارة : 133، 134، 211، 212
213.

(ق)

بنو القائد : 76
بنو القاسم : 145
القبائل الموريتانية : 269
قبيلة كونتا : 269
قحطان (القحطانيه) : 51، 57، 99
القرامطة : 57، 102.
بنو قـرة : 54، 69، 116، 197 ،
201، 234.
قريـش : 32، 41، 51، 67، 146،
302.
القشتاليون : 89، 93، 169،
بنو القوس : 129، 181 .
القيسية : 7، 38، 39، 40، 42،
46، 67، 68، 298، 303.

(ك)

بنـو كامل : 71
كتـامـة : 51
بنو كثير : 129
كـدالـة : 266
بنو كرفـة : 8، 116، 123، 197،
198.
كزولـة أنظر جـزولـة

بنو كعب بن عمرو : 32
الكعـــوب : 8، 117، 121، 123، 126، 127، 128، 129 ، 141 ، 142، 143 ، 232، 258، 277 ، 285.
الكلبيون : 52 ، 55
كـوميــة : 67، 68.

(ل)

بنــو لبيــد : 210، 211.
لخــس : 265، 308.
لخـم : 46، 51، 60، 273، 310
لطيـف : 135، 197، 200، 302
بنــو الليل : 130
لمتونــة : 85، 266، 307، 308،
لمطــة : 266، 307، 308.
بنــو لومرت : 145

(م)

بنو مالك (بن زغبة) : 152، 159، 179، 215، 216، 217، 218، 280
المحاميد : 8، 15، 81، 117، 122، 131، 280، 209، 235، 246.
بنو محرز : 255، 256
بنو محمد بن مسعود : 125
بنو مدافع : 142، 143
بنو مدلج : 36، 46.
المرابطـون : 7، 50، 62، 63، 68، 73، 74، 75، 84، 264، 265، 267، 268.
مرداس : 117، 123، 126، 146، 202، 203، 241،
بنو مريـن : 5، 6، 7، 9، 91، 96، 109، 110، 111، 112، 125، 126، 130، 146 ، 148 ، 153، 158، 160، 161 ، 193 ، 239، 262، 276، 278، 281.
بنو مزنى : 133، 134، 135، 136، 138، 139، 233، 275، 302.
مزينــة : 32،
بنو مسكين : 181
مسـوفــة : 73، 84، 266.
بنــو مسلـم : 203
المسيحيون : 7، 10، 15.
مصامدة (مصمودة) : 67، 91، 92، 94، 164، 183.
مضــر (انظر القيسيــة) : 9، 16، 37، 39، 41، 51، 67، 98، 162
بنو مطــاوع : 286.
المعقل : 8، 9، 15، 16، 107، 108، 110، 111، 121، 126، 145، 147، 148، 149، 152، 153، 156 ، 157، 166، 168، 178 ، 179 ، 184 ، 188، 220 ، 227، 233، 236، 241، 242 ، 263، 264 ، 266، 267 ، 282 ، 294، 295 ، 296، 298، 304، 307.
مغراوة : 91.
مقدم : 60، 116، 197، 228، 273
بربر ملكيش : 156.
المماليك العـز : 8، 14، 15، 73، 76، 77، 78، 79، 81، 83، 238
المنبـات : 148، 179.

بنو المنتفق : 57.
المؤمنية : 115
الموالي : 7، 39،
الموحدون : 5، 6، 7، 8، 59، 60 ، 68، 69، 72، 74، 75، 77، 81، 82، 84، 89، 91، 93، 94، 95، 97 99، 100، 102، 103، 109، 111 112، 116، 145، 148، 232 ، 269، 278، 289.
مهرة : 32
بنو مهلهل : 16، 17، 117، 128 ، 129، 130، 131 ، 132، 141 ، 181 ، 182 ، 232، 258، 279،
ميدعان : 32.
بنو ميسرة : 157
بنو ميمون بن غانم بن سويد : 180

(ن)

بنو ناصرة : 306، 309.
بنو نصر : 112، 167، 176.
بنو نصوحة : 145
بنو النضر بن عروة : 235.
نغزاوة : 141، 142.
النورمان : 50، 69، 121.

(و)

بنو وائل : 255
بنو الورد : 60، 71، 273
ورفجومة : 41.
بنو ورهطف : 145
الوشاحيون : 122
بنو وطاس : 193.

(هـ)

بنو هاشم : 31، 51.
هبيب (الهيبيون) : 75، 204، 205 299.
بنو هذيل : 32.
هرغة : 67، 289.
هسكورة : 91، 101
بنو هلال (الهلالية) : 6، 7، 56 ، 57، 58، 60، 61، 62، 64، 73، 80، 101، 102، 147، 197، 204 242، 249 ، 259 ، 263، 269، 289، 293، 309، 311.
هنتاتة : 86، 91، 92، 108، 115
الهواريون : 77، 96.

(ي)

بنو ياتكين : 145
بنو يادين : 159.
يحصب : 42.
بنو يحى بن علاق : 206
بنو يزيد (بن زغبة) : 8، 149، 158، 179، 213، 214.
بنو يعقوب (من زغبة) : 155
بنو يعقوب بن كعب : 117
بنو يملول : 139، 140، 141، 233 275، 277.
اليمنيون : 7، 36، 37، 38، 39، 40، 46، 98، 303،
اليهود : 169

3 ـ فهرست الأمـاكن

(م)

اجدابيــة : 51

ادرار : 266

اراجون (أراغون) : 84، 89، 93، 121، 169، 170، 176، 177.

الاربس : 48، 71

الارك (موقعة) : 8، 16، 91، 93، 173.

أزمور : 9، 26، 107، 108، 112، 167، 191، 299 .

اسبانيـا : 7، 9، 68، 88، 113، 169، 170، 177.

استجـة : 168

اسطبونة : 175

اسفى : 299

الاسكندرية : 26، 310

أشبوبـة : 90

أشبيلية : 14، 72، 85، 86، 87، 94، 168، 169، 172، 250.

أشــير : 76

الاصنـــام : 40

أصيـلا : 44

أنطابلس أنظر برقة

أغمات : 80، 299

أفراغة : 84

افريقية : 8، 9، 11، 13، 14، 15، 16، 20، 22، 25، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 4 وفي معظــــم صفحات الكتاب.

أنقـاد (أنكـاد) : 192.

اقليش : 64، 84.

البيرة : 52.

امان ايملولى : 110، 165

الاندلس : 6، 9، 12، 13، 16، 20، 40، 42، 44، 50، 52، 54، 60، 63، 64، 67، 72، 77، 82، 84، 85، 87، 88، 90، 91، 93، 94، 99، 102، 113، 121، 167، 169، 175، 176، 177 ، 239، 278 ، 287، 296.

الاندلسيون (مدينة) : 43

انفـا : 166، 299.

أوجلـة : 310

أودغشت : 266، 268، 306، 307.

أوليــل : 266، 306.

ايــاس : 25.

ايطاليـا : 118، 176.

(ب)

بئر طشانة : 248

باب الشريعة : 287.

بـاجـة : 46، 48، 90، 105، 288

بادس : 299، 302.

باشاش : 135.

بـاغـاي : 11، 61 .

بجاية : 26، 54، 69، 74، 76، 81، 82، 88، 97، 116، 124، 126، 135 ، 137 ، 149 ، 153 ، 180، 235، 252، 262، 276.

بحر العروسيين : 59.
البحرين : 57.
برشلونه : 161، 176.
البرتغـال : 177
برقـة : 9، 22، 25، 28، 31، 34 39، 47، 53، 57، 58، 71، 80، 180، 236، 295، 299، 309.
برنيـق : 25
بسطـة : 86
بسكـرة : 8، 21، 125، 135، 136، 137، 138، 139، 141 ، 182 ، 183 ، 233 ، 255، 267، 275، 301، 303، 306.
البصـرة : 44
بصيوس : 84، 85، 86، 88
بغداد : 45.
بزمه : 17، 46، 47، 48، 51
بلاد اصيلا : 188
بلاد البطحاء : 159.
بلاد التل : 134، 276،
بلاد توجين : 184
بلاد بني حسن : 149، 150 .
بلاد الحضرميين : 255
بلاد حمزة : 149، 150
بلاد الحوز : 80، 165
بلاد السرسو : 184
بلاد منداس : 153.
بلاد الهيط : 163، 164، 184، 185 295.
بلد تكرت : 306
بنـافنتي : 93
بنزرت : 60، 71، 273
بنطابلس أنظر برقة
بـونـة : 116، 123، 135، 310،
بيـرارة : 298.
بيـزا : 74.

(ت)

تـادلا : 17، 26، 79، 166، 167، 172 ، 185 ، 188، 192، 291، 295، 304.
ـاجورة : 248، 300.
تازا (تازي) : 27، 107، 109، 189 299.
تافيلالت : 147
تامسنا : 80، 96، 108، 109، 110 111، 116، 165 ، 166، 185، 188، 235، 295، 298.
تانسفيت : 109
تارودانت : 110، 266، 305.
تبرسـق : 122، 277، 278.
تبسـة : 70
تدلس : 116
ترجـالـة : 85، 93.
تلمسان : 7، 8، 17، 19، 44، 64 67، 71، 73، 75، 82، 88، 109 112، 125، 126، 128 ، 145 ، 146، 147، 148، 152، 154 ، 155، 156، 158، 159 ، 168 ، 175، 179، 180 ، 183، 184 ، 236، 241، 252، 260 ، 280 ، 281، 291، 294، 295.

تمنطيت أنظر قصور تمنطيت .
تمبكتـو : 269
تنـس : 157
توزر : 75، 139، 140، 141، 233
275، 277، 302.
تونس : 7، 8، 11، 15، 18، 20،
21، 25، 34، 37، 39، 41، 47
48، 52، 58، 60، 62، 70، 75،
76، 79، 82، 88، 97 ، 118 ،
119، 120، 122، 123، 124 ،
127، 131، 132، 135 ، 136 ،
140، 141، 160، 163 ، 179 ،
181، 182، 277، 280، 310.
توات : 22، 241، 267، 269 ،
تهـودة : 35، 302.
تيطري (اشير) 158، 159،
تيكرارين أنظر قصور تيكرارين.

(ث)

الثغر الاعلى : 84
الثغر الاوسـط : 84
الثغر الغربى : 84

(ج)

جبال درن : 108
جبال سجلماسة : 106
جبال سعيدة : 145
جبال ورغة : 99
جبل أوراس : 70
جبل ايجليز : 103، 166
جبل جرجيس : 12
جبل بني خليل : 157
جبل راشد : 153، 155
جبل زغـوان : 71.
جبل نفوسة : 83
جبل طارق : 176.
جبل هنتاتة : 183، 190.
جربـة : 121
الجريد (بلاد) : 8، 13، 21، 80 ،
82، 122، 126، 133، 138، 139
140، 273، 275، 277، 301.
الجزائر : 25، 26، 68، 75، 156،
الجزائر : 25، 26، 68، 75، 155،
156، 182، 183، 281.
جـزر البليـار : 73
الجـزيـرة : 48
الجزيرة الخضراء : 102، 169، 170
173، 175، 176.
جيـان : 169

(ح)

الحامة : 122، 130، 139، 277.
حجر النسر : 44
حصن تيطري (اشير) 154، 156.
حصن تيو نبوين : 107
حصن برجزة : 150
حصن حلق الواد : 123 .
حصن شالوقة : 171
حصن لك : 86
الحضنة (بـلاد) 125، 134، 136،
276.
الحمـة : 79 .
حنـاس : 134

(د)

دار ابن لقمان : 120
دار القيطون : 43
دانيـة : 73.
درعـة : 96، 148، 166، 178، 185، 241، 306.
دمشـق : 252، 274.
الدوسن أنظر قصر الدوسن
الدسوس : 150

(ر)

الربـاط : 26، 175.
رباط تـازا : 163، 165.
رباط الفتح : 73، 89، 109، 165
رباط مـاسة : 96
الربـض : 43.
رقـادة : 51، 52.
رقطون : 60، 273.
الرمادة : 36، 47.
ريغ (ريغة) : 24، 125، 134، 135، 136، 255، 267، 276.
الريف (بـلاد) : 17، 26، 49.

(ز)

الزاب : 8، 45، 47، 52، 54، 76، 88، 97، 98، 116، 125، 133، 134، 135، 136، 141، 232، 248، 255، 267، 273، 275، 302
زاب أفريقية : 161
زاب تهودة : 134
زاب طلوقة : 134، 303
زاب مليـان : 134
زاغـر : 304
زالـة : 11، 306.
زاوية أولاد سنان بن عامر : 254
زاوية أولاد سهيل : 253
زغوان (اقليم) : 60، 123
زنزور : 253، 300
زويلة : 11، 31، 61، 77، 306.
زويلة ابن الخطاب : 11، 306

(س)

الساقية الحمراء : 185، 266، 269
سـامـة : 268
سبتـة : 45، 54، 168، 172، 178، 299.
سجلماسة : 96، 111، 161، 179، 183، 185 ، 186 ، 187، 188، 189، 299، 306، 307، 308.
سدويكش (أرض) : 134.
سرقسطة : 84.
سطيف : 47، 70، 302.
سفـاقـص : 13، 69، 126، 268، 277.
سلا : 26، 54، 70، 76، 80، 84، 89، 101، 109، 165.
السنغال : 25، 240، 265، 266.
سنوس : 158.
السودان (بلاد) : 10، 11، 13، 20، 22، 61، 63، 263، 265، 267، 270، 305، 306، 307، 311.
سوانـى خلف الله : 254.

السوس (بلاد) : 13، 26، 28، 96، 107، 109، 185، 266، 297 ، 305، 307.
ســوســة : 13، 25، 69، 126 ، 131، 182، 277.
سيرات (سيرانة) : 25، 51، 159.

(ش)

شــاذلة : 252
شــالــة : 175.
الشام : 7، 36، 40، 57.
شبرينة : 85.
شبه جزيرة شريك : 47.
شريش : 14، 85، 169، 171، 173
شقبارية : 71.
شلــب : 90
شنترين : 84، 86، 87، 90.
شنجيط : 270.

(ص)

صبــرة : 25
صرت : 11، 306.
صخرة ابى بياس : 164
الصعيد : 57.
صقلية : 45، 47، 52، 53، 55، 118، 121.
صنعــاء : 51

(ط)

طبرقة : 13، 60، 71، 273 .
طبنة : 47، 302.
طرابلس : 15، 25، 28، 36، 39، 47، 52، 53، 54، 58، 78، 82، 83، 115، 117، 121، 128، 131، 148، 299، 300، 308 ، 309 ، 310.
طربليطة : 25.
طركــونــة : 84.
طريــف (مدينة) 168، 170، 175، 177.
طلياطــة : 87.
طليطلة : 94.
طنجــة : 26، 41، 54، 299.
طــوكرة : 25
طولقة : 255، 256، 303، 304
أبو طويل : 185.

(ع)

العالية (مدينة) : 43.
العباسية : 45
عصاصة : 229.
العقاب (موقعة) : 16، 94.
عمــان : 57.
عمرة : 79.
عنــابــة : 116.
عياض (أرض) : 134.

(غ)

غــانــة : 268
غدامس : 28
الغرب (بلاد) : 80.
غرب الاندلس : 8

غرنـــاطة : 9، 112، 145 ، 146 ، 167، 169، 170، 175، 177 ، 179، 192، 280.
غليــرة : 86.
غمارة (بلاد) : 26
غيارو : 268.

(ف)

فـــازازا (بلاد) : 17.
فاس: 9، 17، 19، 27، 28، 42، 43 70، 73، 81، 82، 100، 107، 109، 125، 126، 164 ، 186 ، 189، 191، 192، 193، 263.
فجيـــج (فكيك) : 161.
فحص ازغار : 80، 185.
فحص الجلاب : 86.
فرغران : 157.
فرنســا : 73
فــزان : 12، 25، 31، 47، 77 ، 83، 99، 267، 300، 309.

(ق)

قـــابس : 11، 13، 59، 71، 80، 81، 82، 83، 97، 116، 122 ، 123، 141، 244، 254، 273 ، 274، 284، 295، 301.
القاهرة : 54، 126، 295.
قربـــاقة : 86.
قرطبة : 14، 44، 85، 169 .
القرن (موقعة) : 40.
قرمونـــة : 171، 172.
قرية فرفار : 304.
قسنطينة : 11، 21، 62، 75، 81، 82، 116، 119، 120، 121، 124 126، 241، 248، 281، 304 ، 310،
قشتالة : 84، 91، 168، 169، 170 175، 180.
قصر بـــادس : 134.
قصر جـــودة : 267.
قصر الدوسن : 134، 302.
قصر صيبار : 248.
قصر صالح : 308.
قصور توات : 186، 241 ، 267 ، 367،
قصور تيكرارين : 186، 241، 267 307،
قصور كامنطيت : 186، 267، 306 307.
قصر العروسيين : 81، 83.
قصر عبد الكريم : 185.
القصر القديم : 45.
القصر الكبير : 80.
قصر كتامه : 80، 184.
قصر المجاز : 168.
قصر مرادة : 152، 191، 281،
قصر مصمودة : 73.
قصطيلة : 116، 139، 301.
قطلونيا : 73.
قفصـــة : 13، 71، 75، 76، 78، 80، 99، 139، 141، 275، 301
قلعة ابن سلامة : 155، 184.
قلعة أيوب : 64.

قلعة بني حماد : 60، 69، 75، 98
قلعة تامجردرت : 109.
قلعة تاوغزوت : 280.
قلعة رباح : 84، 91، 93، 94
قلعة السرسو : 280.
قلعة شلبطرة : 94.
قلعة علودان : 185.
قلعة اللج : 94.
قليعة : 180، 267.
قمودة : 48.
قورينة : 25.
قونقة : 84.
قونكة (موقعة) : 12، 89.
القيروان : 7، 11، 28، 34، 35، 36، 37، 39، 40، 41، 43، 48، 51، 52، 58، 61، 69، 76، 79، 116، 123، 126، 133، 181، 182، 249، 253، 268.
القيروانيون (مدينة) : 43.

(ك)

كاراكويل : 93.
كانم (مملكة) : 267، 269.
كتندة : 84.
كربلاء : 35.
كرسيف : 152، 154.
كريكرة (جبل) 304.
كنسويجرا : 63.
الكوفة : 41.

(ل)

لاردة : 84.
لدة : 25
لورقة : 86.
ليبيا : 115.
ليون : 85.

(م)

ماردة : 84.
مالى : 266، 306.
متيجة : 150، 155، 156، 157، 304.
مجانة : 12، 47، 309.
المحمدية أنظر المسيلة
المدية : 158، 159.
المدينة (يثرب) : 31، 32، 35، 42، 43.
مراكش : 9، 25، 26، 40، 70، 80، 81، 84، 89، 93، 96، 97، 101، 102، 103، 104، 105، 108، 109، 110، 112، 115، 165، 166، 179، 186، 232، 278، 287، 299، 304.
مرناق : 252.
مرسى تمسامان : 49.
المرية : 50.
مرسى الخرز : 310.
مرسى القل : 121.
مرسيه : 79، 86
الزمة : 299
مستغانم : 157.

المسيلة : 11، 52، 53، 61، 76 ، 124، 126، 134، 148 ، 248 ، 263
مصر : 7، 10، 12، 13، 15، 25 26، 27، 31، 33، 36، 40، 44 51، 53 ، 56، 57، 99، 100 ، 120، 262 280، 310.
المغرب ، وردت في معظم صفحات الكتاب .
مقرة : 47، 134، 256
مكناسة : 44، 70، 73، 109، 164 165، 193، 299.
مكة : 42، 43، 252.
ملجون : 93، 94.
ملوية (وادي) : 147، 148، 152 158، 161،.
مليانة : 75، 157، 288.
مليلى : 256.
مليلة : 299.
منتانجش : 93 .
المنصورة : 118.
المنستير : 11، 61
ملنيج : 306.
موريتانيا : 270، 271، 306.
المهدية : 11، 52، 58، 61، 69، 71، 72، 75، 80، 89، 99، 126 284.
ميلة : 47.

(ن)

ناصرة : 12، 300
نبرة : 93.
نجد : 57
نفزاوة : 139، 140، 300
نفطة : 116، 123، 139، 275.
نقاوس : 134.
نقموة : 302 .
نكور (دولة) : 42، 49، 50.
نول : 27، 71، 266، 306، 307
نول لمطة : 307.
النيجر (نهر) : 25، 306.

(و)

الواحات : 13
وادي ابى رجراج : 304.
وادي ام الربيع : 104، 111، 166 189.
وادي آنة : 85.
وادى تنسيفت : 106، 107
وادي الحرة : 35.
وادى مجردة : 60
وادي سبو : 164
وادي ماسة : 268
وادي ملوية : 145، 152، 184، 189 .
وادي مينة : 145.
وادي ورك : 182
واسنات : 165
واركلى : 124، 125، 134، 136، 267، 276، 306.
وبذة : 88
وجدة : 109، 145، 158

ودان : 11، 83، 266، 300، 306،
ورقلـة : 116
وطاط : 152
وهران : 44، 71، 157، 159، 160
.304

(هـ)

الهبـط (بلاد) : 80.

هزاعـة : 300
هنيـن : 158.

(ي)

يابرة : 85، 90،
ياميلول : 75.

تصويب الخطأ

الصفحة	سطر	الخطأ	الصواب
18	30	تاريخيا	تاريخا
19	1	ينصمن	يتضمن
41	2	المصرية	المضرية
42	13	اريس عبد الله	ادريس بن عبد الله
43	9	ثوار الريض	ثوار الربض
50	9	الصقالية	الصقالبة
53	18	بالاستراك	بالاشتراك
53	15	ما أحبيه	ما اجبيه
69	1	واسرافها	واشرافها
70	4	غنى	غنى
74	4	بدارونهم	يدارونهم
81	1	ممالبك	مماليك
93	23	يستفسر	يستنفر
101	11	بتحلى	بتخلى
121	21	واعنقه	واعتقه
166	14	جبل انجليز	جبل ايجليز
169	10	ابن يوسف	أبى يوسف
186	16	توان	توات
309	7	الكبرت	الكبريت

فهرس

صفحة

مقـــدمـــة 5
دراسة المصادر ومراجع البحث 11
بلاد المغرب 25

الباب الاول :

القبائل العربية في المغرب قبل عصر الموحدين 29

الفصل الاول

أولا ـ العناصر العربية وفتح المغرب 31
ثانيا ـ الادارة الاموية وخلافات العصبية القبلية في المغرب 37
ثالثا ـ الولايات العربية المستقلة بالمغرب في القرن الثالث الهجرى 42

الفصل الثانى :

أولا ـ هجرة القبائل الهلالية الى المغرب 57
ثانيا ـ العرب والمرابطون 62

الباب الثانى :

القبائل العربية في المغرب قبل عصر الموحدين وبنى مرين 65

الفصل الاول :

دور العرب في الدولة الموحدية 67

أولا ـ اصطناع خلفاء الموحدين للعرب في أفريقية 67
ثانيا ـ دور العرب في صراع الموحدين مع بنى غانية والمماليك الغز 73
ثالثا ـ اشتراك العرب في العمليات الحربية التى خاضها الجيش الموحدي في الاندلس 84
رابعا ـ ثورات العرب ودورهم في انهيار الدولة الموحدية 96

الفصل الثاني :

دور العرب في الدولة الحفصية بافريقيا 115
أولا : دور عرب رياح وعوف في تأسيس الدولة 115
ثانيا ـ موقف العرب من غزوات مسيحي أوربا لتونس 118
ثالثا ـ دور رياح والزواودة في انقسام الدولة الحفصية 123
رابعا ـ دور سليم والكعوب في انهيار الدولة الحفصية 126
خامسا ـ الامارات العربية المستقلة بالدولة الحفصية 133

الفصل الثالث :

دور العرب في دولة بنى عبد الواد بالمغرب الاوسط 145
أولا ـ دور زغبة والمعقل في قيام دولة بنى عبد الواد 145
ثانيا ـ دور عرب يزيد وعامر في قوة الدولة واستمرارها 148
ثالثا ـ ثورات عرب الثعالبة وذوي عبيد الله وحصين وسويد 156

الفصل الرابع :

دور العرب في الدولة المرينية بالمغرب الاقصى 161
أولا ـ دور العرب في نشأة الدولة المرينية 161
ثانيا ـ دور العرب في جهاد المسيحيين باسبانيا 167
ثالثا ـ دور العرب بزعامة سويد في اتساع الدولة المرينية 179
رابعا ـ ثورات عرب رياح والمعقل والاثبج ودورهم في انهيار الدولة المرينية 184

الباب الثالث :

القبائل العربية وأثرها في الحياة المغربية 195

الفصل الاول

توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب 197
أولا ـ القبائل العربية بافريقية 197
ـ الهلاليون : الاثبج 197
ـ الهلاليون : رياح 202
ـ بنو سليم 204
ثانيا ـ القبائل العربيه بالمغرب الاوسط 213
ـ زغبة 213
القبائل العربية في المغرب والمغرب الاقصى 222

الفصل الثانى :

وضع القبيلة العربية بالمغرب 231
أولا ـ الحياة اليومية للقبيلة العربية بالمغرب 231
ثانيا ـ نزعات التصوف والاصلاح بين القبائل العربية 252
ثالثا ـ دورهم في ركب الحجيج الى مصر 260
رابعا ـ دورهم في تعريب المغرب ونشر الثقافة العربية ببلاد السودان 263

الفصل الثالث :

دور القبائل العربية في النواحى الادارية والعسكرية 273
أولا ـ دورهم في النواحى الادارية 273
ثانيا ـ دورهم في النواحى العسكرية 282

الفصل الرابع :

أثر القبائل العربية في الحياة الاقتصادية المغربية 293

أولا ـ تنمية الثروة الحيوانية 293
ثانيا ـ دورهم في الزراعة والفلاحه 299
ثالثا ـ دورهم في التجارة الداخلية والخارجية 305

الخـــــــاتمـــــــة : 313

ثبـت بـأسمـاء المـراجـع 321
أولا ـ المصادر العربية القديمة والمخطوطـات 321
ثانيا ـ المراجـع العـربيـة الحـديـثة 325
ثالثا ـ المصادر الاوروبيـة 331

الفهـــــــــارس : 341
1 ـ فهـرس الاعـــــــــلام 342
2 ـ فهرس القبائل والجماعات 359
3 ـ فهـرس الامـــاكـــن 367

رقم الإيداع القانوني 202 ـ 1982

طبع بدار النشر المغربية
13/5 زنقة الجندي روش ـ الهاتف : 24.51.47/48
الدار البيضاء
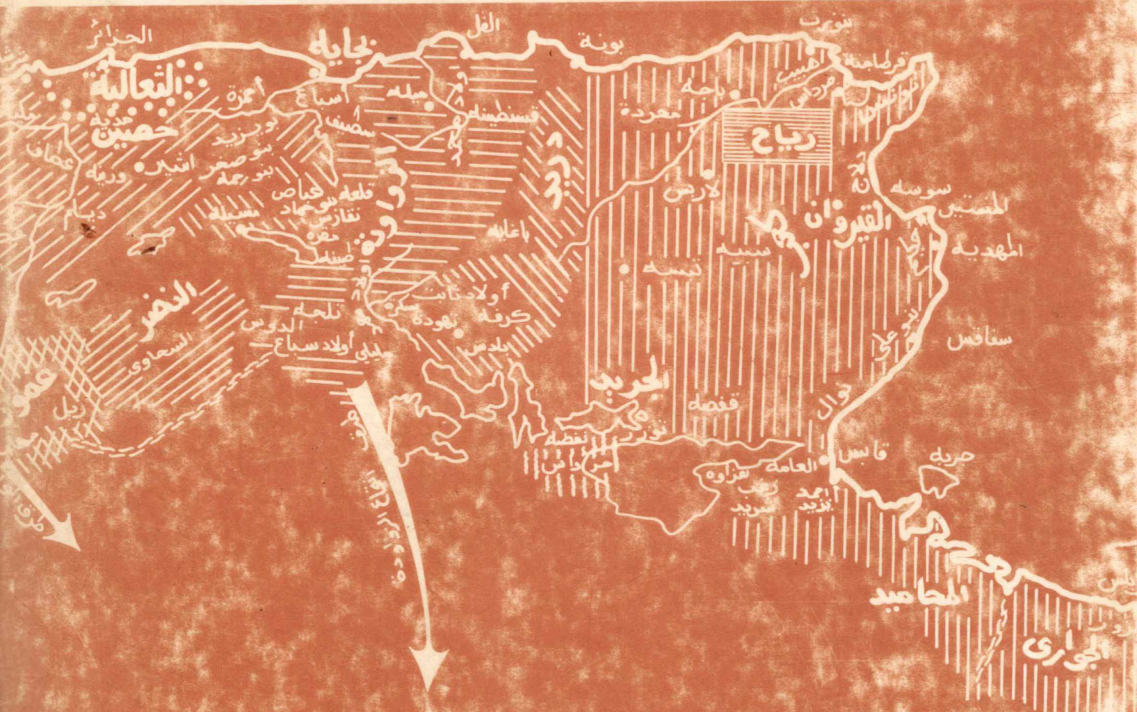
توزيع المكتبة الثقافية
وجدة